الكِفايـة

في التَّفسيرِ بِالمأْثورِ والدِّرايـة

تأليف الفقير إلى رحمة ربه
عبدالله خضر حمد
باحث عراقي

الجزء السادس والعشرون

[سورة النور، الآية: ٦٢]- [سورة النمل، الآية: ٤٠]

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

الرقم الدولي(ISBN):٥-٧١٥-٧٢-٩٩٥٣
الطبعة الأولى، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م
الناشر: دار القلم- بيروت – لبنان

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

Abdulla.khdhir@gmail.com
Abdulla. khdhir@hotmail.com

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

القرآن

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٢)} [النور : ٦٢]

التفسير:

إنما المؤمنون حقًا هم الذين صدَّقوا الله ورسوله، وعملوا بشرعه، وإذا كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على أمر جمعهم له في مصلحة المسلمين، لم ينصرف أحد منهم حتى يستأذنه، إن الذين يستأذنونك - أيها النبي - هم الذين يؤمنون بالله ورسوله حقًا، فإذا استأذنوك لبعض حاجتهم فَأْذَن لمن شئت ممن طلب الإذن في الانصراف لعذر، واطلب لهم المغفرة من الله. إن الله غفور لذنوب عباده التائبين، رحيم بهم.

سبب النزول:

في سبب نزول الآية، قولان:

أحدها: أنها نزلت في حفر الخندق؛ وكان قوم يتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا اذن.

عن عروة ومحمد بن كعب القرظي قالا: "لما أقبلت قريش عام الأحزاب نزلوا بمجمع الأسيال من بئر رومة بالمدينة قائدها أبو سفيان وأقبلت غطفان حتى نزلوا بتغمين إلى جانب أحد وجاء رسول الله ﷺ الخبر وضرب الخندق على المدينة وعمل فيه وعمل المسلمون فيه وابطأ رجال من المنافقين وجعلوا يورون بالضعيف من العمل فيتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا اذن وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التي لابد منها يذكر ذلك لرسول الله ﷺ ويستأذنه في اللحوق لحاجته فيأذن له فإذا قضى حاجته رجع، فأنزل الله في أولئك المؤمنين : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ} [النور : ٦٢]، إلى قوله: {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [النور : ٦٤]"(١).

الثاني: -وهو قول مقاتل- أنها :" نزلت في عمر بن الخطاب- رضوان الله عليه- في غزاة تبوك وذلك أنه استأذن النبي- ﷺ- في الرجعة أن يسمع المنافقين، إلى أهله فقال النبي- ﷺ- «انطلق فو الله ما أنت بمنافق». يريد أن يسمع المنافقين فلما سمعوا ذلك، قالوا: ما بال محمد إذا استأذنه أصحابه أذن لهم فإذا استأذناه لم يأذن لنا، فو اللات ما نراه يعدل، وإنما زعم أنه جاء ليعدل"(٢).

قوله تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} [النور : ٦٢]، أي:" إنما المؤمنون حقًا هم الذين صدَّقوا الله ورسوله، وعملوا بشرعه"(٣).

قال الطبري: يقول:" ما المؤمنون حق الإيمان، إلا الذين صدقوا الله ورسوله"(٤).

عن سعيد قوله: "{آمنوا بالله}، يعنى: بتوحيد الله، {ورسوله}، يعنى: يصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم أنه نبي ورسول"(٥).

قال الإمام الشافعي:" جعل كمال ابتداء الإيمان، الذي ما سواه تبع له «الإيمان بالله ثم برسوله»، فلو آمن عبد به ولم يؤمن برسوله، لم يقع عليه اسم كمال الإيمان أبدا، حتى يؤمن برسوله - ﷺ – معه"(٦).

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور:٦/٢٢٩، وعزاه إلى ابن إسحق وابن المنذر والبيهقي في الدلائل. وانظر: دلائل النبوة للبيهقي:٣/٤٠٨-٤٠٩. [باختلاف في الالفاظ]

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٢١٠-٢١١.

(٣) التفسير الميسر:٣٥٩.

(٤) تفسير الطبري:١٩/٢٢٨.

(٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩١٠):ص٨/٢٦٥٢.

(٦) تفسب الإمام الشافعي:٢/٦٧٦.

قوله تعالى:{وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ} [النور : ٦٢]، أي:" وإذا كانوا مع النبي ﷺ على أمر جمعهم له في مصلحة المسلمين"[١].

قال الطبري:" يقول: وإذا كانوا مع رسول الله ﷺ على أمر يجمع جميعهم من حرب حضرت، أو صلاة اجتمع لها، أو تشاور في أمر نزل"[٢].

وفي قوله تعالى:{وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ} [النور : ٦٢]، ثلاثة وجوه:

أحدها : أن الأمر الجامع: الجمعة والعيدان والاستسقاء وكل شيء يكون فيه الخطبة ، قاله يحيى بن سلام[٣].

الثاني: يعنى: في الجهاد والجمعة والعيدين. قاله سعيد بن جبير[٤]، وأبو مليكة[٥]، ومقاتل بن حيان[٦].

قال مقاتل حيان:" يقول: على أمر طاعة يجتمعون عليها، نحو الجمعة، والنحر والفطر، والجهاد، وأشباه ذلك مما ينفعهم الله به"[٧].

الثالث: أن ذلك في الغزو والجمعة. قاله مجاهد[٨]، وابن زيد[٩].

قال مجاهد:" وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده"[١٠].

وقال مكحول:" في يوم الجمعة، وفي زحف، وفي كل أمر جامع، قد أمر أن لا يذهب أحد في يوم جمعة حتى يستأذن الإمام، وكذلك في كل جامع "[١١].

قال مكحول:" كانت الجمعة من تلك الأمور الجامعة التي يستأذن الرجل فيها قال: إذا كان ذلك وضع الرجل يده اليسرى على أنفه، ثم يأتي فيشير بيده اليمنى إلى الإمام، فيشير إليه الإمام، فيذهب"[١٢].

وقال سعيد بن جبير:" في الحرب ونحوه"[١٣].

قال ابن زيد:" الأمر الجامع: حين يكونوا معه في جماعة الحرب أو جمعة، قال: والجمعة من الأمر الجامع لا ينبغي لأحد أن يخرج إذا قعد الإمام على المنبر يوم الجمعة إلا بإذن سلطان، إذا كان حيث يراه أو يقدر عليه، ولا يخرج إلا بإذن، وإذا كان حيث لا يراه ولا يقدر عليه، ولا يصل إليه، فالله أولى بالعذر"[١٤].

الرابع: أنه الجمعة إذا كانوا معه لم يذهبوا حتى يستأذنوه. قاله الزهري[١٥]، وابن قتيبة[١٦].

قال الحسن:" كان الرجل إذا كانت له حاجة والإمام يخطب، قام فأمسك بأنفه، فأشار إليه الإمام أن يخرج، قال: فكان رجل قد أراد الرجوع إلى أهله، فقام إلى هرم بن حيان وهو يخطب، فأخذ بأنفه، فأشار إليه هرم أن يذهب، فخرج إلى أهله فأقام فيهم، ثم قدم، قال له هرم: أين كنت؟ قال: في أهلي؟ قال: أبإذن ذهبت؟ قال: نعم، قمت إليك وأنت تخطب فأخذت بأنفي،

---

(١) التفسير الميسر:٣٥٩.
(٢) تفسير الطبري:٢٢٨/١٩.
(٣) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٤٦٦/١.
(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٩١٢):ص٢٦٥٢/٨.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٩١٢):ص٢٦٥٢/٨.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٩١٦):ص٢٦٥٣/٨.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩١٦):ص٢٦٥٣/٨.
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٩١٣)ص٢٦٥٢/٨-٢٦٥٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٢٢٩/١٩.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩١٣)ص٢٦٥٢/٨-٢٦٥٣.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٢٢٨/١٩.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩١٨):ص٢٦٥٣/٨.
(١٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩١١):ص٢٦٥٢/٨.
(١٤) أخرجه الطبري:٢٢٩/١٩.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٢٢٩/١٩.
(١٦) غريب القرآن:٣٠٩.

فأشرت إلي أن اذهب فذهبت، فقال: أفاتخذت هذا دغلا؟ أو كلمة نحوها، ثم قال: اللهم أخر رجال السوء إلى زمان السوء"[١].

الخامس : أنه في طاعة الله ، قاله ابن عباس[٢]، وقتادة[٣]، والضحاك[٤].

السادس : أنه أمر عام. قاله عطاء[٥].

قوله تعالى:{لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ} [النور : ٦٢]، أي:" لم ينصرف أحد منهم حتى يستأذنه"[٦].

قال ابن قتيبة:" لم يقوموا إلا بإذنه"[٧].

قال الطبري:" يقول: لم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الأمر، حتى يستأذنوا رسول الله ﷺ"[٨].

قال ابن كثير:" وهذا أيضًا أدب أرشد الله عبادَه المؤمنين إليه ، فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول، كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف - لا سيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، من صلاة جمعة أوعيد أو جماعة ، أو اجتماع لمشورة ونحو ذلك - أمرهم الله تعالى ألا ينصرفوا عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته. وإن من يفعل ذلك فهو من المؤمنين الكاملين"[٩].

قال السعدي:" هذا إرشاد من الله لعباده المؤمنين، أنهم إذا كانوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم على أمر جامع، أي: من ضرورته أو من مصلحته، أن يكونوا فيه جميعا، كالجهاد، والمشاورة، ونحو ذلك من الأمور التي يشترك فيها المؤمنون، فإن المصلحة تقتضي اجتماعهم عليه وعدم تفرقهم، فالمؤمن بالله ورسوله حقا، لا يذهب لأمر من الأمور، لا يرجع لأهله، ولا يذهب لبعض الحوائج التي يشذ بها عنهم، إلا بإذن من الرسول أو نائبه من بعده، فجعل موجب الإيمان، عدم الذهاب إلا بإذن، ومدحهم على فعلهم هذا وأدبهم مع رسوله وولي الأمر منهم"[١٠].

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} [النور : ٦٢]، أي:" إن الذين يستأذنونك - أيها النبي - هم الذين يؤمنون بالله ورسوله حقًا"[١١].

قال يحيى:" أي: مخلصين غير منافقين"[١٢].

قال سعيد بن جبير:" يعني: الذين فعلوا ما ذكر في هذه الآية. قوله: {يؤمنون بالله ورسوله}، يعني: يصدقون بتوحيد الله"[١٣].

قال السمعاني:" روي أن عمر استأذن رسول الله في غزوة تبوك أن يرجع إلى أهله فقال: «ارجع فلست بمنافق ولا مرتاب»[١٤]، يعرضه بالمنافقين، وقيل: إن هذه الآية ناسخة لقوله تعالى في سورة التوبة: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُم} [التوبة : ٤٣]"[١٥].

---

(١) أخرجه الطبري:١٩/٢٢٨-٢٢٩.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٩/٢٢٨.
(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٨/٢٦٥٣. ذكره بدون سند.
(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٨/٢٦٥٣. ذكره بدون سند.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٩١٤):ص٨/٢٦٥٣.
(٦) التفسير الميسر:٣٥٩.
(٧) غريب القرآن:٣٠٩.
(٨) تفسير الطبري:١٩/٢٢٨.
(٩)تفسير ابن كثير:٦/٨٨ .
(١٠) تفسير السعدي:٥٧٦.
(١١) التفسير الميسر:٣٥٩.
(١٢) تفسير يحيى بن سلام:١/٤٦٦.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٢١):ص٨/٢٦٥٤.
(١٤) ذكره مقاتل بن حيان في التفسير:٣/٢١٠. كما سبق الإشارة غليه في سبب النزول.
(١٥) تفسير السمعاني:٣/٥٥٤.

قوله تعالى:{فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ} [النور : ٦٢]، أي:" فإذا استأذنوك لبعض حاجتهم"(١).
قال السمعاني:" أي: أمرهم"(٢).
قال يحيى:" كما أمر الله عن الغائط والبول"(٣).
قال البيضاوي:أي:" ما يعرض لهم من المهام، وفيه أيضا مبالغة وتضييق الأمر"(٤).
قوله تعالى:{فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ} [النور : ٦٢]، أي:" فَأْذَن لمن شئت ممن طلب الإذن في الانصراف لعذر"(٥).
قال السمعاني:" معناه: إن شئت فأذن، وإن شئت فلا تأذن"(٦).
قال البيضاوي:هذا " تفويض للأمر إلى رأي الرسول ﷺ، واستدل به على أن بعض الأحكام مفوضة إلى رأيه ومن منع ذلك قيد المشيئة بأن تكون تابعة لعلمه بصدقه فكأن المعنى: فائذن لمن علمت أن له عذرا"(٧).
قال يحيى:" وقد أوجب الله على النبي والإمام بعده أن يأذن لهم ولكن زاد الله بذلك إكرام النبي عليه السلام وإعظام منزلته، فإذا كانت لرجل حاجة قام حيال الإمام وأمسك بأنفه وأشار بيده"(٨).
قال السعدي:" ذكر لإذنه لهم شرطين:
أحدهما: أن يكون لشأن من شئونهم، وشغل من أشغالهم، فأما من يستأذن من غير عذر، فلا يؤذن له.
والثاني: أن يشاء الإذن فتقتضيه المصلحة، من دون مضرة بالآذن"(٩).
عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : "إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلِّم ، فإذا أراد أن يقوم فليسلِّم ، فليست الأولى بأحق من الآخرة"(١٠).
عن ابن عباس، "{لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}(١١)، إلى قوله {يَتَرَدَّدُونَ}(١٢)، فنسختها هذه الآية التي في سورة النور {فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم}، فجعل رسول الله ﷺ بأعلى النظرين، من غزا عزا في فضيلة، ومن قعد قعد في غير حرج إن شاء الله"(١٣).
قوله تعالى:{وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ} [النور : ٦٢]، أي:" واطلب لهم المغفرة من الله"(١٤).
قال البيضاوي:أي:" بعد الإذن، فإن الاستئذان ولو لعذر قصور لأنه تقديم لأمر الدنيا على أمر الدين"(١٥).
قال السمعاني:" أي: ادع لهم إذا طلبوا الدعاء منك"(١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٥٩.
(٢) تفسير السمعاني:٥٥٤/٣.
(٣) تفسير يحيى بن سلام:٤٦٦/١.
(٤) تفسير البيضاوي:١١٥/٤.
(٥) التفسير الميسر:٣٥٩.
(٦) تفسير السمعاني:٥٥٤/٣.
(٧) تفسير البيضاوي:١١٥/٤.
(٨) تفسير يحيى بن سلام:٤٦٦/١.
(٩) تفسير السعدي:٥٧٦.
(١٠)سنن أبي داود برقم (٥٢٠٨) وسنن الترمذي برقم (٢٧٠٦) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٢٠١).
قال الترمذي : "حسن".
(١١)[التوبة : ٤٤].
(١٢)[التوبة : ٤٥].
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٢٢):ص٢٦٥٤/٨.
(١٤) التفسير الميسر:٣٥٩.
(١٥) تفسير البيضاوي:١١٥/٤.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور : ٦٢]، أي:" إن الله غفور لذنوب عباده التائبين، رحيم بهم"[٢].

قال السعدي:" يغفر لهم الذنوب ويرحمهم، بأن جوز لهم الاستئذان مع العذر"[٣].

قال البيضاوي:" {إن الله غفور} لفرطات العباد"[٤].

قال سعيد بن جبير:" {إن الله غفور} لما كان منهم. {رحيم} بهم بعد التوبة"[٥].

القرآن

{لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)} [النور : ٦٣]

التفسير:

لا تقولوا -أيها المؤمنون- عند ندائكم رسول الله: يا محمد، ولا يا محمد بن عبد الله، كما يقول ذلك بعضكم لبعض، ولكن شرِّفوه، وقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله. قد يعلم الله المنافقين الذين يخرجون من مجلس النبي ﷺ خفية بغير إذنه، يلوذ بعضهم ببعض، فليَحْذَر الذين يخالفون أمر رسول الله أن تنزل بهم محنة وشر، أو يصيبهم عذاب مؤلم موجع في الآخرة.

قوله تعالى:{لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا} [النور : ٦٣]، أي:" لا تقولوا -أيها المؤمنون- عند ندائكم رسول الله: يا محمد، ولا يا محمد بن عبد الله، كما يقول ذلك بعضكم لبعض، ولكن شرِّفوه، وقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله"[٦].

قال السمعاني:" أي: لا تقولوا: يا محمد، يا أبا القاسم، يا ابن عبد الله، ولكن قولوا: يا أيها الرسول، يا أيها النبي، يا رسول الله، وادعوه على التفخيم والتعظيم"[٧].

قال السعدي:" أي: لا تجعلوا دعاء الرسول إياكم ودعائكم للرسول كدعاء بعضكم بعضا، فإذا دعاكم فأجيبوه وجوبا، حتى إنه تجب إجابة الرسول ﷺ في حال الصلاة، وليس أحد إذا قال قولا يجب على الأمة قبول قوله والعمل به، إلا الرسول، لعصمته، وكوننا مخاطبين باتباعه، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}، وكذلك لا تجعلوا دعاءكم للرسول كدعاء بعضكم بعضا، فلا تقولوا: «يا محمد» عند ندائكم، أو «يا محمد بن عبد الله»، كما يقول ذلك بعضكم لبعض، بل من شرفه وفضله وتميزه ﷺ عن غيره، أن يقال: يا رسول الله، يا نبي الله"[٨].

وفي قوله تعالى:{لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا} [النور : ٦٣]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه نهي من الله عن التعرض لدعاء رسول الله -ﷺ- بإسخاطه، لأن دعاءه مستجاب يوجب العقوبة وليس كدعاء غيره، فاحذروا أن يدعو عليكم فتهلكوا. قاله ابن عباس[٩]، وعطية العوفي[١٠].

قال ابن عباس:" يقول: دعوة الرسول عليكم موجبة فاحذروها"[١١].

---

(١) تفسير السمعاني:٥٥٤/٣.
(٢) التفسير الميسر:٣٥٩.
(٣) تفسير السعدي:٥٧٦.
(٤) تفسير البيضاوي:١١٥/٤.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٢٣):ص٢٦٥٤/٨.
(٦) التفسير الميسر:٣٥٩.
(٧) تفسير السمعاني:٥٥٤/٣.
(٨) تفسير السعدي:٥٧٦.
(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٩٢٩):ص٢٦٥٥/٨.
(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٦٥٥/٨. ذكره دون السند.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٢٩):ص٢٦٥٥/٨.

الثاني : أنه نهي من الله عن دعاء رسول الله بالغلظة والجفاء وَلْيَدْعُ بالخضوع والتذلل : يا رسول الله ، يا نبي الله ، قاله ابن عباس(١)، وسعيد بن جبير(٢)، ومجاهد(٣)، وقتادة(٤)، ومقاتل بن ومقاتل بن حيان(٥).

قال ابن قتيبة:" يعني: فخموه وشرفوه، وقولوا: يا رسول الله، ويا نبي الله، ونحو هذا. ولا تقولوا: يا محمد، كما يدعو بعضكم بعضا بالأسماء"(٦).

قال ابن عباس:" وكانوا يقولون: يا محمد يا أبا القاسم، فنهاهم الله عن ذلك إعظاما لنبيه ﷺ، قال: فقالوا: يا نبي الله يا رسول الله"(٧).

قال سعيد بن جبير:" لا تقولوا: يا محمد، قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله بأبي أنت وأمي"(٨).

قال مجاهد:" أمرهم أن يدعوا: يا رسول الله، في لين وتواضع، ولا يقولوا يا محمد في تجهم"(٩).

قال قتادة: أمر الله عز وجل أن يهاب نبيه ﷺ وأن يبجل وأن يعظم وأن يسود"(١٠).

قال مقاتل بن حيان:" يقول: لا تسموه إذا دعوتموه يا محمد ولا تقولوا: يا ابن عبد الله، ولكن شرفوه فقولوا: يا رسول الله، يا نبي الله"(١١).

قال ابن كثير:" فهذا كله من باب الأدب في مخاطبة النبي ﷺ والكلام معه وعنده كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته"(١٢).

الثالث : أنه نهي من الله عن الإبطاء عند أمره والتأخر عند استدعائه لهم إلى الجهاد ولا يتأخرون كما يتأخر بعضهم عن إجابة بعض ، حكاه ابن عيسى(١٣).

قوله تعالى:{قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا} [النور : ٦٣]، أي:" قد يعلم الله المنافقين الذين يخرجون من مجلس النبي ﷺ خفية بغير إذنه، يلوذ بعضهم ببعض"(١٤).

قال الطبري: يقول: " إنكم أيها المنصرفون عن نبيكم بغير إذنه، تسترا وخفية منه، وإن خفي أمر من يفعل ذلك منكم على رسول الله ﷺ،فإن الله يعلم ذلك، ولا يخفى عليه..و«الفتنة» هاهنا: الكفر، و«اللواذ»: هو أن يلوذ القوم بعضهم ببعض، يستتر هذا بهذا"(١٥).

قال السمعاني:" التسلل: هو الخروج على خفية، وكان المنافقون يفعلون هكذا، وكان يشق عليهم حضور المسجد والمكث فيه، وسماع خطبة النبي، فكان [يسير] بعضهم ببعض ويخرج من المسجد. وقوله: {لواذا} أي: يلوذ بعضهم ببعض، وقيل: «رحلا»"(١٦).

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٩٢٤):ص٢٦٥٥/٨.
(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٩٢٥):ص٢٦٥٥/٨.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٩٢٦):ص٢٦٥٥/٨.
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٩٢٧):ص٢٦٥٥/٨.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٩٢٨):ص٢٦٥٥/٨.
(٦) غريب القرآن:٣٠٩.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٢٤):ص٢٦٥٤/٨-٢٦٥٥.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٢٥):ص٢٦٥٥/٨.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٢٦):ص٢٦٥٥/٨.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٢٧):ص٢٦٥٥/٨.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٢٨):ص٢٦٥٥/٨.
(١٢) تفسير ابن كثير:٨٩/٦.
(١٣) انظر: النكت والعيون:١٢٨/٤.
(١٤) التفسير الميسر:٣٥٩.
(١٥) تفسير الطبري:٢٣١/١٩.
(١٦) تفسير السمعاني:٥٥٤/٣.

قال الفراء:" كان المنافقون يشهدون الجمعة مع النبي ﷺ فيذكرهم ويعيبهم بالآيات التي تنزل فيهم، فيضجرون من ذلك. فإن خفي لأحدهم القيام قام، فذلك قوله: {قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا}، أي: يستتر"[١].

قال ابن قتيبة:"أي: من يستتر بصاحبه في استلاله، ويخرج. ويقال: لاذ فلان بفلان؛ إذا استتر به"[٢].

قال الضحاك:" كانوا يستتر بعضهم ببعض، فيقومون"[٣].

قال ابن زيد:" هؤلاء المنافقون الذين يرجعون بغير إذن رسول الله ﷺ"[٤].

قال السدي:" كانوا إذا كانوا معه في جماعة لاذ بعضهم ببعضهم حتى يتغيبوا عنه فلا يراهم"[٥].

عن قتادة قوله: "{قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا}، عن نبي الله ﷺ وعن كتابه"[٦].
كتابه"[٦].

عن سفيان، "{قد يعلم الله الذين يتسللون منكم} قال من الصف في القتال"[٧]، "{لواذا}، قال: فرارا"[٨].

عن مجاهد:"{لواذا}، قال: خلافا"[٩].

قال مقاتل بن حيان:" هم المنافقون كان يثقل عليهم الحديث في يوم الجمعة ويعنى بالحديث الخطبة ليلوذون ببعض أصحاب محمد حتى يخرجوا من المسجد، وكان لا يصلح للرجل أن يخرج من المسجد إلا بإذن من النبي ﷺ، في يوم الجمعة بعد ما يأخذ في الخطبة وكان، إذا أراد أحدهم الخروج أشار بأصبعه إلى النبي ﷺ فيأذن له من غير أن يتكلم الرجل، لأن الرجل كان إذا تكلم والنبي ﷺ يخطب بطلت جمعته"[١٠].

قال السعدي:" لما مدح المؤمنين بالله ورسوله، الذين إذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه، توعد من لم يفعل ذلك وذهب من غير استئذان، فهو وإن خفي عليكم بذهابه على وجه خفي، وهو المراد بقوله: {يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا} أي: يلوذون وقت تسللهم وانطلاقهم بشيء يحجبهم عن العيون، فالله يعلمهم، وسيجازيهم على ذلك أتم الجزاء"[١١].

قوله تعالى:{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ} [النور : ٦٣]، أي:" فليَحْذَر الذين يخالفون أمر رسول الله أن تنزل بهم محنة وشر"[١٢].

قال الطبري: يقول: " فليتق من يفعل ذلك منكم، الذين يخالفون أمر الله في الانصراف عن رسول الله ﷺ إلا بإذنه، أن تصيبهم فتنة من الله، فيطبع على قلوبهم، فيكفروا بالله"[١٣].

قال ابن كثير:" أي : عن أمر رسول الله ﷺ ، سبيله هو ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته ، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبِل ، وما خالفه فهو مَرْدُود

---

(١) معاني القرآن:٢٦٢/٢.
(٢) غريب القرآن:٣٠٩.
(٣) أخرجه الطبري:٢٣١/١٩.
(٤) أخرجه الطبري:٢٣١/١٩.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٣٥):ص٢٦٥٦/٨.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٣١):ص٢٦٥٦/٨.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٣٢):ص٢٦٥٦/٨.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٣٦):ص٢٦٥٦/٨.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٣٢):ص٢٦٥٦/٨.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٣٤):ص٢٦٥٦/٨.
(١١) تفسير السعدي:٥٧٦.
(١٢) التفسير الميسر:٣٥٩.
(١٣) تفسير الطبري:٢٣١/١٩.

على قائله وفاعله ، كائنا ما كان ، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من عمل عَمَلا ليس عليه أمرنا فهو رَدّ»[١].

أي : فليحذر وليخْشَ من خالف شريعة الرسول باطنًا أو ظاهرًا { أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ } أي : في قلوبهم ، من كفر أو نفاق أو بدعة"[٢].

قال السعدي:" أي: يذهبون إلى بعض شئونهم عن أمر الله ورسوله، فكيف بمن لم يذهب إلى شأن من شئونه؟ " وإنما ترك أمر الله من دون شغل له. {أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ} أي: شرك وشر"[٣].

قال السمعاني:" {أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ} ، معناه: لئلا تصيبهم بلية"[٤].

قال الضحاك:" يطبع على قلبه، فلا يأمن أن يظهر الكفر بلسانه فتضرب عنقه"[٥].

قال مقاتل بن حيان:" يعنى بالفتنة: الكفر"[٦]. وروى عن السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو ذلك[٧].

قال مقاتل بن حيان:" يعنى: المنافقين"[٨].

عن ابن زيد، قوله:"{فليحذر الذين يخالفون عن أمره}، الذين يصنعون هذا"[٩].

قوله تعالى:{أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور : ٦٣]، أي:" أو يصيبهم عذاب مؤلم موجع في الآخرة"[١٠].

قال مقاتل بن حيان:"يعني: القتل في الدنيا"[١١].

قال ابن كثير:" أي : في الدنيا ، بقتل ، أو حَد ، أو حبس ، أو نحو ذلك"[١٢].

قال الطبري: " يقول: أو يصيبهم في عاجل الدنيا عذاب من الله موجع، على صنيعهم ذلك، وخلافهم أمر رسول الله ﷺ"[١٣].

قال الحسن بن صالح: "إني لخائف على ما ترك المسح على الخفين أن يكون داخلا في هذه الآية: {فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة}"[١٤].

عن أبي هُرَيرة قال : قال رسول الله ﷺ : "مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارًا ، فلما أضاءت ما حولها. جعل الفراش وهذه الدواب اللاتي يقعن في النار يقعن فيها ، وجعل يحجزهن ويغلبنه ويتقحَّمن فيها". قال : "فذلك مثلي ومثلكم ، أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار ، فتغلبوني وتقتحمون فيها"[١٥].

---

(١)صحيح البخاري برقم (٢٦٩٧) وصحيح مسلم برقم (١٧١٨).
(٢) تفسير ابن كثير:٦/٨٩-٩٠.
(٣) تفسير السعدي:٥٧٦.
(٤) تفسير السمعاني:٣/٥٥٤.
(٥) أخرجه الطبري:١٩/٢٣١.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٤٠):ص٨/٢٦٥٧.
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٨/٢٦٥٧. حكاه دون السند.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٣٧):ص٨/٢٦٥٧.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٣٩):ص٨/٢٦٥٧.
(١٠) التفسير الميسر:٣٥٩.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٤١):ص٨/٢٦٥٧.
(١٢) تفسير ابن كثير:٦/٩٠.
(١٣) تفسير الطبري:١٩/٢٣١.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٣٨):ص٨/٢٦٥٧.
(١٥)المسند (٢/٣١٢) ومسلم برقم (٢٢٨٤).

القرآن

{أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٤)} [النور : ٦٤]

التفسير:

ألا إن لله ما في السموات والأرض خلقًا وملكًا وعبادة، قد أحاط علمه بجميع ما أنتم عليه، ويوم يرجع العباد إليه في الآخرة، يخبرهم بعملهم، ويجازيهم عليه، والله بكل شيء عليم، لا تخفى عليه أعمالهم وأحوالهم.

قوله تعالى:{أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [النور : ٦٤]، أي:" ألا إن لله ما في السموات والأرض خلقًا وملكًا وعبادة"[١].

قال القرطبي: أي:" خلقا وملكا"[٢].

قال السعدي: أي: " ملكا وعبيدا، يتصرف فيهم بحكمه القدري، وحكمه الشرعي"[٣].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض"[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ألا إن لله ملك جميع السماوات والأرض: يقول: فلا ينبغي لمملوك أن يخالف أمر مالكه فيعصيه، فيستوجب بذلك عقوبته، يقول: فكذلك أنتم أيها الناس لا يصلح لكم خلاف ربكم الذي هو مالككم فأطيعوه، وأتمروا لأمره، ولا تنصرفوا عن رسوله إذا كنتم معه على أمر جامع إلا بإذنه"[٥].

قال ابن عباس:" قال جبريل عليه السلام: يا محمد لله الخلق كله، السماوات كلهن ومن فيهن، والأرضون كلهن ومن فيهن، وما بينهم مما يعلم ومما لا يعلم"[٦].

قوله تعالى:{قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ} [النور : ٦٤]، أي:" ، قد أحاط علمه بجميع ما أنتم عليه"[٧].

قال الطبري:أي:" من طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم من ذلك"[٨].

قال السعدي: " أي: قد أحاط علمه بما أنتم عليه، من خير وشر، وعلم جميع أعمالكم، أحصاها علمه، وجرى بها قلمه، وكتبتها عليكم الحفظة الكرام الكاتبون"[٩].

قال البيضاوي:أي:" من المخالفة والموافقة والنفاق والإخلاص، وإنما أكد علمه بـ«قد»، لتأكيد الوعيد"[١٠].

قال القرطبي: أي:" فهو يجازيكم به. و«يعلم» -هنا- بمعنى: علم"[١١].

عن ابن زيد، قوله:" {قد يعلم ما أنتم عليه}، صنيعكم هذا"[١٢].

قال الزمخشري:" أدخل «قد» ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد، وذلك أن «قد» إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى «ربما» فوافقت «ربما» في خروجها إلى معنى التكثير في نحو قوله[١٣]:

---

(١) التفسير الميسر:٣٥٩.
(٢) تفسير القرطبي:٣٢٣/١٢.
(٣) تفسير السعدي:٥٧٦.
(٤) تفسير ابن كثير:٩٠/٦.
(٥) تفسير الطبري:٢٣٢/١٩.
(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٤٢):ص٢٦٥٧/٨.
(٧) التفسير الميسر:٣٥٩.
(٨) تفسير الطبري:٢٣٢/١٩.
(٩) تفسير السعدي:٥٧٦.
(١٠) تفسيرالبيضاوي:١١٦/٤.
(١١) تفسير القرطبي:٣٢٣/١٢.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٤٤):ص٢٦٥٨/٨.
(١٣)لابن عطاء السندي: يرث ى ابن هبيرة لما قتله المنصور. الحماسة لأبي تمام ١/ ٣٣١.
ألا إن عينا لم تجد يوم واسط ... عليك بجارى دمعها لجمود

فإنْ تُمْسِ مهجورَ الفِناءِ فرُبَّما ... أقامَ به بعدَ الوُفودِ وُفودُ
ونحوه قول زهير[1]:
أَخي ثقةٍ لا تُهْلِكُ الخمرُ مالَه ... ولكنَّه قد يُهْلِكُ المالَ نائِلُهْ
والمعنى: أن جميع ما في السموات والأرض مختصة به خلقا وملكا وعلما، فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجتهدون في سترها عن العيون وإخفائها"[2].
قال ابن كثير:" «قد» للتحقيق ، كما قال قبلها : { قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا } ، وقال تعالى : { قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا } [الأحزاب : ١٨]. وقال تعالى : { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } [المجادلة : ١] ، وقال : { قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } [الأنعام : ٣٣] ، وقال : { قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا} [البقرة : ١٤٤] فكل هذه الآيات فيها تحقيق الفعل بـ"قد" ، كما يقول المؤذن تحقيقًا وثبوتًا : "قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة" فقوله تعالى : { قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ } أي : هو عالم به ، مشاهد له ، لا يعزب عنه مثقال ذرة ، كما قال تعالى : { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [الشعراء : ٢١٧ - ٢٢٠]. وقال : { وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [يونس : ٦١] ، وقال تعالى : { أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ } [الرعد : ٣٣] أي : هو شهيد على عباده بما هم فاعلون من خير وشر. وقال تعالى : { أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ [إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ] } [هود : ٥] ، وقال تعالى : { سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ } [الرعد : ١٠] ، وقال تعالى : { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [هود : ٦] ، وقال : { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [الأنعام : ٥٩].والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جدًا"[3].
قال قتادة:" ما كان قوم قط على أمر ولا حال إلا كانوا بعين الله وإلا كان عليهم شاهد من الله عز وجل"[4].
قوله تعالى:{وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا} [النور : ٦٤]، أي:" ويوم يرجع العباد إليه في الآخرة، يخبرهم بعملهم، ويجازيهم عليه"[5].
قال أبو العالية:" يرجعون إليه بعد الحياة"[1].

عشية قام النائحات وشققت ... جيوب بأيدى مأتم وخدود
فان تمس مهجور الفناء فربما ... أقام به بعد الوفود وفود
«واسط»: موضع الواقعة. وأتم بالمكان: أقام به.
والمأتم: مكان الاقامة: استعمل في جماعة النساء الحزينات مجازا مشهورا، وجمعه: مآتم بمد الهمزة. يقول: إن كل عين لم تبك عليك ذلك اليوم لشديدة الجمود. وعشية: بدل من يوم. وجيب القميص. مخرج الرأس منه، أى: مزقت الجيوب والخدود بأيدى النساء، ثم التفت إلى الخطاب، وصبر وتصبر بقوله: فان تمس مهجور الفناء، كناية عن الموت، فربما: أى كثيرا أقام بفناء بيتك جموع من الناس بعد جموع، يستمنحونك، أى: فان يهجر فناؤك الآن فلا حزن، لأنه كثيرا ما اجتمع فيه الناس ومنحوا خيرا.
(١)شرح ديوان زهير صنعة أبي العباس أحمد بن يحي ثعلب. ط الهيئة العامة للكتاب بمصر ص ١٤١، انظر: عيار الشعر:١٣٩، ونقد الشعر:٢١، والموازنة:١٥٥/٣، والوساطة:٢٩٦، يمدح حصن بن حذيفة الفزاري.
(٢) الكشاف:٢٦٠/٣-٢٦١.
(٣) تفسير ابن كثير:٩٠/٦.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٤٣):ص٢٦٥٧/٨-٢٦٥٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٥٩.

قال البيضاوي:" يرجع المنافقون إليه للجزاء، ويجوز أن يكون الخطاب أيضا مخصوصا بهم على طريق الإلتفات"[٢].

قال الطبري: "يقول: ويوم يرجع إلى الله الذين يخالفون عن أمره فيخبرهم حينئذ، {بما عملوا} في الدنيا، ثم يجازيهم على ما أسلفوا فيها، من خلافهم على ربهم"[٣].

قال السعدي: " في يوم القيامة {فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا} يخبرهم بجميع أعمالهم، دقيقها وجليلها، إخبارا مطابقا لما وقع منهم، ويستشهد عليهم أعضاءهم، فلا يعدمون منه فضلا أو عدل"[٤].

قال القرطبي: " أي: يخبرهم بأعمالهم ويجازيهم بها"[٥].

قال ابن كثير:" أي : ويوم تَرْجِعُ الخلائق إلى الله - وهو يوم القيامة - { فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا } أي : يخبرهم بما فعلوا في الدنيا ، مِنْ جليل وحقير ، وصغير وكبير ، كما قال تعالى : { يُنَبَّأُ الإنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ } [القيامة : ١٣]. وقال : { وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا } [الكهف : ٤٩]"[٦].

قال الزمخشري:" وسينبئهم يوم القيامة بما أبطنوا من سوء أعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم. والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه يجوز أن يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات. ويجوز أن يكون {ما أنتم عليه} عاما، و{يرجعون} للمنافقين، والله أعلم"[٧].

وقرأ يعقوب« يرجعون»، بفتح الياء وكسر الجيم[٨].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [النور : ٦٤]، أي:" والله بكل شيء عليم، لا تخفى عليه أعمالهم وأحوالهم"[٩].

قال القرطبي: " من أعمالهم وأحوالهم"[١٠].

قال البيضاوي:" لا يخفى عليه خافية"[١١].

قال الطبري:" يقول: والله ذو علم بكل شيء عملتموه أنتم وغيركم وغير ذلك من الأمور، لا يخفى عليه شيء، بل هو محيط بذلك كله، وهو موف كل عامل منكم أجر عمله يوم ترجعون إليه"[١٢].

قال السعدي: " ولما قيد علمه بأعمالهم، ذكر العموم بعد الخصوص، فقال: {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"[١٣].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٤٥):ص٢٦٥٨/٨.
(٢) تفسير البيضاوي:١١٦/٤.
(٣) تفسير الطبري:٢٣٢/١٩.
(٤) تفسير السعدي:٥٧٦.
(٥) تفسير القرطبي:٣٢٣/١٢.
(٦) تفسير ابن كثير:٩٠/٦.
(٧) الكشاف:٢٦١/٣.
(٨) انظر: تفسير البيضاوي:١١٦/٤.
(٩) التفسير الميسر:٣٥٩.
(١٠) تفسير القرطبي:٣٢٣/١٢.
(١١) تفسير البيضاوي:١١٦/٤.
(١٢) تفسير الطبري:٢٣٢/١٩.
(١٣) تفسير السعدي:٥٧٦.

فوائد الآيات:[٦٢-٦٤]:

١- وجوب الاستئذان من إمام المسلمين إذا كان الأمر جامعاً. وللإمام أن يأذن لمن شاء ويترك من يشاء حسب المصلحة العامة.

٢- وجوب تعظيم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحرمة إساءة الأدب معه حياً وميتاً.

٣- وجوب طاعة رسول الله وحرمة مخالفة أمره ونهيه.

٤- المتجرىء على الاستهانة بسنة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخشى عليه أن يموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله.

«آخر تفسير سورة (النور)، والحمد لله وحده»

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة «الفرقان»

سورة «الفرقان»: هي السورة «الخامسة والعشرون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة: «يس»[١]، عدد آياتها سبع وسبعون. وكلماتها ثمانمائة واثنتان وسبعون. وحروفها ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاث وثلاثون. مجموع فواصل آياتها «لا»، على اللام منها آية واحدة: {ضَلُّوا السَّبِيلَ} [الفرقان : ١٧][٢].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة الفرقان»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة الفرقان»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وكتب السنة.

وقد وردت هذه التسمية في عهد الرسول-ﷺ-، كما روي:

- عمر بن الخطاب، قال: "سمعت هشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة، لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ: «أرسله، اقرأ يا هشام» فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت»، ثم قال: «اقرأ يا عمر» فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه»[٣].
- عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، "أن رسول الله ﷺ صلى الصبح فقرأ سورة الفرقان، فاسقط آية فلما سلم قال: «هل في القوم أبيّ»، فقال أبيّ: ها أنا يا رسول الله. فقال: «ألم أسقط آية» قال: بلى، قال: «فلم لم تفتحها عليّ»، قال: حسبتها آية نسخت. قال: «لا، ولكني أسقطتها»[٤].
- عن ابن عباس:" نزلت سورة الفرقان بمكة"[٥].
- عن ابن الزبير قال: "نزلت بمكة سورة الفرقان"[٦].

ولا يعرف لهذه السورة اسم آخ عيرهذا الاسم. والله أعلم.

- **وجه التسمية:**

سميت «سورة الفرقان»، لأن فى فاتحتها ذكر الفرقان فى قوله : {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١)} [الفرقان : ١]، هذا الكتاب المجيد على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فهو النعمة العظمى، الذي فرق الله به بين الحق والباطل، وجعله نذيرا للعالمين: الجن والإنس، من بأس الله تعالى[٧].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

---

(١) انظر: الكشاف:٢٦٢/٣.

(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٤٠.

(٣) أخرجه البخاري(٤٩٩٢):ص١٨٤/٦.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٣٤/٦، وعزاه إلى ابن الأنباري في المصاحف.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٣٤/٦، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٣٤/٦، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٧)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٤٠، والتفسير المنير للزحيلي:٥/١٩.

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها نزلت بمكة. وهذا قول ابن عباس(١)، وابن الزبير(٢)، والحسن(٣)، ومجاهد(٤)، وعكرمة(٥)، وقتادة(٦).

قال الفيروزآبادي: " السورة مكية بالاتفاق"(٧).

الثاني: أنها مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة؛ وهي قوله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ} إلى قوله {غَفُورًا رَحِيمًا} [الفرقان: ٦٨. ٧٠]، وهذا قول ابن عباس أيضا(٨)، وقتادة(٩)، ذكره الزمخشري(١٠).

والمشهور عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن السورة كلها مكية(١١).

▪مناسبة سورة«الفرقان» مع سورة «النور»:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

١- إنه سبحانه اختتم السورة السابقة بكونه مالكا لما فى السموات والأرض مصرفا له على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة مع النظام البديع والوضع الأنيق، وأنه سيحاسب عباده يوم القيامة على ما قدموا من العمل خيرا كان أو شرا، وافتتح هذه بما يدل على تعاليه فى ذاته وصفاته وأفعاله وعلى حبه لخير عباده بإنزال القرآن لهم هاديا وسراجا منيرا.

٢- اختتم السورة السالفة بوجوب متابعة المؤمنين للرسول ﷺ مع مدحهم على ذلك وتحذيرهم من مخالفة أمره خوف الفتنة والعذاب الأليم، وافتتح هذه بمدح الرسول وإنزال الكتاب عليه لإرشادهم إلى سبيل الرشاد، وذم الجاحدين لنبوته بقولهم: إنه رجل مسحور، وإنه يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق إلى آخر ما قالوا.

٣- فى كل من السورتين وصف السحاب وإنزال الأمطار وإحياء الأرض الجرز فقال فى السالفة: «ألم تر أن الله يزجي سحابا» إلخ وقال فى هذه: {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا} [الفرقان : ٤٨].

٤- ذكر فى كل منهما وصف أعمال الكافرين يوم القيامة وأنها لا تجزيهم فتيلا ولا قطميرا فقال فى الأولى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [النور : ٣٩]، وقال فى هذه: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان : ٢٣].

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٣٤/٦، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٣٤/٦، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٣) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٧١/٦.

(٤) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٧١/٦.

(٥) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٧١/٦.

(٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٧١/٦.

(٧) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٤٠.

(٨) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٧١/٦.

قال الهيثمي: رواه الطبراني من رواية علي بن زيد عن يوسف ابن مهران، وقد وثقا وفيهما ضعف، وبقية رجاله ثقات. "مجمع الزوائد" ٧/ ٨٤.

وقال البيهقي بعد ذكر أثر ابن عباس: ولهذا الحديث شاهد في "تفسير مقاتل"، وغيره من أهل التفسير. "دلائل النبوة" ٧/ ١٤٤.

(٩) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٧١/٦.

(١٠) انظر: الكشاف:٢٦٢/٣.

(١١)فقد أخرج البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} رقم [٤٧٦٢] عن القاسم بن أبي بَزّة أنه سأل سعيد بن جبير: هل لمن قتل عمدًا من توبة؟ فقرأت عليه: {وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} فقال سعيد: قرأتُها على ابن عباس كما قرأتَها عليّ، فقال: هذه مكية نسختها آية مدنية التي في سورة: النساء. "فتح الباري" ٨/ ٤٩٣. وأخرجه أيضًا مسلم ٤/ ٢٣١٨، كتاب التفسير، رقم: [٣٠٢٣].

٥- وصف النشأة الأولى للإنسان فى أثنائهما فقال فى الأولى: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [النور : ٤٥]، وفى الثانية: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا} [الفرقان : ٥٤][١].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

من مقاصد السورة:

١- بيان أنه سبحانه نزل القرآن على رسوله ﷺ منجماً -على مراحل وفترات- تثبيتاً للقلوب، وتلاوته حق تلاوته، وحفظه في الصدور.

٢- عالمية الرسالة المحمدية، وأنها للناس كافة، وليست للعرب خاصة، قال الطيبي :مدار هذه السورة على كونه ﷺ مبعوثاً إلى الناس كافة، ينذرهم ما بين أيديهم وما خلفهم؛ ولهذا جعل براعة استهلالها قوله: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان : ١].

٣- الإهتمام بأصول العقيدة من التوحيد والنبوة وأحوال القيامة، فبدأت السورة بإثبات الوحدانية لله عز وجل، وصدق القرآن، وصحة رسالة النبي ﷺ، ووقوع البعث والجزاء يوم القيامة لا محالة، وفندت أضداد هذه العقائد، ونعت على المشركين عبادة الأصنام والأوثان ونسبة الولد لله عز وجل، وتكذيبهم بالبعث والقيامة، وهددتهم بما سيلقون من ألوان العذاب والنكال في نار جهنم، ومفاجأتهم بما في جنان الخلد من أصناف النعيم المقيم.

٤- بيان أن مهمة النبي ﷺ التبشير بما عند الله من الفوز والنجاح والفلاح لمن اتبع سبل الرشاد، والإنذار بما عنده من العقاب لمن أعرض عن شرعه.

٥- الموازنة الأخروية بين نعيم المتقين في جنات النعيم، وعذاب الكافرين في نار الجحيم.

٦- خطاب الرسول ﷺ ومن بعده من الدعاة بالتحلي بالصبر والمصابرة، ومجاهدة الكافرين بحجج القرآن البالغة، والأمر بالتوكل على الله، فهو سبحانه: {نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِير} [الأنفال : ٤٠].

٧- ذِكْر مصارع المكذبين من الأمم السابقة، كقوم موسى، ونوح، وعاد، وثمود، وأصحاب الرس، وما بين ذلك من قرون، وعرض نهايتهم التعيسة في سلسلة من مشاهد القيامة.

٨- بيان الادلة على قدرة الله ووحدانيته، مما في الكون البديع من عجائب صنعه، وما في الأرض من آثار خلقه في الإنسان، والبحر، وخلق السموات والأرض في ستة أيام، وإنزال الأمطار وإرسال الرياح مبشرات بالمطر، وجعل البروج في السماء، وتعاقب الليل والنهار.

٩- بيان صفات عباد الرحمن المتقين، وأن من صفاتهم التي استحقوا بها هذا الوصف أنهم يمشون في الأرض هوناً من غير تكبر ولا خيلاء ولا استعلاء على الناس، وأنهم يقومون من الليل طاعة له سبحانه، وأنه مقتصدون في أمرهم كله، وأنهم لا يقربون الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

١٠- خُتمت آيات هذه السورة بالحديث عن هوان البشرية على الله سبحانه، لولا القلوب الضارعة الطائعة المستجيبة، العارفة بالله في هذا القطيع الشارد الضال من المكذبين والجاحدين[٢].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

---

(١) انظر: تفسير المراغي:١٤٥/١٨، والتفسير المنير للزحيلي:٥/١٩.
(٢) انظر: التفسير المنير للزحيلي:٦/١٩-٧، وموقع[إسلام ويب].

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الفرقان بعث يوم القيامة وهو يؤمن أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، ودخل الجنة بغير حساب»[١].

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:١٢٢/٧، والواحدي في التفسير الوسيط(٦٦٦):ص٣٣٣/٣، وانظر: فضائل القرآن للمستغفري(١١٩٢):ص٧٨٠/٢،.

وهو حديث موضوع، قال ابن الجوزي: "وقد فرق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره فذكر عند كل سورة منه ما يخصها، وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجب منهما؛ لأنهما ليسا من أهل الحديث. "الموضوعات" ١/ ١٧٤.

وحكم عليه بالوضع الزيلعي، في تخريجه لأحاديث الكشاف ٢/ ٤٦٩، والمناوي في: "الفتح السماوي في تخريج أحاديث البيضاوي" ٢/ ٨٨٥.

القرآن

{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١)} [الفرقان : ١]

التفسير:

عَظُمَتْ بركات الله، وكثرت خيراته، وكملت أوصافه سبحانه وتعالى الذي نزَّل القرآن الفارق بين الحق والباطل على عبده محمد ﷺ؛ ليكون رسولا للإنس والجن، مخوِّفًا لهم من عذاب الله.

قوله تعالى:{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ} [الفرقان : ١]، أي:" تمجَّد وتعظَّم وتكاثر خير الله الذي نزَّل القرآن العظيم الفارق بين الحق والباطل على عبده محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم"(١).

قال الزجاج:" معنى «البركة»: الكثرة في كل ذي خير. و«الفرقان»: القرآن، يسمى فرقانا لأنه فرق به بين الحق والباطل"(٢).

قال الطبري:" يقول: تبارك الذي نزل الفصل بين الحق والباطل، فصلا بعد فصل وسورة بعد سورة، على عبده محمد ﷺ"(٣).

قال السعدي:" هذا بيان لعظمته الكاملة وتفرده بالوحدانية من كل وجه وكثرة خيراته وإحسانه فقال: {تَبَارَكَ} أي: تعاظم وكملت أوصافه وكثرت خيراته الذي من أعظم خيراته ونعمه أن نزل هذا القرآن الفارق بين الحلال والحرام والهدى والضلال وأهل السعادة من أهل الشقاوة، {عَلَى عَبْدِهِ} محمد ﷺ الذي كمل مراتب العبودية وفاق جميع المرسلين"(٤).

قال سهل: "يعني جل وعلا من خص محمدا ﷺ بإنزال الفرقان عليه ليفرق بين الحق والباطل، والولي والعدو، والقريب والبعيد، {على عبده}، أي على عبده الأخلص ونبيه الأخص وحبيبه الأدنى وصفيه الأولى"(٥).

قال ابن كثير:" يقول تعالى حامدا نفسه الكريمة على ما نزله على رسوله الكريم من القرآن العظيم ، كما قال تعالى : { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا * قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ [أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا} [الكهف : ١ - ٣] وقال هاهنا : { تَبَارَكَ } وهو تفاعَلَ من البركة المستقرة الدائمة الثابتة { الَّذِي نزلَ الْفُرْقَانَ } نزل : فَعَّل ، من التكرر ، والتكثر ، كما قال : { وَالْكِتَابِ الَّذِي نزلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزلَ مِنْ قَبْلُ } [النساء : ١٣٦] ؛ لأن الكتب المتقدمة كانت تنزل جملة واحدة ، والقرآن نزل مُنَجَّماً مُفَرَّقاً مُفَصَّلا آيات بعد آيات ، وأحكاما بعد أحكام ، وسوراً بعد سُوَر ، وهذا أشد وأبلغ ، وأشد اعتناءً بمن أنزل عليه كما قال في أثناء هذه السورة : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نزلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا. وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا } [الفرقان : ٣٢ ، ٣٣]. ولهذا سماه هاهنا الفرقان ؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والغي والرشاد ، والحلال والحرام.

وقوله:{عَلَى عَبْدِهِ} : هذه صفة مدح وثناء ؛ لأنه أضافه إلى عبوديته ، كما وصفه بها في أشرف أحواله ، وهي ليلة الإسراء ، فقال:{ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا } [الإسراء : ١] ، وكما وصفه بذلك في مقام الدعوة إليه : { وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا } [الجن : ١٩] ، وكذلك وصفه عند إنزال الكتاب عليه ونزول الملك إليه ، فقال { تَبَارَكَ الَّذِي نزلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا }"(٦).

---

(١) صفوة التفاسير:٣٢٥/٢.
(٢) معاني القرآن:٥٧/٤.
(٣) تفسير الطبري:٢٣٣/١٩.
(٤) تفسير السعدي:٥٧٧.
(٥) تفسير التستري:١١٣.
(٦) تفسير ابن كثير:٩١/٦.

عن عبد الله بن عباس، قال: "{تبارك}: تفاعل من البركة"[١]. وروى عن أبي مالك الغفاري نحو ذلك[٢].
وقال الضحاك: "تعظم"[٣].
وقال الحسن: "«تبارك»: صفة من صفات الله تعالى؛ لأن كل بركة تجئ منه"[٤].
وقال غيره: "لأنه يتبرك باسمه"[٥].
قال السمعاني:" «البركة»، هى: الخير والزيادة، وقيل: فعل كل طاعة من العباد بركة، والبروك هو الثبوت، ويقال: فلان مبارك أي: ينزل الخير حيث ينزل"[٦].
قال الزمخشري:" البركة: كثرة الخير وزيادته. ومنها (تبارك الله) وفيه معنيان: تزايد خيره، وتكاثر، أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله. والفرقان: مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما وسمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل. أو لأنه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا، مفصولا بين بعضه وبعض في الإنزال. ألا ترى إلى قوله: {وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا}، وقد جاء الفرق بمعناه، قال[٧]:
وَمُشْرِكِيٍّ كَافِرٍ بِالْفُرْقِ"[٨].
عن قتادة قوله: "{تبارك الذي نزل الفرقان على عبده}، يقول: الفرقان فيه حلال الله وحرامه وشرائعه ودينه فرق بين الحق والباطل"[٩].
قال مجاهد:" إنما سمي الفرقان لأنه فرق بين الحق والباطل"[١٠].
قال الربيع :"الفرقان فرق بين الحق والباطل"[١١].
قال ابن إسحاق: "{على عبده}، يعني: محمدا ﷺ"[١٢].
عن سعيد بن جبير، قوله: "{نزل الفرقان}، قال: خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش"[١٣].
قال جبير بن نفير: "جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوما فقال: لقد بعث النبي ﷺ وجاهلية ما يرون أن دينا أفضل من عبادة الأوثان فجاء بفرقان فرق بين الحق والباطل وفرق بين الوالد وولده حتى إن الرجل ليرى والده أو ولده أو أخاه كافرا قد فتح الله قفل قلبه للإيمان يعلم أنه إن هلك دخل النار فلا يقر عينا وهو يعلم أن حبيبه في النار وإنها للتي قال الله: {الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين}، الآية"[١٤].
و قرأ عبد الله بن الزبير:«على عباده»، على الجمع، وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته، كما قال {لقد أنزلنا إليكم}، {قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا}، والضمير في ليكون لعبده أو للفرقان[١٥].

---

(١) اخرجه الطبري:٢٣٣/١٩.
(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٦٥٩/٨. ذكره دون السند.
(٣) حكاه عنه البغوي في التفسير:٦٩/٦.
(٤) حكاه عنه السمعاني في التفسير:٥/٤.
(٥) حكاه السمعاني في التفسير:٥/٤.
(٦) تفسير السمعاني:٥/٤.
(٧) من شواهد الفراء في "فهم القرآن":ص٤٦، قال: أنشدني القناني...
(٨) الكشاف:٢٦٢/٣.
(٩) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٥٢):ص٢٦٦٠/٨.
(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٥١):ص٢٦٥٩/٨.
(١١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٥٠):ص٢٦٥٩/٨.
(١٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٥٣):ص٢٦٦٠/٨.
(١٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٤٩):ص٢٦٥٩/٨.
(١٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٤٨):ص٢٦٥٩/٨.
(١٥) انظر: تفسير السمعاني:٥/٤، والكشاف:٢٦٢/٣

قوله تعالى:{لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان : ١]، أي:" ليكون محمد رسولا للإنس والجن، مخوِّفًا لهم من عذاب الله"(١).

قال الطبري: يقول: " ليكون محمد لجميع الجن والإنس، الذين بعثه الله إليهم داعيا إليه، نذيرا: يعني منذرا ينذرهم عقابه ويخوفهم عذابه، إن لم يوحدوه ولم يخلصوا له العبادة، ويخلعوا كل ما دونه من الآلهة والأوثان"(٢).

قال السعدي:" {لِيَكُونَ} ذلك الإنزال للفرقان على عبده {لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} ينذرهم بأس الله ونقمه ويبين لهم مواقع رضا الله من سخطه، حتى إن من قبل نذارته وعمل بها كان من الناجين في الدنيا والآخرة الذين حصلت لهم السعادة الأبدية والملك السرمدي، فهل فوق هذه النعمة وهذا الفضل والإحسان شيء؟ فتبارك الذي هذا من بعض إحسانه وبركاته"(٣).

قال الزجاج:" " النذير " المخوف من عذاب الله، وكل من خوف فقد أنذر، قال الله - عز وجل - : {فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى} [الليل : ١٤]"(٤).

قال ابن كثير:" أي : إنما خصَّه بهذا الكتاب العظيم المبين المفصل المحكم الذي : { لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } [فصلت : ٤٢] ، الذي جعله فرقانا عظيما - إنما خصه به ليخصه بالرسالة إلى من يستظل بالخضراء ، ويستقل على الغبراء ، كما قال - صلوات الله وسلامه عليه - «بعثت إلى الأحمر والأسود»(٥). وقال : "أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي» ، فذكر منهن : أنه «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة»"(٦).

قال سهل: "أي:" يكون للخلق سراجا ونورا نهدي به إلى أحكام القرآن، ويستدلون به على طريق الحق ومنهاج الصدق"(٧).

قال البغوي:" قيل: النذير هو القرآن. وقيل: محمد ﷺ"(٨).

عن ابن عباس، قوله :" {للعالمين}، قال: الجن والإنس"(٩).

عن الحسن قوله: "{للعالمين}، قال: الناس كلهم"(١٠).

قال تبيع:" العالمين: ألف أمة فستمائة في البحر وأربعمائة في البر"(١١).

قال قتادة:" بعث الله محمدا ﷺ نذيرا من النار وينذر بأس الله ووقائعه بمن خلا قبلكم"(١٢).

عن ابن زيد، قوله: "{تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا}، قال: النبي النذير. وقرأ {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ}، وقرأ:{ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلا لَهَا مُنْذِرُونَ}، قال: رسل. قال: المنذرون: الرسل. قال: وكان نذيرا واحدا بلغ ما بين المشرق والمغرب، ذو القرنين، ثم بلغ السدين، وكان نذيرا، ولم أسمع أحدا يحق أنه كان نبيا:{وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} قال: من بلغه القرآن من الخلق، فرسول الله نذيره. وقرأ

---

(١) التفسير الميسر:٣٥٩.

(٢) تفسير الطبري:٢٣٣/١٩.

(٣) تفسير السعدي:٥٧٧.

(٤) معاني القرآن:٥٧/٤.

(٥)رواه مسلم في صحيحه برقم (٥٢١) هو والذي يليه من حديث جابر ، رضي الله عنه.

(٦) تفسير ابن كثير:٩٢/٦-٩٣.

(٧) تفسير التستري:١١٣.

(٨) تفسير البغوي:٦٩/٦.

القول الأول حكاه الماوردي، ورجح الطبري أنه النبي ﷺ، وإن لم يكن في الحقيقة تعارض بين المعنيين، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ ينذر به العالمين، ومحمد ﷺ هو رسول الله تعالى للعالمين. والله أعلم. انظر: الطبري ١٩ / ١٨٠، زاد المسير: ٦ / ٧٢.

(٩) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٥٥):ص٢٦٦٠/٨.

(١٠) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٥٦):ص٢٦٦٠/٨.

(١١) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٥٤):ص٢٦٦٠/٨.

(١٢) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٥٧):ص٢٦٦٠/٨.

{يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} وقال: لم يرسل الله رسولا إلى الناس عامة إلا نوحا، بدأ به الخلق، فكان رسول أهل الأرض كلهم، ومحمد ﷺ ختم به"(١).

القرآن

{الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)} [الفرقان : ٢]

التفسير:

الذي له ملك السموات والأرض، ولم يتخذ ولدًا، ولم يكن له شريك في ملكه، وهو الذي خلق كل شيء، فسوَّاه على ما يناسبه من الخلق وَفْق ما تقتضيه حكمته دون نقص أو خلل.

قوله تعالى:{الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الفرقان : ٢]، أي:" هو تعالى المالك لجميع ما في السماوات والأرض خلقاً وملكاً وعبيداً"(٢).

قال الطبري: يقول:" الذي له سلطان السماوات والأرض ينفذ في جميعها أمره وقضاءه، ويمضي في كلها أحكامه، يقول: فحقّ على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته، ومن في سلطانه، ولا يعصوه، يقول: فلا تعصوا نذيري إليكم أيها الناس، واتبعوه، واعملوا بما جاءكم به من الحق"(٣).

قال السعدي:" أي: له التصرف فيهما وحده، وجميع من فيهما مماليك وعبيد له مذعنون لعظمته خاضعون لربوبيته، فقراء إلى رحمته"(٤).

عن عبد الله بن عباس قال: "قال جبريل: يا محمد لله الخلق كله السماوات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن وما بينهن مما يعلم ومما لا يعلم يقول: اعلم يا محمد أن ربك هذا لا يشبهه شيء بالصفة التي ألهمك"(٥).

قوله تعالى:{وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا} [الفرقان : ٢]، أي:" وليس له ولدٌ كما زعم اليهود والنصارى"(٦).

قال الطبري: " يقول: تكذيبا لمن أضاف إليه الولد، وقال: الملائكة بنات الله، ما اتخذ الذي نزل الفرقان على عبده ولدا، فمن أضاف إليه ولدا فقد كذب وافترى على ربه"(٧).

قال السعدي:" وكيف يكون له ولد أو شريك وهو المالك وغيره مملوك، وهو القاهر وغيره مقهور وهو الغني بذاته من جميع الوجوه، والمخلوقون مفتقرون إليه فقرا ذاتيا من جميع الوجوه؟"(٨).

قال عكرمة:" قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت الصابئة نحن نعبد الملائكة من دون الله وقالت المجوس نحن نعبد الشمس والقمر من دون الله، وقال أهل الأوثان نحن نعبد الأوثان من دون الله، فأوحى الله إلى نبيه ﷺ ليكذب قولهم: {ولم يتخذ ولدا}"(٩).

قوله تعالى:{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ} [الفرقان : ٢]، أي:" ولم يكن له شريك في ملكه"(١٠).

---

(١) اخرجه الطبري:١٩/٢٣٣-٢٣٤.
(٢) صفوة التفاسير:٢/٣٢٥.
(٣) تفسير الطبري:١٩/٢٣٦.
(٤) تفسير السعدي:٥٧٧.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٥٩):ص٨/٢٦٦١.
(٦) صفوة التفاسير:٢/٣٢٥.
(٧) تفسير الطبري:١٩/٢٣٦.
(٨) تفسير السعدي:٥٧٧.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٦٠):ص٨/٢٦٦١.
(١٠) التفسير الميسر:٣٥٩.

قال الطبري: " يقول تكذيبا لمن كان يضيف الألوهة إلى الأصنام ويعبدها من دون الله من مشركي العرب، ويقول في تلبيته: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، كذب قائلو هذا القول، ما كان لله من شريك في مُلكه وسلطانه، فيصلح أن يعبد من دونه. يقول تعالى ذكره: فأفردوا أيها الناس لربكم الذي نزل الفرقان على عبده محمد نبيه ﷺ الألوهة، وأخلصوا له العبادة دون كلّ ما تعبدونه من دونه من الآلهة والأصنام والملائكة والجنّ والإنس، فإن كلّ ذلك خلقه وفي ملكه، فلا تصلح العبادة إلا لله الذي هو مالك جميع ذلك"(١).

قال السعدي:" وكيف يكون له شريك في الملك ونواصي العباد كلهم بيديه، فلا يتحركون أو يسكنون ولا يتصرفون إلا بإذنه فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فلم يقدره حق قدره من قال فيه ذلك"(٢).

قال محمد بن كعب:" قالت اليهود والنصارى: اتخذ الله ولدا وقالت العرب: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك، وقالت الصابئة والمجوس: لولا أولياء الله لذل الله فأنزل الله عز وجل: **{لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ}**"(٣).

قوله تعالى:{وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان : ٢]، أي:" وهو الذي خلق كل شيء، فسوَّاه على ما يناسبه من الخلق وَفْق ما تقتضيه حكمته دون نقص أو خلل"(٤).

قال الطبري:يقول: " وخلق الذي نزل على محمد الفرقان كل شيء، فالأشياء كلها خلقه وملكه، وعلى المماليك طاعة مالكهم، وخدمة سيدهم دون غيره. يقول: وأنا خالقكم ومالككم، فأخلصوا لي العبادة دون غيري، فسوّى كل ما خلق، وهيأه لما يصلح له، فلا خلل فيه ولا تفاوت"(٥).

قال السمعاني:" {وخلق كل شيء} أي: مما يصلح أن يكون مخلوقا، {فقدره تقديرا} أي: سواه تسوية على مايصلح للأمر الذى أريد له، ويقال: بين مقادير الأشياء ومنافعها، ومقدار لبثها ووقت فنائها"(٦).

قال ابن كثير:" أي : كل شيء مما سواه مخلوق مربوب ، وهو خالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه ، وكل شيء تحت قهره وتسخيره، وتدبيره وتقديره"(٧).

قال الزجاج:" خلق الله الحيوان وقدر له ما يصلحه ويقيمه، وقدر جميع ذلك لخلقه بحكمة وتقدير"(٨).

قال السعدي:" {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ} شمل العالم العلوي والعالم السفلي من حيواناته ونباتاته وجماداته، {فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} أي: أعطى كل مخلوق منها ما يليق به ويناسبه من الخلق وما تقتضيه حكمته من ذلك، بحيث صار كل مخلوق لا يتصور العقل الصحيح أن يكون بخلاف شكله وصورته المشاهدة، بل كل جزء وعضو من المخلوق الواحد لا يناسبه غير محله الذي هو فيه. قال تعالى: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى} وقال تعالى: {رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}"(٩).

عن قتادة قوله: "{وخلق كل شيء فقدره تقديرا}، من خلقه وصلاحه وجعل ذلك بقدر معلوم"(١٠).

---

(١) تفسير الطبري:٢٣٦/١٩.
(٢) تفسير السعدي:٥٧٧.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٦١):ص٢٦٦١/٨.
(٤) التفسير الميسر:٣٥٩.
(٥) تفسير الطبري:٢٣٦/١٩.
(٦) تفسير السمعاني:٥/٤.
(٧) تفسير ابن كثير:٩٣/٦.
(٨) معاني القرآن:٥٧/٤.
(٩) تفسير السعدي:٥٧٧.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٦٣):ص٢٦٦٢/٨.

عن هب بن منبه: "قال عزير اللهم رب إنك تسميت الرحمن الرحيم أرحم الراحمين لأنك ترحم الخاطئين وتتجاوز، عن المذنبين وتسميت الجواد لأنك تعطي أكثر مما تسأل إنما نحن خلقك وعمل يديك خلقت أجسادنا في أرحام أمهاتنا وصورتنا كيف تشاء بقدرتك جعلت لنا أركانا وجعلت فيها عظاما وشققت لنا أسماعا وأبصارا ثم جعلت لها في تلك الظلمة نورا وفي ذلك الضيق فسحا وفي ذلك الفم روحا ثم هيأت لها بحكمتك رزق الحامل والمحمول كلاهما أنت تحمل وترزق فلما أخرجته لمدته أمرت الأركان فتجلبت وأمرت العروق فتشبكت وخلقت له لبنا صافيا من فضلك وجعلته لخلقك الذي خلقت رزقا ثم هيأت له من فضلك رزقا يقوته على مشيئتك ثم وعظته بكتابك ثم قضيت عليه الموت لا محالة ثم أنت تعيده كما بدأته"(١).

القرآن

{وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (٣)} [الفرقان : ٣]

التفسير:

واتخذ مشركو العرب معبودات من دون الله لا تستطيع خَلْق شيء، والله خلقها وخلقهم، ولا تملك لنفسها دَفْعَ ضر أو جلب نفع، ولا تستطيع إماتة حي أو إحياء ميت، أو بعث أحد من الأموات حيًا من قبره.

قوله تعالى:{وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً} [الفرقان : ٣]، أي:" واتخذ مشركو العرب معبودات من دون الله"(٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مقرعا مشركي العرب بعبادتهم ما دونه من الآلهة، ومعجبا أولي النهى منهم، ومنبههم على موضع خطأ فعلهم وذهابهم عن منهج الحقّ، وركوبهم من سبل الضلالة ما لا يركبه إلا كل مدخول الرأي، مسلوب العقل: واتخذ هؤلاء المشركون بالله من دون الذي له مُلك السماوات والأرض وحده. من غير شريك، الذي خلق كل شيء فقدّره، آلهة: يعني أصناما بأيديهم يعبدونها"(٣).

قال قتادة:" وهي هذه الأوثان التي تعبد من دون الله عز وجل"(٤).

قوله تعالى:{لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ} [الفرقان : ٣]، أي:" لا تستطيع خَلْق شيء والله خلقها وخلقهم"(٥).

قال الطبري:" لا تخلق شيئا وهي تخلق"(٦).

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن جهل المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله ، الخالق لكل شيء ، المالك لأزمَّة الأمور ، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. ومع هذا عَبَدُوا معه من الأصنام ما لا يقدر على خلق جناح بعوضة ، بل هم مخلوقون"(٧).

قال السعدي:" ولما بين كماله وعظمته وكثرة إحسانه كان ذلك مقتضيا لأن يكون وحده المحبوب المألوه المعظم المفرد بالإخلاص وحده لا شريك له ناسب أن يذكر بطلان عبادة ما سواه فقال: ، قال: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ}، أي: من أعجب العجائب وأدل الدليل على سفههم ونقص عقولهم، بل أدل على ظلمهم وجراءتهم على ربهم أن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٦٢):ص٨/٢٦٦١-٢٦٦٢.
(٢) التفسير الميسر:٣٦٠.
(٣) تفسير الطبري:٢٣٧/١٩.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٦٤):ص٢٦٦٢/٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٦٠.
(٦) تفسير الطبري:٢٣٧/١٩.
(٧) تفسير ابن كثير:٩٤/٦.

اتخذوا آلهة بهذه الصفة، في كمال العجز أنها لا تقدر على خلق شيء بل هم مخلوقون، بل بعضهم مما عملته أيديهم"(١).

قال الزمخشري:" المعنى: أنهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز أبين من عجزهم، لا يقدرون على شيء من أفعال الله ولا من أفعال العباد، حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون، لأن عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير"(٢).

قال قتادة:" وهو الله الخالق الرازق وهذه الأوثان التي تعبد من دون الله تخلق ولا تخلق شيئا"(٣).

قوله تعالى:{وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا} [الفرقان : ٣]، أي:" ولا تملك لنفسها دَفْعَ ضر أو جلب نفع"(٤).

قال الطبري:" ولا تملك لأنفسها نفعا تجرّه إليها، ولا ضرّا تدفعه عنها ممن أرادها بضر"(٥).

قال الزمخشري:" أى: لا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها أو جلب نفع إليها وهم يستطيعون"(٦).

قال ابن كثير:أي:" لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ، فكيف يملكون لعابديهم ؟"(٧).

قال السمعاني:" أي: دفع ضرا وجلب نفع، وهذا يقع في الأصنام التى عبدها المشركون"(٨).

عن مجاهد، قوله :"{ضرا}، قال: ضلالة"(٩).

قوله تعالى:{وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا} [الفرقان : ٣]، أي:" ولا تستطيع إماتة حي أو إحياء ميت، أو بعث أحد من الأموات حيًا من قبره"(١٠).

قال الطبري:أي:" ولا تملك إماتة حيّ، ولا إحياء ميت، ولا نشره من بعد مماته، وتركوا عبادة خالق كلّ شيء، وخالق آلهتهم، ومالك الضرّ والنفع، والذي بيده الموت والحياة والنشور"(١١).

قال السعدي:" أي: بعثا بعد الموت، فأعظم أحكام العقل بطلان إلهيتها وفسادها وفساد عقل من اتخذها آلهة وشركاء للخالق لسائر المخلوقات من غير مشاركة له في ذلك، الذي بيده النفع والضر والعطاء والمنع الذي يحيي ويميت ويبعث من في القبور ويجمعهم ليوم النشور، وقد جعل لهم دارين دار الشقاء والخزي والنكال لمن اتخذ معه آلهة أخرى، ودار الفوز والسعادة والنعيم المقيم لمن اتخذه وحده معبودا"(١٢).

قال الزمخشري:" وإذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور التي لا يقدر عليها إلا الله أعجز"(١٣).

قال ابن كثير: "أي : ليس لهم من ذلك شيء ، بل ذلك مرجعه كله إلى الله عز وجل ، الذي هو يحيي ويميت ، وهو الذي يعيد الخلائق يوم القيامة أولهم وآخرهم ، { مَا خَلْقُكُمْ وَلا

---

(١) تفسير السعدي:٥٧٧.
(٢) الكشاف:٢٦٣/٣.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٦٥):ص٢٦٦٢/٨.
(٤) التفسير الميسر:٣٦٠.
(٥) تفسير الطبري:٢٣٧/١٩.
(٦) الكشاف:٢٦٣/٣.
(٧) تفسير ابن كثير:٩٤/٦.
(٨) تفسير السمعاني:٦/٤.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٦٦):ص٢٦٦٢/٨.
(١٠) التفسير الميسر:٣٦٠.
(١١) تفسير الطبري:٢٣٧/١٩.
(١٢) تفسير السعدي:٥٧٧.
(١٣) الكشاف:٢٦٣/٣.

بَعْثُكُمْ إلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ } [لقمان : ٢٨] ، { وَمَا أَمْرُنَا إلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ } [القمر : ٥٠] ، { فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ } [النازعات : ١٣ ، ١٤] ، { فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ } [الصافات : ١٩] ، { إِنْ كَانَتْ إلا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ } [يس : ٥٣]. فهو الله الذي لا إله غيره ولا رب سواه ، ولا تنبغي العبادة إلا له ؛ لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. وهو الذي لا ولد له ولا والد ، ولا عديل ولا نديد ولا وزير ولا نظير ، بل هو الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد"[١].

عن قتادة، قوله:"{ ولا يملكون موتا ولا حياة}، وهي هذه الأوثان التي تعبد من دون الله لا تضر ولا تنفع ولا تملك موتا ولا حياة، {ولا نشورا}، أي: ولا بعثا"[٢].

فوائد الآيات:[١-٣]:

١- مظاهر ربوبية الله تعالى الموجبة لألوهيته وهو إفاضة الخير على الخلق والملك والقدرة والعلم والحكمة.

٢- التنديد بالشرك والمشركين.

٣ - تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء.

القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤)} [الفرقان : ٤]

التفسير:

وقال الكافرون بالله: ما هذا القرآن إلا كذب وبهتان اختلقه محمد، وأعانه على ذلك أناس آخرون، فقد ارتكبوا ظلمًا فظيعًا، وأتوا زورًا شنيعًا؛ فالقرآن ليس مما يمكن لبشر أن يختلقه.

قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ} [الفرقان : ٤]، أي:" وقال الكافرون بالله: ما هذا القرآن إلا كذب وبهتان اختلقه محمد"[٣].

قال مقاتل:" قال النضر بن الحارث من بني عبد الدار ما هذا القرآن الا كذب اختلفه محمد- ﷺ- من تلقاء نفسه"[٤].

قال الطبري: يقول:" وقال هؤلاء الكافرون بالله، الذين اتخذوا من دونه آلهة: ما هذا القرآن الذي جاءنا به محمد إلا كذب وبهتان اختلقه وتخرصه"[٥].

قال السمعاني:" أي: كذب اختلقه"[٦].

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن سخافة عقول الجهلة من الكفار ، في قولهم عن القرآن : { إِنْ هَذَا إِلا إِفْكٌ } : أي : كذب ، { افْتَرَاهُ } يعنون النبي ﷺ"[٧].

عن قتادة، "يعني قوله: {وقال الذين كفروا}، قال: هذا قول مشركي العرب، و«الإفك» هو: الكذب"[٨].

قال سعيد بن جبير:" كل شيء في القرآن إفك فهو كذب"[٩].

قوله تعالى:{وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ} [الفرقان : ٤]، أي:" وأعانه على ذلك أناس آخرون"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير:٩٤/٦.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٦٧):ص٢٦٦٢/٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٦٠.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٢٦/٣.
(٥) تفسير الطبري:٢٣٧/١٩.
(٦) تفسير السمعاني:٦/٤.
(٧) تفسير ابن كثير:٩٣/٦.
(٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٦٨)، (١٤٩٧٠):ص٢٦٦٢/٨-٢٦٦٣.
(٩) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٦٩):ص٢٦٦٣/٨.

قال الطبري:" يقول: وأعان محمدا على هذا الإفك الذي افتراه يهود"[٢].
قال ابن كثير:" أي : واستعان على جمعه بقوم آخرين "[٣].
عن قتادة، قوله:" {وأعانه عليه}، أي: على حديثه هذا وأمره"[٤].
عن مجاهد، قوله:"{وأعانه عليه قوم آخرون}، قال: يهود"[٥].
قل مقاتل:" يقول النضر: عاون محمدا- ﷺ- عداس مولى حو يطب بن عبد العزى ويسار غلام العامر ابن الحضرمي وجبر مولى عامر بن الحضرمي كان يهوديا فأسلم وكان هؤلاء الثلاثة من أهل الكتاب"[٦].

قوله تعالى:{فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا} [الفرقان : ٤]، أي:" فقد ارتكبوا ظلمًا فظيعًا، وأتوا زورًا شنيعًا؛ فالقرآن ليس مما يمكن لبشر أن يختلقه"[٧].
قال ابن كثير:" أي : فقد افتروا هم قولا باطلا هم يعلمون أنه باطل ، ويعرفون كذب أنفسهم فيما يزعمون"[٨].
قال قتادة:" قد أتوا ظلما وزورا"[٩].
عن مجاهد، "{فقد جاءوا ظلما وزورا}، قال: كذبا"[١٠].
قال الطبري: «الظلم»: وضع الشيء في غير موضعه، فكان ظلم قائلي هذه المقالة القرآن بقيلهم هذا وصفهم إياه بغير صفته، و«الزور»: أصله تحسين الباطل. فتأويل الكلام: فقد أتى هؤلاء، القوم في قيلهم: {إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون}، كذبا محضا"[١١].

القرآن
{وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥)} [الفرقان : ٥]
التفسير:
وقالوا عن القرآن: هو أحاديث الأولين المسطرة في كتبهم، استنسخها محمد، فهي تُقْرَأ عليه صباحًا ومساء.
سبب النزول:
قال ابن عباس:" كان النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي من شياطين قريش، وكان يؤذي رسول الله ﷺ، وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة، تعلم بها أحاديث ملوك فارس، وأحاديث رستم وأسفنديار، فكان رسول الله ﷺ إذا جلس مجلسا، فذكر بالله وحدث قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم، من نقمة الله خلفه في مجلسه إذا قام، ثم يقول: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه. فهلموا فأنا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وأسفنديار، ثم يقول: ما محمد أحسن حديثا مني، قال: فأنزل الله تبارك وتعالى في النضر ثماني آيات من القرآن، قوله: {إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}[١٢]، وكل ما ذكر فيه الأساطير في القرآن"[١٣].

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٠.
(٢) تفسير الطبري:٢٣٧/١٩.
(٣) تفسير ابن كثير:٩٣/٦.
(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٧١):ص٢٦٦٣/٨.
(٥) أخرجه الطبري:٢٣٧/١٩.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٢٦/٣.
(٧) التفسير الميسر:٣٦٠.
(٨) تفسير ابن كثير:٩٣/٦-٩٤.
(٩) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٧٣):ص٢٦٦٣/٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٢٣٨/١٩.
(١١) تفسير الطبري:٢٣٧/١٩.
(١٢)[القلم : ١٥/ المطففين: ١٣].
(١٣) أخرجه الطبري:٢٣٨/١٩.

قوله تعالى:{وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا} [الفرقان : ٥]، أي:" وقالوا عن القرآن: هو أحاديث الأولين المسطرة في كتبهم، استنسخها محمد"(١).

قال ابن كثير:" يعنون : كتب الأوائل استنسخها"(٢).

قال الطبري:" يعنون أحاديثهم التي كانوا يسطرونها في كتبهم، اكتتبها محمد ﷺ من يهود"(٣).

قل مقاتل:" وقال النضر: هذا القرآن حديث الأولين أحاديث رستم واسفندباز اكتتبها محمد-ﷺ"(٤).

قال الزمخشري:" {أساطير الأولين}: ما سطره المتقدمون من نحو أحاديث رستم وإسفنديار، جمع: أسطار أو أسطورة، كأحدوثة اكتتبها كتبها لنفسه وأخذها، كما تقول: استكب الماء واصطبه: إذا سكبه وصبه لنفسه وأخذه"(٥).

عن ابن جريج، "{أساطير الأولين}، أشعارهم وكهانتهم، وقالها النضر بن الحارث"(٦).

عن قتادة: "{وقالوا أساطير الأولين}، أي: كذب الأولين وباطلهم"(٧).

وقرئ:«اكتتبها»، على البناء للمفعول. والمعنى: اكتتبها كاتب له. لأنه كان أميا لا يكتب بيده، وذلك من تمام إعجازه(٨).

قوله تعالى:{فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفرقان : ٥]، أي:" فهي تُلقى وتُقرأ عليه ليحفظها صباحاً ومساءً"(٩).

قال الطبري:" يقول: فهذه الأساطير تقرأ عليه غدوة وعشيا"(١٠).

قل مقاتل:" يقول: هؤلاء النفر الثلاثة يعلمون محمدا- ﷺ- طرفي النهار بالغداة والعشي"(١١).

قال ابن كثير:" أي : تقرأ عليه { بُكْرَةً وَأَصِيلا } أي : في أول النهار وآخره. وهذا الكلام - لسخافته وكذبه وبهْته منهم - كُلّ أحد يعلم بطلانه ، فإنه قد عُلم بالتواتر وبالضرورة : أن محمداً رسول الله لم يكن يعاني شيئا من الكتابة ، لا في أول عمره ولا في آخره ، وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلى أن بعثه الله نحوا من أربعين سنة ، وهم يعرفون مدخله ومخرجه ، وصدقه ، وبره وأمانته ونزاهته من الكذب والفجور وسائر الأخلاق الرذيلة ، حتى إنهم لم يكونوا يسمونه في صغره إلى أن بُعِث إلا الأمين ، لما يعلمون من صدقه وبره. فلما أكرمه الله بما أكرمه به ، نصبوا له العداوة ، وَرَموه بهذه الأقوال التي يعلم كل عاقل براءته منها ، وحاروا ماذا يقذفونه به ، فتارة من إفكهم يقولون : ساحر ، وتارة يقولون : شاعر ، وتارة يقولون : مجنون ، وتارة يقولون : كذاب ، قال الله تعالى : { انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلا } [الإسراء : ٤٨]"(١٢).

عن أبي العالية قوله: "{بكرة}، قال: صلاة الفجر، وقوله: {وأصيلا}، قال: صلاة العصر"(١٣).

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٠.
(٢) تفسير ابن كثير:٩٤/٦.
(٣) تفسير الطبري:٢٣٩/١٩.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٢٦/٣.
(٥) الكشاف:٢٦٤/٣.
(٦) اخرجه الطبري:٢٣٩/١٩.
(٧) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٧٦):ص٢٦٦٣/٨.
(٨) انظر: الكشاف:٢٦٤/٣.
(٩) صفوة التفاسير:٣٢٥/٢.
(١٠) تفسير الطبري:٢٣٩/١٩.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٢٦/٣-٢٢٧.
(١٢) تفسير ابن كثير:٩٤/٦.
(١٣) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٧٨):ص٢٦٦٤/٨.

قال الزمخشري:" {بكرة وأصيلا}، أى: دائما، أو في الخفية قبل أن ينتشر الناس، وحين يأوون إلى مساكنهم"(١).

القرآن

{قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٦)} [الفرقان : ٦]

التفسير:

قل - أيها الرسول - لهؤلاء الكفار: إن الذي أنزل القرآن هو الله الذي أحاط علمه بما في السموات والأرض، إنه كان غفورًا لمن تاب من الذنوب والمعاصي، رحيمًا بهم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة.

سبب النزول:

قل مقاتل:" وذلك أنهم قالوا بمكة سرا {هل هذا إلا بشر مثلكم}، لأنه إنسى مثلكم، بل هو ساحر، {أفتأتون السحر وأنتم تبصرون}، إلى آيتين(٢)، فأنزل الله- عز وجل: {قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا} في تأخير العذاب عنهم، {رَحِيمًا} حين لا يعجل عليهم بالعقوبة"(٣).

قوله تعالى:{قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الفرقان : ٦]، أي:" قل - أيها الرسول - لهؤلاء الكفار: إن الذي أنزل القرآن هو الله الذي أحاط علمه بما في السموات والأرض"(٤).

قال ابن كثير:" أي : أنزل القرآن المشتمل على أخبار الأولين والآخرين إخباراً حقاً صدقاً مطابقاً للواقع في الخارج ، ماضيا ومستقبلا { أَنزلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ } أي : الله الذي يعلم غيب السموات والأرض ، ويعلم السرائر كعلمه بالظواهر"(٥).

قال الطبري: يقول:" قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بآيات الله من مشركي قومك: ما الأمر كما تقولون من أن هذا القرآن أساطير الأولين، وأن محمد ﷺ افتراه وأعانه عليه قوم آخرون، بل هو الحق، أنزله الرب الذي يعلم سر من في السماوات ومن في الأرض، ولا يخفى عليه شيء، ومحصي ذلك على خلقه، ومجازيهم بما عزمت عليه قلوبهم، وأضمروه في نفوسهم"(٦).

قال الزمخشري:" أى: يعلم كل سر خفى في السموات والأرض. ومن جملته ما تسرونه أنتم من الكيد لرسوله ﷺ مع علمكم أن ما تقولونه باطل وزور، وكذلك باطن أمر رسول الله ﷺ وبراءته مما تبهتونه به، وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه"(٧).

عن ابن جريج، "{قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض}، قال: ما يسر أهل الأرض وأهل السماء"(٨).

عن زيد بن أسلم قوله: "{يعلم السر}، قال: يعلم سرار العبد"(٩).

قال الضحاك بن مزاحم:" السر ما حدثت به نفسك"(١٠).

قال ابن عباس:" السر: ما أسر ابن آدم في نفسه"(١).

---

(١) الكشاف:٢٦٤/٣.

(٢)يشير الى الآيات ٣، ٤، ٥ من سورة الأنبياء وتمامها: {لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٣) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤) بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ (٥)} [الأنبياء : ٣ - ٥].

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٢٧/٣.

(٤) التفسير الميسر:٣٦٠.

(٥) تفسير ابن كثير:٩٤/٦.

(٦) تفسير الطبري:٢٣٩/١٩.

(٧) الكشاف:٢٦٤/٣.

(٨) أخرجه الطبري:٢٣٩/١٩.

(٩) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٨٢):ص٢٦٦٤/٨.

(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٨١):ص٢٦٦٤/٨.

قال ابن عباس: "خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام فقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش تبارك وتعالى: اكتب فقال القلم: وما أكتب؟ قال: علمي في خلقي إلى يوم تقوم الساعة، فجرى القلم بما هو كائن في علم الله إلى يوم القيامة فذلك يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: {يعلم ما في السماء والأرض}"(٢).

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [الفرقان : ٦]، أي:" ، إنه كان غفورًا لمن تاب من الذنوب والمعاصي، رحيمًا بهم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة"(٣).

قال الطبري:" يقول: إنه لم يزل يصفح عن خلقه ويرحمهم، فيتفضل عليهم بعفوه، يقول: فلأن ذلك من عادته في خلقه، يمهلكم أيها القائلون ما قلتم من الإفك، والفاعلون ما فعلتم من الكفر"(٤).

عن سعيد بن جبير، قوله :"{غفورا}، يعنى: لما كان منهم في الشرك، {رحيما}، بهم في الإسلام"(٥).

قال ابن كثير:" قوله : { إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا } : دعاء لهم إلى التوبة والإنابة ، وإخبار بأن رحمته واسعة ، وأن حلمه عظيم ، وأن من تاب إليه تاب عليه. فهؤلاء مع كذبهم وافترائهم وفجورهم وبهتهم وكفرهم وعنادهم ، وقولهم عن الرسول والقرآن ما قالوا ، يدعوهم إلى التوبة والإقلاع عما هم فيه إلى الإسلام والهدى ، كما قال تعالى : { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [المائدة : ٧٣ - ٧٤] ، وقال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ } [البروج : ١٠]. قال الحسن البصري : انظروا إلى هذا الكرم والجود ، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والرحمة سبحانه وتعالى"(٦).

قال الزمخشري:" فإن قلت: كيف طابق قوله: {إنه كان غفورا رحيما}، هذا المعنى؟

قلت: لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه، لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على العقوبة. أو هو تنبيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبا، ولكن صرف ذلك عنهم إنه غفور رحيم: يمهل ولا يعاجل"(٧).

القرآن

{وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٨)} [الفرقان : ٧ - ٨]

التفسير:

وقال المشركون: ما لهذا الذي يزعم أنه رسول الله (يعنون محمدًا ﷺ) يأكل الطعام مثلنا، ويمشي في الأسواق لطلب الرزق؟ فهلا أرسل الله معه مَلَكًا يشهد على صدقه، أو يهبط عليه من السماء كنز من مال، أو تكون له حديقة عظيمة يأكل من ثمرها، وقال هؤلاء الظالمون المكذبون: ما تتبعون أيها المؤمنون إلا رجلا به سحر غلب على عقله.

سبب نزول الآيتين:[٧-٨]:

---

(١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٨٠):ص٢٦٦٤/٨.
(٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٧٩):ص٢٦٦٤/٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٦٠.
(٤) تفسير الطبري:٢٣٩/١٩.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٨٣):ص٢٦٦٤/٨.
(٦) تفسير ابن كثير:٩٤/٦.
(٧) الكشاف:٢٦٥/٣.

عن ابن عباس، "أن قالوا له: فإن لم تفعل لنا هذا- يعني ما سألوه من تسيير جبالهم عنهم، وإحياء آبائهم، والمجيء بالله والملائكة قبيلا وما ذكره الله في سورة بني إسرائيل، فخذ لنفسك، سل ربك يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك، وسله فيجعل لك قصورا وجنانا، وكنوزا من ذهب وفضة، تغنيك عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعلم فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم، فقال رسول الله ﷺ: ما أنا بفاعل، فأنزل الله في قولهم: أن خذ لنفسك ما سألوه، أن يأخذ لها، أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا، أو يبعث معه ملكا يصدقه بما يقول، ويرد عنه من خاصمه: {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأسْوَاقِ لَوْلا أُنزلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنز أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا رَجُلا مَسْحُورًا}"[1].

قال محمد بن إسحاق:" وأنزل الله جل وعز عليه في قولهم أن خذ لنفسك ما قالوا أن تأخذ لها أن تجعل لهم جنات وقصورا وكنوزا، وأن تبعث معه ملكا يصدق ما يقول ويرد عنك من خاصمك: {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأسْوَاقِ لَوْلا أُنزلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنز أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا}"[2].

قوله تعالى:{وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ} [الفرقان : ٧]، أي:" وقال المشركون: ما لهذا الذي يزعم أنه رسول الله (يعنون محمدًا ﷺ) يأكل الطعام مثلنا، ويمشي في الأسواق لطلب الرزق؟"[3].

قال الطبري: يقول:" وقال المشركون ما لهذا الرسول يعنون محمدا ﷺ، الذي يزعم أن الله بعثه إلينا يأكل الطعام كما نأكل، ويمشي في أسواقنا كما نمشي"[4].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن تعنت الكفار وعنادهم وتكذيبهم للحق بلا حجة ولا دليل منهم ، وإنما تعللوا بقولهم : { مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ } ، يعنون : كما نأكله ، ويحتاج إليه كما نحتاج إليه، {وَيَمْشِي فِي الأسْوَاقِ}، أي : يتردد فيها وإليها طلبا للتكسب والتجارة"[5].

قال قتادة:" عجب الكفار من ذلك أن يكون رسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق"[6].

الأسواق"[6].

عن السدي قوله: "{يأكل الطعام ويمشي في الأسواق}، قال: هي الطريق"[7].

قال الزمخشري:" وفي هذا القول استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز[8]، كأنهم قالوا: ما لهذا الزاعم أنه رسول. ونحوه قول فرعون :{إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون}، أى: إن صح أنه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا يأكل الطعام كما نأكل، ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد، يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل والتعيش"[9].

قوله تعالى:{لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا} [الفرقان : ٧]، أي:" فهلا أرسل الله معه مَلَكًا يشهد على صدقه"[10].

قال الطبري:" يقول: هلا أنزل إليه ملَك إن كان صادقا من السماء، فيكون معه منذرا للناس، مصدّقا له على ما يقول"[11].

---

(١) اخرجه الطبري:٢٤٠/١٩.
(٢) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٨٦):ص٢٦٦٥/٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٦٠.
(٤) تفسير الطبري:٢٤٠/١٩.
(٥) تفسير ابن كثير:٩٥/٦.
(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٨٤):ص٢٦٦٤/٨.
(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٨٥):ص٢٦٦٥/٨.
(٨)في الصحاح «الطنز» : السخرية.
(٩) الكشاف:٢٦٥/٣.
(١٠) التفسير الميسر:٣٦٠.
(١١) تفسير الطبري:٢٤٠/١٩.

قال مقاتل:" يعني: رسولا يصدق محمدا- ﷺ- بما جاء"(١).

قال ابن كثير:" هلا أنزل إليه ملك من عند الله ، فيكون له شاهدا على صِدْق ما يدَّعيه! وهذا كما قال فرعون : { فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ } [الزخرف : ٥٣]. وكذلك قال هؤلاء على السواء ، تشابهت قلوبهم"(٢).

قال الزمخشري:" ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكا إلى. اقتراح أن يكون إنسانا معه ملك، حتى يتساندا في الإنذار والتخويف"(٣).

وقرئ: «فيكون»، بالرفع(٤).

قوله تعالى:{أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ} [الفرقان : ٨]، أي:" أو يهبط عليه من السماء كنز من مال"(٥).

قال الطبري: يقول: " أو يلقى إليه كنز من فضة أو ذهب، فلا يحتاج معه إلى التصرّف في طلب المعاش"(٦).

قال مقاتل:" يعني: أو ينزل إليه مال من السماء فيقسمه بيننا"(٧).

قال ابن كثير:" أي : علم كنز يكون ينفق منه "(٨).

قال الزمخشري:" ثم نزلوا أيضا فقالوا: وإن لم يكن مرفودا بملك، فليكن مرفودا بكنز يلقى إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش"(٩).

قوله تعالى:{أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا} [الفرقان : ٨]، أي:" أو تكون له حديقة عظيمة يأكل من ثمرها"(١٠).

قال مقاتل:" يعنى: بستانا يأكل منها، هذا قول النضر بن الحارث، وعبد الله بن أمية، ونوفل ابن خويلد، كلهم من قريش"(١١).

قال الطبري: " يقول: أو يكون له بستان {يَأْكُلُ مِنْهَا}"(١٢).

قال ابن كثير:" أي : تسير معه حيث سار. وهذا كله سهل يسير على الله ، ولكن له الحكمة في ترك ذلك ، وله الحجة البالغة"(١٣).

قال الزمخشري:" ثم نزلوا فاقتنعوا بأن يكون رجلا له بستان يأكل منه ويرتزق كما الدهاقين والمياسير. أو يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم"(١٤).

وقرئ: «أو يكون له جنة»، بالياء(١٥)، و«نَأْكُلُ مِنْهَا»، بالنون، بمعنى: نأكل من الجنة(١٦).

قوله تعالى:{وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا} [الفرقان : ٨]، أي:" وقال هؤلاء الظالمون المكذبون: ما تتبعون أيها المؤمنون إلا رجلا به سحر غلب على عقله"(١).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٢٧/٣.
(٢) تفسير ابن كثير:٩٥/٦.
(٣) الكشاف:٢٦٥/٣.
(٤) انظر: الكشاف:٢٦٥/٣.
(٥) التفسير الميسر:٣٦٠.
(٦) تفسير الطبري:٢٤٠/١٩.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٢٧/٣.
(٨) تفسير ابن كثير:٩٥/٦.
(٩) الكشاف:٢٦٥/٣.
(١٠) التفسير الميسر:٣٦٠.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٢٧/٣.
(١٢) تفسير الطبري:٢٤٠/١٩.
(١٣) تفسير ابن كثير:٩٥/٦.
(١٤) الكشاف:٢٦٥/٣.
(١٥) انظر: الكشاف:٢٦٥/٣.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:٢٤٠/١٩.

قال الطبري:" يقول: وقال المشركون للمؤمنين بالله ورسوله: {إِنْ تَتَّبِعُونَ} أيها القوم باتباعكم محمدا {إلا رَجُلا} به سحر"[٢].

قال مقاتل:" يعني: أنه مغلوب على عقله، فأنزل الله- تبارك وتعالى- في قولهم للنبي-ﷺ-: أنه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ} [الفرقان : ٢٠]، يقول هكذا كان المرسلون «٤» من قبل محمد-ﷺ- "[٣].

عن البراء قوله: "{الظالمون}، قال: اليهود"[٤].

قال الزمخشري:" {مسحورا}: سحر فغلب على عقله. أو ذا سحر، وهو الرئة: عنوا أنه بشر لا ملك، وأراد بالظالمين: إياهم بأعيانهم: وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا"[٥].

القرآن

{انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٩)} [الفرقان : ٩]

التفسير:

انظر - أيها الرسول - كيف قال المكذبون في حقك تلك الأقوال العجيبة التي تشبه -لغرابتها- الأمثال؛ ليتوصلوا إلى تكذيبك؟ فبَعُدوا بذلك عن الحق، فلا يجدون سبيلا إليه؛ ليصححوا ما قالوه فيك من الكذب والافتراء.

سبب النزول:

قال مقاتل:" ونزل في قولهم إن محمدا مسحور، قوله- تعالى -: {انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ} "[٦].

قوله تعالى:{انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا} [الفرقان : ٩]، أي:" انظر - أيها الرسول - كيف قال المكذبون في حقك تلك الأقوال العجيبة التي تشبه -لغرابتها- الأمثال؛ ليتوصلوا إلى تكذيبك؟ فبَعُدوا بذلك عن الحق"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: انظر يا محمد إلى هؤلاء المشركين الذين شبهوا لك الأشباه بقولهم لك: هو مسحور، فضلوا بذلك عن قصد السبيل، وأخطؤوا طريق الهدى والرشاد"[٨].

قال ابن كثير:" أي : جاءوا بما يقذفونك به ويكذبون به عليك ، من قولهم "ساحر ، مسحور ، مجنون ، كذاب ، شاعر" وكلها أقوال باطلة ، كل أحد ممن له أدنى فهم وعقل يعرف كذبهم وافتراءهم في ذلك ؛ ولهذا قال : { فضلوا } أي : عن طريق الهدى"[٩].

قال ابن عباس:" أي: التمسوا الهدى في غير ما بعثتك به إليهم فضلوا"[١٠]. وروي عن محمد بن إسحاق مثل ذلك[١١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٠.
(٢) تفسير الطبري:٢٤١/١٩.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٢٧/٣.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٨٧):ص٢٦٦٥/٨.
(٥) الكشاف:٢٦٥/٣-٢٦٦.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٢٨/٣.
(٧) التفسير الميسر:٣٦٠.
(٨) تفسير الطبري:٢٤١/١٩.
(٩) تفسير ابن كثير:٩٥/٦.
(١٠) أخرجه الطبري:٢٤١/١٩.
(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٩٨٨):ص٢٦٦٥/٨.

قال الزمخشري:" أي: قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال النادرة، من نبوة مشتركة بين إنسان وملك. وإلقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك، فبقوا متحيرين ضلالا، أو فضلوا عن الحق"(١).

قوله تعالى:{فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا} [الفرقان : ٩]، أي:" فلا يجدون سبيلا إليه؛ ليصححوا ما قالوه فيك من الكذب والافتراء"(٢).

قال الزمخشري:أي:" لا يجدون قولا يستقرون عليه. أو فلا يجدون طريقا إلى الحق"(٣).

قال الطبري:" فلا يستطيعون يقول: فلا يجدون سبيلا إلى الحقّ، إلا فيما بعثتك به، ومن الوجه الذي ضلوا عنه"(٤).

قال ابن عباس:" فلن يستطيعوا أن يصيبوا الهدى في غيره"(٥). وروي عن محمد بن إسحاق مثل ذلك(٦).

وعن مجاهد :"{فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلا}، قال: مخرجا يخرجهم من الأمثال التي ضربوا لك"(٧).

قال مقاتل:" يقول: لا يجدون مخرجا مما قالوا لك بأنك ساحر"(٨).

قال ابن كثير:" وذلك لأن كل من خرج عن الحق فإنه ضال حيثما توجه ؛ لأن الحق واحد ومنهج متحد ، يُصَدّق بعضه بعضا "(٩).

فوائد الآيات:[٤-٩]:

١- بيان ما قابل به المشركون دعوة التوحيد من جلب كل قول وباطل ليصدوا عن سبيل الله وما زال هذا دأب المشركين إزاء دعوة التوحيد إلى اليوم وإلى يوم القيامة.

٢- تقرير الوحي الإلهي والنبوة المحمدية-ﷺ-.

٣- بيان حيرة المشركين إزاء دعوة الحق وضربهم الأمثال الواهية الرخيصة للصدّ عن سبيل الله، وقد باءت كل محاولاتهم بالفشل والخيبة المرة.

القرآن

{تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا (١٠)} [الفرقان : ١٠]

التفسير:

عَظُمَتْ بركات الله، وكَثُرَتْ خيراته، الذي إن شاء جعل لك - أيها الرسول - خيرًا مما تمنَّوه لك، فجعل لك في الدنيا حدائق كثيرة تتخللها الأنهار، وجعل لك فيها قصورًا عظيمة.

سبب النزول:

قال مقاتل:" ونزل في قولهم: {لولا أنزل}، يعني: هلا ألقي، {إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها}، فقال- تبارك وتعالى-: {تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ}"(١٠).

---

(١) الكشاف:٢٦٦/٣.
(٢) التفسير الميسر:٣٦٠.
(٣) الكشاف:٢٦٦/٣.
(٤) تفسير الطبري:٢٤١/١٩.
(٥) أخرجه الطبري:٢٤١/١٩.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٩٩٠):ص٢٦٦٥/٨.
(٧) أخرجه الطبري:٢٤١/١٩.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٢٨/٣.
(٩) تفسير ابن كثير:٩٥/٦.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٢٨/٣.

قوله تعالى:{تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ} [الفرقان : ١٠]، أي:" عَظُمَتْ بركات الله، وكَثُرَتْ خيراته، الذي إن شاء جعل لك - أيها الرسول - خيرًا مما تمنَّوه لك"(١).

قال الزمخشري:" تكاثر خير الذي إن شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا، وهو أن يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور"(٢).

عن مجاهد، قوله: "{إن شاء جعل لك خيرا من ذلك}، مما قالوا"(٣).

قال قتادة:" أي: مما قال الكفار من الكنز والجنة، جنات تجري من تحتها الأنهار"(٤).

قال محمد بن إسحاق:" ثم قال: {تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك}، أن تمشي في الأسواق وتلتمس المعاش كما يلتمسه الناس، {جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا}"(٥).

عن خيثمة قال: "قيل: للنبي ﷺ نعطيك خزائن الأرض ومفاتيحها لم نعطها أحدا قبلك لا ينقصك ذلك عند الله شيء قال: اجمعها لي في الآخرة فقال الله عز وجل: {تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات}، الآية"(٦).

وقرئ: «ويجعل»، بالرفع عطفا على :«جعل»(٧).

قوله تعالى:{جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [الفرقان : ١٠]، أي:" فجعل لك في الدنيا حدائق كثيرة تتخللها الأنهار"(٨).

عن مجاهد، قوله:"{جنات تجري من تحتها الأنهار}، قال: حوائط"(٩).

قوله تعالى:{وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا} [الفرقان : ١٠]، أي:" وجعل لك فيها قصورًا عظيمة"(١٠).

قال مجاهد:" بيوتا مبنية مشيدة، كانت قريش ترى البيت من حجارة قصرا كائنا ما كان"(١١).

قال السدي:" جعل الله له في الآخرة الجنات والقصور"(١٢).

القرآن

{بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١)} [الفرقان : ١١]

التفسير:

وما كذبوك؛ لأنك تأكل الطعام، وتمشي في الأسواق، بل كذَّبوا بيوم القيامة وما فيه من جزاء، وأعتدنا لمن كذب بالساعة نارًا حارة تُسَعَّر بهم.

قوله تعالى:{بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ} [الفرقان : ١١]، أي:" وما كذبوك؛ لأنك تأكل الطعام، وتمشي في الأسواق، بل كذَّبوا بيوم القيامة وما فيه من جزاء"(١٣).

قال يحيى:" بالقيامة"(١٤).

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٠.
(٢) الكشاف:٢٦٦/٣.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٩٢):ص٢٦٦٦/٨.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٩٣):ص٢٦٦٦/٨.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٩٤):ص٢٦٦٦/٨.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٩١):ص٢٦٦٦/٨.
(٧) انظر: الكشاف:٢٦٦/٣.
(٨) التفسير الميسر:٣٦٠.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٩٥):ص٢٦٦٦/٨.
(١٠) التفسير الميسر:٣٦٠.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٩٦):ص٢٦٦٦/٨.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٩٧):ص٢٦٦٦/٨.
(١٣) التفسير الميسر:٣٦٠.
(١٤) تفسير يحيىبن سلام:٤٧١/١.

قال ابن كثير:" أي: إنما يقول هؤلاء هكذا تكذيباً وعناداً ، لا أنهم يطلبون ذلك تبصرا واسترشادا ، بل تكذيبهم بيوم القيامة يحملهم على قول ما يقولونه من هذه الأقوال"[١].

قال الطبري: يقول:" ما كذب هؤلاء المشركون بالله، وأنكروا ما جئتهم به يا محمد من الحق من أجل أنك تأكل الطعام، وتمشي في الأسواق، ولكن من أجل أنهم لا يوقنون بالمعاد، ولا يصدقون بالثواب والعقاب تكذيبا منهم بالقيامة، وبعث الله الأموات أحياء لحشر القيامة"[٢].

قال الزمخشري:" {بل كذبوا} عطف على ما حكى عنهم. يقول: بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة. ويجوز أن يتصل بما يليه، كأنه قال: بل كذبوا بالساعة، فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب، وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة"[٣].
بالآخرة"[٣].

قوله تعالى:{وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا} [الفرقان : ١١]، أي:" وأعتدنا لمن كذب بالساعة نارًا حارة تُسَعَّر بهم"[٤].

قال الطبري: " يقول: وأعددنا لمن كذب ببعث الله الأموات أحياء بعد فنائهم لقيام الساعة، نارا تسعر عليهم وتتقد"[٥].

قال ابن كثير:" أي : وأرصدنا { لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا}، أي : عذابا أليماً حاراً لا يطاق في نار جهنم"[٦].

قال مقاتل:" يعني: وقودا"[٧].

عن سعيد بن جبير : "«السَّعِير»: واد من قيح جهنم"[٨].

قال يحيى:" اسم من أسماء جهنم"[٩].

قال الزمخشري:" «السَّعِير»: النار الشديدة الاستعار"[١٠].

القرآن

{إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (١٢)} [الفرقان : ١٢]

التفسير:

إذا رأت النار هؤلاء المكذبين يوم القيامة من مكان بعيد، سمعوا صوت غليانها وزفيرها، من شدة تغيظها منهم.

قوله تعالى:{إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [الفرقان : ١٢]، أي:" إذا رأت النار هؤلاء المكذبين يوم القيامة من مكان بعيد"[١١].

قال الطبري: " يقول: إذا رأت هذه النار التي اعتدناها لهؤلاء المكذبين أشخاصهم من مكان بعيد"[١٢].

قال الزمخشري:" المعنى: إذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها. وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر. ويجوز أن يراد: إذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير:٩٦/٦.
(٢) تفسير الطبري:٢٤٣/١٩.
(٣) الزمخشري:٢٦٦/٣-٢٦٧.
(٤) التفسير الميسر:٣٦٠.
(٥) تفسير الطبري:٢٤٣/١٩.
(٦) تفسير ابن كثير:٩٦/٦.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٢٨/٣.
(٨) تفسير ابن كثير:٩٦/٦. وفي روياة ابن ابي حاتم(١٤٩٩٨):ص٢٦٦٧/٨:« واد من فيح في جهنم».
(٩) تفسير يحيىبن سلام:٤٧١/١.
(١٠) الكشاف:٢٦٧/٣.
(١١) التفسير الميسر:٣٦١.
(١٢) تفسير الطبري:٢٤٣/١٩.

عن السدي قوله: "{من مكان بعيد}، قال: من مسيرة مائة عام"[٢].

قوله تعالى:{سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا} [الفرقان : ١٢]، أي:" سمعوا صوت غليانها وزفيرها، من شدة تغيظها منهم"[٣].

قال الطبري: " تغيظت عليهم، وذلك أن تغلي وتفور، يقال: فلان تغيظ على فلان، وذلك إذ غضب عليه، فغلى صدره من الغضب عليه، وتبين في كلامه، {وَزَفِيرًا}، وهو صوتها"[٤].

قال السدي:" الزفير: الصوت، تغيظا عليهم"[٥].

عن فديك، عن رجل من أصحاب محمد ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "من يقول علي ما لم أقل فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدا" قالوا: يا رسول الله، وهل لها من عين؟ قال: "ألم تسمعوا إلى قول الله {إذا رأتهم من مكان بعيد} ... الآية"[٦].

قال عبيد بن عمير: "إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك ولا نبي إلا خر ترعد فرائضه حتى إن إبراهيم ليجثو على ركبتيه، فيقول: يا رب لا أسألك اليوم إلا نفسي! "[٧].

قال ابن عباس:" إن الرجل ليجر إلي النار، فتنزوي، وينقبض بعضها إلى بعض، فيقول لها الرحمن: ما لك؟ فتقول: إنه ليستجير مني! فيقول: أرسلوا عبدي. وإن الرجل ليجر إلى النار، فيقول: يا رب ما كان هذا الظن بك؟ فيقول: ما كان ظنك؟ فيقول: أن تسعني رحمتك، قال: فيقول أرسلوا عبدي. وإن الرجل ليجر إلى النار، فتشهق إليه النار شهوق البغلة إلى الشعير، وتزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف"[٨].

قال أبو وائل: "خرجنا مع عبد الله ومعنا ربيع بن خيثم فمروا على حداد فقام عبد الله ينظر إلى حديدة في النار ونظر الربيع بن خيثم إليها فتمايل ليسقط فمر عبد الله على أتون على شاطئ الفرات فلما رآه عبد الله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية: {إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا}، الآية صعق فحملوه إلى أهله ورابطه عبد الله إلى الظهر فلم يفق"[٩].

القرآن

{وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣)} [الفرقان : ١٣]

التفسير:

وإذا أُلقوا في مكان شديد الضيق من جهنم -وقد قُرِنت أيديهم بالسلاسل إلى أعناقهم- دَعَوْا على أنفسهم بالهلاك للخلاص منها.

قوله تعالى:{وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ} [الفرقان : ١٣]، أي:" وإذا أُلقوا في مكان شديد الضيق من جهنم -وقد قُرِنت أيديهم بالسلاسل إلى أعناقهم-"[١٠].

قال الطبري: يقول: " وإذا ألقي هؤلاء المكذبون بالساعة من النار مكانا ضيقا، قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال"[١١].

عن أبي صالح قوله: "{مقرنين}، قال: مكتفين"[١٢].

---

(١) الكشاف:٢٦٧/٣.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٠٠):ص٢٦٦٧/٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٦١.
(٤) تفسير الطبري:٢٤٣/١٩-٢٤٤.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٠٤):ص٢٦٦٨/٨.
(٦) أخرجه الطبري:٢٤٤/١٩.
(٧) أخرجه الطبري:٢٤٤/١٩.
(٨) أخرجه الطبري:٢٤٤/١٩.
(٩) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٠١):ص٢٦٦٧/٨.
(١٠) التفسير الميسر:٣٦١.
(١١) تفسير الطبري:٢٤٣/١٩-٢٤٤.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٠٨):ص٢٦٦٩/٨.

عن يحيى بن أبي أسيد يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ أنه سئل، عن قول الله عز وجل: {وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين}، قال: «والذي نفسي بيده إنهم ليستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط»[1].

قال قتادة:" ذكر لنا أن عبد الله بن عمرو كان يقول: إن جهنم لتضيق على الكفار كتضيق الزج على الرمح"[2].

عن عبد الله بن عمرو: "{إذا ألقوا منها مكانا ضيقا}، قال: مثل الزج في الرمح- وروى عن يحيى بن الجزار""[3]. وروي عن مجاهد نحو ذلك[4].

قال الزمخشري:" الكرب مع الضيق، كما أن الروح مع السعة، ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السماوات والأرض. وجاء في الأحاديث: أن لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا[5]، ولقد جمع الله على أهل النار أنواع التضييق والإرهاق، حيث ألقاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا"[6].

قوله تعالى:{دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا} [الفرقان : ١٣]، أي:" دَعَوْا على أنفسهم بالهلاك للخلاص منها"[7].

وفي قوله تعالى:{دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا} [الفرقان : ١٣]، ثلاثة وجوه:

أحدها : ويلاً ، قاله ابن عباس[8].

الثاني : هلاكاً ، قاله الضحاك[9].

قال الضحاك:" دعوا بالهلاك فقالوا: وا هلاكا. وا هلكتاه"[10].

قال الزمخشري:" الثبور: الهلاك. ودعاؤه أن يقال: وا ثبوراه، أى: تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك"[11].

الثالث : ويلا وهلاكا. قاله قتادة[12].

الرابع: معناه: وانصرافاه عن طاعة الله ، حكاه ابن عيسى[13].

قال الطبري:" «الثبور» في كلام العرب: أصله انصراف الرجل عن الشيء، يقال منه: ما ثبرك عن هذا الأمر: أي ما صرفك عنه، وهو في هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالندم على انصرافهم عن طاعة الله في الدنيا، والإيمان بما جاءهم به نبي الله ﷺ حتى استوجبوا العقوبة منه، كما يقول القائل: وا نداماه، وا حسرتاه على ما فرطت في جنب الله"[14].

القرآن

{لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤)} [الفرقان : ١٤]

التفسير:

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٠٥):ص٢٦٦٨/٨.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٠٦):ص٢٦٦٨/٨. قال أبو محمد: "لم يروه عنه إلا ابن المبارك".

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٠٧):ص٢٦٦٨/٨.

(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٦٦٨/٨. ذكره دون السند.

(٥) لم اقف عليه فيما توفرت لدي من المصادر.

(٦) الكشاف:٢٦٧/٣.

(٧) التفسير الميسر:٣٦١.

(٨) انظر: تفسير الطبري:٢٤٥/١٩.

(٩) انظر: تفسير الطبري:٢٤٥/١٩.

(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠١٠):ص٢٦٦٩/٨.

(١١) الكشاف:٢٦٧/٣.

(١٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٧٢/١.

(١٣) انظر: النكت والعيون:١٣٥/٤.

(١٤) تفسير الطبري:٢٤٥/١٩.

فيقال لهم تيئيسًا، لا تَدْعوا اليوم بالهلاك مرة واحدة، بل مرات كثيرة، فلن يزيدكم ذلك إلا غمًّا، فلا خلاص لكم.

قال الطبري: {لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا}،" أي: مرة واحدة، ولكن ادعوا ذلك كثيرا"(١).

قال الزمخشري:" أى: يقال لهم ذلك: أو هم أحقاء بأن يقال لهم، وإن لم يكن ثمة قول ومعنى وادعوا ثبورا كثيرا أنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا، إنما هو ثبور كثير، إما لأن العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته. أو لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها، فلا غاية لهلاكهم"(٢).

عن ابن عباس، قوله:" { لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا}، يقول: لا تدعوا اليوم ويلا واحدا"(٣).

قال الضحاك:" فقيل لهم: لا تدعوا بهلاك واحد، ولكن ادعوا بهلاك كثير"(٤).

عن قتالدة، قوله:"{وادعوا ثبورا كثيرا}، أي: ويلا كثيرا"(٥).

قال يحيى{ وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا}، أي:" ويلا كثيرا وهلاكا طويلا"(٦).

عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: "أول من يكسى حلة من النار إبليس، فيضعها على حاجبيه، ويسحبها من خلفه، وذريته من خلفه، وهو يقول: يا ثبوراه، وهم ينادون: يا ثبورهم فيقال: {لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا}"(٧).

القرآن

{قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (١٥)} [الفرقان : ١٥]

التفسير:

قل لهم - أيها الرسول -: أهذه النار التي وُصِفتْ لكم خيرٌ أم جنة النعيم الدائم التي وُعِد بها الخائفون من عذاب ربهم، كانت لهم ثوابًا على عملهم، ومآلا يرجعون إليه في الآخرة؟

قوله تعالى:{قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ} [الفرقان : ١٥]، أي:" قل لهم - أيها الرسول -: أهذه النار التي وُصِفتْ لكم خيرٌ أم جنة النعيم الدائم التي وُعِد بها الخائفون من عذاب ربهم"(٨).

قال الطبري: يقول:" قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالساعة: أهذه النار التي وصف لكم ربكم صفتها وصفة أهلها خير؟ أم بستان الخلد الذي يدوم نعيمه ولا يبيد، الذي وعد من اتقاه في الدنيا بطاعته فيما أمره ونهاه؟"(٩).

قال ابن كثير:" يقول تعالى : يا محمد ، هذا الذي وصفناه من حال أولئك الأشقياء، الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم ، فتتلقاهم بوجه عبوس وبغيظ وزفير ، ويُلقَون في أماكنها الضيقة مقرَّنين ، لا يستطيعون حراكا ، ولا انتصاراً ولا فكاكا مما هم فيه - : أهذا خير أم جنة الخلد التي وعدها الله المتقين من عباده ، التي أعدها لهم"(١٠).

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٢٤٥.
(٢) الكشاف:٣/٢٦٧.
(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠١٣):ص٨/٢٦٦٩.
(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠١٢)، (١٥٠١٤):ص٨/٢٦٦٩.
(٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠١٥):ص٨/٢٦٦٩.
(٦) تفسير يحيى بن سلام: ١/٤٧٢.
(٧) اخرجه الطبري:١٩/٢٤٥-٢٤٦.
(٨) التفسير الميسر:٣٦١.
(٩) تفسير الطبري:١٩/٢٤٦.
(١٠)تفسير ابن كثير:٦/٩٨.

قال النحاس:" حكى سيبويه[1] عن العرب: الشقاء أحب إليك أم السعادة؟ وقد علم أن السعادة أحب إليه، وقيل: هذا للتنبيه، وقيل: المعنى: أذلك خير على غير تأويل من، كما يقال: عنده خير. وهذا قول حسن، كما قال[2]:

فشركما لخيركما الفداء

وفي الآية قول ثالث وهو أن الكوفيين يجيزون: العسل أحلى من الخل، وهذا قول مردود لأن معنى: فلان خير من فلان، أنه أكثر خيرا منه، ولا حلاوة في الخل ولا يجوز أن تقول: النصراني خير من اليهودي لأنه لا خير فيهما فيكون أحدهما أزيد في الخير من الآخر، ولكن يقال: اليهودي شر من النصراني، فعلى هذا كلام العرب"[3].

قوله تعالى:{كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا} [الفرقان : ١٥]، أي:" كانت لهم ثوابًا على عملهم، ومآلا يرجعون إليه في الآخرة"[4].

قال الطبري:" يقول: كانت جنة الخلد للمتقين جزاء أعمالهم لله في الدنيا بطاعته، وثواب تقواهم إياه، ومصيرا لهم، يقول: ومصيرا للمتقين يصيرون إليها في الآخرة"[5].

قال السمعاني:" أي: مجازاة ومرجعا"[6].

قال ابن كثير:" جعلها لهم جزاء على ما أطاعوه في الدنيا ، وجعل مآلهم إليها"[7].

عن قتادة قوله: "{كانت لهم جزاء}، أي: جزاء من الله بأعمالهم. {ومصيرا}، أي: منزلا"[8].

قال الزمخشري:" إنما قيل: {كانت}، لأن ما وعده الله وحده فهو في تحققه كأنه قد كان. أو كان مكتوبا في اللوح قبل أن برأهم بأزمنة متطاولة: أن الجنة جزاؤهم ومصيرهم"[9].

القرآن

{لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا (١٦)} [الفرقان : ١٦]

التفسير:

لهؤلاء المطيعين في الجنة ما يشتهون من ملاذِّ النعيم، متاعهم فيه دائم، كان دخولهم إياها على ربك - أيها الرسول - وعدًا مسؤولا يسأله عباد الله المتقون، والله لا يخلف وعده.

قوله تعالى:{لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ} [الفرقان : ١٦]، أي:" لهؤلاء المطيعين في الجنة ما يشتهون من ملاذِّ النعيم"[10].

قال الطبري: " يقول: لهؤلاء المتقين في جنة الخلد التي وعدهموها الله ما يشاءون مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين"[11].

قال ابن كثير:أي:" من الملاذ : من مآكل ومشارب ، وملابس ومساكن ، ومراكب ومناظر ، وغير ذلك ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خَطَر على قلب أحد"[12].

---

(١)انظر :الكتاب: ٣/ ١٩٣.

(٢)الشاهد لحسان بن ثابت في ديوانه ٧٦، وخزانة الأدب ٩/ ٢٣٢، وشرح الأشموني ٣/ ٣٨٨، ولسان العرب العرب (ندد) و (عرش.

(٣) إعراب القرآن:١٠٧/٣.

(٤) التفسير الميسر:٣٦١.

(٥) تفسير الطبري:٢٤٦/١٩.

(٦) تفسير السمعاني:١١/٤.

(٧)تفسير ابن كثير:٩٨/٦.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠١٦):ص٢٦٧٠/٨.

(٩) الكشاف:٢٦٧/٣-٢٦٨.

(١٠) التفسير الميسر:٣٦١.

(١١) تفسير الطبري:٢٤٦/١٩.

(١٢)تفسير ابن كثير:٩٨/٦.

قوله تعالى:{خَالِدِينَ } [الفرقان : ١٦]، أي:" ماكثين فيها أبداً سرمداً بلا زوال ولا انقضاء"[١].

قال الطبري: " يقول: لابثين فيها ماكثين أبدا، لا يزولون عنها ولا يزول عنهم نعيمها"[٢].

قال ابن كثير:" وهم في ذلك خالدون أبدا دائما سرمدا بلا انقطاع ولا زوا ، ولا انقضاء ، لا يبغون عنها حوَلا. وهذا من وَعْد الله الذي تفضل به عليهم، وأحسن به إليهم "[٣].

قوله تعالى:{كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا} [الفرقان : ١٦]، أي:" كان دخولهم إياها على ربك - أيها الرسول - وعدًا مسؤولا يسأله عباد الله المتقون، والله لا يخلف وعده"[٤].

قال ابن كثير:" أي: لا بد أن يقع وأن يكون"[٥].

قال الفراء:" يقول: وعدهم الله الجنة فسألوها إياه في الدنيا إذ قالوا :{ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك}، يريد على ألسنة رسلك، وهو يوم القيامة غير مسئول. وقد يكون في الكلام أن تقول: لأعطينك ألفا وعدا مسئولا أي هو واجب لك فتسأله لأن المسئول واجب، وإن لم يسأل كالدين"[٦].

قال الطبري:"وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم ذلك في الدنيا حين قالوا: {وآتنا ما وعدتنا على رسلك}، يقول الله تبارك وتعالى: وكان إعطاء الله المؤمنين جنة الخلد التي وصف صفتها في الآخرة وعدا وعدهم الله على طاعتهم إياه في الدنيا، ومسألتهم إياه ذلك"[٧].

قال ابن عباس:" فسألوا الذي وعدهم وتنجزوه"[٨].

قال ابن زيد:" سألوه إياها في الدنيا، طلبوا ذلك فأعطاهم وعدهم إذ سألوه أن يعطيهم، فأعطاهم، فكان ذلك وعدا مسئولا كما وقت أرزاق العباد في الأرض قبل أن يخلقهم فجعلها أقواتا للسائلين، وقت ذلك على مسألتهم، وقرأ: {وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين}"[٩].

قال يحيى:" سأل المؤمنون الله الجنة فأعطاهم إياها. وقال بعضهم: سألت الملائكة الله للمؤمنين الجنة، وهي في سورة حم المؤمن: {ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم} [غافر: ٨] إلى آخر الآية"[١٠].

قال محمد بن كعب: "أي: يسأله، وهو قول الملائكة -صلى الله عليه- :"ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم"[١١].

قال السعدي:" يسأله إياها، عباده المتقون بلسان حالهم ولسان مقالهم، فأي الدارين المذكورتين خير وأولى بالإيثار؟ وأي: العاملين عمال دار الشقاء أو عمال دار السعادة أولى بالفضل والعقل والفخر يا أولي الألباب؟

لقد وضح الحق واستنار السبيل فلم يبق للمفرط عذر في تركه الدليل، فنرجوك يا من قضيت على أقوام بالشقاء وأقوام بالسعادة أن تجعلنا ممن كتبت لهم الحسنى وزيادة، ونستغيث بك اللهم من حالة الأشقياء ونسألك المعافاة منها"[١٢].

---

(١) صفوة التفاسير:٣٢٧/٢.
(٢) تفسير الطبري:٢٤٦/١٩.
(٣)تفسير ابن كثير:٩٨/٦.
(٤) التفسير الميسر:٣٦١.
(٥)تفسير ابن كثير:٩٨/٦.
(٦) معاني القرآن:٢٦٣/٢.
(٧) تفسير الطبري:٢٤٦/١٩.
(٨) أخرجه الطبري٢٤٦/١٩.
(٩) أخرجه الطبري٢٤٦/١٩-٢٤٧.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٤٧٢/١.
(١١) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن:١٣/٥.
(١٢) تفسير السعدي:٥٧٩.

فوائد الآيات:[١٠-١٦]:
١- بيان أن مرد كفر الكافرين وظلم الظالمين وفساد المفسدين إلى تكذيبهم بالبعث والجزاء في الدار الآخرة فإن من آمن بالبعث الآخر سارع إلى الطاعة والاستقامة.
٢- تقرير عقيدة البعث الآخر بوصف بعض ما يتم فيه من الجزاء بالنار والجنة.
٣- فضل التقوى وأنها ملاك الأمر فمن آمن واتقى فقد استوجب الدرجات العلى جعلنا الله تعالى من أهل التقوى والدرجات العلى.
٤- أن من أصول أهل السنة أن الله تعالى لا يجب عليه شيء و : {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء : ٢٣]، والمسئولية في قول تعالى: {كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا}، مسئولية إنعام لا إيجاب. والله أعلم
القرآن
{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧)} [الفرقان : ١٧]
التفسير:
ويوم القيامة يحشر الله المشركين وما كانوا يعبدونه من دونه، فيقول لهؤلاء المعبودين: أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء عن طريق الحق، وأمرتموهم بعبادتكم، أم هم ضلوا السبيل، فعبدوكم مِن تلقاء أنفسهم؟

قوله تعالى:{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الفرقان : ١٧]، أي:" ويوم القيامة يحشر الله المشركين وما كانوا يعبدونه من دونه"(١).

قال الطبري: يقول:" ويوم نحشر هؤلاء المكذبين بالساعة، العابدين الأوثان، وما يعبدون من دون الله من الملائكة والإنس والجن"(٢).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبراً عما يَقَع يوم القيامة من تقريع الكفار في عبادتهم مَن عبدوا من دون الله ، من الملائكة وغيرهم"(٣).

وقرئ:« نحشرهم» بالنون(٤).

عن قتادة، قوله: "{يوم}، قال: يوم القيامة"(٥).

قال ابن عباس:" يحشر كل شيء حتى إن الذباب ليحشر"(٦).

عن مجاهد: :"{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ}، قال: حشر الموت، قوله: {وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}: هؤلاء عيسى وعزير والملائكة "(٧).

قوله تعالى:{فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ} [الفرقان : ١٧]، أي:" فيقول تعالى للمعبودين تقريعاً لعبدتهم: أأنتم دعوتم هؤلاء إلى عبادتكم؟أم هم ضلوا الطريق فعبدوكم من تلقاء أنفسهم؟"(٨).

قال الطبري: " يقول: فيقول الله للذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله: أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء: يقول: أنتم أزلتموهم عن طريق الهدى، ودعوتموهم إلى الغي والضلالة حتى تاهوا وهلكوا، أم هم ضلوا السبيل، يقول: أم عبادي هم الذين ضلوا سبيل الرشد والحق وسلكوا العطب"(٩).

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٢.
(٢) تفسير الطبري:٢٤٧/١٩.
(٣) تفسير ابن كثير:٩٩/٦.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٢٤٧/١٩.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٢٤):ص٢٦٧١/٨.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٢٥):ص٢٦٧١/٨.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٢٦)، (١٥٠٢٧):ص٢٦٧١/٨-٢٦٧٢.
(٨) صفوة التفاسير:٣٢٧/٢.
(٩) تفسير الطبري:٢٤٧/١٩.

قال ابن كثير:" أي : فيقول الرب تبارك وتعالى للمعبودين: أأنتم دعوتم هؤلاء إلى عبادتكم من دوني ، أم هم عبدوكم من تلقاء أنفسهم ، من غير دعوة منكم لهم ؟ كما قال الله تعالى : { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُم } إلى آخر الآية ؛ [المائدة : ١١٦ - ١١٧]"[١].
١١٧]"[١].

عن مجاهد: "{أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء}، قال: عيسى وعزير والملائكة"[٢].

عن مقاتل بن حبان، "يعنى قوله: {أم هم ضلوا السبيل}، يقول: قد أخطأ قصد السبيل"[٣].

وقرئ:« فنقول»، بالنون[٤].

القرآن

{قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (١٨)} [الفرقان : ١٨]

التفسير:

قال المعبودون من دون الله: تنزيهًا لك -يا ربنا- عَمَّا فعل هؤلاء، فما يصحُّ أن نَتَّخِذ سواك أولياء نواليهم، ولكن متعتَ هؤلاء المشركين وآباءهم بالمال والعافية في الدنيا، حتى نسوا ذكرك فأشركوا بك، وكانوا قومًا هلكى غلب عليهم الشقاء والخِذْلان.

قوله تعالى:{قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ} [الفرقان : ١٨]، أي:" قال المعبودون من دون الله: تنزيهًا لك -يا ربنا- عَمَّا فعل هؤلاء، فما يصحُّ أن نَتَّخِذ سواك أولياء نواليهم"[٥].

قال قتادة:" هذا قول الآلهة"[٦].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى: تنزيها لك يا ربنا، وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء المشركون، ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء نواليهم، أنت ولينا من دونهم"[٧].

قال ابن كثير:" أي : ليس للخلائق كلهم أن يعبدوا أحدا سواك ، لا نحن ولا هم ، فنحن ما دعوناهم إلى ذلك ، بل هم قالوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير أمرنا ولا رضانا ونحن برآء منهم ومن عبادتهم ، كما قال تعالى : { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ } [سبأ : ٤٠ - ٤١]"[٨].

عن السدي قوله: "{من أولياء}، قال: أما الولي، فالذي يتولاه الله ويقر له بالربوبية"[٩].

وقرأ الحسن ويزيد بن القعقاع: «أن نتخذ»، بضم النون، أي : ما ينبغي لأحد أن يعبدنا ، فإنا عبيد لك ، فقراء إليك. وهي قريبة المعنى من الأولى[١٠].

---

(١) تفسير ابن كثير:٩٩/٦.
(٢) أخرجه الطبري:٢٤٧/١٩.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٢٨):ص٢٦٧٢/٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٢٤٧/١٩.
(٥) التفسير الميسر:٣٦٢.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٢٩):ص٢٦٧٢/٨.
(٧) تفسير الطبري:٢٤٨/١٩.
(٨) تفسير ابن كثير:٩٩/٦.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٣٠):ص٢٦٧٢/٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٢٤٨/١٩، وتفسير ابن كثير:٩٩/٦.

قوله تعالى:{وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ} [الفرقان : ١٨]، أي:" ولكن متعتَ هؤلاء المشركين وآباءهم بالمال والعافية في الدنيا، حتى نسوا ذكرك فأشركوا بك"(١).

قال الطبري: " ولكن متعتهم بالمال يا ربنا في الدنيا والصحة، حتى نسوا الذكر"(٢).

قال ابن كثير:" أي : طال عليهم العمر حتى نَسُوا الذكر ، أي : نسوا ما أنزلته إليهم على ألسنة رسلك ، من الدعوة إلى عبادتك وحدك لا شريك لك "(٣).

قال ابن عباس:" يقول: قوم قد ذهبت أعمالهم في الدنيا ولم يكن لهم أعمال صالحة"(٤).

قال ابن وهب: "سألت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن قول الله: {الذكر}، قال: القرآن"(٥).

قوله تعالى:{وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا} [الفرقان : ١٨]، أي:" وكانوا قومًا هلكى غلب عليهم الشقاء والخِذْلان"(٦).

قال الطبري: " وكانوا قوما هلكى، قد غلب عليهم الشقاء والخذلان"(٧).

قال ابن عباس:" يقول: قوم قد ذهبت أعمالهم وهم في الدنيا، ولم تكن لهم أعمال صالحة"(٨).

عن شهر بن حوشب، قوله:"{ وكانوا قوما بورا}. قال: معناه: فسدتم"(٩).

قال قتادة: "هو الفساد، «البور» بكلام عمان"(١٠).

قال قتادة:" وإنه والله ما نسي قوم قط ذكر الله إلا باروا وفسدوا"(١١).

عن مجاهد، قوله: "{وكانوا قوما بورا}، يقول: هلكى"(١٢).

قال الحسن:" هم الذين لا خير فيهم"(١٣).

قال ابن زيد:" يقول: ليس من الخير في شيء. «البور»: الذي ليس فيه من الخير شيء"(١٤).

قال الفراء:" «البور»: مصدر واحد وجمع، و«البائر»: الذي لا شيء فيه. تقول: أصبحت منازلهم بورا أي لا شيء فيها. فكذلك أعمال الكفار باطل. ويقال: رجل بور وقوم بور"(١٥).

قال أبو عبيدة: "أ أي هالك ومنه قولهم: نعوذ بالله من بوار الأيّم(١٦)، وبار الطعام وبارت السّوق أي هلكت وقال عبد الله ابن الزّبعرى(١٧):

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٢.
(٢) تفسير الطبري:٢٤٨/١٩.
(٣) تفسير ابن كثير:٩٩/٦.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٣١):ص٢٦٧٢/٨.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٣٢):ص٢٦٧٢/٨.
(٦) التفسير الميسر:٣٦٢.
(٧) تفسير الطبري:٢٤٨/١٩.
(٨) أخرجه الطبري:٢٤٨/١٩.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٣٤):ص٢٦٧٣/٨.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٣٥)، (١٥٠٣٦):ص٢٦٧٣/٨.
(١١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٣٧):ص٢٦٧٣/٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٢٤٨/١٩.
(١٣) أخرجه الطبري:٢٤٨/١٩.
(١٤) أخرجه الطبري:٢٤٨/١٩.
(١٥) معاني القرآن:٢٦٤/٢.
(١٦) «نعوذ ... الأيم» : أي كسادها وهو أن تبقى المرأة فى بيتها لا يخطبها خاطب من بارت السوق إذا كسدت والأيم التي لا زوج لها وهى مع ذلك لا يرغب فيها أحد (اللسان).
(١٧)عبد الله بن الزبعرى: ابن قيس بن عدى بن سعد بن سهم القرشي، هو آخر شعراء قريش المعدودين وكان يهجو المسلمين ويحرض عليهم وأسلم يوم الفتح.
وهذا البيت من كلمة قالها عند إسلامه انظر المؤتلف ١٣٢، والسمط ٣٨٨، ٣٩٠ ٨٣٣، وإصلاح

يا رسول المليك إنّ لساني ... راتق ما فتقت إذ أنا بور

قال القاسم بن سلام:" {قوما بورا}، يعني: هلكا بلغة عمان"[1].

القرآن

{فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا (١٩)} [الفرقان : ١٩]

التفسير:

فيقال للمشركين: لقد كذَّبكم هؤلاء الذين عبدتموهم في ادِّعائكم عليهم، فها أنتم أولاء لا تستطيعون دَفْعًا للعذاب عن أنفسكم، ولا نصرًا لها، ومَن يشرك بالله فيظلم نفسه ويعبد غير الله، ويمت على ذلك، يعذبه الله عذابًا شديدًا.

قوله تعالى:{فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ} [الفرقان : ١٩]، أي:" فيقال للمشركين: لقد كذَّبكم هؤلاء الذين عبدتموهم في ادِّعائكم عليهم"[2].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عما هو قائل للمشركين عند تبري من كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله منهم: قد كذبوكم أيها الكافرون من زعمتم أنهم أضلوكم، ودعوكم إلى عبادتهم بما تقولون، يعني بقولكم، يقول: كذبوكم بكذبكم"[3].

قال ابن كثير:" أي : فقد كذبكم الذين عَبَدْتُم فيما زعمتم أنهم لكم أولياء ، وأنكم اتخذتموهم قربانا يقربونكم إليه زلفى ، كما قال تعالى : { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ } [الأحقاف : ٥ - ٦]"[4].

وفي قوله تعالى:{فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ} [الفرقان : ١٩]، وجهان من التفسير:

أحدهما : أن الملائكة والرسل قد كذبوا الكفار فيما يقولون أنهم اتخذوهم أولياء من دونه ، قاله مجاهد[5].

قال مجاهد:" يقول الله للذين كانوا يعبدون عيسى وعزيرا والملائكة، يكذبون المشركين"[6].

الثاني : أن المشركين كذبوا المؤمنين فيما يقولونه من نبوة محمد (ﷺ) ، قاله ابن زيد[7].

قال ابن زيد:" كذبوكم بما تقولون بما جاء من عند الله جاءت به الأنبياء والمؤمنون آمنوا به، وكذب هؤلاء"[8].

قال الطبري:" وجه ابن زيد تأويل قوله: {فقد كذبوكم} إلى: فقد كذبوكم أيها المؤمنون المكذبون بما جاءهم به محمد من عند الله، بما تقولون من الحق، وهو أن يكون خبرا عن الذين كذبوا الكافرين في زعمهم أنهم دعوهم إلى الضلالة، وأمروهم بها على ما قاله مجاهد من القول الذي ذكرناه عنه أشبه وأولى؛ لأنه في سياق الخبر عنهم"[9].

المنطق ١٤١، والسيرة (جوتنجن) ٨٢٧، والطبري ١٣/ ١٣٠، وتاريخه ٣/ ١٢٢، والجمهرة ١/ ٢٩٨، والقرطبي ١٣/ ١١، واللسان والتاج (بور) ، وشواهد المغني ١٨٨.

(١) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم:٩.

(٢) التفسير الميسر:٣٦٢.

(٣) تفسير الطبري:٢٥٠/١٩.

(٤) تفسير ابن كثير:١٠٠/٦.

(٥) انظر: تفسير الطبري:٢٥١/١٩.

(٦) أخرجه الطبري:٢٥١/١٩.

(٧) انظر: تفسير الطبري:٢٥١/١٩.

(٨) أخرجه الطبري:٢٥١/١٩.

(٩) تفسيرا لطبري:٢٥١/١٩.

قوله تعالى:{فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا} [الفرقان : ١٩]، أي:" فها أنتم أولاء لا تستطيعون دَفْعًا للعذاب عن أنفسكم، ولا نصرًا لها"(١).

قال الطبري:" يقول: فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف عذاب الله حين نزل بهم عن أنفسهم، ولا نصرها من الله حين عذبها وعاقبها"(٢).

قال ابن كثير:" أي : لا يقدرون على صرف العذاب عنهم ولا الانتصار لأنفسهم "(٣).

عن مجاهد : "{فما يستطيعون صرفا ولا نصرا}، قال: المشركون لا يستطيعون صرف العذاب ولا نصر أنفسهم"(٤).

قال ابن جريج: "لا يستطيعون صرف العذاب عنهم، ولا نصر أنفسهم"(٥).

عن ابن وهب، قال ابن زيد:" لا يستطيعون يصرفون عنهم العذاب الذي نزل بهم حين كذبوا، ولا أن ينتصروا قال: وينادي مناد يوم القيامة حين يجتمع الخلائق: ما لكم لا تناصرون، قال: من عبد من دون الله لا ينصر اليوم من عبده، وقال العابدون من دون الله: لا ينصره اليوم إلهه الذي يعبد من دون الله، فقال الله تبارك وتعالى: {بل هم اليوم مستسلمون}، وقرأ قول الله جل ثناؤه {فإن كان لكم كيد فكيدون}"(٦).

في حرف عبد الله بن مسعود :«فما يستطيعون لك صرفا»(٧).

قوله تعالى:{وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا} [الفرقان : ١٩]، أي:" ومَن يشرك بالله فيظلم نفسه ويعبد غير الله، ويمت على ذلك، يعذبه الله عذابًا شديدًا"(٨).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: {ومن يظلم منكم} أيها المؤمنون- يعني بقوله: {ومن يظلم} ومن يشرك بالله فيظلم نفسه، فذلك نذقه عذابا كبيرا كالذي ذكرنا أنا نذيقه الذين كذبوا بالساعة"(٩).

قال ابن كثير:" أي : يشرك بالله ، { نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا }"(١٠).

عن الحسن، قوله: "{ومن يظلم منكم}، قال: هو الشرك"(١١).

عن ابن جريج، قوله: "{ومن يظلم منكم}، قال: يشرك، {نذقه عذابا كبيرا}"(١٢).

قال ابن عباس:" كل شيء نسبه إلى غير الإسلام من اسم مثل: مسرف وظالم ومجرم وفاسق وخاسر، فإنما يعنى به: الكفر، وما نسبه إلى الإسلام فإنما يعنى به الذنب قال: {ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا}، يقول: ومن يكفر منكم، قال: {وأعتدنا للظالمين}، يقول: للكافرين"(١٣).

قال وهب بن منبه:" قرأت اثنين وسبعين كتابا نزلت من السماء ما سمعت: كتابا أكثر تكريرا فيه الظلم ومعاتبة عليه من القرآن، وذلك لأن الله علم أن فتنة هذه الأمة تكون في الظلم وما الآخرين من الأمم فإنه أكثر معاتبة إياهم في الشرك وعبادة الأوثان وإنه ذكر معاتبة هذه

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٢.
(٢) تفسيرا لطبري:٢٥١/١٩.
(٣) تفسير ابن كثير:١٠٠/٦.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٤١):ص٢٦٧٤/٨، والطبري:٢٥١/١٩. مختصرا.
(٥) أخرجه الطبري:٢٥١/١٩.
(٦) أخرجه الطبري:٢٥١/١٩.
(٧) أخرجه الطبري:٢٥١/١٩.
(٨) التفسير الميسر:٣٦٢.
(٩) تفسيرا لطبري:٢٥١/١٩.
(١٠) تفسير ابن كثير:١٠٠/٦.
(١١) أخرجه الطبري:٢٥٢/١٩.
(١٢) أخرجه الطبري:٢٥٢/١٩.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٤٣):ص٢٦٧٤/٨.

الأمة بالظلم فقال: {ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا}: و**{أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}**[(١)]، ونزع بأشباه هذا من القرآن"[(٢)].

القرآن

{وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (٢٠)} [الفرقان : ٢٠]

التفسير:

وما أرسلنا قبلك - أيها الرسول - أحدًا مِن رسلنا إلا كانوا بشرًا، يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق. وجعلنا بعضكم -أيها الناس- لبعض ابتلاء واختبارًا بالهدى والضلال، والغنى والفقر، والصحة والمرض، هل تصبرون، فتقوموا بما أوجبه الله عليكم، وتشكروا له، فيثيبكم مولاكم، أو لا تصبرون فتستحقوا العقوبة؟ وكان ربك - أيها الرسول - بصيرًا بمن يجزع أو يصبر، وبمن يكفر أو يشكر.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال ابن عباس:" وأنزل عليه في ذلك من قولهم: {مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ}[(٣)] ... الآية: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ}"[(٤)].

الثاني: أنها نزلت حين أسلم أبو ذر الغفاري وعمار وصهيب وبلال وعامر بن فهيرة وسلام مولى أبي حذيفة وأمثالهم من الفقراء الموالي فقال المستهزئون من قريش: انظروا إلى أتباع محمد من فقرائنا وموالينا فنزلت فيهم الآية ، حكاه النقاش[(٥)].

قوله تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ} [الفرقان : ٢٠]، أي:" وما أرسلنا قبلك - أيها الرسول - أحدًا مِن رسلنا إلا كانوا بشرًا، يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق"[(٦)].

قال قتادة:" أي: إن الرسل قبل محمد ﷺ كانوا بهذه المنزلة يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق"[(٧)].

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرا عن جميع مَنْ بعثه من الرسل المتقدمين : إنهم كانوا يأكلون الطعام ، ويحتاجون إلى التغذي به { وَيَمْشُونَ فِي الأسْوَاقِ}، أي : للتكسب والتجارة ، وليس ذلك بمناف لحالهم ومنصبهم ؛ فإن الله جعل لهم من السمات الحسنة ، والصفات الجميلة ، والأقوال الفاضلة ، والأعمال الكاملة ، والخوارق الباهرة ، والأدلة القاهرة، ما يستدل به كل ذي لب سليم ، وبصيرة مستقيمة ، على صدق ما جاءوا به من الله عز وجل. ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى} [يوسف : ١٠٩]{ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ } [الأنبياء : ٨]"[(٨)].

قال الطبري:" هذا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه على مشركي قومه الذين قالوا: {مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق}، وجواب لهم عنه يقول لهم جل ثناؤه: وما أنكر يا محمد هؤلاء القائلون: ما لهذا الرسول يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، من أكلك الطعام، ومشيك في الأسواق، وأنت لله رسول، فقد علموا أنا ما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم

---

(١) [الأعراف: ٤٤].
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٤٤):ص٢٦٧٤/٨.
(٣)[الفرقان : ٧].
(٤) أخرجه الطبري:٢٥٣/١٩.
(٥) انظر: النكت والعيون:١٣٨، .
(٦) التفسير الميسر:٣٦٢.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٤٥):ص٢٦٧٥/٨.
(٨) تفسير ابن كثير:١٠٠/٦.

ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، كالذي تأكل أنت وتمشي، فليس لهم عليك بما قالوا من ذلك حجة"(1).

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ} [الفرقان : ٢٠]، أي:" وجعلنا بعضكم -أيها الناس- لبعض ابتلاء واختبارًا بالهدى والضلال، والغنى والفقر، والصحة والمرض ليختبر صبركم وإيمانكم أتشكرون أم تكفرون؟"(2).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وامتحنا أيها الناس بعضكم ببعض، جعلنا هذا نبيا وخصصناه بالرسالة، وهذا ملكا وخصصناه بالدنيا، وهذا فقيرا وحرمناه الدنيا لنختبر الفقير بصبره على ما حرم مما أعطيه الغني، والملك بصبره على ما أعطيه الرسول من الكرامة، وكيف رضي كل إنسان منهم بما أعطى، وقسم له، وطاعته ربه مع ما حرم مما أعطى غيره. يقول فمن أجل ذلك لم أعط محمدا الدنيا، وجعلته يطلب المعاش في الأسواق، ولأبتليكم أيها الناس، وأختبر طاعتكم ربكم وإجابتكم رسوله إلى ما دعاكم إليه، بغير عرض من الدنيا ترجونه من محمد أن يعطيكم على اتباعكم إياه، لأني لو أعطيته الدنيا، لسارع كثير منكم إلى اتباعه طمعا في دنياه أن ينال منها"(3).

قال ابن كثير:" أي : اختبرنا بعضكم ببعض ، وبلونا بعضكم ببعض ، لنعلم مَن يُطيع ممن يعصي"(4).

قال السمعاني:" قوله: {أتصبرون}، أي: فاصبروا، ويقال:أو لا تصبرون"(5).

وفي قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ} [الفرقان : ٢٠]، وجوه من التفسير:

أحدها : فتنة بالعدوان في الدين ، حكاه ابن عيسى(6).

الثاني : أن الفتنة صبر الأنبياء على ما يقول لهم قومهم، قاله يحيى بن سلام(7).

قال ابن عباس:" أي: جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا على ما تسمعون منهم، وترون من خلافهم، وتتبعوا الهدى بغير أن أعطيهم عليه الدنيا، ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي، فلا يخالفون لفعلت، ولكني قد أردت أن أبتلي العباد بكم وأبتليكم بهم"(8). وروي عن ابن ابن إسحاق مثله(9).

عن عياض بن حمار ، عن رسول الله ﷺ : "يقول الله : إني مُبْتَلِيك، ومُبْتَلٍ بك"(10).

الثالث : أنه ابتلاء الشريف بالوضيع، والعربي بالمولى، فاذا أراد الشريف أن يسلم فرأى الوضيع قد سبقه بالإسلام أنف فأقام على كفره، قاله ابن السائب (11).

الرابع : أن المستهزئين من قريش كانوا إذا رأوا فقراء المؤمنين، قالوا: انظروا إلى أتباع محمد من موالينا ورذالتنا، قاله مقاتل(12).

الخامس : أنه افتتان الفقير بالغني أن يقول: لو شاء الله لجعلني مثله غنياً، والأعمى بالبصير أن يقول: لو شاء لجعلني مثله بصيراً ، والسقيم بالصحيح أن يقول: لو شاء لجعلني مثله صحيحاً ، قاله الحسن(1).

---

(١) تفسير الطبري:٢٥٢/١٩.
(٢) انظر: التفسير الميسر:٣٦٢، وصفوة التفاسير:٣٢٨/٢.
(٣) تفسير الطبري:٢٥٢/١٩-٢٥٣.
(٤) تفسير ابن كثير:١٠٠/٦.
(٥) تفسير السمعاني:١٣/٤، ١٤.
(٦) انظر: النكت والعيون:١٣٨/٤.
(٧) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٤٧٤/١.
(٨) أخرجه الطبري:٢٥٣/١٩.
(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٠٥٠):ص٢٦٧٦/٨.
(١٠)صحيح مسلم برقم (٢٨٦٥).
(١١) انظر: زاد المسير:٣١٦/٣.
(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٠/٣.

قال الحسن:" لما عرض على آدم ذريته فرأى فضل بعضهم على بعض قال: يا رب ألا سويت بينهم؟ : قال: يا آدم إني أحب أن أشكر ليرى ذو الفضل فضله فيحمدني ويشكرني"[٢].

قال عكرمة:" هو التفاضل في الدنيا والقدرة وقهر بعضكم لبعض فهي الفتنة التي قال الله: {وكان ربك بصيرا}"[٣].

عن عمرو بن قيس في قوله: "{وجعلنا بعضكم لبعض فتنة}، أن يحسن المليك إلى مملوكه"[٤].

عن ابن جريج، قوله: "{وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون}، قال: يمسك عن هذا، ويوسع على هذا، فيقول: لم يعطني مثل ما أعطى فلانا، ويبتلى بالوجع كذلك، فيقول: لم يجعلني ربي صحيحا مثل فلان في أشباه ذلك من البلاء، ليعلم من يصبر ممن يجزع"[٥].

عن أبي رافع الزرقي قال: "قال رجل: يا رسول الله كيف ترى رقيقنا؟ قوم مسلمون يصلون صلاتنا ويصومون صيامنا نضربهم. فقال رسول الله ﷺ: توزن ذنوبهم وعقوبتكم إياهم فإن كان عقوبتكم أكثر من ذنوبهم أخذوا منكم. قالوا: أفرأيت سبنا إياهم؟ قال: توزن ذنوبهم وأذاكم إياهم فإن كان أذاكم إياهم أكثر أعطوا منكم قال الرجل: ما أسمع عدوا أعرب إلي منهم. فتلا رسول الله ﷺ هذه الآية: {وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا}، قال الرجل: أرأيت يا رسول الله ولدي أضربهم؟ قال: إنك لا تتهم في ولدك. ولا تطيب نفسك تشبع ويجوعوا، ولا تكتس ويعروا"[٦].

قال السمعاني:" عن بعضهم أنه رأى بعض الأغنياء وقد مر عليه في موكبه، فوقف وقرأ قوله تعالى: {وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون} ثم قال: بلى نصبر ربنا، بلى نصبر ربنا، بلى نصبر ربنا، ثلاث مرات. وأورد بعضهم هذه الحكاية للمزني مع الربيع بن سليمان المرادي، وعن داود الطائي أنه مر عليه حميد الطوسي في موكبه، وداود في أطمار له، فقال لنفسه: أتطلبين دنيا سبقك بها حميد؟ "[٧].

وروى: "أن رجلا مر على الحسن البصري، وهو في هيئة حسنة، وسيادة عظيمة من الدنيا، فسأل من هذا؟ فقيل: هذا صراط الحجاج، فقال: هذا الذي أخذ الدنيا بحقها"[٨].

قوله تعالى:{وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا} [الفرقان : ٢٠]، أي:" وكان ربك - أيها الرسول - بصيرًا بمن يجزع أو يصبر، وبمن يكفر أو يشكر"[٩].

قال الطبري:" يقول: وربك يا محمد بصير بمن يجزع ومن يصبر على ما امتحن به من المحن"[١٠].

قال السمعاني:" أي: بصيرا بأعمالكم"[١١].

قال ابن كثير:" أي : بمن يستحق أن يوحى إليه ، كما قال تعالى : { اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ } [الأنعام : ١٢٤] ، ومن يستحق أن يهديه الله لما أرسلهم به ، ومن لا يستحق ذلك"[١٢].

قال ابن جريج:" إن ربك لبصير بمن يجزع، ومن يصبر"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٢٥٣/١٩.
(٢) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤٧٥/١.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٤٨):ص٢٦٧٥/٨.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٤٩):ص٢٦٧٥/٨.
(٥) أخرجه الطبري:٢٥٣/١٩.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٤٦):ص٢٦٧٥/٨.
(٧) تفسير السمعاني:١٣/٤-١٤.
(٨) نقلا عن تفسير السمعاني:١٤/٤.
(٩) التفسير الميسر:٣٦٢.
(١٠) تفسير الطبري:٢٥٢/١٩-٢٥٣.
(١١) تفسير السمعاني:١٤/٤.
(١٢) تفسير ابن كثير:١٠٠/٦.

قال عبدالله بن عبيد بن عكير:" يعني: الناس عامة"[٢].

فوائد الآيات:[١٧-٢٠]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- يا لهول الموقف إذا سئل المعبودون عمن عبدوهم، والمظلومون عمن ظلموهم.

٣- براءة الملائكة والأنبياء والأولياء من عبادة من عبدوهم.

٤- خطورة طول العمر وسعة الرزق إذ غالباً ما ينسى العبد بهما ربه ولقاءه.

٥- تقرير أن الدنيا دار ابتلاء فعلى أولي الحزم أن يعرفوا هذا ويخلصوا منها بالصبر والتحمل في ذات الله حتى يخرجوا منها ولو كفافاً لا لهم ولا عليهم.

القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١)} [الفرقان : ٢١]

التفسير:

وقال الذين لا يؤمِّلون لقاء ربهم بعد موتهم لإنكارهم له: هلا أُنزل علينا الملائكة، فتُخْبِرنا بأن محمدًا صادق، أو نرى ربنا عِيانًا، فيخبرنا بصدقه في رسالته. لقد أُعجِبوا بأنفسهم واستعلَوْا حيث اجترؤوا على هذا القول، وتجاوزوا الحدَّ في طغيانهم وكفرهم.

قال مقاتل:" نزلت في عبد الله بن أمية والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص بن الأحنف وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس العامري، ويغيض بن عامر بن هشام"[٣].

قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا} [الفرقان : ٢١]، أي:" وقال الذين لا يؤمِّلون لقاء ربهم بعد موتهم لإنكارهم له"[٤].

قال مقاتل:" يعني: لا يخشون البعث"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وقال المشركون الذين لا يخافون لقاءنا، ولا يخشون عقابنا"[٦].

قوله تعالى:{لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ} [الفرقان : ٢١]، أي:" هلا أُنزل علينا الملائكة، فتُخْبِرنا بأن محمدًا صادق"[٧].

قال يحيى:" فيشهدوا أنك رسول الله يا محمد"[٨].

قال الطبري:يقول:" أنزل الله علينا ملائكة، فتخبرنا أن محمدا محق فيما يقول، وأن ما جاءنا به صدق "[٩].

عن ابن جريج، قال: "قال كفار قريش: {لولا أنزل علينا الملائكة}، فيخبرونا أن محمدا رسول الله"[١٠].

قوله تعالى:{أَوْ نَرَى رَبَّنَا} [الفرقان : ٢١]، أي:" أو نرى ربنا عِيانًا، فيخبرنا بصدقه في رسالته"[١١].

---

(١) أخرجه الطبري:٢٥٣/١٩.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٥١):ص٢٦٧٦/٨.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٠/٣.

(٤) التفسير الميسر:٣٦١.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٠/٣.

(٦) تفسير الطبري:٢٥٤/١٩.

(٧) التفسير الميسر:٣٦١.

(٨) تفسير يحيى بن سلام:٤٧٥/١.

(٩) تفسير الطبري:٢٥٤/١٩.

(١٠) أخرحه الطبري:٢٥٤/١٩.

(١١) التفسير الميسر:٣٦١.

قال يحيى:" معاينة فيخبرنا أنك رسوله"(١).
قال الطبري:يقول:" أو نرى ربنا فيخبرنا بذلك"(٢).
قوله تعالى:{لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ} [الفرقان : ٢١]، أي:" لقد أُعجِبوا بأنفسهم واستعلَوْا حيث اجترؤوا على هذا القول"(٣).
قال الطبري:يقول:" يقول الله: لقد استكبر قائلو هذه المقالة في أنفسهم، ونعظموا"(٤).
قوله تعالى:{وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا} [الفرقان : ٢١]، أي:" وتجاوزوا الحدَّ في طغيانهم وكفرهم"(٥).
قال مقاتل:" يقول: علوا فى القول علوا شديدا حين قالوا أو نرى ربنا فهكذا العلو فى القول"(٦).
قال الطبري:" يقول: وتجاوزوا في الاستكبار بقيلهم ذلك حده"(٧).
قال يحيى:" وعصوا عصيانا كبيرا"(٨).
قال الزجاج:" فأعلم الله - عز وجل - أن الذين لا يوقنون بالبعث، ولا يرجون الثواب على الأعمال عند لقاء الله طلبوا من الآيات ما لم يأت أمة من الأمم، فأعلم الله عز وجل أنهم قد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا، ويجوز: «عتوا كثيرا»، بالثاء، و«العتو» في اللغة :المجاوزة في القدر في الظلم"(٩).

القرآن
{يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا (٢٢)} [الفرقان : ٢٢]
التفسير:
يوم يرون الملائكة عند الاحتضار، وفي القبر، ويوم القيامة، على غير الصورة التي اقترحوها لا لتبشرهم بالجنة، ولكن لتقول لهم: جعل الله الجنة مكانًا محرمًا عليكم.
قوله تعالى:{يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ} [الفرقان : ٢٢]، أي:" يوم يرى المشركون الملائكة حين تنزل لقبض أرواحهم وقت الاحتضار لن يكون للمجرمين يومئذٍ بشارة تسرهم بل لهم الخيبة والخسران"(١٠).
قال يحيى:" هذا عند الموت، {لا بشرى يومئذ للمجرمين} للمشركين، لا بشرى لهم يومئذ بالجنة، وذلك أن المؤمنين تبشرهم الملائكة عند الموت بالجنة"(١١).
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: يوم يرى هؤلاء الذين قالوا: {لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا} بتصديق محمد الملائكة، فلا بشرى لهم يومئذ بخير"(١٢).
قال الزجاج:" {يوم يرون الملائكة}، هو يوم القيام، والمجرمون: الذين اجترموا الذنوب، وهم في هذا الموضع الذين اجترموا الكفر بالله عز وجل"(١٣).

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٤٧٥/١.
(٢) تفسير الطبري:٢٥٤/١٩.
(٣) التفسير الميسر:٣٦١.
(٤) تفسير الطبري:٢٥٤/١٩.
(٥) التفسير الميسر:٣٦١.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٠/٣.
(٧) تفسير الطبري:٢٥٤/١٩.
(٨) تفسير يحيى بن سلام:٤٧٥/١.
(٩) معانيا لقرآن:٦٣/٤.
(١٠) التفسيرا لميسر:٣٦١.
(١١) تفسير يحيى بن سلام:٤٧٥/١.
(١٢) تفسير الطبري:٢٥٤/١٩.
(١٣) معاني القرآن:٦٤/٤.

قوله تعالى:{وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا} [الفرقان : ٢٢]، أي:" وتقول الملائكة لهم: جعل الله الجنة مكانًا محرمًا عليكم"[١].

قال الطبري:" يعني: أن الملائكة يقولون للمجرمين حجرا محجورا، حراما محرما عليكم اليوم البشرى أن تكون لكم من الله [٢].

وفي قوله تعالى:{وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا} [الفرقان : ٢٢]، ثلاثة وجوه:

أحدها : معناه: معاذ الله أن تكون لكم البشرى يومئذ ، قاله مجاهد[٣].

الثاني : معناه : منعنا أن نصل إلى شيء من الخير ، قاله عكرمة[٤].

الثالث : حراماً محرماً أن تكون لكم البشرى يومئذ ، قاله أبو سعيد الخدري[٥]، والحسن[٦]، وقتادة[٧]، والضحاك[٨]، وعطية[٩]، وعطاء الخراساني[١٠]، وخصيف[١١]، وبه قال الفراء[١٢]، الفراء[١٢]، وأبو عبيدة[١٣]، وابن قتيبة[١٤]، والطبري[١٥]، ومنه قول الملتمس[١٦]:

حَنَّتْ إلى نَخْلَةَ القُصْوَى فَقُلْتُ لَهَا ... حِجْرٌ حَرَامٌ ألا تِلْكَ الدَّهاريسُ

وقول الآخر[١٧]:

فَهَمَمْتُ أنْ أَلْقَى إلَيْها مَحْجَرًا ... وَلَمِثْلُهَا يُلْقَى إلَيْهِ المَحْجَرُ

ومنه قولهم: حجر القاضي على فلان، وحجر فلان على أهله؛ ومنه حجر الكعبة، لأنه لا يدخل إليه في الطواف، وإنما يطاف من ورائه[١٨].

قال أبو سعيد الخدري:" حراما محرما أن نبشركم بما نبشر به المتقين"[١٩].

وفي القائلين حجراً محجوراً قولان :

أحدهما : أنهم الملائكة قالوه للكفار ، قاله أبو سعيد الخدري[٢٠]، ومجاهد[٢١]، والضحاك[٢٢].

---

(١) انظر: التفسير الميسر:٣٦١.[بتصرف]

(٢) تفسير الطبري:٢٥٤/١٩.

(٣) انظ{: تفسير الطبري:٢٥٦/١٩.

(٤) انظر تفسير ابن أبي حاتم(١٥٠٦٢):ص٢٦٧٨/٨.

(٥) انظر تفسير ابن أبي حاتم(١٥٠٥٨):ص٢٦٧٧/٨.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٠٦٤):٢٦٧٨/٨.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٠٦٤):٢٦٧٨/٨.

(٨) انظر: تفسير الطبري:٢٥٥/١٩.

(٩) انظر تفسير ابن أبي حاتم(١٥٠٥٩):ص٢٦٧٧/٨.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٦٧٧/٨. ذكره دون سند.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٦٧٧/٨. ذكره دون سند.

(١٢) معاني القرآن:٢٦٦/٢.

(١٣) انظر: مجاز القرآن:٧٣/٢.

(١٤) انظر: غريب القرآن:٢٦٨.

(١٥) تفسير الطبري:٢٥٤/١٩.

(١٦)البيت للمتلمس جرير بن عبد المسيح (عن معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري: رسم نخلة) .. وحنت: اشتاقت. وفي (اللسان: دهرس) : حجت. ونخلة القصوى: موضع على ليلة من مكة. وقيل: هما نخلة الشامية ونخلة اليمانية؛ فالشامية واد ينصب من الغمير. واليمانية: واد ينصب من بطن قرن المنازل، وهو طريق اليمن إلى مكة. وحجر: مثلث الحاء بمعنى حرام، وفي المعجم البكري: بسل عليك، وهو الحرام أيضًا. والدهاريس جمع دهرس، مثلث الدال، وهي الداهية (عن اللسان) . والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ٧٣/٢، وعنه أخذه الطبري.

(١٧)هو لحميد بن ثور والرواية فى الديوان ٨٤، واللسان: "حجر". وفي رواية الديوان واللسان: "أغشى" في موضع "ألقى".

(١٨) انظر: تفسير الطبري:٢٥٤/١٩.

(١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٥٨):ص٢٦٧٧/٨.

(٢٠) انظر تفسير ابن أبي حاتم(١٥٠٥٨):ص٢٦٧٧/٨.

(٢١) انظ{ر تفسير الطبري:٢٥٦/١٩.

(٢٢) انظر: تفسير الطبري:٢٥٥/١٩.

قال مقاتل:" وذلك أن كفار مكة إذا خرجوا من قبورهم قالت لهم الحفظة من الملائكة- عليهم السلام- حرام محرم عليكم- أيها المجرمون- أن يكون لكم من البشرى شيء حين رأيتمونا، كما بشر المؤمنون في حم السجدة، فذلك قوله: {يقولون}، يعني: الحفظة من الملائكة للكفار: {حجرا محجورا}، يعني: حراما محرما عليكم- أيها المجرمون- البشارة كما بشر المؤمنون"[١].

الثاني : أنهم الكفار قالوه لأنفسهم ، قاله قتادة[٢]، ومجاهد في رواية[٣].

قال مجاهد:" يستعيذون من الملائكة"[٤].

قال قتادة:" هي كلمة كانت العرب تقولها، كان الرجل إذا نزل به شدة قال: حجرا، يقول: حراما محرما"[٥].

قال قتادة:" لما جاءت زلازل الساعة، فكان من زلازلها أن السماء انشقت {فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها} على شفة كل شيء تشقق من السماء، فذلك قوله: {يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون} : يعني الملائكة تقول للمجرمين حراما محرما أيها المجرمون أن تكون لكم البشرى اليوم حين رأيتمونا"[٦].

قال الطبري:" الحجر: هو الحرام، فمعلوم أن الملائكة هي التي تخبر أهل الكفر أن البشرى عليهم حرام. وأما الاستعاذة فإنها الاستجارة، وليست بتحريم، ومعلوم أن الكفار لا يقولون للملائكة حرام عليكم، فيوجه الكلام إلى أن ذلك خبر عن قيل المجرمين للملائكة"[٧].

وقرئت:«حجرا»، بضم الحاء[٨].

القرآن

{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (٢٣)} [الفرقان : ٢٣]

التفسير:

وقَدِمْنا إلى ما عملوه مِن مظاهر الخير والبر، فجعلناه باطلا مضمحلا لا ينفعهم كالهباء المنثور، وهو ما يُرى في ضوء الشمس من خفيف الغبار؛ وذلك أن العمل لا ينفع في الآخرة إلا إذا توفر في صاحبه: الإيمان بالله، والإخلاص له، والمتابعة لرسوله محمد، ﷺ.

قوله تعالى:{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ} [الفرقان : ٢٣]، أي:" وقَدِمْنا إلى ما عملوه الكفار مِن مظاهر الخير والبر"[٩].

عن مجاهد، قوله: "{وقدمنا}: عمدنا"[١٠]. وروى، عن السدي[١١]، وسفيان الثوري[١٢]، مثل ذلك.

قال السدي:" عمدنا وبعضهم يقول: أتينا عليه"[١٣].

قال مجاهد:" قدمنا إلى ما عملوا من خير لا يتقبل منهم"[١٤].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣١/٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٢٥٥/١٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٢٥٦/١٩.
(٤) أخرجه الطبري:٢٥٦/١٩.
(٥) أخرجه الطبري:٢٥٥/١٩.
(٦) أخرجه الطبري:٢٥٦/١٩.
(٧) تفسير الطبري:٢٥٦/١٩.
(٨) انظر: معاني القرآن للزجاج:٦٣/٤.
(٩) انظر: التفسير الميسر:٣٦١.[بتصرف].
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٦٥):ص٢٦٧٨/٨.
(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٦٧٨/٨. ذكره دون سند.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٦٧٨/٨. ذكره دون سند.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٦٦):ص٢٦٧٨/٨.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٦٧):ص٢٦٧٨/٨.

قال ابن المبارك:" كل عمل صالح لا يراد به وجه الله"[١].
قال الفرء:أي:" عمدنا، بفتح العين "[٢].
قال أبو عبيدة: معناه:" وعمدنا إلى ما عملوا، قال[٣]:
فقدم الخوارج الضّلّال ... إلى عباد ربّهم فقالوا"[٤].
قال الزجاج:" معنى {قدمنا}: عمدنا وقصدنا، كما تقول: قام فلان يشتم فلانا، تريد قصد إلى شتم فلان، ولا تريد قام من القيام على الرجلين"[٥].
قوله تعالى:{فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان : ٢٣]، أي:" فجعلناه باطلا مضمحلا لا ينفعهم كالهباء المنثور"[٦].
قال الفرء:" أي: باطلا"[٧].
قال الزجاج:" «الهباء»: ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيها بالغبار، وتأويله: أن الله عز وجل أحبط أعمالهم حتى صارت بمنزلة الهباء المنثور"[٨].
وفي قوله تعالى:{فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان : ٢٣]، خمسة أقوال:
أحدها : أنه رهج الدواب ، قاله علي بن أبي طالب-في رواية-[٩]، وابن عباس -في بعض الروايات-[١٠]، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم[١١]، والضحاك[١٢].
الثاني : أنه كالغبار يكون في شعاع الشمس إذا طلعت في الكوة، قاله علي بن أبي طالب[١٣]، وابن عباس -في بعض الروايات-[١٤]، والحسن[١٥]، ومجاهد، وأبو مالك[١٦]، وعكرمة[١٧]، وسعيد بن جبير[١٨]، والضحاك -في أحد الروايات-[١٩].
قال الحسن:" الشعاع في كوة أحدكم لو ذهب يقبض عليه لم يستطع"[٢٠].
الثالث : أنه ما ذرته الرياح من يابس أوراق الشجر ، قاله قتادة[٢١].
قال قتادة:" أما رأيت يبس الشجر إذا ذرته الريح فهو ذلك يعني الورق"[٢٢].
الرابع : أنها الماء المراق ، قاله ابن عباس أيضا[٢٣].
الخامس : أن «الهباء»: الرماد ، قاله عبيد بن يعلى[١].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٦٨):ص٢٦٧٨/٨.
(٢) معاني القرآن:٢٦٦/٢.
(٣)الأشطار فى الطبري ١٩/ ٣ القرطبي ١٣/ ٢١.
(٤) .
(٥) معاني القرآن:٦٤/٤.
(٦) التفسير الميسر:٣٣٠/٢.
(٧) معاني القرآن:٢٦٦/٢.
(٨) معاني القرآن:٦٤/٤.
(٩)انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٠٦٩):ص٢٦٧٩/٨ .
(١٠)انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٦٨٩/٨ . ذكره دون الإسناد.
(١١)انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٦٨٩/٨ . ذكره دون الإسناد.
(١٢)انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٦٨٩/٨ . ذكره دون الإسناد.
(١٣)انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٠٧١):ص٢٦٧٩/٨ .
(١٤)انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٦٨٩/٨ . ذكره دون الإسناد.
(١٥)انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٠٧٢):ص٢٦٧٩/٨.
(١٦)انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٦٨٩/٨ . ذكره دون الإسناد.
(١٧)انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٦٨٩/٨ . ذكره دون الإسناد.
(١٨)انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٦٨٩/٨ . ذكره دون الإسناد.
(١٩)انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٦٨٩/٨ . ذكره دون الإسناد.
(٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٧٢):ص٢٦٧٩/٨.
(٢١)انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٠٧٤):ص٢٦٧٩/٨.
(٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٧٤):ص٢٦٧٩/٨.
(٢٣)انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٠٧٣):ص٢٦٧٩/٨.

القرآن

{أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا (٢٤)} [الفرقان : ٢٤]

التفسير:

أصحاب الجنة يوم القيامة خير مستقرًا من أهل النار وأحسن منازل في الجنة، فراحتهم تامة، ونعيمهم لا يشوبه كدر.

قوله تعالى:{أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا} [الفرقان : ٢٤]، أي:" أصحابُ الجنة يوم القيامة خيرٌ من الكفار مستقراً ومنزلاً ومأوى"(٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أهل الجنة يوم القيامة خير مستقرا، وهو الموضع الذي يستقرون فيه من منازلهم في الجنة من مستقر هؤلاء المشركين الذين يفتخرون بأموالهم، وما أوتوا من عرض هذه الدنيا في الدنيا"(٣).

قال ابن كثير:" أي : بما عملوه من الأعمال المتقبلة ، نالوا ما نالوا ، وصاروا إلى ما صاروا إليه، بخلاف أهل النار فإنه ليس لهم عمل واحد يقتضي لهم دخول الجنة والنجاة من النار ، فَنَبَّه ـ تعالى ـ بحال السعداء على حال الأشقياء ، وأنه لا خير عندهم بالكلية"(٤).

عن سعيد بن جبير قوله: "{يومئذ}، يعنى: يوم القيامة"(٥).

قال أبو سنان:" المستقر: الجنة"(٦).

عن أبي سعيد الخدري قال: "قال رسول الله ﷺ: إن أول زمرة تدخل الجنة يوم القيامة وجوههم على مثل صورة القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب دري في السماء"(٧).

قوله تعالى:{وَأَحْسَنُ مَقِيلًا} [الفرقان : ٢٤]، أي:" وأحسنُ منهم مكاناً للتمتع وقت القيلولة، وهي الاستراحة نصف النهار"(٨).

قال قتادة:" أي: مأوى ومنزلا"(٩).

قال الطبري:يقول:" وأحسن منهم فيها مقيلا، فإن قال قائل: وهل في الجنة قائلة؟ فيقال: {وأحسن مقيلا} فيها؟

قيل: معنى ذلك: وأحسن فيها قرارا في أوقات قائلتهم في الدنيا، وذلك أنه ذكر أن أهل الجنة لا يمر فيهم في الآخرة إلا قدر ميقات النهار من أوله إلى وقت القائلة، حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة، فذلك معنى قوله: {وأحسن مقيلا}"(١٠).

قال صفوان بن محرز:" يجئ يوم القيامة برجلين كان أحدهما ملكا في الدنيا إلى الحمرة والبياض فيحاسب، فإذا عبد لم يعمل خيرا، فيؤمر به إلى النار، والآخر صاحب كساء في الدنيا فيحاسب، فيقول: يا رب ما أعطيتني من شيء فتحاسبني به، فيقول صدق عبدي فأرسلوه فيؤمر به إلى الجنة، ثم يتركان ما شاء الله ثم يدعى صاحب النار، فإذا هو مثل الحممة(١١) السوداء،

---

(١)انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٠٧٥):ص٨/٢٦٨٠.

(٢) صفوة التفاسير:٢/٣٣٠.

(٣) تفسير الطبري:١٩/٢٥٨.

(٤) تفسير ابن كثير:٦/١٠٤.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٧٧):ص٨/٢٦٨٠.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٧٨):ص٨/٢٦٨٠.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٧٦):ص٨/٢٦٨٠.

(٨) صفوة التفاسير:٢/٣٣٠.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٨٤):ص٨/٢٦٨١.

(١٠) تفسير الطبري:١٩/٢٥٨.

(١١)الفحمة.

فيقال له كيف وجدت؟ فيقول: شر مقيل، فيقال له: عد. ثم يدعى بصاحب الجنة فإذا هو مثل القمر ليلة البدر، فيقال له: كيف وجدت؟ فيقول رب: خير مقيل، فيقال له: عد"[١].

وفي قوله تعالى:{وَأَحْسَنُ مَقِيلًا} [الفرقان : ٢٤]، وجوه:

أحدها : أنه المستقر في الجنة والمقيل دونها ، قاله أبو سنان[٢].

الثاني : أنه عنى موضع القائلة للدعة وإن لم يقيلوا ، ذكره ابن عيسى[٣].

الثالث : أنه يقيل أولياء الله بعد الحساب على الأسرة مع الحور العين، ويقيل أعداء الله مع الشياطين المقرنين ، قاله ابن عباس[٤].

قال ابن عباس:" إنما هي ضحوة فيقيل أولياء الله على الأسرة مع الحور العين ويقيل أعداء الله مع الشياطين المقرنين"[٥].

الرابع : أنه إذا فرغ من عرض الكفار، أخرج لهم عنق من النار يحيط بهم، فذلك قوله: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا} [الكهف : ٢٩]، ثم خرج من النار دخان ظل أسود فيتفرق عليهم من فوقهم ثلاث فرق وهم في السرادق فينطلقون يستظلون تحتها مما أصابهم من حر السرادق فيأخذهم الغثيان والشدة من حره، وهو أخف العذاب، فيقبلون فيها لا مقبل راحة، فذلك مقيل أهل النار، ثم يدخلون النار أفواجا أفواجا. وهذا قول مقاتل[٦].

الخامس : لأنه يفرغ من حسابهم وقت القائلة وهو نصف النهار، فذلك أحسن مقيلاً ، من مقيل الكفار في النار، وهذا قول سعيد بن جبير[٧]، وعكرمة[٨]، وإبراهيم[٩]، وابن جريج[١٠]، وسعيد وسعيد الصارف[١١]، وبه قال الفراء[١٢].

قال سعيد بن جبير:" يفرغ الله من حساب الناس نصف النهار فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، فيقول الله يومئذ :{أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا}"[١٣].

قال إبراهيم:" كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس يوم القيامة في نصف النهار، فيقيل هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار"[١٤].

قال ابن جريج:" لم ينتصف النهار حتى يقضي الله بينهم، فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار"[١٥].

وقال ابن عباس:" كان الحساب من ذلك في أوله، وقال القوم حين قالوا في منازلهم من الجنة، وقرأ: {أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا}"[١٦].

عن عمرو بن الحارث :"أن سعيدا الصواف حدثه أنه بلغه أن يوم القيامة يقضي على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس، وأنهم يقيلون في رياض الجنة حتى يفرغ من الناس، فذلك قول الله: {أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا}"[١].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٨٥):ص٢٦٨١/٨.
(٢) انظر: النكت والعيون:١٤١/٤.
(٣) انظر: النكت والعيون:١٤١/٤.
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٠٨٠):ص٢٦٨٠/٨.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٨٠):ص٢٦٨٠/٨.
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣١/٣.
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٠٨١):ص٢٦٨١/٨.
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٠٨٢):ص٢٦٨١/٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٢٥٩/١٩.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٢٥٩/١٩.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٢٥٩/١٩.
(١٢) انظر: معاني القرآن:٢٦٦/٢.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٨١):ص٢٦٨١/٨.
(١٤) أخرجه الطبري:٢٥٩/١٩.
(١٥) أخرجه الطبري:٢٥٩/١٩.
(١٦) أخرجه الطبري:٢٥٩/١٩.

قال عكرمة:" إني لأعرف الساعة التي يدخل فيها أهل الجنة الجنة وأهل النار النار الساعة التي تكون في الدنيا ارتفاع الضحى الأكبر إذا انقلب الناس إلى أهليهم للقيلولة فينصرف أهل النار إلى النار، وأما أهل الجنة فينطلق بهم إلى الجنة فكانت قيلولتهم في الجنة وأطعموا كبد حوت فأشبعهم ذلك كلهم. فذلك قوله: {أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا}"[٢].

وقال عبد الله بن مسعود:" لا ينتصف النهار حتى يقيل أهل الجنة وأهل النار، ثم قرأ: {أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا}، ثم قرأ: {إن مرجعهم لإلى الجحيم}"[٣].

قال الزجاج:" «المقيل»: المقام وقت القائلة، وقيل: هو النوم نصف النهار، وجاء في التفسير أن أهل الجنة يصيرون إلى أهليهم في الجنة وقت نصف النهار"[٤].

فوائد الآيات:[٢١-٢٤]:

١- بيان ما كان عليه غلاة المشركين من قريش من كبر وعتو وطغيان.
٢- إثبات رؤية الملائكة عند قبض الروح، ويوم القيامة.
٣- نفي البشرى عن المجرمين وإثباتها للمؤمنين المتقين.
٤- حبوط عمل المشركين وبطلانه حيث لا ينتفعون بشيء منه البتة.
٥- انتهاء حساب المؤمنين قبل نصف يوم الحساب الذي مقداره خمسون ألف سنة.

القرآن

{وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (٢٥)} [الفرقان : ٢٥]

التفسير:

واذكر - أيها الرسول - ذلك اليوم الذي تتشقق فيه السماء، ويظهر من فتحاتها السحاب الأبيض الرقيق، وينزل الله ملائكة السموات يومئذ، فيحيطون بالخلائق في المحشر.

قوله تعالى:{وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ} [الفرقان : ٢٥]، أي:" واذكر - أيها الرسول - ذلك اليوم الذي تتشقق فيه السماء، ويظهر من فتحاتها السحاب الأبيض الرقيق"[٥].

قال مقاتل:" عني السموات السبع، يقول عن الغمام وهو أبيض كهيئة الضبابة لنزول الرب- عز وجل- وملائكته"[٦].

عن مجاهد قوله: "{يوم}، قال: يوم القيامة، {السماء بالغمام}، قال: هو الذي في ظلل من الغمام يأتي الله فيه يوم القيامة ولم يكن قط إلا لبني إسرائيل"[٧].

قال الضحاك:" هو قطع السماء إذا تشققت"[٨].

قال يحيى:" يجيء الغمام هذا بعد البعث، تشقق فتراها واهية، متشققة كقوله: {وفتحت السماء فكانت أبوابا} [النبأ: ١٩] ويكون الغمام سترة بين السماء والأرض"[٩].

عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: "{ويوم تشقق السماء بالغمام}، قال: هو الذي قال: {في ظلل من الغمام}، الذي يأتي الله فيه يوم القيامة، ولم يكن في تلك قط إلا لبني إسرائيل. قال ابن جريج: الغمام الذي يأتي الله فيه غمام زعموا في الجنة"[١٠].

---

(١) أخرجه الطبري:٢٥٩/١٩.
(٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٨٢):ص٢٦٨١/٨.
(٣) تفسير سفيان الثوري(٧٣٣: ٣: ١):ص٢٢٦، وتفسير ابن ابي حاتم(١٥٠٧٩):ص٢٦٨٠/٨، بلفظ:" لا ينتصف النهار حتى يقيل هؤلاء وهؤلاء"؟
(٤) معاني القرآن:٦٤/٤.
(٥) التفسير الميسر:٣٦٢.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٢/٣.
(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٨٦)، (١٥٠٨٨):ص٢٦٨٢/٨.
(٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٨٧):ص٢٦٨٢/٨.
(٩) تفسير يحيى بن سلام:٤٧٧/١.
(١٠) اخرجه الطبري:٢٦٠/١٩.

قال عبد الله بن عمرو: "يهبط الله حين يهبط، وبينه وبين خلقه سبعون حجابا، منها النور والظلمة والماء، فيصوت الماء صوتا تنخلع له القلوب"(١).

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن هَول يوم القيامة ، وما يكون فيه من الأمور العظيمة ، فمنها انشقاق السماء وتفطرها وانفراجها بالغمام ، وهو ظُلَل النور العظيم الذي يبهر الأبصار"(٢).

ويقرأ :«تشّقق»، بالتشديد(٣).

قوله تعالى:{وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا} [الفرقان : ٢٥]، أي:" ونزلت الملائكة فأحاطت بالخلائق في المحشر"(٤).

قال الطبري:" يقول: ونزل الملائكة إلى الأرض تنزيلا"(٥).

قال يحيى:أي:" مع الرحمن. هو مثل قوله: {هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة} [البقرة: ٢١٠]، ومثل قوله: {وجاء ربك والملك صفا صفا} [الفجر: ٢٢]"(٦).

قال ابن عباس:" يعني: يوم القيامة حين تشقق السماء بالغمام، وتنزل الملائكة تنزيلا"(٧).

قال ابن كثير:" فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر. ثم يجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء"(٨).

قال ابن عباس:" إن هذه السماء إذا انشقت نزل منها من الملائكة أكثر من الجن والإنس، وهو يوم التلاق، يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض، فيقول أهل الأرض: جاء ربنا، فيقولون: لم يجيء وهو آت، ثم تتشقق السماء الثانية، ثم سماء سماء على قدر ذلك من التضعيف إلى السماء السابعة، فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السماوات ومن الجن والإنس. قال: فتنزل الملائكة الكروبيون، ثم يأتي ربنا تبارك وتعالى في حملة العرش الثمانية، بين كعب كل ملك وركبته مسيرة سبعين سنة، وبين فخذه ومنكبه مسيرة سبعين سنة، قال: وكل ملك منهم لم يتأمل وجه صاحبه، وكل ملك منهم واضع رأسه بين ثدييه يقول: سبحان الملك القدوس، وعلى رءوسهم شيء مبسوط كأنه القباء، والعرش فوق ذلك، ثم وقف"(٩).

قال شهر بن حوشب: "حملة العرش ثمانية، فأربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على حلمك بعد علمك. وأربعة يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك"(١٠).

قال شهر بن حوشب: "إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم العكاظي، ثم يحشر الله فيها الخلائق من الجن والإنس، ثم أخذوا مصافهم من الأرض، ثم ينزل أهل السماء الدنيا بمثل من في الأرض وبمثلهم معهم من الجن والإنس، حتى إذا كانوا على رءوس الخلائق أضاءت الأرض لوجوههم وخر أهل الأرض ساجدين وقالوا: أفيكم ربنا؟ قالوا: ليس فينا وهو آت، ثم أخذوا مصافهم من الأرض. ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثل من في الأرض من الجن والإنس والملائكة الذين نزلوا قبلهم ومثلهم معهم، حتى إذا كانوا مكان أصحابهم أضاءت الأرض لوجوههم وخر أهل الأرض ساجدين وقالوا: أفيكم ربنا؟ قالوا ليس فينا وهو آت، ثم

---

(١) اخرجه الطبري:٢٦٠/١٩.
(٢) تفسير ابن كثير:١٠٥/٦.
(٣) انظر: معاني القرآن للفراء:٢٦٧/٢.
(٤) صفوة التفاسير:٣٣٠/٢.
(٥) تفسير الطبري:٢٦١/١٩.
(٦) تفسير يحيى بن سلام:٤٧٧/١.
(٧) أخرجه الطبري:٢٦١/١٩.
(٨) تفسير ابن كثير:١٠٥/٦.
(٩) أخرجه الطبري:٢٦١/١٩.
(١٠) أخرجه الطبري:٢٦١/١٩.

أخذوا مصافهم من الأرض. ثم ينزل أهل السماء الثالثة بمثل من في الأرض من الجن والإنس والملائكة الذين نزلوا قبلهم ومثلهم معهم، حتى إذا كانوا مكان أصحابهم أضاءت الأرض لوجوههم وخر أهل الأرض ساجدين، وقالوا: أفيكم ربنا؟ قالوا: ليس فينا وهو آت، ثم ينزل أهل السماء الرابعة على قدرهم من التضعيف، ثم ينزل أهل السماء الخامسة على قدر ذلك من التضعيف، ثم ينزل أهل السماء السادسة على قدر ذلك من التضعيف، ثم ينزل أهل السماء السابعة على قدر ذلك من التضعيف. ثم ينزل الجبار تبارك وتعالى قال: {والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية} [الحاقة: ١٧] تحمله الملائكة على كواهلها بأيد وقوة وحسن وجمال حتى إذا جلس على كرسيه نادى بصوته: {لمن الملك اليوم} [غافر: ١٦] فلا يجيبه أحد فيرد على نفسه: {لله الواحد القهار {١٦} اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب {١٧} } [غافر: ١٦-١٧] . ثم أتت عنق من النار تسمع وتبصر وتكلم حتى إذا أشرفت على رءوس الخلائق نادت بصوتها: ألا إني قد وكلت بثلاثة، ألا إني قد وكلت بثلاثة، ألا إني قد وكلت بثلاثة: بمن دعا مع الله إلها آخر، ومن دعا لله ولدا، ومن زعم أنه العزيز الحكيم. ثم صوبت رأسها وسط الخلائق فالتقطتهم كما يلتقط الحمام حب السمسم، ثم غاضت بهم فألقتهم في النار، ثم عادت حتى إذا كانت بمكانها نادت: ألا إني قد وكلت بثلاثة: بمن سب الله، وبمن كذب على الله، وبمن آذى الله. فأما الذي سب الله فالذي زعم أنه اتخذ ولدا وهو الواحد الصمد {لم يلد ولم يولد {٣} ولم يكن له كفوا أحد {٤} } [الإخلاص: ٣-٤]، وأما الذي كذب على الله فقال: {وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون {٣٨} ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين {٣٩} } [النحل: ٣٨-٣٩] وأما الذين آذوا الله فالذين يصنعون الصور، فتلتقطهم كما تلتقط الطير الحب حتى تغيض بهم في جهنم"[١].

القرآن

{الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (٢٦)} [الفرقان : ٢٦]

التفسير:

المُلْك الحق في هذا اليوم للرحمن وحده دون مَن سواه، وكان هذا اليوم صعبًا شديدًا على الكافرين، لما ينالهم من العقاب والعذاب الأليم.

قوله تعالى:{الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ} [الفرقان : ٢٦]، أي:" المُلْك الحق في هذا اليوم للرحمن وحده دون مَن سواه"[٢].

قال الطبري:" يقول: الملك الحق يومئذ خالص للرحمن دون كل من سواه، وبطلت الممالك يومئذ سوى ملكه. وقد كان في الدنيا ملوك، فبطل الملك يومئذ سوى ملك الجبار"[٣].

قال الزجاج:" «الحق»: صفة للملك، ومعناه: أن الملك الذي هو الملك حقا هو ملك الرحمن يوم القيامة كما قال عز وجل: {لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ } [غافر : ١٦]، لأن الملك الزائل كأنه ليس بملك"[٤].

قال يحيى:" يخضع الملوك يومئذ لملك الله والجبابرة لجبروت الله"[٥].

عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يطوي الأرضين ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون»[٦].

---

(١) اخرجه يحيى بن سلام في التفسير:١/٤٧٨-٤٧٩.
(٢) صفوة التفاسير:٢/٣٣٠.
(٣) تفسير الطبري:١٩/٢٦١.
(٤) معاني القرآن:٤/٦٥.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:١/٤٧٩.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٩٠):ص٨/٢٦٨٣.

عن ابن عباس: "«الرحمن»: الفعلان، من الرحمة، وهو من كلام العرب: الرحمن"(١).
قال الضحاك:" الرحمن بجميع خلقه"(٢).
قوله تعالى:{وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا} [الفرقان : ٢٦]، أي:" وكان هذا اليوم صعبًا شديدًا على الكافرين، لما ينالهم من العقاب والعذاب الأليم"(٣).
قال الطبري:" يقول: وكان يوم تشقق السماء بالغمام يوما على أهل الكفر بالله صعبا شديدا"(٤).
قال يحيى:{عسيرا}، أي:" شديدا"(٥).
قال السمعاني:" ومن شدته أن الله يطول عليهم ذلك اليوم كما يقصره على المؤمنين على ما بينا، وفي بعض الأخبار: أن جهنم تفور يوم القيامة، فيتبدد الناس ويتفرقون، فكلما وصلوا إلى قطر من الأقطار، وجدوا سبعة من صفوف الملائكة أدخلوا أجنحتهم بعضهم في بعض، ثم قرأ: {وكان يوما على الكافرين عسيرا}"(٦).
قال ابن كثير:" أي : شديدا صعبا ؛ لأنه يوم عدل وقضاء فصل ، كما قال تعالى : { [فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ}، { فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ } [المدثر : ٨ - ١٠] ، فهذا حال الكافرين في هذا اليوم. وأما المؤمنون فكما قال تعالى : { لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } [الأنبياء : ١٠٣]"(٧).
قال القشيري:" يريد يوم القيامة إذا بدت أهوالها، وظهرت للمبعوثين أحوالها عملوا وتحققوا- ذلك اليوم- أن الملك للرحمن، ولم يتخصص ملكه بذلك اليوم، وإنما علمهم ويقينهم حصل لهم ذلك الوقت"(٨).
قال قتادة:" فبيّن الله على من يقع فقال: {على الكافرين}"(٩).
قال مقاتل:" ويهون على المؤمن كأدنى صلاته"(١٠).
عن أبي سعيد الخدري قال :" قيل : يا رسول الله : { يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ } ما أطول هذا اليوم ؟ فقال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده ، إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا»"(١١).

القرآن

{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩)} [الفرقان : ٢٧ - ٢٩]

التفسير:
واذكر - أيها الرسول - يوم يَعَضُّ الظالم لنفسه على يديه ندمًا وتحسرًا قائلا يا ليتني صاحبت رسول الله محمدًا ﷺ واتبعته في اتخاذ الإسلام طريقًا إلى الجنة، ويتحسَّر قائلا يا ليتني لم أتخذ الكافر فلانًا صديقًا أتبعه وأوده. لقد أضلَّني هذا الصديق عن القرآن بعد إذ جاءني. وكان الشيطان الرجيم خذولا للإنسان دائمًا.

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٩١):ص٢٦٨٣/٨.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٩٢):ص٢٦٨٣/٨.
(٣) صفوة التفاسير:٣٣٠/٢.
(٤) تفسير الطبري:٢٦١/١٩-٢٦٢.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٤٧٩/١.
(٦) تفسير السمعاني:١٦/٤.
(٧) تفسير ابن كثير:١٠٧/٦.
(٨) لطائف الإشارات:٦٣٣/٢.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٩٣):ص٢٦٨٣/٨.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٢/٣.
(١١)المسند (٧٥/٣) وفي إسناده دراج عن أبي الهيثم ضعيف.

سبب النزول:

قال ابن عباس:" كان أبي بن خلف يحضر النبي ﷺ، فزجره عقبة بن أبي معيط، فنزل: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا}... إلى قوله {خَذُولا} قال: «الظالم»: عقبة، و«فلانا خليلا»: أبي بن خلف"(١).

قال سعيد بن المسيب:" نزلت في أمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا}، قال: هذا عقبة: { يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا} { يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا}، قال: أمية، وكان عقبة خدنا لأمية، فبلغ أمية أن عقبة يريد الإسلام فقال: وجهي من وجهك حرام إن أسلمت أن أكلمك أبدا"(٢).

قال مقسم:" اجتمع عقبة بن أبي معيط وأبيّ بن خلف، وكانا خليلين، فقال أحدهما لصاحبه: بلغني أنك أتيت محمدا فاستمعت منه، والله لا أرضى عنك حتى تتفل في وجهه وتكذّبه، فلم يسلطه الله على ذلك، فقتل عقبة يوم بدر صبرا(٣)، وأما أُبيّ بن خلف فقتله النبيّ صلى الله عليه وسلم بيده يوم أُحد في القتال، وهما اللذان أنزل الله فيهما: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا}"(٤).

قوله تعالى:{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ} [الفرقان : ٢٧]، أي:" واذكر - أيها الرسول - يوم يَعَضُّ الظالم لنفسه على يديه ندمًا وتحسرًا"(٥).

قال الطبري: يقول:" ويوم يعض الظالم نفسه المشرك بربه على يديه ندما وأسفا على ما فرط في جنب الله، وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه"(٦).

قال يحيى:" أبي بن خلف: يأكلها ندامة يوم القيامة"(٧).

قوله تعالى:{يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا} [الفرقان : ٢٧]، أي:" يقول الظالم: يا ليتني صاحبت رسول الله محمدًا ﷺ واتبعته في اتخاذ الإسلام طريقًا إلى الجنة"(٨).

قال الطبري: " يقول: يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول سبيلا يعني طريقا إلى النجاة من عذاب الله"(٩).

قال يحيى:" مع محمد إلى الله، {سبيلا} باتباعه"(١٠).

وفي قوله تعالى:{يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا} [الفرقان : ٢٧]، وجهان:

احدها: أنه قول أبيّ بن خلف في الآخرة. قاله مجاهد(١١).

الثاني: أنه عقبة بن أبي معيط. قاله سعيد بن المسيب(١٢).

قوله تعالى:{يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا} [الفرقان : ٢٨]، أي:" هلاكي وحسرتي يا ليتني لم أصاحب فلاناً واجعله صديقاً لي"(١٣).

وفي قوله تعالى:{يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا} [الفرقان : ٢٨]، اقوال:

أحدها : يعني: الشيطان ، قاله مجاهد-في رواية-(١٤)، وابو رجاء(١).

---

(١) أخرجه الطبري:٢٦٢/١٩.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٠٦):ص٢٦٨٦/٨.

(٣)يقال: قتل فلان صبرًا: قدم فقتل، وهو يرى وينظر، وهو غير من يقتل في حرب أو حادث.

(٤) اخرجه الطبري:٢٦٢/١٩-٢٦٣.

(٥) التفسير الميسر:٣٦٢.

(٦) تفسير الطبري:٢٦٢/١٩.

(٧) تفسير يحيى بن سلام:٤٧٩/١.

(٨) التفسير الميسر:٣٦٢.[بتصرف]

(٩) تفسير الطبري:٢٦٢/١٩.

(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٤٧٩/١.

(١١) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٧٩/١.

(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥١٠٦):ص٢٦٨٦/٨.

(١٣) صفوة التفاسير:٣٣١/٢.

(١٤) انظر: تفسير الطبري:٢٦٣/١٩.

قال الزجاج:" وتصديق هذا القول :{وكان الشيطان للإنسان خذولا}، ولا يمتنع أن يكون قبوله من أمية من عمل الشيطان وأعوانه"[٢].

الثاني : أنه عقبة بن أبي معيط. وهذا قول أبو مالك الغفاري[٣]، ويحيى بن سلام[٤].

الثالث: أنه أُبيّ بن خلف ، قاله ابن عباس[٥]، وابن سابط[٦]، وعمرو بن ميمون[٧]، ومجاهد-في رواية أخرى-[٨].

الرابع : أنه أمية بن خلف، قاله سعيد بن المسيب[٩]، والشعبي[١٠]، والسدي[١١]، ومجاهد-في بعض الروايات-[١٢].

قال الشعبي:" كان عقبة بن أبي معيط خليلا لأمية بن خلف، فأسلم عقبة، فقال أمية: وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمدا فكفر؛ وهو الذي قال: {لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا}"[١٣].

عن مجاهد: "{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ}، قال: عقبة بن أبي معيط دعا مجلسا فيهم النبيّ ﷺ لطعام، فأبى النبيّ ﷺ أن يأكل، وقال: "ولا آكُل حتى تَشْهَدَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ مُحمَّدًا رسُولُ الله"، فقال: ما أنت بآكل حتى أشهد؟ قال: "نعم"، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ مُحمَّدًا رسُولُ الله. فلقيه أمية بن خلف فقال: صبوت؟ فقال: إن أخاك على ما تعلم، ولكني صنعت طعاما فأبى أن يأكل حتى أقول ذلك، فقلته، وليس من نفسي"[١٤].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول وما جاء به من عند الله من الحق المبين ، الذي لا مِرْية فيه ، وسلك طريقا أخرى غير سبيل الرسول ، فإذا كان يوم القيامة نَدمَ حيثُ لا ينفعه النَدَمُ ، وعضّ على يديه حسرةً وأسفا، وسواء كان سبب نزولها في عقبة بن أبي مُعَيط أو غيره من الأشقياء ، فإنها عامة في كل ظالم ، كما قال تعالى : { يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا } [الأحزاب : ٦٦ - ٦٨] فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم ، ويَعَض على يديه قائلا { يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا } يعني : مَن صرفه عن الهدى ، وعدل به إلى طريق الضلالة من دعاة الضلالة، وسواء في ذلك أمية بن خلف ، أو أخوه أبي بن خلف ، أو غيرهما"[١٥].

قال القشيري:" يندم الكافر على صحبة الكفار. ودليل الخطاب يقتضى سرور المؤمنين بمصاحبة أخدانهم وأحبائهم فى الله، وأما الكافر فيضل صاحبه فيقع معه فى الثبور، ولكن المؤمن يهدى صاحبه إلى الرشد فيصل به إلى السرور"[١٦].

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥١١٠):ص٢٦٨٦/٨.
(٢) معاني القرآن:٦٥/٤.
(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥١٠٨):ص٢٦٨٦/٨.
(٤) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٤٧٩/١.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٢٦٢/١٩، ٢٦٣.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥١٠٥):ص٢٦٨٦/٨.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٦٨٦/٨. ذدره دون الإسناد.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٢٦٣/١٩.
(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥١٠٦):ص٢٦٨٦/٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٢٦٢/١٩.
(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥١٠٧):ص٢٦٨٦/٨.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٢٦٣/١٩.
(١٣) أخرجه الطبري:٢٦٢/١٩.
(١٤) أخره الطبري:٢٦٣/١٩.
(١٥) تفسير ابن كثير:١٠٨/٦.
(١٦) لطائف الإشارات:٦٣٤/٢.

قوله تعالى:{لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي} [الفرقان : ٢٩]، أي:" لقد أضلني عن الهدى والإيمان بعد أن اهتديت وآمنت"(١).

قال يحيى:" {لقد أضلني عن الذكر}، عن القرآن"(٢).

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن هذا النادم على ما سلف منه في الدنيا، من معصية ربه في طاعة خليله: لقد أضلني عن الإيمان بالقرآن، وهو الذكر، بعد إذ جاءني من عند الله، فصدّني عنه"(٣).

قال ابن كثير:"{ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ } وهو القرآن، { بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي }، أي : بعد بلوغه إلي "(٤).

عن عمرو بن ميمون قوله: "{لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني}، يعنى: الإسلام"(٥).

قوله تعالى:{وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا} [الفرقان : ٢٩]، أي:" وكان الشيطان الرجيم خذولا للإنسان دائمًا"(٦).

قال الطبري:" يقول: مسلما لما ينزل به من البلاء غير منقذه ولا منجيه"(٧).

قال ابن كثير:" يخذله عن الحق ، ويصرفه عنه ، ويستعمله في الباطل ، ويدعوه إليه"(٨).

عن السدي: "{لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا}، فقتلا يوم بدر جميعا"(٩).

قال قتادة:" خذله يوم القيامة وتبرأ منه"(١٠).

قال خصيف:" «الشيطان»: إبليس"(١١).

قال ابن عباس:" خلق الله آدم في آخر ساعات النهار من يوم الجمعة، ثم عهد إليه فنسي، فسمي: الإنسان"(١٢).

فوائد الآيات:[٢٥-٢٩]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر البعث والجزاء وبذكر أحوالها وبعض أهوالها.

٢- إثبات مجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء يوم القيامة.

وهذه الآية وحدها لا تستقل بإثبات صفة المجيء، فالتنزيل هنا مضاف إلى الملائكة، لكن لابد أن نربط بين هذه الآية وبين الآية الأولى: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ} [البقرة:٢١٠]، فالظلل من الغمام في آية البقرة هي الغمام الموجودة في آية الفرقان.

٣- تندم الظلمة وتحسرهم على ما فاتهم من الإيمان والطاعة لله ورسوله.

٤- بيان سوء عاقبة موالاة شياطين الإنس والجن وطاعتهم في معصية الله ورسوله.

٥-وفي هذه الآيات التحذير من مصاحبة قرين السوء؛ فإنه قد يكون سببًا لإدخال قرينه النار.

٦- تقرير مبدأ أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إذ عقبة بن أبي معيط هو الذي أطاع أبي بن خلف حيث آمن، ثم لامه أُبي بن خلف فارتد عن الإسلام فهو المتندم المتحسر القائل :

---

(١) صفوة التفاسير:٣٣١/٢.

(٢) تفسير يحيى بن سلام:٤٧٩/١.

(٣)تفسير الطبري:٢٦٣/١٩ .

(٤) تفسير ابن كثير:١٠٨/٦.

(٥) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥١١١):ص٢٦٨٧/٨.

(٦) التفسير الميسر:٣٦٢.

(٧)تفسير الطبري:٢٦٣/١٩ .

(٨) تفسير ابن كثير:١٠٨/٦.

(٩) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥١١٥):ص٢٦٨٧/٨.

(١٠) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥١١٤):ص٢٦٨٧/٨.

(١١) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥١١٢):ص٢٦٨٧/٨.

(١٢) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥١١٣):ص٢٦٨٧/٨.

{يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩)} [الفرقان : ٢٨ - ٢٩].

القرآن

{وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠)} [الفرقان : ٣٠]

التفسير:

وقال الرسول شاكيًا ما صنع قومه: يا ربِّ إن قومي تركوا هذا القرآن وهجروه، متمادين في إعراضهم عنه وتَرْكِ تدبُّره والعمل به وتبليغه. وفي الآية تخويف عظيم لمن هجر القرآن فلم يعمل به.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وقال الرسول يوم يعضّ الظالم على يديه: يا ربّ إن قومي الذين بعثتني إليهم لأدعوهم إلى توحيدك اتخذوا هذا القرآن مهجورا"[١].

قال السعدي:" {وَقَالَ الرَّسُولُ} مناديا لربه وشاكيا له إعراض قومه عما جاء به، ومتأسفا على ذلك منهم: {يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي} الذي أرسلتني لهدايتهم وتبليغهم، {اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} أي: قد أعرضوا عنه وهجروه وتركوه مع أن الواجب عليهم الانقياد لحكمه والإقبال على أحكامه، والمشي خلفه"[٢].

اختلف أهل العلم في معنى اتخاذهم القرآن مهجورا، على ثلاثة أقوال:

أحدها : أنهم هجروه بإعراضهم عنه فصار مهجوراً ، قاله ابن زيد[٣].

قال ابن زيد:" لا يريدون أن يسمعوه، وإن دعوا إلى الله قالوا لا. وقرأ {وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ}، قال: ينهون عنه، ويبعدون عنه"[٤].

قال مقاتل:" {إن قومي} قريشا {اتخذوا هذا القرآن مهجورا}، يقول: تركوا الإيمان بهذا القرآن، فهم مجانبون له"[٥].

قال الفراء: أي:" متروكا"[٦].

قال الطبري:" وهذا القول أولى بتأويل ذلك، وذلك أن الله أخبر عنهم أنهم قالوا: {لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه}، وذلك هجرهم إياه"[٧].

قال الزجاج:" يجوز أن يكون مهجورا: متروكا، أي جعلوه مهجورا لا يستمعونه ولايتفهمونه"[٨].

الثاني : أنهم قالوا فيه هجراً، أي قبيحاً ، قاله مجاهد[٩].

قال مجاهد:"يهجُرون فيه بالقول، يقولون: هو سحر"[١٠].

الثالث : أنهم جعلوه هجراً من الكلام، وهو ما لا نفع فيه من العبث والهذيان ، وهذا معنى قول إبراهيم، واختيار ابن قتيبة[١١]، والزجاج[١٢].

---

(١) تفسير الطبري:٢٦٤/١٩.
(٢) تفسير السعدي: ٥٨٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٢٦٤/١٩.
(٤) اخرجه الطبري:٢٦٤/١٩.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٣/٣.
(٦) معاني القرآن:٢٦٧/٢.
(٧) تفسير الطبري:٢٦٤/١٩-٢٦٥.
(٨) معاني القرآن:٦٦/٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٢٦٤/١٩.
(١٠) اخرجه الطبري:٢٦٤/١٩.
(١١) انظر: غريب القرآن:٣١٣.
(١٢) انظر: معاني القرآن:٦٦/٤.

قال ابن قتيبة:" أي: جعلوه كالهذيان. والهجر الاسم. يقال: فلان يهجر في منامه، أي: يهذي"[١].

قال الزجاج:" جعلوه بمنزلة الهجر. و«الهجر»: ما لا ينتفع به من القول، وكانوا يقولون إن النبي - ﷺ – يهجر"[٢].

قال إبراهيم:" قالوا فيه غير الحقّ، ألم تر إلى المريض إذا هذي قال غير الحق"[٣].

قال الفراء: "يقال: إنهم جعلوه كالهذيان، والعرب تقول : هجر الرجل في منامه، إذا هذى أو ردد الكلمة"[٤].

قال ابن كثير:" وذلك أن المشركين كانوا لا يُصغُون للقرآن ولا يسمعونه ، كما قال تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ } [فصلت : ٢٦] وكانوا إذا تلي عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره ، حتى لا يسمعوه. فهذا من هجرانه ، وترك [علمه وحفظه أيضا من هجرانه ، وترك الإيمان به وتصديقه من هجرانه ، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه ، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه ، والعدولُ عنه إلى غيره - من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره - من هجرانه ، فنسأل الله الكريمَ المنانَ القادرَ على ما يشاء ، أن يخلّصنا مما يُسْخطه ، ويستعملنا فيما يرضيه ، من حفظ كتابه وفهمه ، والقيام بمقتضاه آناء الليل وأطرافَ النهار ، على الوجه الذي يحبه ويرضاه ، إنه كريم وهاب "[٥].

روي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول: يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه»[٦].

القرآن

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١)} [الفرقان : ٣١]

التفسير:

وكما جعلنا لك - أيها الرسول - أعداء من مجرمي قومك، جعلنا لكل نبيٍّ من الأنبياء عدوًا من مجرمي قومه، فاصبر كما صبروا. وكفى بربك هاديًا ومرشدًا ومعينًا يعينك على أعدائك.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت في أبي جهل وحده"[٧].

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ} [الفرقان : ٣١]، أي:" وكما جعلنا لك - أيها الرسول - أعداء من مجرمي قومك، جعلنا لكل نبيٍّ من الأنبياء عدوًا من مجرمي قومه، فاصبر كما صبروا"[٨].

قال مقاتل:" يقول الله- عز وجل-: يعزي نبيه- ﷺ- {وكذلك}، يعني: وهكذا، {جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين}، فلا يكبرن عليك فإن الأنبياء قبلك قد لقيت هذا التكذيب من قومهم"[٩].
قومهم"[٩].

قال الفراء: " يقول: جعلنا بعض أمة كل نبي أشد عليه من بعض وكان الشديد العداوة للنبي ﷺ أبو جهل بن هشام"[١].

---

(١) غريب القرآن:٣١٣.
(٢) معاني القرآن:٦٦/٤.
(٣) اخرجه الطبري:٢٦٤/١٩.
(٤) معاني القرآن:٢٦٧/٢.
(٥) تفسير ابن كثير:١٠٨/٦-١٠٩.
(٦) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:١٣٢/٧.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٣/٣.
(٨) التفسير الميسر:٣٦٢.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٣/٣.

قال الثعلبي:" أي: وكما جعلنا لك يا محمد أعداء ومن مشركي قومك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين أي من مشركي قومه، فاصبر لأمري كما صبروا"(٢).

قال السمعاني:" هذه الآية أنزلت تعزية للنبي وتسمية له، وقوله: {لكل نبي عدوا من المجرمين} أي: أعداء من المجرمين"(٣).

قال ابن كثير:" أي : كما حصل لك - يا محمد - في قومك من الذين هجروا القرآن ، كذلك كان في الأمم الماضين ؛ لأن الله جعل لكل نبي عدوا من المجرمين ، يدعون الناس إلى ضلالهم وكفرهم ، كما قال تعالى : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ } [الأنعام : ١١٢ - ١١٣]"(٤).

قال السعدي:" قال الله مسليا لرسوله ومخبرا أن هؤلاء الخلق لهم سلف صنعوا كصنيعهم فقال: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ} أي: من الذين لا يصلحون للخير ولا يزكون عليه يعارضونهم ويردون عليهم ويجادلونهم بالباطل. من بعض فوائد ذلك أن يعلو الحق على الباطل وأن يتبين الحق ويتضح اتضاحا عظيما لأن معارضة الباطل للحق مما تزيده وضوحا وبيانا وكمال استدلال وأن يتبين ما يفعل الله بأهل الحق من الكرامة وبأهل الباطل من العقوبة، فلا تحزن عليهم ولا تذهب نفسك عليهم حسرات"(٥).

قوله تعالى:{وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا} [الفرقان : ٣١]، أي:" وكفى بربك هاديًا ومرشدًا ومعينًا يعينك على أعدائك"(٦).

قال مقاتل:" يعني، ومانعا، فلا أحد أهدى من الله- عز وجل- ولا أمنع منه"(٧).

قال الثعلبي:أي:" فإني هاد بك وناصرك على من ناواك"(٨).

قال القرطبي:" أي: يهديك وينصرك فلا تبال بمن عاداك"(٩).

قال ابن كثير:" أي : لمن اتبع رسوله ، وآمن بكتابه وصدقه واتبعه ، فإن الله هاديه وناصره في الدنيا والآخرة. وإنما قال : { هَادِيًا وَنَصِيرًا } لأن المشركين كانوا يصدون الناس عن اتباع القرآن ، لئلا يهتدي أحد به ، ولتغلب طريقتهم طريقة القرآن ؛ فلهذا قال : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا }"(١٠).

قال السعدي:" {وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا} يهديك فيحصل لك المطلوب ومصالح دينك ودنياك. {وَنَصِيرًا} ينصرك على أعدائك ويدفع عنك كل مكروه في أمر الدين والدنيا فاكتف به وتوكل عليه"(١١).

القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢)} [الفرقان : ٣٢]

التفسير:

---

(١) معاني القرآن:٢/٢٦٧.
(٢) الكشف والبيان:٧/١٣٢.
(٣) تفسير السمعاني:٤/١٨.
(٤) تفسير ابن كثير:٦/١٠٩.
(٥) تفسير السعدي: ٥٨٢.
(٦) التفسير الميسر:٣٦٢.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٢٣٣.
(٨) الكشف والبيان:٧/١٣٢.
(٩) تفسير القرطبي:١٣/٢٨.
(١٠) تفسير ابن كثير:٦/١٠٩.
(١١) تفسير السعدي: ٥٨٢.

وقال الذين كفروا: هلا أنزل القرآن على محمد جملة واحدة كالتوراة والإنجيل والزبور! قال الله سبحانه وتعالى: كذلك أنزلناه مفرقًا؛ لنقوّي به قلبك وتزداد به طمأنينة، فتعيه وتحمله، وبيَّنَّاه في تثبت ومُهْلَة.

قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً} [الفرقان : ٣٢]، أي:" وقال الذين كفروا: هلا أنزل القرآن على محمد جملة واحدة كالتوراة والإنجيل والزبور!"[١].

قال ابن عباس:" يقولون: هلا أنزل عليه القرآن جملة واحدة"[٢].

قال السدي:" هلا جاء به كما جاء به موسى صلى الله عليهما"[٣].

قال ابن كثير:" أي : هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحي إليه جملة واحدة ، كما نزلت الكتب قبله ، كالتوراة والإنجيل والزبور ، وغيرها من الكتب الإلهية"[٤].

قال الزجاج:" معناه: هلا نزل عليه القرآن في وقت واحد، وكان بين أول نزول القرآن وآخره عشرون سنة، فقالوا: لم لم ينزل جملة واحدة كما أنزلت التوراة"[٥].

قال السعدي:" هذا من جملة مقترحات الكفار الذي توحيه إليهم أنفسهم فقالوا: {لَوْلا نزلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً} أي: كما أنزلت الكتب قبله، وأي محذور من نزوله على هذا الوجه؟"[٦].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ} [الفرقان : ٣٢]، أي:" قال الله سبحانه وتعالى: كذلك أنزلناه مفرقًا؛ لنقوّي به قلبك وتزداد به طمأنينة، فتعيه وتحمله"[٧].

قال السعدي:" {كَذَلِكَ} أنزلناه متفرقا {لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ} لأنه كلما نزل عليه شيء من القرآن ازداد طمأنينة وثباتا وخصوصا عند ورود أسباب القلق فإن نزول القرآن عند حدوث السبب يكون له موقع عظيم وتثبيت كثير أبلغ مما لو كان نازلا قبل ذلك ثم تذكره عند حلول سببه"[٨].

قال ابن كثير:" فأجابهم الله عن ذلك بأنه إنما أنزل منجما في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث ، وما يحتاج إليه من الأحكام لتثبيت قلوب المؤمنين به كما قال : { وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنزلْنَاهُ تَنزيلا } [الإسراء : ١٠٦]"[٩].

قال الزجاج:" فأعلم الله عز وجل أن إنزاله متفرقا ليثبت في قلب النبي - ﷺ - فقال: {كذلك لنثبت به فؤادك}، أي: أنزلناه كذلك متفرقا، لأن معنى قولهم: {لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة} يدل على معنى لم نزل عليه القرآن متفرقا فأعلموا لم ذلك، أي: للتثبيت"[١٠].

عن ابن عباس: "{لنثبت به فؤادك}، يا محمد يقول: لنشدد به فؤادك ونربط على قلبك يعنى بوحيه الذي نزل به جبريل عليك من عند الله وكذلك يفعل بالمرسلين من قبلك"[١١].

قوله تعالى:{وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا} [الفرقان : ٣٢]، أي:" وبيَّنَّاه في تثبت ومُهْلَة"[١٢].

وفي قوله تعالى:{وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا} [الفرقان : ٣٢]، وجوه:

أحدها : معناه: ورسلناه ترسيلاً ، شيئاً بعد شيء ، قاله ابن عباس[١٣].

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٢.
(٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٣٠):ص٨/٢٦٩٠.
(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٣١):ص٨/٢٦٩٠.
(٤) تفسير ابن كثير:٦/١٠٩.
(٥) معاني القرآن:٤/٦٦.
(٦) تفسير السعدي:٥٨٢.
(٧) التفسير الميسر:٣٦٢.
(٨) تفسير السعدي:٥٨٢.
(٩) تفسير ابن كثير:٦/١٠٩.
(١٠) معاني القرآن:٤/٦٦.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٣٢):ص٨/٢٦٩٠.
(١٢) التفسير الميسر:٣٦٢.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥١٣٣):ص٨/٢٦٩٠.

الثاني : وفرقناه تفريقاً ، قاله إبراهيم[١].

قال إبراهيم:" نزل متفرّقا"[٢].

قال الحسن:" كان ينزل آية وآيتين وآيات جوابا لهم إذا سألوا عن شيء أنزله الله جوابا لهم، وردّا عن النبيّ فيما يتكلمون به. وكان بين أوله وآخره نحو من عشرين سنة"[٣].

قال ابن جريج:" كان بين ما أنزل القرآن إلى آخره أنزل عليه لأربعين، ومات النبيّ ﷺ لثنتين أو لثلاث وستين"[٤].

الثاني: وفصلناه تفصيلاً ، قاله السدي[٥].

الثالث: وفسرناه تفسيرا. وهذا قول ابن زيد[٦].

الرابع: وبيَّناه تبييناً ، قاله قتادة[٧].

قال الزجاج:" أي: نزلناه على الترتيل، وهو ضد العجلة، وهو التمكث"[٨].

قال السعدي:" أي: مهلناه ودرجناك فيه تدريجا. وهذا كله يدل على اعتناء الله بكتابه القرآن وبرسوله محمد ﷺ حيث جعل إنزال كتابه جاريا على أحوال الرسول ومصالحه الدينية"[٩].
الدينية"[٩].

وقال ابن عباس:" كان الله جل وعز ينزل الآية عليه فإذا علمها نبي الله صلى الله عليه وسلم نزلت آية أخرى ليعلمه الكتاب، عن ظهر قلبه ويثبت به فؤاده"[١٠].

القرآن

{وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣)} [الفرقان : ٣٣]

التفسير:

ولا يأتيك - أيها الرسول - المشركون بحجة أو شبهة إلا جئناك بالجواب الحق وبأحسن بيان له.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولا يأتيك يا محمد هؤلاء المشركون بمثل يضربونه إلا جئناك من الحق، بما نبطل به ما جاءوا به، وأحسن مما جاءوا به من المثل بيانا وتفصيلا"[١١].

قال السعدي:" {وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ} يعارضون به الحق ويدفعون به رسالتك، {إلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} أي: أنزلنا عليك قرآنا جامعا للحق في معانيه والوضوح والبيان التام في ألفاظه، فمعانيه كلها حق وصدق لا يشوبها باطل ولا شبهة بوجه من الوجوه، وألفاظه وحدوده للأشياء أوضح ألفاظا وأحسن تفسيرا مبين للمعاني بيانا كاملا"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : ولا يقولون قولا يعارضون به الحق ، إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر ، وأبين وأوضح وأفصحُ من مقالتهم، وفي هذا اعتناء كبير ؛ لشرف الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، حيث كان يأتيه الوحي من الله بالقرآن صباحا ومساء ، ليلا ونهارا ، سفرا وحضرا ، فكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن كإنزال كتاب مما قبله من الكتب المتقدمة ، فهذا المقام أعلى وأجلُّ ، وأعظم مكانة من سائر إخوانه من الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. فالقرآن أشرف كتاب أنزله الله ، ومحمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، أعظم نبي أرسله

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٢٦٦/١٩.
(٢) اخرجه الطبري:٢٦٦/١٩.
(٣) اخرجه الطبري:٢٦٦/١٩.
(٤) اخرجه الطبري:٢٦٦/١٩.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥١٣٦):ص٢٦٩١/٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٢٦٦/١٩.
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥١٣٧):ص٢٦٩١/٨.
(٨) معاني القرآن:٦٦/٤.
(٩) تفسير السعدي:٥٨٢.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٣٩):ص٢٦٩١/٨.
(١١) تفسير الطبري:٢٦٦/١٩-٢٦٧.
(١٢) تفسير السعدي:٥٨٢.

الله وقد جمع الله تعالى للقرآن الصفتين معا ، ففي الملأ الأعلى أنزل جملة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك إلى الأرض منجما بحسب الوقائع والحوادث "[١].

قال ابن عباس:" أي: ينزل به جبريل كلما أتي بمثل يلتمس عيبه نزل به كتاب الله ناطق"[٢].

قال ابن عباس:" يقول: لو أنزلنا عليك القرآن جملة واحدة ثم سألوك لم يكن عندك ما تجيب ولكنا نمسك عليك فإذا سألوك أجبت"[٣].

عن ابن جُرَيج: "{وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ}، قال: الكتاب بما تردّ به ما جاءوا به من الأمثال التي جاءوا بها وأحسن تفسيرا"[٤].

عن ابن عباس، قوله: "{وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}، يقول: أحسن تفصيلا"[٥].

عن الضحاك، قوله: "{وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}، يقول: تفصيلا"[٦].

عن مجاهد: "{وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}، قال: بيانا"[٧].

عن ابن عباس قال : "أنزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة ، قال : { وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا } ، وقوله { وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنزلْنَاهُ تَنزيلا } [الإسراء : ١٠٦]"[٨].

القرآن

{الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٣٤)} [الفرقان : ٣٤]

التفسير:

أولئك الكفار هم الذين يُسحبون على وجوههم إلى جهنم، وأولئك هم شر الناس منزلة، وأبعدهم طريقًا عن الحق.

قوله تعالى:{الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ} [الفرقان : ٣٤]، أي:" أولئك الكفار هم الذين يُسحبون على وجوههم إلى جهنم"[٩].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه: هؤلاء المشركون يا محمد، القائلون لك {لَوْلا نزلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً} ومن كان على مثل الذي هم عليه من الكفر بالله، الذين يحشرون يوم القيامة على وجوههم إلى جهنم"[١٠].

قال مجاهد:" الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم"[١١].

عن أنس بن مالك، قال: "سئل رسول الله ﷺ: كيف يُحشر أهل النار على وجوههم؟ فقال: إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ"[١٢].

---

(١) تفسير ابن كثير:٦/١٠٩-١١٠.
(٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٤٠):ص٨/٢٦٩١.
(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٤١):ص٨/٢٦٩١.
(٤) اخرجه الطبري:١٩/٢٦٧.
(٥) اخرجه الطبري:١٩/٢٦٧.
(٦) اخرجه الطبري:١٩/٢٦٧.
(٧) اخرجه الطبري:١٩/٢٦٧.
(٨)النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٣٧٢).
(٩) التفسير الميسر:٣٦٣.
(١٠) تفسير الطبري:١٩/٢٦٧.
(١١) اخرجه الطبري:١٩/٢٦٧.
(١٢) اخرجه الطبري:١٩/٢٦٨.

عن أبي هريرة، قال: "يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف: صنف على الدوابّ، وصنف على أقدامهم، وصنف على وجوههم، فقيل: كيف يمشون على وجوههم؟ قال: إن الذي أمشاهم على أقدامهم، قادر أن يمشيهم على وجوههم"(١).

قال لن الحسن: "لما سير عامر بن عبد قيس إلى الشام، قال: الحمد لله الذي حشرني راكبا، قال الحسن: قد والله علم عامر أن قوما يحشرون على وجوههم"(٢).

قال ابن رجب:" فجعل مسيره إلى الشام حشرًا"(٣).

قوله تعالى:{أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا} [الفرقان : ٣٤]، أي:" وأولئك هم شر الناس منزلة، وأبعدهم طريقًا عن الحق"(٤).

قال الطبري:" فيساقون إلى جهنم شرّ مستقرّا في الدنيا والآخرة من أهل الجنة في الجنة، وأضل منهم في الدنيا طريقا"(٥).

عن مجاهد، "{أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا} من أهل الجنة. {وَأَضَلُّ سَبِيلا}، قال: طريقا"(٦).

عن ابن عباس قوله: "{وأضل سبيلا}، يقول: وأبعد حجة"(٧).

فوائد الآيات:[٣٠--٣٤]:

١- شهادة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على من هجروا القرآن الكريم فلم يسمعوه ولم يتفهموه ولم يعملوا به، وشكواه إياهم إلى الله عز وجل.

٢- بيان سنة الله في العباد وهي أنه ما من نبي ولا هاد ولا منذر إلا وله عدو من الناس وذلك لتعارض الحق مع الباطل، فينجم عن ذلك عداء لازم من أهل الباطل لأهل الحق.

٣- بيان الحكمة في نزول القرآن منجماً شيئاً فشيئاً مفرقاً.

٤- وفي قوله تعالى: {وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}، دليل على أنه ينبغي للمتكلم في العلم من محدث ومعلم، وواعظ أن يقتدي بربه في تدبيره حال رسوله، كذلك العالم يدبر أمر الخلق فكلما حدث موجب أو حصل موسم، أتى بما يناسب ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والمواعظ الموافقة لذلك(٨).

٥- الرد على المتكلفين من الجهمية ونحوهم ممن يرى أن كثيرا من نصوص القرآن محمولة على غير ظاهرها ولها معان غير ما يفهم منها، فإذا -على قولهم- لا يكون القرآن أحسن تفسيرا من غيره، وإنما التفسير الأحسن -على زعمهم- تفسيرهم الذي حرفوا له المعاني تحريفا، قال تعالى: {وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}(٩).

٦- بيان أن المجرمين. يحشرون على وجوههم لا على أرجلهم إلى جهنم إهانة لهم وتعذيباً.

القرآن

---

(١) اخرجه الطبري:٢٦٨/١٩.

(٢) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥١٤٦):ص٢٦٩٢/٨. وأحمد في الزهد(١٢٤٧):ص١٨٢.

قال مالك بن دينار: "حدثني فلان أن عامرا مر في الرحبة وإذا ذمي، يظلم، فألقى رداءه ثم قال: لا أرى ذمة الله تخفر وأنا حي، فاستنقذه".[تاريخ الإسلام للذهبي:١٤٢/٥،وحلية الأولياء ٢/ ٩١].

ويروى أن سبب إرساله إلى الشام كونه أنكر وخلص هذا الذمي، فقال جعفر بن سليمان: ثنا الجريري قال: لما سير عامر بن عبد الله يعني ابن عبد قيس شيعه إخوانه، وكان بظهر المربد، فقال: إني داع فأمنوا، قال: اللهم من وشى بي وكذب علي وأخرجني من مصري وفرق بيني وبين إخوتي، فأكثر ماله وولده، وأصح جسمه، وأطل عمره". [انظر: تاريخ الإسلام للذهبي:١٤٢/٥، وحلية الاولياء:٩٢/٢، وتاريخ دمشق:٣٣٩].

(٣) مجموع رسائل ابن رجب:٢٤٦/٣.

(٤) التفسير الميسر:٣٦٣.

(٥) تفسير الطبري:٢٦٧/١٩.

(٦) اخرجه الطبري:٢٦٧/١٩.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٤٨):ص٢٦٩٢/٨.

(٨) انظر: تفسير السعدي:٥٨٢.

(٩) انظر: تفسير السعدي:٥٨٢.

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (٣٥) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (٣٦)} [الفرقان : ٣٥ - ٣٦]

التفسير:

ولقد آتينا موسى التوراة، وجعلنا معه أخاه هارون معينًا له، فقلنا لهما: اذهبا إلى فرعون وقومه الذين كذَّبوا بدلائل ربوبيتنا وألوهيتنا، فذهبا إليهم، فدَعَواهم إلى الإيمان بالله وطاعته وعدم الإشراك به، فكذَّبوهما، فأهلكناهم إهلاكًا عظيمًا.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} [الفرقان : ٣٥]، أي:" ولقد آتينا موسى التوراة"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ يتوعد مشركي قومه على كفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله ويخوّفهم من حلول نقمته بهم، نظير الذي يحلّ بمن كان قبلهم من الأمم المكذّبة رسلها {وَلَقَدْ آتَيْنَا} يا محمد {مُوسَى الْكِتَابَ}، يعني: التوراة كالذي آتيناك من الفرقان"(٢).

قال ابن كثير:" يقول تعالى متوعداً من كذّب رسولَه محمداً ، صلوات الله وسلامه عليه ، من مشركي قومه ومن خالفه، ومحذرهم من عقابه وأليم عذابه ، مما أحله بالأمم الماضية المكذبين لرسله، فبدأ بذكر موسى ، عليه السلام"(٣).

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا} [الفرقان : ٣٥]، أي:" وجعلنا معه أخاه هارون معينًا له"(٤).

قال الطبري:" يعني: معينا وظهيرا"(٥).

قال ابن كثير:" وجعل معه أخاه هارون وزيرا ، أي : نبيًا مُوَازرا ومؤيداً وناصراً"(٦).

قال يحيى:" وذلك قبل أن تنزل عليهما التوراة ثم نزلت عليهما بعد فقال: {ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان} [الأنبياء: ٤٨] التوراة، وفرقانها حلالها وحرامها"(٧).

قال الزجاج:" «الوزير» -في اللغة-: الذي يرجع إليه ويتحصن برأيه، و«الوزر»: ما يلتجأ إليه ويعتصم به، ومنه قوله: {كَلَّا لَا وَزَرَ} [القيامة : ١١]، أي: لا ملجأ يوم القيامة ولا منجا إلا لمن رحم الله عز وجل"(٨).

قوله تعالى:{فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} [الفرقان : ٣٦]، أي:" فقلنا لهما: اذهبا إلى فرعون وقومه الذين كذَّبوا بدلائل ربوبيتنا وألوهيتنا، فدَعَواهم إلى الإيمان بالله وطاعته وعدم الإشراك به"(٩).

قال الطبري:" يقول: فقلنا لهما: اذهبا إلى فرعون وقومه الذين كذبوا بإعلامنا وأدلتنا"(١٠).

قال يحيى:" يعني: فرعون وقومه"(١١).

قال الزجاج:" يعني: به فرعون وقومه، والذين مسخوا قردة وخنازير"(١٢).

قوله تعالى:{فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا} [الفرقان : ٣٦]، أي:" فكذَّبوهما، فأهلكناهم إهلاكًا عظيمًا"(١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٣.
(٢) تفسير الطبري:١٩/٢٦٨-٢٦٩.
(٣) تفسير ابن كثير:٦/١١٠.
(٤) التفسير الميسر:٣٦٣.
(٥) تفسير الطبري:١٩/٢٦٩.
(٦) تفسير ابن كثير:٦/١١٠.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:١/٤٨١.
(٨) معاني القرآن:٤/٦٧.
(٩) التفسير الميسر:٣٦٣.
(١٠) تفسير الطبري:١٩/٢٦٩.
(١١) تفسير يحيى بن سلام:١/٤٨١.
(١٢) معاني القرآن:٤/٦٧.

قال يحيى:" أي: فكذبوهما {فدمرناهم تدميرا}، يعني: الغرق الذي أهلكهم به كقوله: {فكذبوهما فكانوا من المهلكين} [المؤمنون: ٤٨] ، من المعذبين بالغرق في الدنيا ولهم النار في الآخرة"[٢].

قال الطبري:أي:" فذهبا فكذبوهما فدمرناهم حينئذ"[٣].

قال ابن كثير:" فكذبهما فرعون وجنوده، فـ { دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا } [محمد : ١٠] "[٤].

القرآن

{وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧)} [الفرقان : ٣٧]

التفسير:

وأغرقنا قوم نوح بالطوفان حين كذَّبوه. ومن كذب رسولا فقد كذب الرسل جميعًا. وجعلنا إغراقهم للناس عبرة، وجعلنا لهم ولمن سلك سبيلهم في التكذيب يوم القيامة عذابًا موجعًا.

قوله تعالى:{وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ} [الفرقان : ٣٧]، أي:" وأغرقنا قوم نوح بالطوفان حين كذَّبوه- ومن كذب رسولا فقد كذب الرسل جميعًا-"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وقوم نوح لما كذبوا رسلنا، وردّوا عليهم ما جاءوهم به من الحقّ، أغرقناهم بالطوفان"[٦].

قال السمعاني:" نزل الماء من السماء أربعين يوما، ونبع من الأرض أربعين يوما، حتى صارت الدنيا كلها بحرا"[٧].

قال مقاتل:" يعني: حين {كذبوا الرسل}، يعني: نوحا وحده"[٨].

قال ابن كثير:" وكذلك فعلَ بقوم نوح حين كذّبوا رسوله نوحاً ، عليه السلام ، ومن كذب برسول فقد كذب بجميع الرسل ؛ إذ لا فرق بين رسول ورسول ، ولو فرض أن الله بعث إليهم كل رسول فإنهم كانوا يكذبونه ؛ ولهذا قال : { وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ } ، ولم يبعث إليهم إلا نوح فقط ، وقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، يدعوهم إلى الله ، ويحذرهم نقَمه ، فما آمن معه إلا قليل. ولهذا أغرقهم الله جميعا ، ولم يَبق منهم أحد ، ولم يبق على وجه الأرض من بني آدم سوى أصحاب السفينة فقط "[٩].

قال الزجاج:" يدل هذا اللفظ أن قوم نوح قد كذبوا غير نوح أيضا لقوله {الرسل}، ويجوز أن يكون {الرسل}، يعنى به: نوح وحده، لأن من كذب بنبى فقد كذب بجميع الأنبياء، لأنة مخالف للأنبياء، لأن الأنبياء يؤمنون بالله وبجميع رسله، ويجوز أن يكون يعنى به الواحد، ويذكر لفظ الجنس كما يقول الرجل للرجل ينفق الدرهم الواحد أنت ممن ينفق الدراهم، أي ممن نفقته من هذا الجنس، وفلان يركب الدواب، وإن لم يركب إلا واحدة"[١٠].

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً} [الفرقان : ٣٧]، أي:" وجعلنا إغراقهم للناس عبرة"[١١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٣.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٤٨١/١.
(٣) تفسير الطبري:٢٦٩/١٩.
(٤) تفسير ابن كثير:١١٠/٦.
(٥) التفسير الميسر:٣٦٣.
(٦) تفسير الطبري:٢٦٩/١٩.
(٧) تفسير السمعاني:٢٠/٤.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٤/٣.
(٩) تفسير ابن كثير:١١٠/٦-١١١.
(١٠) معاني القرآن:٦٧/٤-٦٨.
(١١) التفسير الميسر:٣٦٣.

قال مقاتل:" يعنى: عبرة"[١].

قال الطبري:" يقول: وجعلنا تغريقنا إياهم وإهلاكنا عظة وعبرة للناس يعتبرون بها"[٢].
بها"[٢].

قال ابن كثير:" أي : عبرة يعتبرون بها ، كما قال تعالى : { إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ } [الحاقة : ١١ - ١٢]. أي : وأبقينا لكم من السفن ما تركبون في لُجَج البحار ، لتذكروا نعمة الله عليكم في إنجائكم من الغرق ، وجَعْلكم من ذرّية مَن آمن به وصَدّق أمره"[٣].

قوله تعالى:{وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفرقان : ٣٧]، أي:" وجعلنا لهم ولمن سلك سبيلهم في التكذيب يوم القيامة عذابًا موجعًا"[٤].

قال مقاتل:" يعنى: وجيعا"[٥].

قال الطبري:" يقول: وأعددنا لهم من الكافرين بالله في الآخرة عذابا أليما، سوى الذي حلّ بهم من عاجل العذاب في الدنيا"[٦].

القرآن

{وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨)} [الفرقان : ٣٨]

التفسير:

وأهلكنا عادًا قوم هود، وثمود قوم صالح، وأصحاب البئر وأممًا كثيرة بين قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرسّ، لا يعلمهم إلا الله.

قوله تعالى:{وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ} [الفرقان : ٣٨]، أي:" وأهلكنا عادًا قوم هود، وثمود قوم صالح، وأصحاب البئر"[٧].

قال الطبري: يقول: " ودمرنا أيضا عادا وثمود وأصحاب الرسّ"[٨].

قال أبو عبيدة:" {أَصْحابَ الرَّسِّ}، أي: المعدن. قال النابغة الجعدىّ[٩]:

سبقت إلى فرط ناهل ... تنابلة يحفرون الرّساسا

و«الرّساس»: المعادن"[١٠].

قال القرطبي:"«الرس»: هو كل حفر احتفر كالقبر والمعدن والبئر"[١١].

قال النحاس:" «الرس» عند أهل اللغة: كل بئر غير مطوية.. ويروى أنهم قتلوا نبيهم ورسوه في بئر، أي: دسوه فيها"[١٢].

قال ابو احمد السامري:" {أَصحابَ الرَسّ}، يعني: أصحاب البنات، وأزد شنوءة يسمّون البنين: الرسّ"[١٣].

واختلفوا في «أَصْحَاب الرَّسِّ»، على أقوال:

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٤/٣.
(٢) تفسير الطبري:٢٦٩/١٩.
(٣) تفسير ابن كثير:١١١/٦.
(٤) التفسير الميسر:٣٦٣.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٥/٣.
(٦) تفسير الطبري:٢٦٩/١٩.
(٧) التفسير الميسر:٣٦٣.
(٨) تفسير الطبري:٢٦٩/١٩.
(٩)ديوانه ص ٧٥ والجمهرة ١/ ٨١ فى الطبري ١٩/ ٦ وعجزه فى اللسان (رسس) والقرطبي ١٣/ ٣٢.
(١٠) مجاز القرآن:٧٥/٢.
(١١) تفسير القرطبي:٣٣/١٣.
(١٢) معاني القرآن:٢٧/٥.
(١٣) اللغات في القرآن:٣٩.

أحدها: أنهم قوم كانوا يعبدون شجرة، فبعث الله إليهم نبيا من ولد يهوذا بن يعقوب، فحفروا له بئرا وألقوه فيها، فهلكوا، قاله علي بن أبي طالب[١].
الثاني: أنهم قوم كان لهم نبي يقال له: حنظلة بن صفوان، فقتلوا نبيهم فأهلكهم الله، قاله سعيد بن جبير[٢].
الثالث: أنهم كانوا أهل بئر ينزلون عليها، وكانت لهم مواش، وكانوا يعبدون الأصنام، فبعث الله إليهم شعيبا، فتمادوا في طغيانهم، فانهارت البئر، فخسف بهم وبمنازلهم، قاله وهب بن منبه[٣].
الرابع: أنهم الذين قتلوا حبيبا النجار، قتلوه في بئر لهم، وهو الذي قال: {يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ} [يس : ٢٠]، قاله السدي[٤].
وقال عكرمة:" كان الرسّ بئرا رسُّوا فيها نبيهم"[٥].
وقال ابن عباس:" هي بئر كانت تسمى الرّس"[٦].
وقال ابن عباس:" بئر بأذربيجان"[٧].
وقال مجاهد:" الرّسّ بئر كان عليها قوم"[٨].
قال قتادة:" أصحاب الرس كانوا أهل فلح وآبار كانوا عليها"[٩].
قال جعفر بن محمد:" كل نهر وبئر هو رس"[١٠].
الخامس: أنهم أصحاب الأخدود، و«الرس» هو الأخدود الذي حفروه. حكاه الثعلبي[١١].

السادس : أنهم قوم قتلوا نبيهم وأكلوه، وأول من عمل السحر نساؤهم، قاله الكلبي[١٢]، وابن السائب[١٣].
السابع: أن الرسّ: قرية من ثمود. وهذا قول ابن عباس[١٤].
الثامن: أن الرسّ: قرية من اليمامة يقال لها: الفلج. وهذا قول قتادة[١٥]، وعكرمة[١٦].
التاسع: أن «أصحاب الرس»: قوم كانوا يستحسنون لنسائهم السحق، وكان نساؤهم كلهم سحاقات. رواه جعفر بن محمد عن أبيه[١٧].
عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من أشراط الساعة أن يستكفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء وذلك السحق»[١٨].
العاشر: أن {أصحاب الرس} كانتا أمتين فبعث الله إليهما نبيا واحدا شعيبا وعذبهما الله بعذابين. وهذا مروي عن قتادة[١٩].

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان:١٣٥/٧، وانظر: زاد المسير:٣٢١/٣.
(٢) انظر: زاد المسير:٣٢١/٣.
(٣) انظر: زاد المسير:٣٢١/٣.
(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان:١٣٤/٧، وانظر: زاد المسير:٣٢١/٣.
(٥) اخرجه الطبري:٢٧٠/١٩.
(٦) اخرجه الطبري:٢٧٠/١٩.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٧٣):ص٢٦٩٥/٨.
(٨) اخرجه الطبري:٢٧٠/١٩.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٧٦):ص٢٦٩٥/٨.
(١٠) تفسير ابن أبي حاتم:٢٦٩٥/٨. ذكره دون الإسناد.
(١١) انظر: الكشف والبيان:١٣٤/٧.
(١٢) انظر: النكت والعيون:١٤٦/٤.
(١٣) انظر: زاد المسير:٣٢١/٣. وابن السائب – ضعيف، قد اختلط.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٢٦٩/١٩.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٢٦٩/١٩.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:٢٧٠/١٩.
(١٧) انظر: الكشف والبيان:١٣٨/٧، وتفسير القرطبي: ٣٣/١٣.
(١٨) اخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:١٣٨/٧.
(١٩) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٥٦):ص١٥٢/١.

قال يحيى: بلغني أن الذي أرسل إليهم شعيب، وأنه أرسل إلى أهل مدين وإلى أهل الرس جميعا، ولم يبعث نبي إلى أمتين غيره فيما مضى، وبعث النبي إلى الجن والإنس كلهم"[1].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك، قول من قال: هم قوم كانوا على بئر، وذلك أن الرّسّ في كلام العرب: كلّ محفور مثل البئر والقبر ونحو ذلك؛ ومنه قول الشاعر[2]:

سَبَقْتَ إلى فَرطٍ باهِلٍ ... تنابِلَةٍ يَحْفِرُونَ الرّساسا

يريد أنهم يحفِرون المعادن، ولا أعلم قوما كانت لهم قصة بسبب حفرة، ذكرهم الله في كتابه إلا أصحاب الأخدود، فإن يكونوا هم المعنيين بقوله: {وَأَصْحَابَ الرَّسِّ} فإنا سنذكر خبرهم إن شاء الله إذا انتهينا إلى سورة البروج، وإن يكونوا غيرهم فلا نعرف لهم خبرا، إلا ما جاء من جملة الخبر عنهم أنهم قوم رَسوا نبيهم في حفرة، إلا ما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يَدخُلُ الجَنَّةَ يَوْمَ القِيَامَةِ الْعَبْدُ الأسْوَدُ». وذلك أن الله تبارك وتعالى بعث نبيا إلى أهل قرية فلم يؤمن مِنْ أهلها أحد إلا ذلك الأسود، ثم إن أهل القرية عدوا على النبيّ عليه السلام، فحفروا له بئرا فألقوه فيها، ثم أطبقوا عليه بحجر ضخم، قال: وكان ذلك العبد يذهب فيحتطب على ظهره، ثم يأتي بحطبه فيبيعه، فيشتري به طعاما وشرابا، ثم يأتي به إلى ذلك البئر، فيرفع تلك الصخرة، فيعينه الله عليها، فيدلي إليه طعامه وشرابه، ثم يعيدها كما كانت، قال: فكان كذلك ما شاء الله أن يكون. ثم إنه ذهب يوما يحتطب، كما كان يصنع، فجمع حطبه، وحزم حزمته وفرغ منها؛ فلما أراد أن يحتملها وجد سِنة، فاضطجع فنام، فضرب الله على أذنه سبع سنين نائما. ثم إنه هبّ فتمطى، فتحوّل لشقة الآخر، فاضطجع، فضرب الله على أذنه سبع سنين أخرى. ثم إنه هبّ فاحتمل حزمته، ولا يحسب إلا أنه نام ساعة من نهار، فجاء إلى القرية فباع حزمته، ثم اشترى طعاما وشرابا كما كان يصنع ثم ذهب إلى الحفرة في موضعها التي كانت فيه فالتمسه فلم يجده، وقد كان بدا لقومه فيه بداء، فاستخرجوه وآمنوا به وصدّقوه، قال: فكان النبي عليه السلام يسألهم عن ذلك الأسود ما فعل؟ فيقولون: ما ندري، حتى قبض الله النبيّ، فأهبّ الله الأسود من نومته بعد ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ ذَلكَ الأسْوَدَ لأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ»، غير أن هؤلاء في هذا الخبر يذكر محمد بن كعب عن النبيّ ﷺ أنهم آمنوا بنبيهم واستخرجوه من حفرته، فلا ينبغي أن يكونوا المعنيين بقوله: {وَأَصْحَابَ الرَّسِّ} لأن الله أخبر عن أصحاب الرّسّ أنه دمرهم تدميرا، إلا أن يكونوا دمروا بأحداث أحدثوها بعد نبيهم الذي استخرجوه من الحفرة وآمنوا به، فيكون ذلك وجها"[3].

قوله تعالى:{وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا} [الفرقان : ٣٨]، أي:" وأممًا كثيرة بين قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرسّ، لا يعلمهم إلا الله"[4].

قال الطبري:" يقول: ودمرنا بين أضعاف هذه الأمم التي سمَّيناها لكم أمما كثيرة"[5].

قال يحيى: أي: وأهلكنا قرونا، أمما، أمة بعد أمة {بين ذلك كثيرا} "[6].

قال القرطبي:" أي: أمما لا يعلمهم إلا الله بين قوم نوح وعاد. وثمود وأصحاب الرس"[1].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٤٨٢/١.

(٢)البيت للنابغة الجعدي (اللسان: رسس) . والفرط بالتحريك: القوم يتقدمون إلى الماء قبل الورود، فيهيئون لهم لهم الأرسال والدلاء، ويملئون الحياض، ويستقون لهم (عن اللسان) . والباهل: المتردد بلا عمل. والتنابلة جمع تنبل، بوزن جَعْفَر، وهو الرجل القصير. ولعله كناية عن البطء والعجز عن العمل. والرساس جمع رس، وهي البئر القديمة أو المعدن (المنجم تستخرج منه المعادن كالحديد ونحوه.

(٣) تفسيرالطبري:٢٧٠/١٩-٢٧١.

(٤) التفسير الميسر:٣٦٣.

(٥) تفسير الطبري:٢٧١/١٩.

(٦) تفسير يحيى بن سلام:٤٨٢/١.

عن أبي أمامة الباهلي أن رجلا قال: "يا رسول الله: أنبي كان آدم؟ قال: نعم مكلم، قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون، قال كم كان بين نوح وإبراهيم؟ قال: عشرة قرون"(٢).

قال ابن عباس:" كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون كل أمة منهم على شريعة من الحق"(٣). وروى عن عكرمة نحوه(٤).

قال قتادة:" كان بين موسى وعيسى صلى الله عليهما أربعمائة سنة وكان بين عيسى وبين محمد صلى الله عليهما ستمائة سنة وبين نوح وآدم صلى الله عليهما ألف دار وبين نوح إبراهيم صلى الله عليهما ألف دار وبين إبراهيم وبين موسى صلى الله عليهما وسلم ألف دار يعنى ألف دار، ألف سنة"(٥).

عن عثمان بن عطاء، عن أبيه قال: "بين النبي ﷺ وبين آدم تسعة وأربعون أبا"(٦).

قال الأعمش:" كان بين موسى وعيسى ألف نبي"(٧).

قال عروة بن الزبير:" ما وجدنا أحدا يعرف ما وراء معد بن عدنان"(٨).

عن محمد بن القاسم الطائي، "أن عبد الله بن بسر قال: قلت يا رسول الله كم القرن؟ قال: مائة سنة"(٩). وروي، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن نحو ذلك(١٠).

عن زرارة بن أوفى قال: "القرن عشرون ومائة سنة، بعث النبي ﷺ في قرن كان آخرهم يزيد بن معاوية"(١١).

عن جعفر بن عليّ بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: "خلفت بالمدينة عمي ممن يفتي على أن القرن سبعون سنة". وكان عمه عبيد الله بن أبي رافع كاتب عليّ رضي الله عنه"(١٢).

قال قتادة:" القرن: سبعون سنة "(١٣).

وقال الحسن:" القرن: ستون سنة"(١٤).

وقال إبراهيم:" القرن: أربعون سنة"(١٥).

وقال مالك بن دينار: "سألت الحسن، عن القرن، فقال: عشرون سنة"(١٦).

وعن الربيع بن خيثم، " اشتكى فقيل له: ألا تتداوى فإن رسول الله ﷺ قد أمر به؟ قال: لقد هممت بذلك ثم فكرت فيما بيني وبين نفسي فإذا عاد وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا كانوا أكثر وأشد حرصا على جمع المال، فكان فيهم أطباء، فلا الناعت منهم بقي ولا المنعوت، فأبى أن يتداوى فما مكث إلا خمسة أيام حتى مات، رحمه الله"(١٧).

القرآن

---

(١) تفسير القرطبي:٣٤/١٣.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٨٣):ص٢٦٩٦/٨.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٨٤):ص٢٦٩٦/٨.
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٦٩٦/٨. ذكره دون السند.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٨٥):ص٢٦٩٧/٨.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٨٦):ص٢٦٩٧/٨.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٨٧):ص٢٦٩٧/٨.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٨٨):ص٢٦٩٧/٨.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٧٧):ص٢٦٩٥/٨.
(١٠) انظر تفسير ابن أبي حاتم: ٢٦٩٥/٨. ذكره دون السند.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٧٨):ص٢٦٩٦/٨.
(١٢) اخرجه الطبري:٢٧١/١٩.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٧٩):ص٢٦٩٦/٨.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٨٠):ص٢٦٩٦/٨.
(١٥) أخرجه الطبري:٢٧٢/١٩.
(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٨٢):ص٢٦٩٦/٨.
(١٧) .ذكره القرطبي في التفسير:٣٤/١٣

{وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩)} [الفرقان : ٣٩]

التفسير:

وكل الأمم بيَّنَّا لهم الحجج، ووضَّحنا لهم الأدلة، وأزحنا الأعذار عنهم، ومع ذلك لم يؤمنوا، فأهلكناهم بالعذاب إهلاكًا.

قوله تعالى:{وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ} [الفرقان : ٣٩]، أي:" وكلاً من هؤلاء بيّنا لهم الحجج، ووضحنا لهم الأدلة إعذاراً وإنذارا"(١).

قال يحيى: " يعني: من ذكر ممن مضى، {ضربنا له الأمثال}، أي: خوفناهم"(٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وكل هذه الأمم التي أهلكناها التي سميناها لكم أو لم نسمها ضربنا له الأمثال يقول: مثلنا له الأمثال ونبهناها على حججنا عليها، وأعذرنا إليها بالعبر والمواعظ، فلم نهلك أمة إلا بعد الإبلاغ إليهم في المعذرة"(٣).

قال قتادة:" كلّ قد أعذر الله إليه، ثم انتقم منه"(٤).

قوله تعالى:{وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا} [الفرقان : ٣٩]، أي:" فأهلكناهم بالعذاب إهلاكًا"(٥).

قال الطبري: يقول:" وكل هؤلاء الذين ذكرنا لكم أمرهم استأصلناهم، فدمرناهم بالعذاب إبادة، وأهلكناهم جميعا"(٦).

قال يحيى: " أفسدنا فسادا، يعني إهلاكه الأمم السالفة بتكذيبها رسلها"(٧).

قال أبو عبيدة:" أي: أهلكنا واستأصلنا"(٨).

عن ابن جُرَيج، قوله: "{وَكُلا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا}، قال: بالعذاب"(٩).

قال الحسن:" تبر الله كلا بعذاب تتبيرا"(١٠).

وقال ابن زيد:" أضللنا الذين أضلهم، لم ينتفعوا من دينهم بشيء"(١١).

قال سعيد بن جبير:" تتبير بالنبطية"(١٢).

القرآن

{وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (٤٠)} [الفرقان : ٤٠]

التفسير:

ولقد كان مشركو «مكة» يمرون في أسفارهم على قرية قوم لوط، وهي قرية «سدوم» التي أُهلِكت بالحجارة من السماء، فلم يعتبروا بها، بل كانوا لا يرجون معادًا يوم القيامة يجازون فيه.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ} [الفرقان : ٤٠]، أي:" ولقد كان مشركو «مكة» يمرون في أسفارهم على قرية قوم لوط، وهي قرية «سدوم» التي أُهلِكت بالحجارة من السماء"(١٣).

---

(١) صفوة التفاسير:٣٣٢/٢.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٤٨٢/١.
(٣) تفسير الطبري:٢٧٢/١٩.
(٤) أخرجه الطبري:٢٧٢/١٩.
(٥) التفسير الميسر:٣٦٣.
(٦) تفسير الطبري:٢٧٢/١٩.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٤٨٢/١.
(٨) مجاز القرآن:٧٥/٢.
(٩) أخرجه الطبري:٢٧٢/١٩.
(١٠) أخرجه الطبري:٢٧٢/١٩.
(١١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٩١):ص٢٦٩٧/٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٢٧٢/١٩.
(١٣) التفسير الميسر:٣٦٣.

قال الطبري:يقول:" ولقد أتى هؤلاء الذين اتخذوا القرآن مهجورا على القرية التي أمطرها الله مطر السوء وهي سدوم، قرية قوم لوط. ومطر السوء: هو الحجارة التي أمطرها الله عليهم فأهلكهم بها"(١).

قال يحيى: " {ولقد أتوا}، يعني: مشركي العرب، و«مطر السوء» الحجارة التي رموا بها من السماء"(٢).

قال ابن كثير:" يعني : قوم لوط ، وهي سدوم ومعاملتها التي أهلكها الله بالقلب ، وبالمطر الحجارة من سجيل ، كما قال تعالى : { وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ } [الشعراء : ١٧٣]، وقال { وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ } [الصافات : ١٣٧ - ١٣٨] وقال تعالى : { وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ } [الحجر : ٧٦] وقال { وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ } [الحجر : ٧٩]"(٣).

قال عطاء:" وأما القرية التي أمطرت مطر السوء: فقرية لوط"(٤).

عن ابن جريج: "{ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء}، قال: "حجارة، وهي قرية قوم لوط، واسمها سدوم"(٥).

قال ابن عباس: " خمس قريات فأهلك الله أربعة، وبقيت الخامسة، واسمها صعوة. لم تهلك صعوة. كان أهلها لا يعملون ذلك العمل، وكانت سدوم أعظمها، وهي التي نزل بها لوط، ومنها بعث. وكان إبراهيم ﷺ ينادي نصيحة لهم: يا سدوم، يوم لكم من الله، أنهاكم أن تعرضوا لعقوبة الله، زعموا أن لوطا ابن أخي إبراهيم صلوات الله عليهما "(٦).

قال أبو رجاء: "سمعت الحسن قرأ: {ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء}، قال: هي والله بين الشام والمدينة"(٧).

قوله تعالى:{أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا} [الفرقان : ٤٠]، أي:" أفلم يكونوا في أسفارهم يرونها فيعتبروا بما حلَّ بأهلها من العذاب والنكال بسبب تكذيبهم لرسولهم ومخالفتهم لأوامر الله؟"(٨).

قال يحيى: " فيتفكروا ويحذروا أن ينزل بهم ما نزل بهم، أي بلى قد أتوا عليها ورأوها، مثل قوله: {وإنكم لتمرون عليهم مصبحين {١٣٧} وبالليل أفلا تعقلون {١٣٨} } [الصافات: ١٣٧-١٣٨]"(٩).

قال الطبري: يقول:" أو لم يكن هؤلاء المشركون الذين قد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء يرون تلك القرية، وما نزل بها من عذاب الله بتكذيب أهلها رسلهم، فيعتبروا ويتذكروا، فيراجعوا التوبة من كفرهم وتكذيبهم محمدا ﷺ"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : فيعتبروا بما حَلّ بأهلها من العذاب والنكال بسبب تكذيبهم بالرسول ومخالفتهم أوامر الله "(١١).

قال الصابوني:" وهذا توبيخٌ لهم على تركهم الاتعاظ والاعتبار"(١٢).

قوله تعالى:{بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا} [الفرقان : ٤٠]، أي:" بل كانوا لا يرجون معادًا يوم القيامة يجازون فيه"(١).

---

(١) تفسير الطبري:٢٧٢/١٩.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٤٨٢/١.
(٣) تفسير ابن كثير:١١٢/٦.
(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٩٢):ص٢٦٩٨/٨.
(٥) أخرجه الطبري:٢٧٢/١٩-٢٧٣.
(٦) تفسير الطبري:٢٧٣/١٩.
(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٩٣):ص٢٦٩٨/٨.
(٨) صفوة التفاسير:٣٣٢/٢.
(٩) تفسير يحيى بن سلام:٤٨٢/١-٤٨٣.
(١٠) تفسير الطبري:٢٧٣/١٩.
(١١) تفسير ابن كثير:١١٢/٦.
(١٢) صفوة التفاسير:٣٣٢/٢.

قال ابن كثير:" يعني : المارين بها من الكفار لا يعتبرون لأنهم لا يرجون نشوراً ، أي : معادًا يوم القيامة "(٢).
قال الطبري: يقول:" ما كذّبوا محمدا فيما جاءهم به من عند الله، لأنهم لم يكونوا رأوا ما حلّ بالقرية التي وصفت، ولكنهم كذّبوه من أجل أنهم قوم لا يخافون نشورًا بعد الممات، يعني أنهم لا يوقنون بالعقاب والثواب، ولا يؤمنون بقيام الساعة، فيردعهم ذلك عما يأتون من معاصي الله"(٣).
عن قتادة قوله: "{لا يرجون}، أي: لا يخافون بعثا ولا حسابا"(٤).
فوائد الآيات:[٣٥-٤٠]:
١- بيان سنة الله تعالى في إهلاك الأمم بعد الإنذار والإعذار إليها.
٢- بيان عاقبة المكذبين وما حل بهم من دمار وعذاب.
٣- بيان علة تكذيب قريش للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما جاء به وهي تكذيبهم بالبعث والجزاء فلهذا لم تنفعهم المواعظ ولم تؤثر فيهم العبر.

القرآن
{وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤١) إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢)} [الفرقان : ٤١ - ٤٢]
التفسير:
وإذا رآك هؤلاء المكذبون - أيها الرسول - استهزؤوا بك قائلين: أهذا الذي يزعم أن الله بعثه رسولا إلينا؟ إنه قارب أن يصرفنا عن عبادة أصنامنا بقوة حجته وبيانه، لولا أن ثَبَتْنا على عبادتها، وسوف يعلمون حين يرون ما يستحقون من العذاب: مَن أضل دينًا أهم أم محمد؟
قوله تعالى:{وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا} [الفرقان : ٤١]، أي:" وإذا رآك المشركون يا محمد ما يتخذونك إلا موضع هزء وسخرية"(٥).
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإذا رآك هؤلاء المشركون الذين قصصت عليك قصصهم، ما يتخذونك إلا سخرية يسخرون منك"(٦).
قال الواحدي: أي:" ما يتَّخذونك إلاَّ مهزوءاً به"(٧).
قال محمد بن إسحاق:" قال أبو جهل يوما وهو يهزأ برسول الله ﷺ وبما جاء به من الحق يا معشر قريش يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وأنتم أكثر الناس عددا وكثرة أفيعجزكم مائة رجل منكم عن رجل منهم؟ فأنزل الله عز وجل في ذلك من قوله: {وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا}، إلى آخر القصة"(٨).
قوله تعالى:{أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا} [الفرقان : ٤١]، أي:" قائلين: أهذا الذي يزعم أن الله بعثه رسولا إلينا؟"(٩).
قال الزجاج:" المعنى يقولون: أهذا الذي بعث الله إلينا رسولا"(١).

---
(١) التفسير الميسر:٣٦٣.
(٢) تفسير ابن كثير:١١٢/٦.
(٣) تفسير الطبري:٢٧٣/١٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٩٤)، (١٥١٩٥):ص٢٦٩٨/٨.
(٥) صفوة التفاسير:٣٣٤/٢.
(٦) تفسير الطبري:٢٧٣/١٩.
(٧) الوجيز:٧٨٠.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٩٦):ص٢٦٩٨/٨.
(٩) التفسير الميسر:٣٦٣.

قال السمعاني:" قالوا هذا على طريق الاستهزاء"(٢).

قال ابن كثير:" أي : على سبيل التنقص والازدراء - قبَّحهم الله - كما قال : { وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ } [الرعد : ٣٢]"(٣).

قال الزمخشري:" وهذا استصغار، وبعث الله رسولا وإخراجه في معرض التسليم والإقرار، وهم على غاية الجحود والإنكار سخرية واستهزاء، ولو لم يستهزءوا لقالوا: أهذا الذي زعم أو ادعى أنه مبعوث من عند الله رسولا"(٤).

قوله تعالى:{إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا} [الفرقان : ٤٢]، أي:" إنه قارب أن يصرفنا عن عبادة أصنامنا بقوة حجته وبيانه، لولا أن ثَبَتْنا على عبادتها"(٥).

قال الطبري:" يقولون إذا رأوه: قد كاد هذا يضلنا عن آلهتنا التي نعبدها، فيصدّنا عن عبادتها لولا صبرنا عليها، وثبوتنا على عبادتها"(٦).

قال ابن كثير:" يعنون : أنه كاد يثنيهم عن عبادة أصنامهم ، لولا أن صبروا وتجلدوا واستمروا على عبادتها "(٧).

قال الزمخشري:" قولهم: {إن كاد ليضلنا}، دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم، وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم، مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام، لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم، ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى- لا من حيث الصنعة- مجرى التقييد للحكم المطلق"(٨).

عن ابن جُرَيج، "{إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا}، قال: ثبتنا عليها"(٩).

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال:" قلت له: ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته؟ فقال: حضرتهم وقد إجتمع أشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا فبينما هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استسلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول، قال: فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ ثم مضى طائفا فلما مر بهم الثانية فغمزوه بمثلها فوقف ثم قال: أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم من رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع وحتى إن أشدهم فيه وضاءة قبل ذلك ليرفأه بأفضل ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم راشدا فو الله ما كنت جهولا قال: فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد، اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض: ذكرتم الرجل وما بلغ منكم وما بلغكم منه حتى إذا بدأكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون له: أنت الذي تقول كذا وكذا، لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم قال: فيقول رسول الله ﷺ: نعم أنا الذي أقول ذلك، قال: فلقد رأيت رجلا أخذ بمجمع ردائه قال: وقام أبو بكر

---

(١) معاني القرآن:٦٩/٤.
(٢) تفسير السمعاني:٢١/٤.
(٣) تفسير ابن كثير:١١٣/٦.
(٤) الكشاف:٢٨١/٣.
(٥) التفسير الميسر:٣٦٣.
(٦) تفسير الطبري:٢٧٣/١٩.
(٧) تفسير ابن كثير:١١٣/٦.
(٨) الكشاف:٢٨١/٣.
(٩) اخرجه الطبري:٢٧٤/١٩.

الصديق دونه يقول وهو يبكي: ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله، ثم انصرفوا عنه فطن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه قط"[١].

قوله تعالى:{وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا} [الفرقان : ٤٢]، أي:" وسوف يعلمون حين يرون ما يستحقون من العذاب: مَن أضل دينًا أهم أم محمد؟"[٢].

قال الطبري:" سيبين لهم حين يعاينون عذاب الله قد حلّ بهم على عبادتهم الآلهة من الراكب غير طريق الهدى، والسالك سبيل الردى أنت أوهم"[٣].

عن الحسن: "{وسوف يعلمون}، قال: وعيد"[٤].

قال الزمخشري:" وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طالت مدة الإمهال، ولا بد للوعيد أن يلحقهم فلا يغرنهم التأخير، وقوله: {من أضل سبيلا}، كالجواب عن قولهم إن كاد ليضلنا لأنه نسبة لرسول الله ﷺ إلى الضلال من حيث لا يضل غيره إلا من هو ضال في نفسه. ويروى أنه من قول أبى جهل -لعنه الله-"[٥].

القرآن

{أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣)} [الفرقان : ٤٣]

التفسير:

انظر - أيها الرسول - متعجبًا إلى مَن أطاع هواه كطاعة الله، أفأنت تكون عليه حفيظًا حتى تردَّه إلى الإيمان؟

قوله تعالى:{أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} [الفرقان : ٤٣]، أي:" انظر - أيها الرسول - متعجبًا إلى مَن أطاع هواه كطاعة الله"[٦].

قال ابن قتيبة:" يقول: يتبع هواه ويدع الحق، فهو له كالإله"[٧].

قال الطبري:" يعني تعالى ذكره: {أَرَأَيْتَ} يا محمد {مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ} شهوته التي يهواها وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر، فإذا رأى أحسن منه رمى به، وأخذ الآخر يعبده، فكان معبوده وإلهه ما يتخيره لنفسه"[٨].

قال الزمخشري:" من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتى ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغى إلى برهان. فهو عابد هواه وجاعله إلهه، فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى"[٩].

عن الحسن: "{أرأيت من اتخذ إلهه هواه}، قال: لا يهوى شيئا إلا إتبعه"[١٠].

قال الحسن:" ذلك المنافق نصب هواه فما هوى من شيء ركبه"[١١].

قال ابن عباس:" ذلك الكافر اتخذ إلهه بغير هدى من الله ولا برهان وأضله الله على علم يقول: أضله في سابق علمه"[١٢].

قال قتادة:" والله لكلما هوي شيئا ركبه وكلما اشتهى شيئا أتاه لا يحجزه، عن ذلك ورع ولا تقوى"[١].

---

(١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٩٧):٢٦٩٨/٨-٢٦٩٩.
(٢) التفسير الميسر:٣٦٣.
(٣) تفسير الطبري:٢٧٣/١٩.
(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٩٨):٢٦٩٨/٨.
(٥) الكشاف:٢٨١/٣-٢٨٢.
(٦) التفسير الميسر:٣٦٣.
(٧) غريب القرءن:٣١٣.
(٨) تفسير الطبري:٢٧٤/١٩.
(٩) الكشاف:٢٨٢/٣.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٠١):ص٢٧٠٠/٨.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٠٢):ص٢٧٠٠/٨.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٠٠):ص٢٧٠٠/٨.

قال ابن عباس:" كان الرجل يعبد الحجر الأبيض زمانا من الدهر في الجاهلية، فإذا وجد حجرا أحسن منه يعبد الآخر ويترك الأول"[٢]. وروى، عن سعيد بن جبير نحو ذلك[٣].

قال ابن زيد:" الأنصاب التي كان أهل الجاهلية يعبدونها ويأتونها ويعظمونها، كان أحدهم يحمله معه، فإذا رأى أحسن منه أخذه، وألقى هذا"[٤].

قال الزجاج:" وقيل أيضا: {من اتخذ إلهه هواه}، أي: أطاع هواه وركبه فلم يبال عاقبة ذلك"[٥].

قوله تعالى:{أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا} [الفرقان : ٤٣]، أي:" أفأنت تكون عليه حفيظًا حتى تردَّه إلى الإيمان؟"[٦].

قال الزمخشري:" أفتتوكل عليه وتجبره على الإسلام وتقول لا بد أن تسلم شئت أو أبيت- ولا إكراه في الدين؟ وهذا كقوله: {وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ} [ق : ٤٥]، {لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ} [الغاشية : ٢٢]"[٧].

عن قتادة قوله: "{وكيلا}، قال: ناصرا"[٨].

قال ابن قتيبة:" أي: كفيلا. وقيل: حافظا"[٩].

قال الزجاج:" أي: حفيظا"[١٠].

قال الطبري:يقول:" أفأنت تكون يا محمد على هذا حفيظا في أفعاله مع عظيم جهله؟"[١١].

قال البغوي:" يقول: أفأنت عليه كفيل تحفظه من اتباع هواه وعبادة من يهوى من دون الله؟ أي: لست كذلك"[١٢].

قال ابن كثير:" أي: مهما استحسن من شيء ورآه حسناً في هوى نفسه، كان دينَه ومذهبَه ، كما قال تعالى:{ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ} [فاطر : ٨]؛ ولهذا قال هاهنا:{ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلا}"[١٣].

في بعض الآثار: "ما من معبود في السماء والأرض أعظم من الهوى"[١٤].

وعن بعضهم قال: "هو الطاغوت الأكبر"[١٥].

قال الكلبي: "نسختها[١٦] آية القتال"[١٧].

القرآن

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٠٣):ص٢٧٠٠/٨.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥١٩٩):ص٢٦٩٩/٨.
(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٢٦٩٩/٨. ذكره دون سند.
(٤) اخرجه الطبري:٦٢٥/٢٣.
(٥) معاني القرآن:٦٩/٤.
(٦) التفسير الميسر:٣٦٣.
(٧) الكشاف:٢٨٢/٣.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٠٤):ص٢٧٠٠/٨.
(٩) غريب القرىن:٣١٣.
(١٠) معاني القرآن:٦٩/٤.
(١١) تفسير الطبري:٢٧٤/١٩.
(١٢) تفسير البغوي:٨٦/٦.
(١٣) تفسير ابن كثير:١١٣/٦.
(١٤) انظر: تفسير السمعاني:٢١/٤.
(١٥) انظر: تفسير السمعاني:٢١/٤.
(١٦) أي: هذه الآية.
(١٧) حكاه عنه البغوي في التفسير:٨٦/٦.

{أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)} [الفرقان : ٤٤]

التفسير:

أم تظن أن أكثرهم يسمعون آيات الله سماع تدبر، أو يفهمون ما فيها؟ ما هم إلا كالبهائم في عدم الانتفاع بما يسمعونه، بل هم أضل طريقًا منها.

قوله تعالى:{أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ} [الفرقان : ٤٤]، أي:" أم تظن أن أكثرهم يسمعون آيات الله سماع تدبر، أو يفهمون ما فيها؟"(١).

قال الطبري:يقول:" {أَمْ تَحْسَبُ} يا محمد أن أكثر هؤلاء المشركين {يَسْمَعُونَ} ما يتلى عليهم، فيعون {أَوْ يَعْقِلُونَ} ما يعاينون من حجج الله، فيفهمون"(٢).

قال ابن عباس:" لا يسمعون الهدى ولا يبصرونه ولا يعقلونه"(٣).

قال الزمخشري:" «أم» هذه منقطعة، معناه: بل أتحسب كأن هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقت بالإضراب عنها إليها وهي كونهم مسلوبي الأسماع والعقول، لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق أذنا ولا إلى تدبره عقل"(٤).

قوله تعالى:{إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ} [الفرقان : ٤٤]، أي:" ما هم إلا كالبهائم في عدم الانتفاع بما يسمعونه"(٥).

قال الزجاج:" معناه: ما هم إلا كالأنعام في قلة التمييز فيما جعل دليلا لهم من الآيات والبرهان"(٦).

قال الطبري:" يقول: ما هم إلا كالبهائم التي لا تعقل ما يقال لها، ولا تفقه"(٧).

قال الزمخشري:" مشبهين بالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلال"(٨).

قال ابن عباس:" مثل الذين كفروا كمثل البعير والحمار والشاة، إن قلت لبعضهم: كلّ. لم يعلم ما تقول غير أنه يسمع صوتك، كذلك الكافر إن أمرته بخير أو نهيته، عن شر ووعظته لم يعقل ما تقول، غير أنه يسمع صوتك"(٩).

قوله تعالى:{بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا} [الفرقان : ٤٤]، أي:" بل هم أضل طريقًا من الأنعام"(١٠).

قال الطبري:" بل هم من البهائم أضلّ سبيلا لأن البهائم تهتدي لمراعيها، وتنقاد لأربابها، وهؤلاء الكفرة لا يطيعون ربهم، ولا يشكرون نعمة من أنعم عليهم، بل يكفرونها، ويعصون من خلقهم وبرأهم"(١١).

قال ابن كثير:" أي : أسوأ حالا من الأنعام السارحة ، فإن تلك تعقل ما خلقت له ، وهؤلاء خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له ، وهم يعبدون غيره ويشركون به ، مع قيام الحجة عليهم ، وإرسال الرسل إليهم "(١٢).

قال الزجاج:" لأن: الأنعام تسبح بحمد الله وتسجد له وهم كما قال الله عز وجل: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} [البقرة : ٧٤]"(١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٣.
(٢) تفسير الطبري:٢٧٤/١٩.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٠٥):ص٢٧٠٠/٨.
(٤) الكشاف:٢٨٢/٣.
(٥) التفسير الميسر:٣٦٣.
(٦) معاني القرآن:٦٩/٤.
(٧) تفسير الطبري:٢٧٤/١٩.
(٨) الكشاف:٢٨٢/٣.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٠٧):ص٢٧٠٠/٨.
(١٠) التفسير الميسر:٣٦٣.
(١١) تفسير الطبري:٢٧٤/١٩.
(١٢) تفسير ابن كثير:١١٣/٦.

قال الزمخشري:" لأن الأنعام تنقاد لأربابها التي تعلفها وتتعهدها، وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدى لمراعيها ومشاربها، وهؤلاء لا ينقادون لربهم، ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوهم، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع، ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهالك، ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهنى والعذب الروى"(٢).

عن مقاتل بن حيان قوله: "{أضل سبيلا}، يقول: أخطأ السبيل"(٣).

فوائد الآيات:[٤١-٤٤]:

بيان ما كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلاقي في سبيل الدعوة من سخرية به واستهزاء.

٢- يتجاهل الإنسان الضال الحق وينكره حتى إذا عاين العذاب عرف ما كان ينكر، وآمن بما كان يكفر.

٣- هداية الإنسان ممكنة حتى إذا كفر بعقله وآمن بشهوته وعبد هواه تعذرت هدايته وأصبح أضل من الحيوان وأكثر خسراناً منه.

القرآن

{أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٦)} [الفرقان : ٤٥ - ٤٦]

التفسير:

ألم تر كيف مدَّ الله الظل من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس؟ ولو شاء لجعله ثابتًا مستقرًا لا تزيله الشمس، ثم جعلنا الشمس علامة يُستَدَلُّ بأحوالها على أحواله، ثم تَقَلَّصَ الظل يسيرًا يسيرًا، فكلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصانه. وذلك من الأدلة على قدرة الله وعظمته، وأنه وحده المستحق للعبادة دون سواه.

قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ} [الفرقان : ٤٥]، أي:" ألم تر كيف مدَّ الله الظل من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس؟"(٤).

قال ابن قتيبة:" امتداد الظل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. كذلك قال المفسرون، ويدلك عليه أيضا قوله في وصف الجنة: {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ} [الواقعة: ٣٠]، أي: لا شمس فيه، كأنه ما بين هذين الوقتين"(٥).

قال ابن عباس:" يقول: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس"(٦).

قال ابن عباس:" مدّه ما بين صلاة الصبح إلى طلوع الشمس"(٧).

قال عكرمة:" مدّه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس"(٨).

قال سعيد بن جبير:" الظلّ: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس"(٩).

قال مجاهد:" ظلّ الغداة قبل أن تطلع الشمس"(١٠).

قال الزجاج:" معنى {ألم تر}:ألم تعلم، وهذا من رؤية القلب، ويجوز أن يكون ههنا من رؤية العين، ويكون المعنى: ألم تر كيف مد الظل ربك! والأجود أن يكون بمعنى: ألم تعلم"(١١).

---

(١) معاني القرآن:٦٩/٤.
(٢) الكشاف:٢٨٢/٣.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٠٨):ص٢٧٠١/٨.
(٤) التفسير الميسر:٣٦٤.
(٥) تاويل مشكل القرآن:١٩١.
(٦) أخهرجه الطبري:٢٧٥/١٩.
(٧) أخهرجه الطبري:٢٧٥/١٩.
(٨) أخهرجه الطبري:٢٧٥/١٩.
(٩) أخهرجه الطبري:٢٧٥/١٩.
(١٠) أخهرجه الطبري:٢٧٥/١٩.
(١١) معاني القرآن:٧٠/٤.

قال الفخر الرازي:" المخاطب بهذا الخطاب وإن كان هو الرسول عليه السلام بحسب ظاهر اللفظ ولكن الخطاب عام في المعنى، لأن المقصود من الآية بيان نعم الله تعالى بالظل، وجميع المكلفين مشتركون في أنه يجب تنبههم لهذه النعمة وتمكنهم من الاستدلال بها على وجود الصانع"(١).

قوله تعالى:{وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا} [الفرقان : ٤٥]، أي:" ولو شاء لجعله ثابتًا مستقرًا لا تزيله الشمس"(٢).

قال مقاتل:" يقول- تبارك وتعالى- لو شاء لجعل الظل دائما لا يزول إلى يوم القيامة"(٣). القيامة"(٣).

قال الطبري:" يقول: ولو شاء لجعله دائما لا يزول، ممدودا لا تذهبه الشمس، ولا تنقصه"(٤).

قال ابن قتيبة:" أي: مستقرا دائما حتى يكون كظل الجنة الذي لا تنسخه الشمس"(٥).

عن ابن عباس، قوله: "{وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا}، يقول: دائما"(٦).

قال ابن زيد:" دائما لا يزول"(٧).

قال مجاهد:" لا تصيبه الشمس ولا يزول"(٨).

قوله تعالى:{ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا} [الفرقان : ٤٥]، أي:" ثم جعلنا الشمس علامة يُستَدَلُّ بأحوالها على أحواله"(٩).

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: ثم دللناكم أيها الناس بنسخ الشمس إياه عند طلوعها عليه، أنه خلْق من خلق ربكم، يوجده إذا شاء، ويفنيه إذا أراد"(١٠).

قال ابن قتيبة:" يقول: لما طلعت الشمس دلت عليه وعلى معناه. وكلّ الأشياء تعرف بأضدادها، فلولا الشمس ما عرف الظل، ولولا النور ما عرفت الظلمة، ولولا الحق ما عرف الباطل. وهكذا سائر الألوان والطّعوم، قال الله عز وجل: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الذاريات: ٤٩]، يريد به ضدين: ذكرا وأنثى، وأسود وأبيض، وحلوا وحامضا، وأشباه ذلك"(١١).

قال ابن كثير:" أي : لولا أن الشمس تطلع عليه ، لما عرف ، فإن الضد لا يعرف إلا بضده"(١٢).

قال أبو مالك:" قبضه حين تطلع"(١٣).

قال الحسن:" القبض للظل"(١٤).

عن ابن عباس، قوله: "{ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلا}، يقول: طلوع الشمس"(١٥).

عن مجاهد :"{ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلا}، قال: تحويه"(١).

---

(١) مفاتيح الغيب:٤٦٤/٢٤.
(٢) التفسير الميسر:٣٦٤.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٦/٣.
(٤) تفسير الطبري:٢٧٥/١٩-٢٧٦.
(٥) تاويل مشكل القرآن:١٩١.
(٦) أخرجه الطبري:٢٧٦/١٩.
(٧) أخرجه الطبري:٢٧٦/١٩.
(٨) أخرجه الطبري:٢٧٦/١٩.
(٩) التفسير الميسر:٣٦٤.
(١٠) تفسير الطبري:٢٧٥/١٩-٢٧٦.
(١١) تاويل مشكل القرآن:١٩٢.
(١٢) تفسير ابن كثير:١١٤/٦.
(١٣)أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٢٧):ص٢٧٠٣/٨ .
(١٤)أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٢٨):ص٢٧٠٣/٨ .
(١٥) أخرجه الطبري:٢٧٦/١٩.

قال ابن زيد:" أخرجت ذلك الظل فذهبت به"[٢].
قوله تعالى:{ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا} [الفرقان : ٤٦]، أي:" ثم تَقَلَّصَ الظل يسيرًا يسيرًا"[٣].
قال ابن كثير:" أي : الظل ، وقيل : الشمس. { يسيرا } أي : سهلا "[٤].
قال الطبري: يقول:" ثم قبضنا ذلك الدليل من الشمس على الظلّ إلينا قبضا خفيا سريعا بالفيء الذي نأتي به بالعشيّ"[٥].
قال ابن قتيبة:" يعني: الظّل الممدود بعد غروب الشمس، وذلك أنّ الشمس إذا غربت عاد الظل الممدود، وذلك وقت قبضه"[٦].
قال الصابوني:أي:" أزلنا هذا الظلَّ شيئاً فشيئاً، وقليلاً قليلاً لا دفعة واحدة لئلا تختل المصالح"[٧].
عن مجاهد، قوله: "{ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا}، قال: حوى الشمس الظلّ"[٨].
وفي قوله تعالى:{قَبْضًا يَسِيرًا} [الفرقان : ٤٦]، وجوه من التفسير:
أحدها : معناه: سريعاً ، قاله ابن عباس[٩].
الثاني : سهلاً ، قاله أبو مالك[١٠].
الثالث : خفياً ، قاله مجاهد[١١]، والسدي[١٢]، ومقاتل[١٣]، وبه قال ابن قتيبة[١٤].
قال ابن قتيبة:" لأن الظل بعد غروب الشمس لا يذهب كلّه دفعة واحدة، ولا يقبل الظلام كلّه جملة، وإنما يقبض الله جلّ وعز ذلك الظل قبضا خفيّا شيئا بعد شيء، ويعقب كلّ جزء منه يقبضه بجزء من سواد الليل حتى يذهب كلّه، فدلّ الله عز وجل بهذا الوصف على قدرته ولطفه في معاقبته بين الشمس والظل والليل، لمصالح عباده وبلاده"[١٥].
قال السدي:" يقول: قبضا خفيا حتى لا يبقى في الأرض ظل إلا تحت سقف أو تحت شجرة، وقد أظلت ما فوقه"[١٦].
قال مجاهد:" إن ما بين الشمس والظلّ مثل الخيط"[١٧].
الرابع: هينا خفيا. قاله الفراء[١٨].
الخامس: معناه: قليلا قليلا. قاله أيوب بن موسى[١٩].

---

(١) أخرجه الطبري:٢٧٦/١٩.
(٢) أخرجه الطبري:٢٧٧/١٩.
(٣) التفسير الميسر:٣٦٤.
(٤) تفسير ابن كثير:١١٤/٦.
(٥) تفسير الطبري:٢٧٧/١٩.
(٦) تاويل مشكل القرآن:١٩٢.
(٧) صفوة التفاسير:٣٣٥/٢.
(٨) أخرجه الطبري:٢٧٧/١٩.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٢٧٧/١٩.
(١٠) انظر: النكت والعيون:١٤٧/٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٢٧٧/١٩.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٢٣١):ص٢٧٠٣/٨، وحكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٨٤/١. بدون سند.
(١٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٦/٣.
(١٤) انظر: تأويل مشكل القرآن:١٩٢.
(١٥) تأويل مشكل القرآن:١٩٢.
(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٣١):ص٢٧٠٣/٨.
(١٧) أخرجه الطبري:٢٧٧/١٩.
(١٨) معاني القرآن:٢٦٨/٢.
(١٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٣٢):ص٢٧٠٣/٨.

قال الطبري:" اليسير: الفعيل، من: اليسر، وهو السهل الهين في كلام العرب. فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك، يتوجه لما روي عن ابن عباس ومجاهد؛ لأن سهولة قبض ذلك قد تكون بسرعة وخفاء"(١).

قال الربيع بن أنس:" الظل فيما بين طلوع الفجر إلى أن تطلع الشمس فيما ذلك كله ظل ثم جعلت الشمس عليه دليلا، ثم قبضه الرب تعالى قبضا يسيرا حتى إذا زالت الشمس على نصف النهار كان في انتقاص إلى أن تغرب الشمس قال: إن النهار اثنا عشر ساعة، فأول الساعة ما بين طلوع الفجر إلى أن ترى شعاع الشمس، ثم إن الساعة الثانية إذا رأيت شعاع الشمس إلى أن يضئ الإشراق، عند ذلك لم يبق من قرونها شيء وصفى لونها قال: فهو فيما سمعنا إذا كنت في أرض مستوية أو في مكان لا يحول بينك وبينها شيء فإذا كانت بقدر ما تريك عينك قيد رمحين فذلك أول الضحى وذلك أول ساعة من ساعات الضحى. ثم من بعد ذلك الضحى ساعتين ثم ساعة السادسة حين نصف النهار، فإذا زالت الشمس، عن نصف النهار فتلك ساعة صلاة الظهر وهي التي قال الله: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ}(٢)، ثم من بعد ذلك العشي ساعتين ثم أن الساعة العاشرة هي ميقات صلاة العصر قال: وهي الآصال. قال الله عز وجل: {وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}(٣)، ثم بعد ذلك ساعتين إلى الليل"(٤).

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (٤٧)} [الفرقان : ٤٧]

التفسير:

والله تعالى هو الذي جعل لكم الليل ساترًا لكم بظلامه كما يستركم اللباس، وجعل النوم راحة لأبدانكم، وجعل لكم النهار؛ لتنتشروا في الأرض، وتطلبوا معايشكم.

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا} [الفرقان : ٤٧]، أي:" والله تعالى هو الذي جعل لكم الليل ساترًا لكم بظلامه كما يستركم اللباس"(٥).

قال القرطبي:" يعني: سترا للخلق يقوم مقام اللباس في ستر البدن"(٦).

قال الطبري:" لأنه جعله لخلقه جنة يجتنون فيها ويسكنون، فصار لهم سترا يستترون به، كما يستترون بالثياب التي يُكسونها"(٧).

قال الزجاج:" أي: تسكنون فيه وهو مشتمل عليكم"(٨).

قال ابن كثير:" أي : يلبس الوجود ويُغَشيه، كما قال:{ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى } [الليل : ١]، وقال: { وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا } [الشمس : ٤]"(٩).

قال السعدي:" أي: من رحمته بكم ولطفه أن جعل الليل لكم بمنزلة اللباس الذي يغشاكم، حتى تستقروا فيه وتهدؤوا بالنوم"(١٠).

قوله تعالى:{وَالنَّوْمَ سُبَاتًا} [الفرقان : ٤٧]، أي:" وجعل النوم راحة لأبدانكم"(١١).

قال الطبري:" يقول: وجعل لكم النوم راحة تستريح به أبدانكم، وتهدأ به جوارحكم"(١٢).

---

(١) تفسير الطبري:٢٧٧/١٩.
(٢)[الإسراء : ٧٨].
(٣)[الأحزاب : ٤٢].
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٣٣)/ص٢٧٠٣/٨-٢٧٠٤.
(٥) التفسير الميسر:٣٦٤.
(٦) تفسيرا لقرطبي:٣٨/١٣.
(٧) تفسير الطبري:٢٧٨/١٩.
(٨) معاني القرآن:٢٧٢/٥.
(٩) تفسير ابن كثير:١١٤/٦.
(١٠) تفسيرا لسعدي:٥٨٤.
(١١) التفسير الميسر:٣٦٤.
(١٢) تفسير الطبري:٢٧٨/١٩.

قال القرطبي:" أي: راحة لأبدانكم بانقطاعكم عن الأشغال"(١).
قال ابن كثير:" أي : قَطْعًا للحركة لراحة الأبدان ، فإن الأعضاء والجوارح تكل من كثرة الحركة في الانتشار بالنهار في المعايش ، فإذا جاء الليل وسكن سكنت الحركات ، فاستراحت فحصل النوم الذي فيه راحة البدن والروح معا "(٢).
قال السعدي: " فلولا الليل لما سكن العباد ولا استمروا في تصرفهم فضرهم ذلك غاية الضرر، ولو استمر أيضا الظلام لتعطلت عليهم معايشهم ومصالحهم"(٣).
وفي قوله تعالى:{وَالنَّوْمَ سُبَاتًا} [الفرقان : ٤٧]،، وجوه:
أحدها : أن أصل «السبات»: التمدد. يقال: سبتت المرأة شعرها، أي نقضته وأرسلته، ورجل مسبوت، أي: ممدود الخلقة. وقيل: للنوم سبات لأنه بالتمدد يكون، وفي التمدد معنى الراحة. حكاه القرطبي(٤).
الثاني: أن «السَّبت»: الإقامة في المكان، فكأن السبات السكون عن عن الاضطراب والحركة، فالإنسان مسبوت فيه لايعقل كأنه ميت، وهذا معنى قول يحيى بن سلام(٥)، ومقاتل(٦).
وقال أبو عبيدة:" رجل مسبوت، فيه روح"(٧).
الثالث : أن «السَّبت»: القطع، فالنوم انقطاع عن الاشتغال، ومنه سبت اليهود لانقطاعهم عن الأعمال فيه. قاله ابن الأعرابي(٨)، وابن قتيبة(٩)، والزجاج(١٠).
وقال ابن الأعرابي: في قوله: {سباتاً}، أي:" قطعاً، والسَّبت: القطع، كأنه إذا نام فقد إنقطع عن الناس"(١١).
قال السمعاني:" النائم مسبوت؛ لأنه انقطع عمله مع بقاء الروح فيه"(١٢).
قال الزجاج:" «السبات»: أن ينقطع عن الحركة والروح في بدنه، أي: جعلنا نومكم راحة لكم"(١٣).
قال ابن قتيبة:" فليس «السّبات» -هاهنا-: النوم، فيكون معناه: وجعلنا نومكم نوما، ولكن السّبات: الراحة، أي: جعلنا النوم راحة لأبدانكم. ومنه قيل: يوم السبت، لأن الخلق اجتمع في يوم الجمعة، وكان الفراغ منه يوم السبت، فقيل لبني إسرائيل: استريحوا في هذا اليوم، ولا تعملوا شيئا، فسمّي يوم السبت، أي يوم الراحة. وأصل السبت: التّمدّد، ومن تمدّد استراح. ومنه قيل: رجل مسبوت، ويقال: سبتت المرأة شعرها: إذا نقضته من العقص وأرسلته. قال أبو وجزة السّعدي(١٤):
وإن سبّتته مال جثلا كأنّه ... سدى وأثلاث من نواسج خثعما
ثم قد يسمى النوم سباتا، لأنه بالتمدّد يكون. ومثل هذا كثير"(١٥).

---

(١) تفسيرا لقرطبي:٣٨/١٣.
(٢) تفسير ابن كثير:١١٤/٦.
(٣) تفسيرا لسعدي:٥٨٤.
(٤) انظر: تفسيرالقرطبي:٣٨/١٣.
(٥) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٤٨٤/١.
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٦/٣.
(٧) مجاز القرآن:٢٨٢/٢.
(٨) انظر: تهذيب اللغة" ١٢/ ٣٨٦ (سبت)، وانظر: "لسان العرب" ٢/ ٣٧ (سبت).
(٩) انظر: غريب القرىن:٣١٣.
(١٠) انظر: معاني القرآن:٢٧٢/٥.
(١١)تهذيب اللغة" ١٢/ ٣٨٦ (سبت)، وانظر: "لسان العرب" ٢/ ٣٧ (سبت).
(١٢) تفسير السمعاني:٢٣/٤.
(١٣) معاني القرآن:٢٧٢/٥.
(١٤) البيت بلا نسبة في أمالي المرتضى: ٢/ ١٥، وتفسير البحر المحيط: ٨/ ٤٠٩.
(١٥) تأويل مشكل القرآن:٥٤-٥٥.

وقال ابن الانباري:" لا يقال للراحة سبات، ولا يقال: سبت بمعنى استراح، ومعنى الآية: وجعلنا نومكم قطعاً لأعماركم؛ لأن أصل السبت القطع"[١].

قوله تعالى:{وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا} [الفرقان : ٤٧]، أي:" وجعل لكم النهار؛ لتنتشروا في الأرض، وتطلبوا معايشكم"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وجعل النهار يقظة وحياة من قولهم: نَشر الميتُ، كما قال الأعشى[٣]:

حَتى يقُولَ النَّاسُ مِمَّا رأَوْا ... يا عَجَبا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ"[٤].

وفي قوله تعالى:{وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا} [الفرقان : ٤٧]، وجهان:

أحدهما : لانتشار الروح باليقظة فيه، مأخوذ من: النشر والبعث، هو بالنشر من الموت والنوم أشبه. ومنه قوله-ﷺ-:« الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»[٥]. وهذا قول ابن جرير جرير الطبري[٦].

الثاني : لانتشار الناس في معايشهم، قاله مجاهد[٧]، وقتادة[٨]، وبه قال ابن كثير[٩].

قال قتادة:" لمعايشهم ولحوائجهم ولتصرفهم"[١٠].

وقال السدي:" يتفرقون فيه يبتغون الرزق"[١١].

قال ابن كثير:" أي : ينتشر الناسُ فيه لمعايشهم ومكاسبهم وأسبابهم ، كما قال تعالى : { وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [القصص : ٧٣]"[١٢].

قال السعدي: " جعل النهار نشورا ينتشرون فيه لتجاراتهم وأسفارهم وأعمالهم فيقوم بذلك ما يقوم من المصالح"[١٣].

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (٤٩)} [الفرقان : ٤٨ - ٤٩]

التفسير:

وهو الذي أرسل الرياح التي تحمل السحاب، تبشر الناس بالمطر رحمة منه، وأنزلنا من السماء ماء يُتَطَهَّر به؛ لنخرج به النبات في مكان لا نبات فيه، فيحيا البلد الجدب بعد موات، ونُسْقي ذلك الماء مِن خَلْقِنا كثيرًا من الأنعام والناس.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة: ١٢/ ٣٨٦ – ٣٨٧، (سبت).
(٢) التفسير الميسر:٣٦٤.
(٣)البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوان طبعة القاهرة، بشرح الدكتور محمد حسين ١٤١) وهو من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة، ويمدح عامر بن الطفيل في المنافرة التي جرت بينهما. وقبل البيت قوله: لَو أسْنَدَتْ مَيْتًا إلى صَدْرِهَا ... عَاشَ وَلَمْ يَنْقَلْ إلى قَابِرِ
والبيت كذلك في (اللسان: نشر).
(٤) تفسير الطبري:٢٧٨/١٩.
(٥)رواه البخاري (٦٣١٢). والحديث رواه مسلم (٢٧١١). من حديث البراء بن عازب -رضي الله عنه-. فقد سمى النوم موتًا، والاستيقاظ حياة.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٢٧٩/١٩.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٢٣٤):ص٢٧٠٣/٨، وتفسير يحيى بن سلام:٤٨٤/١.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٢٣٥):ص٢٧٠٤/٨.
(٩) انظر: تفسير ابن كثير:١١٤/٦.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٣٥):٢٧٠٤/٨.
(١١) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٨٤/١. بدون سند.
(١٢) تفسير ابن كثير:١١٤/٦.
(١٣) تفسيرا لسعدي:٥٨٤.

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} [الفرقان : ٤٨]، أي:" وهو الذي أرسل الرياح التي تحمل السحاب، تبشر الناس بالمطر رحمة منه"[١].

قال الطبري: يقول:" والله الذي أرسل الرياح الملقحة {بشرا}: حياة أو من الحيا والغيث الذي هو منزله على عباده"[٢].

قال بحبى:" تلقح السحاب بين يدي المطر"[٣].

قال السعدي: " أي: هو وحده الذي رحم عباده وأدر عليهم رزقه بأن أرسل الرياح مبشرات بين يدي رحمته وهو المطر فثار بها السحاب وتألف وصار كسفا وألقحته وأدرته بإذن آمرها والمتصرف فيها ليقع استبشار العباد بالمطر قبل نزوله وليستعدوا له قبل أن يفاجئهم دفعة واحدة"[٤].

قال ابن كثير:" وهذا أيضا من قدرته التامة وسلطانه العظيم ، وهو أنه تعالى يرسل الرياح مبشرات ، أي : بمجيء السحاب بعدها ، والرياح أنواع ، في صفات كثيرة من التسخير ، فمنها ما يثير السحاب ، ومنها ما يحمله ، ومنها ما يسوقه ، ومنها ما يكون بين يدي السحاب مبشِّرا ، ومنها ما يكون قبل ذلك يَقُمّ الأرض ، ومنها ما يلقح السحاب ليمطر"[٥].

قال الزمخشري:" {بين يدي رحمته}، استعارة مليحة، أى: قدام المطر"[٦].

وقرئ: «الريح»[٧].

قوله تعالى:{وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا} [الفرقان : ٤٨]، أي:" وأنزلنا من السماء ماء يُتَطَهَّر به"[٨].

قال الطبري: " يقول: وأنزلنا من السحاب الذي أنشأناه بالرياح من فوقكم أيها الناس ماء طهورا"[٩].

قال ابن كثير:" أي : آلة يتطهر بها ، كالسَّحُور والوقود وما جرى مجراه. فهذا أصح ما يقال في ذلك. وأما من قال : إنه فعول بمعنى فاعل ، أو : إنه مبني للمبالغة أو التعدي ، فعلى كل منهما إشكالات من حيث اللغة والحكم ، ليس هذا موضع بسطها ، والله أعلم"[١٠].

قال السعدي: " يطهر من الحدث والخبث ويطهر من الغش والأدناس، وفيه بركة من بركته أنه أنزله ليحيي به بلدة ميتا فتختلف أصناف النوابت والأشجار فيها مما يأكل الناس والأنعام"[١١].

قال السدي:" للمؤمنين يتطهرون به من الأحداث والجنابة"[١٢].

عن ثابت البناني قال : "دخلت مع أبي العالية في يوم مطير ، وطرق البصرة قذرة، فصلى ، فقلت له ، فقال : { وَأَنزلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا } قال : طهره ماء السماء"[١٣].

عن سعيد بن المسيب في هذه الآية : "{ وَأَنزلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا }، قال : أنزله الله ماءً طاهراً لا ينجسه شيء"[١٤].

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٤.
(٢) تفسير الطبري:٢٧٩/١٩.
(٣) تفسير يحيى بن سلام:٤٨٤/١-٤٨٥.
(٤) تفسيرا لسعدي:٥٨٤.
(٥) تفسير ابن كثير:١١٤/٦.
(٦) الكشاف:٢٨٤/٣.
(٧) انظر: الكشاف:٢٨٤/٣.
(٨) التفسير الميسر:٣٦٤.
(٩) تفسير الطبري:٢٧٩/١٩.
(١٠) تفسير ابن كثير:١١٤/٦-١١٥.
(١١) تفسيرا لسعدي:٥٨٤.
(١٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٨٥/١.
(١٣)رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير:١١٥/٦ .
(١٤)رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير:١١٥/٦ .

وعن أبي سعيد قال : "قيل : يا رسول الله ، أنتوضأ من بئر بضاعة ؟ - وهي بئر يُلقَى فيها النَّتَن ، ولحوم الكلاب - فقال : «إن الماء طهور لا ينجسه شيء»"[١].

قال الزجاج:" كل ماء نزل من السماء أو خرج من بحر أو أذيب من ثلج أو برد فهو طهور، قال عليه السلام في البحر: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته»[٢] "[٣].

قال الزمخشري:" لما كان سقى الأناسى من جملة ما أنزل له الماء، وصفه بالطهور إكراما لهم، وتتميما للمنة عليهم، وبيانا أن من حقهم حين أراد الله لهم الطهارة وأرادهم عليها أن يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم، وأن يربئوا بأنفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم"[٤].

قوله تعالى:{لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا} [الفرقان : ٤٩]، أي:" لنخرج به النبات في مكان لا نبات فيه، فيحيا البلد الجدب بعد موات"[٥].

قال السمعاني:" أي: بلدا ميتا، وإحياؤه بإنبات النبات، وإخراج الأشجار والثمار"[٦].

قال يحيى:" {لنحيي به} بالمطر، {بلدة ميتا}: اليابسة التي ليس فيها نبات"[٧].

قال الطبري: " يعني: أرضا قحطة عذية لا تنبت"[٨].

قال ابن كثير:" أي : أرضا قد طال انتظارها للغيث ، فهي هامدة لا نبات فيها ولا شيء. فلما جاءها الحيا عاشت واكتست رباها أنواع الأزاهير والألوان ، كما قال تعالى : { فَإِذَا أَنزلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ } [الحج : ٥]"[٩].

قال عكرمة:" ما أنزل الله عز وجل من السماء قطرة إلا كانت بها في الأرض عشبة أو في البحر لؤلؤة"[١٠].

روي أن خالد بن يزيد، كان عند عبد الملك بن مروان، فذكروا الماء، فقال خالد بن يزيد: "منه من السماء ومنه ما يسقيه الغيم من البحر فيعذبه الرعد والبرق، وأما ما كان من البحر فلا يكون له نبات، وأما النبات فمما كان من السماء"[١١].

قوله تعالى:{وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا} [الفرقان : ٤٩]، أي:" ونُسْقي ذلك الماء مِن خَلْقِنا كثيرًا من الأنعام والناس"[١٢].

قال السمعاني:" أي: نسقى بالماء أنعاما وأناسي كثيرا"[١٣].

قال ابن كثير:" أي : وليشرب منه الحيوان من أنعام وأناسي محتاجين إليه غاية الحاجة ، لشربهم وزروعهم وثمارهم ، كما قال تعالى : { وَهُوَ الَّذِي يُنزلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ } [الشورى : ٢٨] وقال تعالى : { فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ

---

(١)الأم للشافعي (٩/١) والمسند (١٥/٣) وسنن أبي داود برقم (٦٦) وسنن الترمذي برقم (٦٦) وسنن النسائي النسائي (١٧٤/١).

(٢)أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير (٤٧٨/٣) ، والحاكم (٢٣٨/١، رقم ٤٩٣) ، والبيهقى فى معرفة السنن (٢٢٦/١، رقم ٤٧٥) . وأخرجه أيضا: فى السنن الكبرى (٣/١، رقم ٢). من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-.

(٣) معاني القرآن:٧١/٤.

(٤) الكشاف:٢٨٥/٣.

(٥) التفسير الميسر:٣٦٤.

(٦) تفسير السمعاني:٢٤/٤.

(٧) تفسير يحيى بن سلام:٤٨٥/١.

(٨) تفسير الطبري:٢٧٩/١٩.

(٩) تفسير ابن كثير:١١٥/٦.

(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٤٤):ص٢٧٠٦/٨.

(١١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٤٥):ص٢٧٠٦/٨.

(١٢) التفسير الميسر:٣٦٤.

(١٣) تفسير السمعاني:٢٤/٤.

كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [الروم : ٥٠]"[١].

قال السعدي: " أي: نسقيكموه أنتم وأنعامكم، أليس الذي أرسل الرياح المبشرات وجعلها في عملها متنوعات، وأنزل من السماء ماء طهورا مباركا فيه رزق العباد ورزق بهائمهم، هو الذي يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك معه غيره؟"[٢].

عن السدي قوله: "{أنعاما}، قال: الراعية"[٣].

قال الزجاج:" «أناسى»، جمع: إنسى مثل: كرسي وكراسي، ويجوز أن يكون جمع إنسان، وتكون الياء بدلا من النون، الأصل: أناسين بالنون، مثل: سراحين"[٤].

قال الزمخشري:" فإن قلت: لم خص الأنعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب؟

قلت: لأن الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب، بخلاف الأنعام: ولأنها قنية الأناسى، وعامة منافعهم متعلقة بها، فكان الإنعام عليهم بسقى أنعامهم كالإنعام بسقيهم.

فإن قلت: فما معنى تنكير الأنعام والأناسى ووصفها بالكثرة؟

قلت: معنى ذلك أن عليه الناس وجلهم منيخون بالقرب من الأودية والأنهار ومنابع الماء، فبهم غنية عن سقى السماء، وأعقابهم- وهم كثير منهم- لا يعيشهم إلا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه، وكذلك قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين من مظان الماء.

فإن قلت: لم قدم إحياء الأرض وسقى الأنعام على سقى الأناسى؟

قلت: لأن حياة الأناسى بحياة أرضهم وحياة أنعامهم، فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم، ولأنهم إذا ظفروا بما يكون سقيا أرضهم ومواشيهم، لم يعدموا سقياهم"[٥].

قال ابن عباس:" ما عام بأكثر مطرا من عام، أو قال: ماء، ولكن الله يصرفه حيث يشاء. وقرأ هذه الآية: {ولقد صرفناه بينهم ليذكروا} [الفرقان: ٥٠]"[٦].

وقرئ: «نسقيه»، بالفتح[٧].

فوائد الآيات:[٤٥-٤٩]:

١- عرض الأدلة الحسية على وجوب عبادة الله تعالى وتوحيده فيها ووجوب الإيمان بالبعث والجزاء الذي أنكره المشركون فضلوا ضلالاً بعيداً.

٢- بيان فائدة الظل إذ به تعرف ساعات النهار وبه يعرف وقت صلاة الظهر والعصر فوقت الظهر من بداية الفيء، أي زيادة الظل بعد توقفه من النقصان عند وقوف الشمس في كبد السماء، ووقت العصر من زيادة الظل مثله بمعنى إذا دخل الظهر والظل أربعة أقدام أو ثلاثة أو أقل أو أكثر فإذا زاد مثله دخل وقت العصر فإن زالت الشمس على أربعة أقدام فالعصر يدخل عندما يكون الظل ثمانية أقدام وإن زالت الشمس على ثلاثة أقدام فالعصر على ستة أقدام وهكذا.

٣- الماء الطهور وهو الباقي على أصل٢ خلقته فلم يخالطه شيء يغير طعمه أو لونه أو ريحه. وبه ترفع الأحداث وتغسل النجاسات، ويحرم منعه عمن احتاج إليه من شرب أو طهارة.

القرآن

{وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٥٠)} [الفرقان : ٥٠]

---

(١) تفسير ابن كثير:٦/١١٥.

(٢) تفسيرا لسعدي:٥٨٤.

(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٤٦):ص٨/٢٧٠٦.

(٤) معاني القرآن:٤/٧١.

(٥) الكشاف:٣/٢٨٥.

(٦) رواه يحيى بن سلام في التفسير:١/٤٨٥.

(٧) انظر: الكشاف:٣/١٨٥.

التفسير:
ولقد أنزلنا المطر على أرض دون أخرى؛ ليذكر الذين أنزلنا عليهم المطر نعمة الله عليهم، فيشكروا له، وليذكر الذين مُنعوا منه، فيسارعوا بالتوبة إلى الله -جل وعلا- ليرحمهم ويسقيهم، فأبى أكثر الناس إلا جحودًا لنعمنا عليهم، كقولهم: مطرنا بنَوْء كذا وكذا.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا} [الفرقان : ٥٠]، أي:" ولقد أنزلنا المطر على أرض دون أخرى؛ ليذكر الذين أنزلنا عليهم المطر نعمة الله عليهم، فيشكروا له، وليذكر الذين مُنعوا منه، فيسارعوا بالتوبة إلى الله -جل وعلا- ليرحمهم ويسقيهم"(١).

قال الطبري: يقول: " ولقد قسمنا هذا الماء الذي أنزلناه من السماء طهورا لنحيي به الميت من الأرض بين عبادي، ليتذكروا نعمي عليهم، ويشكروا أيادي عندهم وإحساني إليهم"(٢).

قال مقاتل:" يعني: المطر بين الناس يصرف المطر أحيانا مرة بهذا البلد ومرة ببلد آخر، فذلك التصرف، {ليذكروا} في صنعه فيعتبروا في توحيد الله- عز وجل- فيوحده"(٣).

قال الزجاج:" أي: صرفنا المطر بينهم ليتفكروا في نعم الله عليهم فيه، ويحمدوه على ذلك"(٤).

قال ابن كثير:" أي : أمطرنا هذه الأرض دون هذه ، وسقنا السحاب فمر على الأرض وتعداها وجاوزها إلى الأرض الأخرى ، فأمطرتها وكفتها فجعلتها عذقا ، والتي وراءها لم ينزل فيها قطرة من ماء ، وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة، أي : ليذكروا بإحياء الله الأرض الميتة أنه قادر على إحياء الأموات، والعظام الرفات، أو : ليذكر من منع القَطْر أنما أصابه ذلك بذنب أصابه ، فيقلع عما هو فيه"(٥).

عن مجاهد، قوله: "{ولقد صرفناه بينهم}، قال: المطر ينزله في الأرض، ولا ينزله في الأرض الأخرى"(٦).

عن عكرمة، "{ولقد صرفناه بينهم}، قال: الغيث يسقي هذه ويمنع هذه"(٧).

قال ابن زيد:" المطر مرة هاهنا، ومرة هاهنا"(٨).

قال قتادة:" وإن الله عز وجل قسم هذا الرزق بين عباده وصرفه بينهم"(٩).

قال ابن عباس:" ما عام بأكثر مطرا من عام، ولكن الله يصرفه بين خلقه؛ قال: ثم قرأ: {ولقد صرفناه بينهم}"(١٠). وفي رواية:" ولكنه يصرفه في الأرضين"(١١).

قال عبدالله بن مسعود:" ليس عام بأمطر من عام، ولكنه يصرفه، ثم قال عبد الله: {ولقد صرفناه بينهم}"(١٢).

قال عمر مولى غفرة: "كان جبريل ، عليه السلام ، في موضع الجنائز ، فقال له النبي ﷺ : «يا جبريل ، إني أحب أن أعلم أمْرَ السحاب ؟» قال : فقال جبريل : يا نبي الله ، هذا ملك السحاب فسله. فقال : تأتينا صَكاك مُخَتَّمة : اسق بلاد كذا وكذا ، كذا وكذا قطرة"(١٣).

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٤.
(٢) تفسير الطبري:٢٧٩/١٩.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٧/٣.
(٤) معاني القرآن:٧١/٤.
(٥) تفسير ابن كثير:١١٥/٦-١١٦.
(٦) أخرجه الطبري:٢٨٠/١٩.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٤٨):ص٢٧٠٦/٨.
(٨) أخرجه الطبري:٢٨٠/١٩.
(٩) اخجره ابن ابي حاتم(١٥٢٥٠):ص٢٧٠٧/٨.
(١٠) أخرجه الطبري:٢٨٠/١٩.
(١١) أخرجه الطبري:٢٨٠/١٩.
(١٢) أخرجه الطبري:٢٨٠/١٩.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٤٩):ص٢٧٠٦/٨. قال ابن كثير:١١٦/٦:" حديث مرسل".

وقال ابن جابر: "سألت عطاء الخراساني، عن قول الله: {ولقد صرفناه بينهم ليذكروا}، قال: القرآن ألا ترى إلى قوله فيها: {وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا(٥١) {فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا}[(١)]"[(٢)].

قوله تعالى:{فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا} [الفرقان : ٥٠]، أي:" فأبى أكثر الناس إلا جحودًا لنعمنا عليهم"[(٣)].

قال مقاتل:" يعني: إلا كفرا بالله- تعالى- في نعمه"[(٤)].

قال الطبري:" يقول: إلا جحودا لنعمي عليهم، وأيادي عليهم"[(٥)].

قال الزجاج:" وهم الذين يقولون: مطرنا بنوء كذا، أي: بسقوط كوكب كذا،، كما يقول المنجمون، فجعلهم الله بذلك كافرين"[(٦)].

عن عكرمة: "{فأبى أكثر الناس إلا كفورا}، قال: قولهم في الأنواء"[(٧)].

قيل لعكرمة: "ما كفرهم؟ قال: يقولون: مطرنا بالأنواء، فأنزل الله في الواقعة: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}[(٨)]"[(٩)].

عن زيد بن خالد، قال: «خطبنا رسول الله ﷺ بالحديبية، على إثر سماء كانت من الليل، فقال: أتدرون ماذا قال ربكم الليلة؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي، كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي، مؤمن بالكوكب»[(١٠)].

وفي صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد، عن أبي مالك الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»[(١١)].

القرآن

{وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢)} [الفرقان : ٥١ - ٥٢]

التفسير:

ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرًا، يدعوهم إلى الله عز وجل، وينذرهم عذابه، ولكنا جعلناك - أيها الرسول - مبعوثًا إلى جميع أهل الأرض، وأمرناك أن تبلغهم هذا القرآن، فلا تطع الكافرين في ترك شيء مما أرسلتَ به، بل ابذل جهدك في تبليغ الرسالة، وجاهد الكافرين بهذا القرآن جهادًا كبيرًا، لا يخالطه فتور.

قوله تعالى:{وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا} [الفرقان : ٥١]، أي:" ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرًا، يدعوهم إلى الله عز وجل، وينذرهم عذابه"[(١٢)].

قال الطبري: يقول:" ولو شئنا يا محمد لأرسلنا في كل مصر ومدينة نذيرا ينذرهم بأسنا على كفرهم بنا، فيخفف عنك كثير من أعباء ما حملناك منه، ويسقط عنك بذلك مؤنة عظيمة،

---

(١)[الفرقان :٥١- ٥٢].
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٥١):ص٢٧٠٧/٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٦٤.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٧/٣.
(٥) تفسير الطبري:٢٧٩/١٩.
(٦) معاني القرآن:٧١/٤.
(٧) أخرجه الطبري:٢٨٠/١٩.
(٨)[الواقعة : ٨٢].
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٥٢):ص٢٧٠٧/٨.
(١٠)البخاري ٢: ٤٣٣ - ٤٣٤، و٧: ٣٣٨ (فتح). ومسلم ١: ٣٤.
(١١)مسلم ١: ٢٥٦. والمسند ٥: ٣٤٢ - ٣٤٣ (طبعة الحلبي).
(١٢) التفسير الميسر:٣٦٤.

ولكنا حملناك ثقل نذارة جميع القرى، لتستوجب بصبرك عليه إن صبرت ما أعد الله لك من الكرامة عنده، والمنازل الرفيعة قبله"(١).

قوله تعالى:{فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ} [الفرقان : ٥٢]، أي:" فلا تطع الكافرين في ترك شيء مما أرسلتَ به"(٢).

قال يحيى:" فيما ينهونك عنه من طاعة الله"(٣).

قال الطبري:" فيما يدعونك إليه من أن تعبد آلهتهم، فنذيقك ضعف الحياة وضعف الممات"(٤).

قوله تعالى:{وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا} [الفرقان : ٥٢]، أي:" وجاهد الكافرين بهذا القرآن جهادًا كبيرًا، لا يخالطه فتور"(٥).

قال الطبري:" ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهادا كبيرا، حتى ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله، ويدينوا به ويذعنوا للعمل بجميعه طوعا وكرها"(٦).

قال يحيى:" :{وَجَاهِدْهُمْ بِهِ}: بالقرآن، هذا الجهاد باللسان يومئذ بمكة قبل أن يؤمر بقتالهم"(٧).

وقال السدي: "بالقول"(٨).

عن ابن عباس، قوله "{فلا تطع الكافرين وجاهدهم به}، قال: بالقرآن"(٩).

عن ابن زيد، قوله: "{وجاهدهم به جهادا كبيرا}، قال: الإسلام. وقرأ: {واغلظ عليهم}، وقرأ: {وليجدوا فيكم غلظة}، وقال: هذا الجهاد الكبير"(١٠).

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا (٥٣)} [الفرقان : ٥٣]

التفسير:

والله هو الذي خلط البحرين: العذب السائغ الشراب، والملح الشديد الملوحة، وجعل بينهما حاجزًا يمنع كل واحدٍ منهما من إفساد الآخر، ومانعًا مِن أن يصل أحدهما إلى الآخر.

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ} [الفرقان : ٥٣]، أي:" والله هو الذي خلط البحرين"(١١).

قال المراغي:" أي: ومن آثار نعمته على خلقه أن خلى البحرين متجاورين متلاصقين وجعلهما لا يمتزجان"(١٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: والله الذي خلط البحرين، فأمرج أحدهما في الآخر، وأفاضه فيه. وأصل المرج الخلط، ثم يقال للتخلية مرج؛ لأن الرجل إذا خلى الشيء حتى اختلط بغيره، فكأنه قد مرجه، ومنه الخبر عن النبي ﷺ، وقوله لعبد الله بن عمرو: «كيف بك يا عبد الله إذا كنت في حثالة من الناس، قد مرجت عهودهم وأماناتهم، وصاروا هكذا وشبك بين

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٢٨٠.
(٢) التفسير الميسر:٣٦٤.
(٣) تفسير يحيى بن سلام:١/٤٨٦.
(٤) تفسير الطبري:١٩/٢٨٠-٢٨١.
(٥) التفسير الميسر:٣٦٤.
(٦) تفسير الطبري:١٩/٢٨٠-٢٨١.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:١/٤٨٦.
(٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:١/٤٨٦.
(٩) أخرجه الطبري:١٩/٢٨١.
(١٠) أخرجه الطبري:١٩/٢٨١.
(١١) التفسير الميسر:٣٦٤.
(١٢) تفسير المراغي:١٩/٢٦.

أصابعه»[1]. يعني بقوله: قد مرجت: اختلطت، ومنه قول الله: {في أمر مريج}، أي: مختلط. وإنما قيل للمرج مرج من ذلك، لأنه يكون فيه أخلاط من الدواب، ويقال: مرجت دابتك: أي خليتها تذهب حيث شاءت. ومنه قول الراجز[2]:

رعى بها مرج ربيع ممرج"[3].

عن ابن عباس، قوله: "{وهو الذي مرج البحرين}، يعني: أنه خلع أحدهما على الآخر"[4].

قال الضحك:" يقول: خلع أحدهما على الآخر"[5].

قال مجاهد:" أفاض أحدهما على الآخر"[6].

قوله تعالى:{هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ} [الفرقان : ٥٣]، أي:" العذب السائغ الشراب، والملح الشديد الملوحة"[7].

قال الطبري:" الفرات: شديد العذوبة، يقال: هذا ماء فرات: أي شديد العذوبة وقوله {وهذا ملح أجاج}، يقول: وهذا ملح مر، يعني بالعذب الفرات: مياه الأنهار والأمطار، وبالملح الأجاج: مياه البحار، وإنما عنى بذلك أنه من نعمته على خلقه، وعظيم سلطانه، يخلط ماء البحر العذب بماء البحر الملح الأجاج، ثم يمنع الملح من تغيير العذب عن عذوبته، وإفساده إياه بقضائه وقدرته، لئلا يضر إفساده إياه بركبان الملح منهما، فلا يجدوا ماء يشربونه عند حاجتهم إلى الماء"[8].

قال الزجاج:" فرات: صفة لعذب، والفرات أشد المياه عذوبة، والمعنى هذا عذب أشد الماء عذوبة، {وهذا ملح أجاج}، والأجاج صفة للملح، المعنى وهذا ملح أشد الملوحة"[9].

قال عطاء:" وأما الفرات فالماء العذاب وفي قوله: وهذا ملح أجاج وأما الأجاج: فالماء المالح"[10].

عن قتادة قوله: "{وهذا ملح}، أجاج، أي: مر"[11].

قوله تعالى:{وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا} [الفرقان : ٥٣]، أي:" وجعل بينهما حاجزًا يمنع كل واحدٍ منهما من إفساد الآخر"[12].

قال ابن كثير:" أي : بين العذب والمالح حاجزاً ، وهو اليَبَس من الأرض "[13].

---

(١)رواه الإمام أبو داود في كتاب الملاحم من سننه، باب الأمر والنهي عن عبد الله بن عمرو بن العاص برقم (٤٣٤٢)، (٤/ ١٢١)، والإمام ابن ماجه في كتاب الفتن من سننه، باب التثبت في الفتنة برقم (٣٩٥٧)، (٢/ ١٣٠٧ ـ ١٣٠٨)، والإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٢١)، والإمام الطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ٦٧)، والإمام الحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي (٤/ ٤٣٥)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٠٥)، (١/ ٣٦٧). وعبد القادر الأرناؤوط في تعليقه على جامع الأصول (١٠/ ٦).

(٢)البيت من مشطور الرجز، للعجاج الراجز (ديوانه طبع ليبسك سنة ١٠٩٣ ص ٩) وهو البيت الثاني والثمانون من أرجوزته التي مطلعها * ما هاج أحزانا وشجوا قد شجا *

وضبط ناشره لفظ ممرج، بضم الميم الأول وكسر الراء، والصواب ما في اللسان، ونقلناه عنه، وهو اسم مكان من مرج الدابة يمرجها (من باب نصر) إذا أرسلها ترعى في المرج.

(٣) تفسير الطبري:٢٨١/١٩.

(٤) اخرجه الطبري:٢٨٢/١٩-٢٨٣.

(٥) أخرجه الطبري:٢٨٣/١٩.

(٦) أخرجه الطبري:٢٨٣/١٩.

(٧) التفسير الميسر:٣٦٤.

(٨) تفسير الطبري:٢٨٣/١٩.

(٩) معاني القرآن:٧٢/٤.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٦٠):ص٢٧٠٨/٨.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٦١):ص٢٧٠٨/٨.

(١٢) التفسير الميسر:٣٦٤.

(١٣) تفسير ابن كثير:١١٧/٦.

قال السعدي:" أي: حاجزا يحجز من اختلاط أحدهما بالآخر فتذهب المنفعة المقصودة منها"(١).

قال السمعاني:" يقال: باليبس بين البحرين، وقيل: بالهواء بين بحر السماء وبحر الأرض، وقيل: بالقدرة بين الملح والعذب، فلا يختلط الملح بالعذب، ولا العذب بالملح، وهذا في موضع مخصوص بخليج مصر، والبرزخ هو الحاجز"(٢).

قال الزجاج:" البرزخ: الحاجز فهما في مرأى العين مختلطان، وفي قدرة الله – عز وجل - منفصلان لا يختلط أحدهما بالآخر"(٣).

عن الحسن: "{وجعل بينهما برزخا}، قال: هو اليبس"(٤).

عن مجاهد، قوله: "{برزخا}، قال: محبسا"(٥).

قال مجاهد: "البرزخ: عرض الدنيا"(٦).

عن مجاهد: "{برزخا}: حجازا لا يراه أحد لا يختلط العذب بالبحر ولا يختلط بحر الروم وفارس وبحر الروم ملح"(٧).

قال ابن جريج: "فلم أجد بحرا عذبا إلا الأنهار العذاب تمور فيه بينهما مثل الخيط الأبيض فإذا رجعت لم ترجع في طريقهما من البحر شيء والنيل زعموا ينصب في البحر فلم أجد في قول مجاهد العذب بالبحر فلم أجد العذاب إلا الأنهار"(٨).

عن الضحاك قوله: "{برزخا}، قال: بينهما البرزخ، وهو الأجل ما بين الدنيا والآخرة"(٩).

قال قتادة:" البرزخ: التخوم"(١٠).

قال الطبري:" فلو كان البرزخ الذي بين العذب الفرات من البحرين، والملح الأجاج أرضا أو يبسا لم يكن هناك مرج للبحرين، وقد أخبر جل ثناؤه أنه مرجهما، وإنما عرفنا قدرته بحجزه هذا الملح الأجاج عن إفساد هذا العذب الفرات، مع اختلاط كل واحد منهما بصاحبه. فأما إذا كان كل واحد منهما في حيز عن حيز صاحبه، فليس هناك مرج، ولا هناك من الأعجوبة ما ينبه عليه أهل الجهل به من الناس، ويذكرون به، وإن كان كل ما ابتدعه ربنا عجيبا، وفيه أعظم العبر والمواعظ والحجج البوالغ"(١١).

قوله تعالى:{وَحِجْرًا مَحْجُورًا} [الفرقان : ٥٣]، أي:" وجعل بينهما مانعًا مِن أن يصل أحدهما إلى الآخر"(١٢).

قال السعدي:" أي: حاجزا حصينا"(١٣).

قال السمعاني:" أي: مانعا ممنوعا، قال الشاعر(١٤):

فرب ذي سرادق محجور ... سرت إليه من أعالي السور"(١٥).

---

(١) تفسير السعدي:٥٨٥.
(٢) تفسير السمعاني:٢٦/٤.
(٣) معاني القرآن:٧٢/٤.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٦٢):ص٢٧٠٨/٨.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٦٤):ص٢٧٠٨/٨.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٦٣):ص٢٧٠٨/٨.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٦٧):ص٢٧٠٩/٨.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٦٧):ص٢٧٠٩/٨.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٦٥):ص٢٧٠٩/٨.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٦٦):ص٢٧٠٩/٨.
(١١) تفسير الطبري:٢٨٤/١٩.
(١٢) التفسير الميسر:٣٦٤.
(١٣) تفسير السعدي:٥٨٥.
(١٤) البيت للعجّاج فى ديوانه رقم ١٥، وفى الكتاب لسيبويه ٢/ ٢٤٥ واللسان، التاج (سور).
(١٥) تفسير السمعاني:٢٦/٤.

قال مقاتل:" يعني: حجابا محجوبا فلا يختلطان ولا يفسد طعم الماء العذب"(١).
قال يحيى:" محرما أن يغلب أحدهما على الآخر"(٢).
قال ابن كثير:" أي : مانعاً أن يصل أحدهما إلى الآخر ، كما قال : { مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } [الرحمن : ١٩ - ٢١] ، وقال تعالى : { أَمَّنْ جَعَلَ الأرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ } [النمل : ٦١]"(٣).
عن ابن عباس قوله: "{وحجرا محجورا}، يقول: حجز أحدهما، عن الآخر بأمره وقضائه وهو مثل قوله: وجعل بين البحرين حاجزا"(٤).
عن مجاهد، قوله: "{حجرا محجورا}، لا يختلط البحر بالعذب"(٥).
قال قتادة:" حجر العذب، عن المالح والمالح، عن العذب"(٦).
عن الضحاك قوله: "{حجرا محجورا}، قال: جعل بينهما حاجزا من أمره لا يسيل المالح على العذب ولا العذب على المالح"(٧).
عن خصيف، قوله:"{وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا}، قال: حجازا محجوزا"(٨).
محجوزا"(٨).
عن ابن زيد، قوله:"{وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا}، قال: جعل بينهما سترا لا يلتقيان قال: والعرب إذا كلم أحدهما الآخر بما يكره قال: سترا دون الذي تقول"(٩).

القرآن
{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٥٤)} [الفرقان : ٥٤]
التفسير:
وهو الذي خلق مِن منيِّ الرجل والمرأة ذرية ذكورًا وإناثًا، فنشأ من هذا قرابة النسب وقرابة المصاهرة. وكان ربك قديرًا على خلق ما يشاء.
قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا} [الفرقان : ٥٤]، أي:" وهو الذي خلق مِن منيِّ الرجل والمرأة ذرية ذكورًا وإناثًا"(١٠).
قال مقاتل:" يعني: النطفة إنسانا"(١١).
قال الطبري:" والله الذي خلق من النطف بشرا إنسانا"(١٢).
قال ابن كثير:" أي : خلق الإنسان من نطفة ضعيفة ، فسواه وعَدّله ، وجعله كامل الخلقة ، ذكراً أو أنثى ، كما يشاء "(١٣).
قال السعدي:" أي: وهو الله وحده لا شريك له الذي خلق الآدمي من ماء مهين"(١٤).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٧/٣.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٤٨٦/١.
(٣) تفسير ابن كثير:١١٧/٦.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٦٩):ص٢٧٠٩/٨.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٧٠):ص٢٧٠٩/٨.
(٦) تفسير ابن ابي حاتم:٢٧٠٩/٨. بدون سند.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٦٨):ص٢٧٠٩/٨.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٧٢):ص٢٧١٠/٨.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٧١):ص٢٧١٠/٨.
(١٠) التفسير الميسر:٣٦٤.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٧/٣.
(١٢) تفسير الطبري:٢٨٤/١٩.
(١٣) تفسير ابن كثير:١١٧/٦.
(١٤) تفسير السعدي:٥٨٥.

قوله تعالى:{فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا} [الفرقان : ٥٤]، أي:" فنشأ من هذا قرابة النسب وقرابة المصاهرة"(١).

قال الطبري:" فجعله نسبا، وذلك سبعة، وصهرا، وهو خمسة"(٢).

قال مقاتل:" يعني: الإنسان نسبا وصهرا، أما النسب فالقرابة سبع: أمهاتكم وبناتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ والصهر من القرابة له خمس نسوة، أمهاتكم اللاتي أرضعنكم، وأخواتكم من الرضاعة، وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم، فهذا من الصهر"(٣).

قال ابن كثير:" فهو في ابتداء أمره ولد نسيب ، ثم يتزوج فيصير صهراً ، ثم يصير له أصهار وأختان وقرابات. وكل ذلك من ماء مهين"(٤).

قال السمعاني:" النسب: نسبة من قرابة، والصهر خلطة من غير النسب، والله تعالى حرم سبعا بالنسب، وسبعا بالسبب، ويقال: النسب ما يوجب الحرمة، والصهر مالا يوجب الحرمة"(٥).

قال السعدي:" جعلهم أنسابا وأصهارا متفرقين ومجتمعين، والمادة كلها من ذلك الماء المهين"(٦).

عن الضحاك: قوله: "{فجعله نسبا وصهرا}، النسب: سبع، قوله: {حرمت عليكم أمهاتكم} ... إلى قوله {وبنات الأخت}، والصهر خمس، قوله: {وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم} ... إلى قوله {وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم}"(٧).

قوله تعالى:{وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا} [الفرقان : ٥٤]، أي:" وكان ربك قديرًا على خلق ما يشاء"(٨).

قال مقاتل:" على ما أراده"(٩).

قال الطبري:" يقول: وربك يا محمد ذو قدرة على خلق ما يشاء من الخلق، وتصريفهم فيما شاء وأراد"(١٠).

قال السعدي:" يدل على كمال اقتداره"(١١).

القرآن

{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا (٥٥)} [الفرقان : ٥٥]

التفسير:

ومع كل هذه الدلائل على قدرة الله وإنعامه على خلقه يَعبدُ الكفار مِن دون الله ما لا ينفعهم إن عبدوه، ولا يضرهم إن تركوا عبادته، وكان الكافر عونًا للشيطان على ربه بالشرك في عبادة الله، مُظَاهِرًا له على معصيته.

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٤.
(٢) تفسير الطبري:٢٨٤/١٩.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٧/٣.
(٤) تفسير ابن كثير:١١٧/٦.
(٥) تفسير السمعاني:٢٦/٤.
(٦) تفسير السعدي:٥٨٥.
(٧) أخرجه الطبري:٢٨٤/١٩.
(٨) التفسير الميسر:٣٦٤.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٧/٣.
(١٠) تفسير الطبري:٢٨٤/١٩.
(١١) تفسير السعدي:٥٨٥.

قوله تعالى:{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ} [الفرقان : ٥٥]، أي:" ومع كل هذه الدلائل على قدرة الله وإنعامه على خلقه يَعبدُ الكفار مِن دون الله ما لا ينفعهم إن عبدوه، ولا يضرهم إن تركوا عبادته"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهة لا تنفعهم، فتجلب إليهم نفعا إذا هم عبدوها، ولا تضرهم إن تركوا عبادتها، ويتركون عبادة من أنعم عليهم هذه النعم التي لا كفاء لأدناها، وهي ما عدد علينا ﷺ في هذه الآيات من قوله: {ألم تر إلى ربك كيف مد الظل} إلى قوله: {قديرا}، ومن قدرته القدرة التي لا يمتنع عليه معها شيء أراده، ولا يتعذر عليه فعل شيء أراد فعله، ومن إذا أراد عقاب بعض من عصاه من عباده أحل به ما أحل بالذين وصف صفتهم من قوم فرعون وعاد وثمود وأصحاب الرس، وقرونا بين ذلك كثيرا، فلم يكن لمن غضب عليه منه ناصر، ولا له عنه دافع"(٢).

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن جهل المشركين في عبادتهم غير الله من الأصنام ، التي لا تملك لهم نفعاً ولا ضرا ، بلا دليل قادهم إلى ذلك ، ولا حجة أدتهم إليه ، بل بمجرد الآراء ، والتشهي والأهواء ، فهم يوالونهم ويقاتلون في سبيلهم ، ويعادون الله ورسوله والمؤمنون فيهم"(٣).

قال السعدي:" أي: يعبدون أصناما وأمواتا لا تضر ولا تنفع ويجعلونها أندادا لمالك النفع والضرر والعطاء والمنع مع أن الواجب عليهم أن يكونوا مقتدين بإرشادات ربهم ذابين عن دينه، ولكنهم عكسوا القضية"(٤).

قوله تعالى:{وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا} [الفرقان : ٥٥]، أي:" وكان الكافر عونًا للشيطان على ربه بالشرك في عبادة الله، مُظَاهِرًا له على معصيته"(٥).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وكان الكافر معينا للشيطان على ربه، مظاهرا له على معصيته"(٦).

قال مقاتل:" يعني: معينا للمشركين على ألا يوحدوا الله- عز وجل-"(٧).

قال ابن كثير:" أي : عونا في سبيل الشيطان على حزب الله ، وحزب الله هم الغالبون ، كما قال تعالى : { وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ * لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ } [يس : ٧٤ - ٧٥] أي : آلهتهم التي اتخذوها من دون الله لا تملك لهم نصرا ، وهؤلاء الجهلة للأصنام جند محضرون يقاتلون عنهم ، ويَذبُّون عن حَوْزتهم ، ولكن العاقبة والنصرة لله ولرسوله في الدنيا والآخرة"(٨).

قال الزجاج:" معنى الظهير: المعين، لأنه يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الله، لأن عبادتهم للأصنام معاونة للشيطان"(٩).

عن مجاهد، قوله: "{على ربه ظهيرا}، قال: معينا"(١٠).

قال مجاهد: "يظاهر الشيطان على معصية الله بعينه"(١١).

قال الحسن:" عونا للشيطان على ربه على المعاصي"(١٢).

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٤.
(٢) تفسير الطبري:٢٨٤/١٩-٢٨٥.
(٣) تفسير ابن كثير:١١٨/٦.
(٤) تفسير السعدي:٥٨٥.
(٥) التفسير الميسر:٣٦٤.
(٦) تفسير الطبري:٢٨٥/١٩.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٨/٣.
(٨) تفسير ابن كثير:١١٨/٦.
(٩) معاني القرآن:٧٣/٤.
(١٠) أخرجه الطبري:٢٨٥/١٩.
(١١) أخرجه الطبري:٢٨٥/١٩.
(١٢) أخرجه الطبري:٢٨٥/١٩.

قال سعيد بن جبير:" يقول: عونا للشيطان على ربه بالعداوة والشرك"(١).

قال ابن زيد:" على ربه عوينا. والظهير: العوين. وقرأ قول الله: {فلا تكونن ظهيرا للكافرين}، قال: لا تكونن لهم عوينا. وقرأ أيضا قول الله: {وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم}، قال: ظاهروهم: أعانوهم"(٢).

عن ابن زيد:"{وكان الكافر على ربه ظهيرا}، قال: مواليا"(٣).

قال ابن جريج: "أبو جهل معينا ظاهر الشيطان على ربه"(٤).

قال ابن عباس:" يعني: أبا الحكم الذي سماه رسول الله ﷺ: أبا جهل بن هشام"(٥). وروى، عن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية، وعامر مثل ذلك(٦).

قال السعدي:" فالباطل الذي هو الأوثان والأنداد أعداء لله، فالكافر عاونها وظاهرها على ربها وصار عدوا لربه مبارزا له في العداوة والحرب، هذا وهو الذي خلقه ورزقه وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة، وليس يخرج عن ملكه وسلطانه وقبضته والله لم يقطع عنه إحسانه وبره وهو -بجهله- مستمر على هذه المعاداة والمبارزة"(٧).

القرآن

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٥٦)} [الفرقان : ٥٦]

التفسير:

وما أرسلناك - أيها الرسول - إلا مبشرًا للمؤمنين بالجنة ومنذرًا للكافرين بالنار.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: {وما أرسلناك} يا محمد إلى من أرسلناك إليه {إلا مبشرا} بالثواب الجزيل، من آمن بك وصدقك، وآمن بالذي جئتهم به من عندي، وعملوا به {ونذيرا} من كذبك وكذب ما جئتهم به من عندي، فلم يصدقوا به، ولم يعملوا"(٨).

قال ابن كثير:" أي : بشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين ، مبشرا بالجنة لمن أطاع الله ، ونذيراً بين يدي عذاب شديد لمن خالف أمر الله"(٩).

قال السعدي:" يخبر تعالى: أنه ما أرسل رسوله محمدا ﷺ مسيطرا على الخلق ولا جعله ملكا ولا عنده خزائن الأشياء، وإنما أرسله {مُبَشِّرًا} يبشر من أطاع الله بالثواب العاجل والآجل، {وَنَذِيرًا} ينذر من عصى الله بالعقاب العاجل والآجل وذلك مستلزم لتبيين ما به البشارة وما تحصل به النذارة من الأوامر والنواهي"(١٠).

قال ابن عباس:" لما نزلت: {وما أرسلناك إلا مبشرا}، قد كان أمر عليا ومعاذا أن يسيرا إلى اليمن فقال: انطلقا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا إنه قد نزلت عليّ: {يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا}"(١١).

عن ابن عباس قوله: "{مبشرا}، قال: يبشر بالجنة. {ونذيرا}، قال: ونذيرا من النار"(١٢). وروي عن قتادة مثل ذلك(١٣).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٨١):ص٢٧١١/٨.
(٢) أخرجه الطبري:٢٨٥/١٩.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٨٣):ص٢٧١١/٨.
(٤) أخرجه الطبري:٢٨٥/١٩.
(٥) أخرجه الطبري:٢٨٥/١٩.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٢٨٠):ص٢٧١١/٨.
(٧) تفسير السعدي:٥٨٥.
(٨) تفسير الطبري:٢٨٦/١٩.
(٩) تفسير ابن كثير:١١٨/٦.
(١٠) تفسير السعدي:٥٨٥.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٨٣):ص٢٧١٢/٨.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٨٤):ص٢٧١٢/٨.
(١٣)انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٧١٢/٨. بدون سند.

فوائد الآيات:[٥٠-٥٦]:
١- الإشارة إلى الحكمة في عدم تعدد الرسل في زمن البعثة المحمدية والاكتفاء بالرسول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
٢- حرمة طاعة الكافرين في أمور الدين والشرع.
٣- من الجهاد جهاد الكفار والملاحدة بالحجج القرآنية والآيات التنزيلية.
٤- مظاهر العلم والقدرة الإلهية في عدم اختلاط البحرين مع وجودهما في مكان واحد. وفي خلق الله تعالى الإنسان من ماء وجعله ذكراً وأنثى للتناسل وحفظ النوع.
٥- التنديد بالمشركين والكافرين المعينين للشيطان على الرحمن.

القرآن

{قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (٥٧)} [الفرقان : ٥٧]

التفسير:

قل لهم: لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة أيَّ أجر، لكنْ من أراد أن يهتدي ويسلك سبيل الحق إلى ربه وينفق في مرضاته، فلست أُجبركم عليه، وإنما هو خير لأنفسكم.

قوله تعالى:{قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ} [الفرقان : ٥٧]، أي:" قل لهم يا محمد لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجراً"[١].

قال يحيى:" على القرآن"[٢].

قال الطبري:" يقول له: قل لهؤلاء الذين أرسلتك إليهم، ما أسألكم يا قوم على ما جئتكم به من عند ربي أجرا، فتقولون: إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا إليه، فلا نتبعه فيه، ولا نعطيه من أموالنا شيئا"[٣].

عن ابن عباس، قوله: "{من أجر}، يقول عرضا من عرض الدنيا"[٤].

قال ابن عباس:" قل لهم يا محمد: لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من أجر"[٥].

قال عطاء بن دينار:" يقول: لا أسألكم على ما جئتكم به أجرا"[٦].

قال ابن زيد:" يقول: لا أسألكم على القرآن أجرا"[٧].

قوله تعالى:{إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا} [الفرقان : ٥٧]، أي:" لكن من شاء أن يتخذ طريقاً يقربه إلى الله بالإيمان والعمل الصالح فليفعل"[٨].

قال الطبري:" يقول: لكن من شاء منكم اتخذ إلى ربه سبيلا طريقا بإنفاقه من ماله في سبيله، وفيما يقربه إليه من الصدقة والنفقة في جهاد عدوه، وغير ذلك من سبل الخير"[٩].

قال يحيى:" إنما جئتكم بالقرآن ليتخذ به من آمن إلى ربه سبيلا يتقرب به إلى الله"[١٠].

قال قتادة:" أي: بطاعة الله"[١١].

قال أبو عبيدة:" العرب قد تستثنى الشيء من الشيء وليس منه على الاختصار، وفيه ضمير تقديره قل ما أسألكم عليه من أجر إلّا أنه من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا فليتخذه. قال أبو خراش[١]:

---

(١) صفوة التفاسير:٣٣٦/٢.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٤٨٧/١.
(٣) تفسير الطبري:٢٨٦/١٩.
(٤) أخرج ابن أبي حاتم(١٥٢٨٨):ص٢٧١٢/٨.
(٥) أخرج ابن أبي حاتم(١٥٢٨٥):ص٢٧١٢/٨.
(٦) أخرج ابن أبي حاتم(١٥٢٨٦):ص٢٧١٢/٨.
(٧) أخرج ابن أبي حاتم(١٥٢٨٧):ص٢٧١٢/٨.
(٨) صفوة التفاسير:٣٣٦/٢.
(٩) تفسير الطبري:٢٨٦/١٩.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٤٨٧/١.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٨٩):ص٢٧١٣/٨.

نجا سالم والنّفس منه بشدقه ... ولم ينج الا جفن سيف ومئزرا
فاستثنى الجفن والمئزر وليسا من سالم إنما هو على الاختصار وقال[2]:
وبلد ليس به أنيس ... إلّا اليعافير والّا العيس
يعنى: الإبل فاستثنى اليعافير، والعيس من الناس كأنه قال: إلّا أن بها يعافير وعبسا، واليعافير الظباء واحدها يعفور، وفى آية أخرى :{فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعالَمِينَ}.
وقال[3]:
فديت بنفسه نفسى ومالى ... وما آلوك إلا ما أطيق
وقال[4]:
يا ابن رفيع هل لها من غبق ... ما شربت بعد ركىّ العرق
من قطرة غير النجاء الدفق"[5].

القرآن
{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (٥٨)} [الفرقان : ٥٨]
التفسير:
وتوكل على الله الذي له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله الذي لا يموت، ونزِّهه عن صفات النقصان. وكفى بالله خبيرًا بذنوب خلقه، لا يخفى عليه شيء منها، وسيحاسبهم عليها ويجازيهم بها.
قوله تعالى:{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} [الفرقان : ٥٨]، أي:" وتوكل على الله الذي له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله الذي لا يموت"[6].
قال الطبري:" وتوكل يا محمد على الذي له الحياة الدائمة التي لا موت معها، فثق به في أمر ربك وفوض إليه، واستسلم له، واصبر على ما نابك فيه"[7].
قال قتادة:" الحي: الذي لا يموت"[8].
قال الإمام الشافعي:" نزه الله - عز وجل - نبيه - ﷺ - ورفع قدره، وعلمه وأدبه، وقال: {وتوكل على الحي الذي لا يموت} الآية، وذلك أن الناس في أحوال شتى: متوكل على نفسه، أو على ماله، أو على زرعه، أو على سلطان، أو على عطية الناس، وكل مستند إلى حي يموت، أو على شيء يفنى، يوشك أن ينقطع به، فنزه الله نبيه - ﷺ - وأمره: أن يتوكل على الحي الذي لا يموت - سبحانه وتعالى –"[9].

---

(١)فى ديوان الهذليين ٣/ ٢٢ لحذيفة بن أنس وفى أشعار هذيل رقم ٥٦ مرة له ومرة أخرى لأبى خراش رقم ٢٩ وهو فى اللسان والتاج (جفن).
(٢)فى ديوان جيران العود ٥٢ وفى الكتاب ١/ ١١١، ٣١٩ ومعانى الشعر للأشناندانى ٣٣ والطبري ٥/ ١٧٨، ١٢/ ٢٨ والزجاج ١/ ٨ والشنتمرى ١/ ١٣٣، ٣٦٥ والقرطبي ٥/ ٣١٢ والعيني ٢/ ٣١ والخزانة ٤/ ١٩٧.
اليعافير جمع اليعفور، وهو ولد الظبية. والعيس جمع أعيس وعيساء وهما وصفان من العيسة، بكسر العين. وهو بياض يخالطه شقرة. أراد بها بقر الوحش.
(٣)البيت فى ديوان عروة بن الورد ٢٠٥ والطبري ٢٠/ ٦٥ وشواهد المغني ص ٣٢٨.
(٤)لصقر بن حكيم بن معية الربعي هكذا ورد اسمه فى اللسان والتاج (قريق) ولم أقف على ترجمته ، والرجز فى الصحاح واللسان والتاج ومعجم ما استعجم ومعجم البلدان (قريق) . والجمهرة ٢/ ٣٨٣ وأنظر الخلاف فى رواية هذا الرجز وفى قائله فى المراجع المذكورة.
(٥) مجاز القرآن:٧٩/٢.
(٦) التفسير الميسر:٣٦٥.
(٧) تفسير الطبري:٢٨٦/١٩.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٩٢):ص٢٧١٣/٨.
(٩) تفسير الإمام الشافعي:١١٥٩/٣.

قال سهل بن عبدالله:" سئل ابن سالم عن التوكل والكسب بأيهما تعبد الخلق؟ قال: التوكل حال الرسول ﷺ، والكسب سنته. وإنما استن الكسب لهم لضعفهم حين أسقطوا عن درجة التوكل الذي هو حاله، فلم يسقطهم عن درجة طلب المعاش بالكسب الذي هو سنته، ولولا ذلك لهلكوا. قال سهل: من طعن في الكسب فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان"(١).

قوله تعالى:{وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ} [الفرقان : ٥٨]، أي:" ونزِّهه عن صفات النقصان"(٢).

قال الحسن: "بمعرفته"(٣).

قال قتادة:" أي: بمعرفته وطاعته"(٤).

قال الطبري:" يقول: واعبده شكرا منك له على ما أنعم به عليك"(٥).

قوله تعالى:{وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا} [الفرقان : ٥٨]، أي:" وكفى بالله خبيرًا بذنوب خلقه، لا يخفى عليه شيء منها، وسيحاسبهم عليها ويجازيهم بها"(٦).

قال الطبري:" يقول: وحسبك بالحي الذي لا يموت خابرا بذنوب خلقه، فإنه لا يخفى عليه شيء منها، وهو محص جميعها عليهم حتى يجازيهم بها يوم القيامة"(٧).

قال مقاتل:" يعني: بذنوب كفار مكة، فلا أحد أخبر ولا أعلم بذنوب العباد من الله- عز وجل-"(٨).

عن قتادة: "{خبيرا}، قال: خبير بخلقه"(٩).

عن شهر بن حوشب، قال: لقي سلمان رسول الله ﷺ في بعض فجاج المدينة فسجد له فقال: «لا تسجد لي يا سلمان واسجد للحي الذي لا يموت»(١٠).

القرآن

{الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (٥٩)} [الفرقان : ٥٩]

التفسير:

الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش استواءً يليق بجلاله، هو الرحمن، فاسأل - أيها النبي - به خبيرًا، يعني بذلك سبحانه نفسه الكريمة، فهو الذي يعلم صفاته وعظمته وجلاله. ولا أحد من البشر أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد ﷺ.

قوله تعالى:{الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} [الفرقان : ٥٩]، أي:" الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام"(١١).

قال الطبري:" قيل: كان ابتداء ذلك يوم الأحد، والفراغ يوم الجمعة"(١٢).

---

(١) تفسيرالتستري:١١٤.
(٢) التفسير الميسر:٣٦٥.
(٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٨٧/١. بدون سند.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٩٣):ص٢٧١٣/٨.
(٥) تفسير الطبري:٢٨٦/١٩.
(٦) التفسير الميسر:٣٦٥.
(٧) تفسير الطبري:٢٨٧/١٩.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٨/٣.
(٩) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٩٤):ص٢٧١٣/٨.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٩١):ص٢٧١٣/٨.
(١١) التفسير الميسر:٣٦٥.
(١٢) تفسير الطبري:٢٨٧/١٩.

قال محمد بن إسحاق:" ابتدع السموات والأرض ولم يكونا إلا بقدرته، لم يستعن على ذلك بأحد من خلقه ولم يشركه في شيء من أمره بسلطانه القاهر وقوله النافذ الذي يقول به لما أراد أن يكون له كن فيكون، ففرغ من خلق السموات والأرض في ستة أيام"(١).

قال ابن عباس:" يوم مقداره ألف سنة "(٢).

قوله تعالى:{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الفرقان : ٥٩]، أي:" ثم استوى على العرش من غير تشبيه ولا تعطيل"(٣).

قال الطبري:" يقول: ثم استوى على العرش الرحمن وعلا عليه، وذلك يوم السبت فيما قيل"(٤).

عن أبي العالية، في قوله: "{ثم استوى}، يقول: ارتفع"(٥). وروي عن الحسن والربيع بن أنس مثل ذلك(٦).

عن قتادة: قوله: "{ثم استوى على العرش}، قال: اليوم السابع "(٧).

قال عكرمة:" إن الله بدأ خلق السموات والأرض وما بينهما يوم الأحد، ثم استوى على العرش يوم الجمعة في ثلاث ساعات فخلق في ساعة منها الشموس كي يرغب الناس إلى ربهم في الدعاء والمسألة، وخلق في ساعة النتن الذي يسقط على ابن آدم إذا مات لكي يقبر"(٨).

قوله تعالى:{الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا} [الفرقان : ٥٩]، أي:" هو الرحمن، فاسأل - أيها النبي - به خبيرًا"(٩).

قال الطبري:" يقول: فاسأل يا محمد خبيرا بالرحمن، خبيرا بخلقه، فإنه خالق كل شيء، ولا يخفى عليه ما خلق"(١٠).

قال ابن جريج:" يقول لمحمد ﷺ: إذا أخبرتك شيئا، فاعلم أنه كما أخبرتك، أنا الخبير"(١١).

قال مقاتل:" {الرحمن}- ﷻ- {فسئل به خبيرا}، يعني: فاسأل بالله خبيرا يا من تسأل عنه محمدا"(١٢).

عن مجاهد، قوله:"{فاسأل به خبيرا}، قال: ما أخبرتك من شيء فهو كما أخبرتك"(١٣).

عن شمر بن عطية: "{الرحمن فاسأل به خبيرا}، قال: هذا القرآن خبيرا"(١٤).

عن ابن عباس، أن عثمان بن عفان، سأل رسول الله ﷺ عن «الرحمن»، فقال: «هو اسم من أسماء الله وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العينين وبياضهما من القرب»(١٥).

القرآن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٩٥):ص٢٧١٣/٨.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٩٧):ص٢٧١٤/٨.
(٣) انظر: صفوة التفاسير:٣٣٧/٢.
(٤) تفسير الطبري:٢٨٧/١٩.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٣٠٠):ص٢٧١٤/٨.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٧١٤/٨. بدون سند.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٩٨):ص٢٧١٤/٨.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٢٩٩):ص٢٧١٤/٨.
(٩) التفسير الميسر:٣٦٥.
(١٠) تفسير الطبري:٢٨٧/١٩.
(١١) اخرجه الطبري:٢٨٧/١٩.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٣٨/٣.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٣٠٢):ص٢٧١٤/٨.
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٣٠٣):ص٢٧١٥/٨.
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٣٠١):ص٢٧١٤/٨.

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا (٦٠)} [الفرقان : ٦٠]

التفسير:

وإذا قيل للكافرين: اسجدوا للرحمن واعبدوه قالوا: ما نعرف الرحمن، أنسجد لما تأمرنا بالسجود له طاعة لأمرك؟ وزادهم دعاؤهم إلى السجود للرحمن بُعْداً عن الإيمان ونفورًا منه.

سبب النزول:

عن محمد بن إسحاق، قال: " وأنزل الله على نبيه ﷺ في قولهم: إنه قد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا الذي تأتي به رجل من أهل اليمامة يقال له: الرحمن، وإنا والله لن نؤمن به أبدا، وأنزل عليه فيما قالوا من ذلك: {وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا} [الفرقان: ٦٠] "[١].

قوله تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ} [الفرقان : ٦٠]، أي:" وإذا قيل للكافرين: اسجدوا للرحمن واعبدوه"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء الذين يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم: اجعلوا سجودكم لله خالصا دون الآلهة والأوثان"[٣].

قوله تعالى:{قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ} [الفرقان : ٦٠]، أي:" قالوا: ما نعرف الرحمن"[٤].

قال الزمخشري:" {وما الرحمن}، يجوز أن يكون سؤالا عن المسمى به، لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم، والسؤال عن المجهول ب «ما» . ويجوز أن يكون سؤالا عن معناه، لأنه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم. أو لأنهم أنكروا إطلاقه على الله تعالى"[٥].

قال ابن عباس:" ليس أحد يسمى الرحمن غيره"[٦].

عن عطاء: " {وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن}، ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، فأنزل الله عز وجل: {وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم} [البقرة: ١٦٣] "[٧].

عن هارون بن حاتم، قال: "سمعت حسينا الجعفي، يقول:{وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن}، قال: جوابها: {الرحمن علم القرآن} [الرحمن: ٢] "[٨].

قوله تعالى:{أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا} [الفرقان : ٦٠]، أي:" أنسجد لما تأمرنا بالسجود له طاعة لأمرك؟"[٩].

قال السمعاني:" يعني: الرحمن الذي تأمرنا بالسجود له"[١٠].

قال يحيى:" على الاستفهام، أي: لا نفعل"[١١].

ويقرأ« تَأْمُرُنَا»، بالتاء والياء، فمن قرأها بالتاء فهم يقولونه للنبي-ﷺ-، ومن قرأها بالياء فيقول: يقوله بعضهم لبعض: أنسجد لما يأمرنا محمد[١٢].

---

(١) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٣٠٧):ص٢٧١٥/٨.
(٢) التفسير الميسر:٣٦٥.
(٣) تفسير الطبري:٢٨٨/١٩.
(٤) التفسير الميسر:٣٦٥.
(٥) الكشاف:٢٨٩/٣.
(٦) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٣٠٤):ص٢٧١٥/٨.
(٧) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٣٠٥):ص٢٧١٥/٨.
(٨) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٣٠٦):ص٢٧١٥/٨.
(٩) التفسير الميسر:٣٦٥.
(١٠) تفسير السمعاني:٢٨/٤.
(١١) تفسير يحيى بن سلام:٤٤٨/١.
(١٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٤٨٨/١.

قوله تعالى:{وَزَادَهُمْ نُفُورًا} [الفرقان : ٦٠]، أي:" وزادهم دعاؤهم إلى السجود للرحمن بُعْداً عن الإيمان ونفورًا منه"[١].

قال السمعاني: "أي: تباعدا"[٢].

قال مقاتل:" يقول: زادهم ذكر الرحمن تباعدا من الإيمان"[٣].

قال الطبري:" يقول: وزاد هؤلاء المشركين قول القائل لهم: اسجدوا للرحمن من إخلاص السجود لله، وإفراد الله بالعبادة بعدا مما دعوا إليه من ذلك فرارا"[٤].

القرآن

{تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٦١)} [الفرقان : ٦١]

التفسير:

عَظُمَتْ بركات الرحمن وكثر خيره، الذي جعل في السماء النجوم الكبار بمنازلها، وجعل فيها شمسًا تضيء وقمرًا ينير.

قوله تعالى:{تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا} [الفرقان : ٦١]، أي:" عَظُمَتْ بركات الرحمن وكثر خيره، الذي جعل في السماء النجوم الكبار بمنازلها"[٥].

قال السمعاني:" هي النجوم العظام، وقيل: هي البروج الاثنا عشر"[٦].

قال الزمخشري:" البروج: منازل الكواكب السبعة السيارة: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدى، والدلو، والحوت: سميت بالبروج التي هي القصور العالية، لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها. واشتقاق البرج من التبرج، لظهوره"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: تقدس الرب الذي جعل في السماء بروجا ، وهي قصور في السماء، لأن ذلك في كلام العرب {ولو كنتم في بروج مشيدة}، وقول الأخطل[٨]:

كأنها برج رومي يشيده ... بان بجص وآجر وأحجار

يعني بالبرج: القصر"[٩].

قال قتادة:" البروج: النجوم"[١٠].

قال يحيى بن رافع، وإبراهيم:" قصورا في السماء"[١١].

قال عطية بن سعد:" قصورا في السماء، فيها الحرس"[١٢].

وقال أبو صالح:" النجوم الكبار"[١٣]. وفي رواية:" الكواكب العظام "[١٤].

وقال مجاهد:" الكواكب"[١٥].

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٥.
(٢) تفسير السمعاني:٢٨/٤.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٣٩/٣.
(٤) تفسير الطبري:٢٨٨/١٩.
(٥) التفسير الميسر:٣٦٥.
(٦) تفسير السمعاني:٢٨/٤.
(٧) الكشاف:٢٨٩/٣-٢٩٠.
(٨)الشاهد للأخطل التغلبي في ديوانه ٧٦.
(٩) تفسير الطبري:٢٨٩/١٩.
(١٠) أخرجه الطبري:٢٨٩/١٩.
(١١) أخرجه الطبري:٢٨٨/١٩.
(١٢) أخرجه الطبري:٢٨٨/١٩.
(١٣) أخرجه الطبري:٢٨٩/١٩.
(١٤)أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٣١١):ص٢٧١٦/٨ .
(١٥) أخرجه الطبري:٢٨٩/١٩.

قال علي: " إن الشمس إذا طلعت هتف معها ملكان موكلان بها فيجريان معها ما جرت، حتى إذا وقعت في قطها، قيل لعلي: وما قطها؟ قال: حذى بطنان العرش قال: فتخر ساجدة حتى يقال لها: امضي فتمضي بقدر الله، فإذا طلعت أضاء وجهها لسبع سموات وقفاها لأهل الأرض، يعني قوله: {جعل في السماء بروجا}، قال: وفي السماء ثلاثمائة وستون برجا كل برج منها أعظم من جزيرة العرب، للشمس في كل برج منها منزل تنزله "[1].

قوله تعالى:{وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا} [الفرقان : ٦١]، أي:" وجعل فيها شمسًا تضيء وقمرًا ينير"[2].

قال قتادة:" السراج: الشمس"[3]، قوله: {وقمرا منيرا}، أي: مضيئا"[4].

قال الطبري:" يعني بالمنير: المضيء"[5].

قال علي:" إن الشمس إذا طلعت أضاء وجهها لسبع سموات، وقفاها لأهل الأرض"[6].

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢)} [الفرقان : ٦٢]

التفسير:

وهو الذي جعل الليل والنهار متعاقبَيْن يَخْلُف أحدهما الآخر لمن أراد أن يعتبر بما في ذلك إيمانًا بالمدبِّر الخالق، أو أراد أن يشكر لله تعالى على نعمه وآلائه.

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً} [الفرقان : ٦٢]، أي:" وهو الذي جعل الليل والنهار متعاقبَيْن يَخْلُف أحدهما الآخر"[7].

عن عكرمة، قال: سئل ابن عباس عن الليل، كان قبل أو النهار؟ قال: "أرأيتم السموات حيث كانتا رتقا هل كان بينهما إلا ظلمة؛ ذلك لتعلموا أن الليل كان قبل النهار"[8].

عن عكرمة، "أن اليهود، قالوا للنبي ﷺ: ما يوم الجمعة؟ قال: «خلق الله في ساعتين منه الليل والنهار»"[9].

وفي قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً} [الفرقان : ٦٢]، ثلاثة وجوه:

أحدها : أنه جعل ما فات من عمل أحدهما خلفة يقضي في الآخر ، قاله عمر ابن الخطاب[10]، وابن عباس[11]، والحسن[12]، وسعيد بن جبير[13]، وعكرمة[14].

قال شقيق: "جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: فاتتني الصلاة الليلة، فقال: أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك، فإن الله {جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر، أو أراد شكورا}"[15].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٣٠٨):ص٢٧١٦/٨.
(٢) التفسير الميسر:٣٦٥.
(٣) أخرجه الطبري:٢٨٩/١٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٣١٥):ص٢٧١٧/٨.
(٥) تفسير الطبري:٢٩٠/١٩.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٣١٣):ص٢٧١٧/٨.
(٧) التفسير الميسر:٣٦٥.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٣١٦):ص٢٧١٧/٨.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٣١٧):ص٢٧١٧/٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٢٩٠/١٩.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٢٩٠/١٩.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٢٩٠/١٩.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٣٢٤):ص٢٧١٨/٨.
(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٣٢٧):ص٢٧١٩/٨.
(١٥) أخرجه الطبري:٢٩٠/١٩.

عن الحسن، "أن عمر أطال صلاة الضحى فقيل له: صنعت اليوم شيئا لم تكن تصنعه فقال: " إنه بقي علي من وردي شيئا فأحببت أن أتمه أو أقضيه وتلا هذه الآية: {جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا}"[١].

قال ابن عباس:" يقول: من فاته شيء من الليل أن يعمله أدركه بالنهار، أو من النهار أدركه بالليل"[٢].

قال الحسن:" جعل أحدهما خلفا للآخر، إن فات رجلا من النهار شيء أدركه من الليل، وإن فاته من الليل أدركه من النهار"[٣].

قال الحسن:" من عجز بالليل كان له في النهار مستعتب، ومن عجز بالنهار كان له في الليل مستعتب"[٤].

قال عكرمة:" خذ من ليلك فإن فاتك من نهارك فمن ليلك "[٥].

وقال قتادة:" مختلفان هذا أسود وهذا أبيض، وإن المؤمن قد ينسى بالليل ويذكر بالنهار وينسى بالنهار ويذكر بالليل "[٦].

الثاني : أنه جعل كل واحد منهما مخالفاً لصاحبه، فجعل أحدهما أبيض والآخر أسود ، قاله ابن عباس أيضا[٧]، ومجاهد[٨].

الثالث : أن كل واحد منهما يخلف صاحبه إذا مضى هذا جاء هذا ، قاله مجاهد أيضا[٩]، وابن زيد[١٠]، ومنه قول زهير[١١]:

بها العين والآرام يمشين خلفة ... وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

قال ابن زيد:" لو لم يجعلهما خلفة لم يدر كيف يعمل، لو كان الدهر ليلا كله كيف يدري أحد كيف يصوم، أو كان الدهر نهارا كله كيف يدري أحد كيف يصلي. قال: والخلفة: مختلفان، يذهب هذا ويأتي هذا، جعلهما الله خلفة للعباد، وقرأ :{لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا}"[١٢].

قوله تعالى:{لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ} [الفرقان : ٦٢]، أي:" لمن أراد أن يعتبر بما في ذلك إيمانًا بالمدبِّر الخالق"[١٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: جعل الليل والنهار، وخلوف كل واحد منهما الآخر حجة وآية لمن أراد أن يذكر أمر الله، فينيب إلى الحق"[١٤].

قال الضحاك: "{أن يذكر}، قال: يتعظ"[١٥].

عن مجاهد: "{أن يذكر}: آية له "[١٦].

وقرأه عامة قراء الكوفيين: «يذكر»، مخففة[١٧].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٣٢٢):ص٨/٢٧١٨.
(٢) أخرجه الطبري:١٩/٢٩٠.
(٣) أخرجه الطبري:١٩/٢٩٠.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٣٢٦):ص٨/٢٧١٩.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٣٢٧):ص٨/٢٧١٩.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٣٢١):ص٨/٢٧١٨.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٣١٩):ص٨/٢٧١٨.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٩/٢٩٠-٢٩١.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٩/٢٩١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٩/٢٩١.
(١١)هذا البيت من معلقة زهير (فى ديوانه ص ٥، والبيت فى الطبري ١٩/٢٩٢، والجمهرة ٢/ ٢٣٨ واللسان والتاج (خلف) والقرطبي ١٣/ ٦٥.
(١٢) أخرجه الطبري:١٩/٢٩١.
(١٣) التفسير الميسر:٣٦٥.
(١٤)تفسير الطبري:١٩/٢٩٢ .
(١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٣٣١):ص٨/٢٧١٩.
(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٣٣٠):ص٨/٢٧١٩.
(١٧)انظر: تفسير الطبري:١٩/٢٩٢ -٢٩٣.

قوله تعالى:{أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} [الفرقان : ٦٢]، أي:" أو أراد أن يشكر لله تعالى على نعمه وآلائه"[١].

قال الطبري:" أو أراد شكر نعمة الله التي أنعمها عليه في اختلاف الليل والنهار"[٢].

قال مجاهد:" شكر نعمة ربه عليه فيهما"[٣].

عن الضحاك، قوله: " {أو أراد شكورا}، قال: طاعة"[٤].

فوائد الآيات:[٥٧-٦٢]:

١- دعوة الله ينبغي أن لا يأخذ الداعي عليها أجراً ممن يدعوهم٤ إلى الله تعالى ومن أراد أن يتطوع من نفسه فينفق في سبيل الله فذلك له.

٢- وجوب التوكل على الله فإنه الحي الذى لا يموت وغيره يموت.

٣- وجوب التسبيح والذكر والعبادة وهذه هي زاد العبد وعدته وعونه.

٤- مشروعية السجود عند قوله تعالى وزادهم نفوراً للقارىء والمستمع٥.

٥- صفة استواء الرحمن على عرشه فيجب الإيمان بها على ما يليق بجلال الله وكماله ويحرم تأويلها بالاستيلاء والقهر ونحوهما.

٦- الترغيب في الذكر والشكر، واغتنام الفرص للعبادة والطاعة.

القرآن

{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣)} [الفرقان : ٦٣]

التفسير:

وعباد الرحمن الصالحون يمشون على الأرض بسكينة متواضعين، وإذا خاطبهم الجهلة السفهاء بالأذى أجابوهم بالمعروف من القول، وخاطبوهم خطابًا يَسْلَمون فيه من الإثم، ومن مقابلة الجاهل بجهله.

قوله تعالى:{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا} [الفرقان : ٦٣]، أي:" وعباد الرحمن الصالحون يمشون على الأرض بسكينة متواضعين"[٥].

قال الطبري:أي:" بالحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين، ولا متجبرين، ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله"[٦].

قال ابن كثير:" هذه صفات عباد الله المؤمنين { الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأرْضِ هَوْنًا } أي : بسكينة ووقار من غير جَبَرية ولا استكبار ، كما قال : { وَلا تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا } [الإسراء : ٣٧]. فأما هؤلاء فإنهم يمشون من غير استكبار ولا مرح ، ولا أشر ولا بطر ، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى من التصانع تصنعًا ورياء ، فقد كان سيد ولد آدم ﷺ إذا مشى كأنما ينحط من صَبَب ، وكأنما الأرض تطوى له. وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع ، حتى روي عن عمر أنه رأى شابًا يمشي رُويدًا ، فقال : ما بالك ؟ أأنت مريض ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين. فعلاه بالدرة ، وأمره أن يمشي بقوة. وإنما المراد بالهَوْن هاهنا السكينة والوقار ، كما قال رسول الله ﷺ : «إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ، وأتوها وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا»[٧]"[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٥.

(٢)تفسير الطبري:٢٩٢/١٩ .

(٣) أخرجه الطبري:٢٩٢/١٩.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٣٣٣):ص٢٧٢٠/٨.

(٥) التفسير الميسر:٣٦٥.

(٦) تفسير الطبري:٢٩٣/١٩.

(٧)رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٣٥) ومسلم في صحيحه برقم (٦٠٣) من حديث أبي قتادة رضي الله

عن مجاهد: "{الذين يمشون على الأرض هونا}، قال: بالوقار والسكينة"[٢]. وفي رواية:" بالحلم والوقار"[٣].

وقال ابن عباس:" بالطاعة والعفاف والتواضع"[٤]. وفي رواية:" يمشون على الأرض بالطاعة"[٥].

قال زيد بن أسلم:" التمست تفسير هذه الآية {الذين يمشون على الأرض هونا}، فلم أجدها عند أحد، فأتيت في النوم فقيل لي: هم الذين لا يريدون يفسدون في الأرض"[٦].

قال ابن زيد:" لا يتكبرون على الناس، ولا يتجبرون، ولا يفسدون. وقرأ قول الله :{تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين}"[٧].

قال الحسن:" حلماء، وإن جهل عليهم لم يجهلوا"[٨]. وفي رواية:" علماء حلماء لا يجهلون"[٩].

قال الحسن:" «الهون» -في كلام العرب-: اللين والسكينة"[١٠].

قوله تعالى:{وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان : ٦٣]، أي:" وإذا خاطبهم الجهلة السفهاء بالأذى أجابوهم بالمعروف من القول، وخاطبوهم خطابًا يَسْلَمون فيه من الإثم، ومن مقابلة الجاهل بجهله"[١١].

قال الطبري:" يقول: وإذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول، أجابوهم بالمعروف من القول، والسداد من الخطاب"[١٢].

عن مجاهد :"{وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما}، قال: سدادا"[١٣]. وفي رواية:" سدادا من القول"[١٤].

قال الحسن :" حلماء لا يجهلون، وإن جهل عليهم حلموا ولم يسفهوا، هذا نهارهم فكيف ليلهم - خير ليل - صفوا أقدامهم، وأجروا دموعهم على خدودهم يطلبون إلى الله جل ثناؤه في فكاك رقابهم"[١٥].

قال الحسن: إن المؤمنين قوم ذلل، ذلت منهم والله الأسماع والأبصار والجوارح، حتى يحسبهم الجاهل مرضى، وإنهم لأصحاء القلوب، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة، فقالوا: {الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن}، والله ما حزنهم حزن الدنيا، ولا تعاظم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة، أبكاهم الخوف من النار، وإنه من لم يتعز بعزاء الله تقطع نفسه على الدنيا حسرات، ومن لم ير لله عليه نعمة إلا في مطعم ومشرب، فقد قل علمه وحضر عذابه"[١٦].

عنه.

(١) تفسيرابن كثير:٦/١٢١-١٢٢.
(٢) أخرجه الطبري:١٩/٢٩٣.
(٣) أخرجه الطبري:١٩/٢٩٣.
(٤) أخرجه الطبري:١٩/٢٩٤.
(٥) أخرجه الطبري:١٩/٢٩٤.
(٦) أخرجه الطبري:١٩/٢٩٤.
(٧) أخرجه الطبري:١٩/٢٩٤.
(٨) أخرجه الطبري:١٩/٢٩٤.
(٩) أخرجه الطبري:١٩/٢٩٥.
(١٠) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير:١/٤٨٨.
(١١) التفسير الميسر:٣٦٥.
(١٢) أخرجه الطبري:١٩/٢٩٥.
(١٣) أخرجه الطبري:١٩/٢٩٥.
(١٤) أخرجه الطبري:١٩/٢٩٥.
(١٥) أخرجه الطبري:١٩/٢٩٦.
(١٦) أخرجه الطبري:١٩/٢٩٥.

القرآن

{وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤)} [الفرقان : ٦٤]

التفسير:

والذين يكثرون من صلاة الليل مخلصين فيها لربهم، متذللين له بالسجود والقيام.

قال الطبري: يقول:" والذين يبيتون لربهم يصلون لله، يراوحون بين سجود في صلاتهم وقيام"[١].

قال يحيى:" يصلون، أي: وأنتم أيها المشركون لا تصلون"[٢].

قال ابن كثير:"أي : في عبادته وطاعته ، كما قال تعالى : { كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالأسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } [الذاريات : ١٧ - ١٨] ، وقال { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } [السجدة : ١٦] وقال { أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ } الآية [الزمر : ٩] ولهذا قال : { وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا } أي : ملازما دائما ، كما قال الشاعر[٣]:

إنْ يُعَذِّب يَكُنْ غَرَامًا ، وإن يُعْـ... ط جزيلا فإنه لا يُبَالي"[٤].

قال يحيى:" بلغني أنه من صلى من الليل ركعتين فهو من الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما"[٥].

عن قتادة، "أن رسول الله ﷺ قال: «صلوا من الليل ولو ركعتين، ولو أربعا»"[٦].

قال الزجاج:" كل من أدركه الليل فقد بات يبيت، نام أو لم ينم، بات فلان البارحة قلقا، إنما المبيت إدراك الليل"[٧].

القرآن

{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦)} [الفرقان : ٦٥ - ٦٦]

التفسير:

والذين هم مع اجتهادهم في العبادة يخافون الله فيدعونه أن ينجيهم من عذاب جهنم، إن عذابها يلازم صاحبه. إن جهنم شر قرار وإقامة.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ} [الفرقان : ٦٦]، أي:" والذين هم مع اجتهادهم في العبادة يخافون الله فيدعونه أن ينجيهم من عذاب جهنم"[٨].

قال الطبري: يقول:" والذين يدعون الله أن يصرف عنهم عقابه وعذابه حذرا منه ووجلا"[٩].

قوله تعالى:{إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا} [الفرقان : ٦٦]، أي:" إن عذاب جهنم يلازم صاحبه"[١].

---

(١) تفسير الطبري:٢٩٦/١٩.

(٢) تفسير يحيى بن سلام:٤٨٩/١.

(٣)البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة، بشرح الدكتور محمد حسين، ص ٩.

(٤) تفسير ابن كثير:١٢٣/٦.

(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٤٨٩/١.

(٦) رواه يحيى بن سلام في التفسير:٤٨٩/١.

(٧) معاني القرآن:٧٥/٤.

(٨) التفسير الميسر:٣٦٥.

(٩) تفسير الطبري:٢٩٦/١٩.

قال مقاتل:" يعني: لازما لصاحبه لا يفارقه"[٢].

قال الفراء:" يقول ملحا دائما. والعرب تقول: إن فلانا لمغرم بالنساء إذا كان مولعا بهن"[٣].

قال الطبري: " يقول: إن عذاب جهنم كان غراما ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب به من الكفار، ومهلكا له، ومنه قولهم: رجل مغرم، من الغرم والدين. ومنه قيل للغريم غريم لطلبه حقه، وإلحاحه على صاحبه فيه. ومنه قيل للرجل المولع للنساء: إنه لمغرم بالنساء، وفلان مغرم بفلان: إذا لم يصبر عنه؛ ومنه قول الأعشى[٤]:

إن يعاقب يكن غراما وإن يعـ ... ـط جزيلا فإنه لا يبالي

يقول: إن يعاقب يكن عقابه عقابا لازما، لا يفارق صاحبه مهلكا له، وقول بشر بن أبي خازم[٥]:

ويوم النسار ويوم الجفا ... ر كان عقابا وكان غراما"[٦].

قال ابن زيد:" الغرام: الشر"[٧].

عن ابن جريج، قوله: "{إن عذابها كان غراما}، قال: لا يفارقه"[٨].

قال يحيى:{ غراما}: " لزاما.. وبعضهم يقول: انتقاما"[٩].

قال أبو عبيدة:{غَراماً}،" أي: هلاكا"[١٠].

قال ابن قتيبة:" أي: هلكة"[١١].

قال الزجاج:" «الغرام» -في اللغة-: أشد العذاب"[١٢].

قال محمد بن كعب:" إن الله سأل الكفار عن نعمه، فلم يردوها إليه، فأغرمهم، فأدخلهم النار"[١٣].

قال الحسن:" قد علموا أن كل غريم مفارق غريمه إلا غريم جهنم"[١٤].

قال الحسن:" " الغرام: اللازم الذي لا يفارق صاحبه أبدا، وكل عذاب يفارق صاحبه فليس بغرام "[١٥].

قوله تعالى:{إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} [الفرقان : ٦٦]، أي:" إن جهنم شر قرار وإقامة"[١٦].

قال مقاتل:" يعني: بئس المستقر وبئس الخلود"[١٧].

قال الطبري: " ساءت جهنم منزلا ومقاما"[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٥.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٤٠/٣.

(٣) معاني القرآن:٢٧٢/٢.

(٤)البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة، بشرح الدكتور محمد حسين، ص ٩) وهو من قصيدة يمدح بها الأسود بن المنذر اللخمي، وأولها ما بكاء الكبير بالأطلال

والغرام الشر الدائم، ومنه قوله تعالى {إن عذابها كان غراما} أي هلاكا ولزاما لهم. يقول: إن عاقب كان غراما، وإن أعطى لم يبال العذال.

(٥)البيت لبشر بن أبي خازم كما قال المؤلف. وفي اللسان نسبه للطرماح.

(٦) تفسير الطبري:٢٩٦/١٩-٢٩٧.

(٧) أخرجه الطبري:٢٩٧/١٩.

(٨) أخرجه الطبري:٢٩٧/١٩.

(٩) تفسير يحيى بن سلام:٤٨٩/١.

(١٠) مجاز القرآن:٣٢٦/١.

(١١) غريب القرآن:٤٥٠.

(١٢) معاني القرآن:٧٥/٤.

(١٣) أخرجه الطبري:٢٩٧/١٩.

(١٤) أخرجه الطبري:٢٩٧/١٩.

(١٥) تفسير مجاهد:٥٠٦. من طريق مبارك بن فضالة.

(١٦) التفسير الميسر:٣٦٥.

(١٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٤٠/٣.

قال الزجاج:" المعنى: أنها ساءت في المستقر والمقام"[٢].
قال ابن كثير:" أي : بئس المنزل منظرا ، وبئس المقيل مقامًا"[٣].
قال يحيى:" إن أهلها لا يستقرون فيها، وأما قوله: {ومقاما}: منزلا"[٤].

القرآن

{وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧)} [الفرقان : ٦٧]

التفسير:

والذين إذا أنفقوا من أموالهم لم يتجاوزوا الحد في العطاء، ولم يضيّقوا في النفقة، وكان إنفاقهم وسطًا بين التبذير والتضييق.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا} [الفرقان : ٦٧]، أي:" والذين إذا أنفقوا من أموالهم لم يتجاوزوا الحد في العطاء"[٥].

قال الطبري: يقول:" والذين إذا أنفقوا أموالهم لم يسرفوا في إنفاقها"[٦].

قال ابن كثير:" أي : ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة"[٧].

وفي قوله تعالى:{وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا} [الفرقان : ٦٧]، أربعة وجوه:

أحدها : أن الإسراف ما كان من نفقة في معصية الله وإن قلت، والإقتار: المنع من حق الله، وهذا قول ابن عباس[٨]، ومجاهد[٩]، وابن جريج[١٠]، وابن زيد[١١].

قال ابن عباس:" هم المؤمنون لا يسرفون فينفقون في معصية الله، ولا يقترون فيمنعون حقوق الله تعالى"[١٢].

قال مجاهد:" لو أنفقت مثل أبي قبيس ذهبا في طاعة الله ما كان سرفا، ولو أنفقت صاعا في معصية الله كان سرفا"[١٣].

وقال ابن شهاب:" لا ينفقه في باطل"[١٤].

عن عمر مولى غفرة أنه سئل عن الإسراف ما هو؟ قال: "كل شيء أنفقته في غير طاعة الله فهو سرف"[١٥].

وقال ميمون بن مهران: "في المال ثلاث خصال إن نجا من خصلة كان قمن أن لا ينجو من الثنتين وإن نجا من ثنتين كان قمن أن لا ينجو من الثالثة وينبغي أن يكون أصله من طيب فأيكم الذي يسلم كسبه ولم يدخله إلا طيبا فإن سلم فأيكم الذي أدى الحقوق كلها فإن سلم من هذه فإنه ينبغي له أن يكون في نفقته ليس بمسرف ولا مقتر"[١٦].

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٢٩٦-٢٩٧.
(٢) معاني القرآن:٤/٧٥.
(٣) تفسير ابن كثير:٦/١٢٣.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:١/٤٨٩.
(٥) التفسير الميسر:٣٦٥.
(٦) تفسير الطبري:١٩/٢٩٨.
(٧) تفسير ابن كثير:٦/١٢٣-١٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٩/٢٩٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٩/٢٩٩.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٩/٢٩٩.
(١١) انظر: تفسير الطبري:١٩/٢٩٩.
(١٢) أخرجه الطبري:١٩/٢٩٨.
(١٣) أخرجه الطبري:١٩/٢٩٩.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٣٧٤):٨/٢٧٢٥.
(١٥) أخرجه الطبري:١٩/٢٩٩.
(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٣٧٦):٨ /٢٧٢٥.

الثاني : لم ينفقوا كثيراً فيقول الناس قد أسرفوا ، قاله إبراهيم[١].

قال إبراهيم:" لا يجيعهم ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف"[٢].

قال وهيب بن الورد أبا الورد مولى بني مخزوم: "لقي عالم عالما هو فوقه في العلم، فقال: يرحمك الله أخبرني عن هذا البناء الذي لا إسراف فيه ما هو؟ قال: هو ما سترك من الشمس، وأكنك من المطر، قال: يرحمك الله، فأخبرني عن هذا الطعام الذي نصيبه لا إسراف فيه ما هو؟ قال: ما سد الجوع ودون الشبع، قال: يرحمك الله، فأخبرني عن هذا اللباس الذي لا إسراف فيه ما هو؟ قال: ما ستر عورتك، وأدفأك من البرد"[٣].

قال مطرف بن عبد الله: "خير هذه الأمور أوساطها، والحسنة بين السيئتين. فقلت لقتادة: ما الحسنة بين السيئتين؟ فقال: {والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا} ... الآية"[٤].

قال زيد بن مرة الجعفي: "العلم خير من العمل، والحسنة بين السيئتين، يعني: إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا، وخير الأعمال أوساطها"[٥].

الثالث : لا يلبسون ثوبا للجمال، ولا يأكلون طعاما للذة، ولكن كانوا يريدون من اللباس ما يسترون به عورتهم، ويكتنون به من الحر والقر، ويريدون من الطعام ما سد عنهم الجوع، وقواهم على عبادة ربهم. قاله يزيد بن أبي حبيب[٦].

وقال يزيد بن ابي حبيب:" أولئك أصحاب رسول الله ﷺ كانوا لا يأكلون طعاما يريدون به نعيما ولا يلبسون ثوبا يريدون به جمالا كانت قلوبهم على قلب واحد"[٧].

وروي عن الحسن:" من الإسراف أن يأكل الرجل كلما اشتهى"[٨].

الرابع : أن الإسراف: النفقة في غير حقها، قاله ابن سيرين[٩].

الخامس: الإسراف هو أن تأكل مال غيرك بغير حق. وهذا قول عون بن عبدالله بن عتبة[١٠].

قال عون:" ليس المسرف من يأكل ماله، إنما المسرف من يأكل مال غيره"[١١].

السادس:أن السرف مجاوزة أمر الله. وهذا قول إياس بن معاوية[١٢].

السابع: أن السرف: ما قصرت به عن أمر الله. وهذا قول سفيان بن حسين[١٣].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك، قول من قال: الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع: ما جاوز الحد الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوقه، والإقتار: ما قصر عما أمر الله به، والقوام: بين ذلك، وإنما قلنا إن ذلك كذلك، لأن المسرف والمقتر كذلك، ولو كان الإسراف والإقتار في النفقة مرخصا فيهما ما كانا مذمومين، ولا كان المسرف ولا المقتر مذموما، لأن ما أذن الله في فعله فغير مستحق فاعله الذم"[١٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٩/٢٩٩.
(٢) أخرجه الطبري:١٩/٢٩٩.
(٣) أخرجه الطبري:١٩/٢٩٩.
(٤) أخرجه الطبري:١٩/٣٠٠.
(٥) أخرجه الطبري:١٩/٣٠٠.
(٦) انظر: الطبري:١٩/٣٠٠.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٣٧٧):ص٨/٢٧٢٥.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٣٨٤):ص٨/٢٧٢٦.
(٩) انظر: ابن ابي حاتم(١٥٣٨٢):ص٨/٢٧٢٦.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٩/٣٠٠.
(١١) أخرجه الطبري:١٩/٣٠٠.
(١٢) انظر: ابن ابي حاتم(١٥٣٨١):ص٨/٢٧٢٦.
(١٣) انظر: ابن ابي حاتم(١٥٣٨١):ص٨/٢٧٢٦.
(١٤) تفسير الطبري:١٩/٣٠٠.

قال الزجاج:" وكل ما أنفق في معصية الله فإسراف، لأن الإسراف مجاوزة الحد والقصد.. والحق في هذا ما أدب الله عز وجل به نبيه - ﷺ - فقال: {ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا}"[١].

وروي عن داود ابن أبي هند قال: "قلت للحسن الرجل يصنع الطعام ينفق فيها النفقة الكثيرة قال: ليس في الطعام إسراف"[٢].

وقال الحسن:" ليس في النفقة في سبيل الله سرف"[٣].

قوله تعالى:{وَلَمْ يَقْتُرُوا} [الفرقان : ٦٧]، أي:" ولم يضيِّقوا في النفقة"[٤].

قال ابن كثير:أي:" ولا بخلاء على أهْليهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم"[٥].

وفي قوله تعالى:{وَلَمْ يَقْتُرُوا} [الفرقان : ٦٧]، أربعة وجوه:

أحدها : لم يمنعوا حقوق الله فإن منع حقوق الله إقتار ، قاله ابن عباس[٦].

الثاني : لا يمنعه من حق ولا ينفقه في باطل. قاله ابن شهاب[٧].

الثالث: لا يعريهم ولا يجيعهم ، قاله إبراهيم[٨].

الثالث : لم يمسكوا عن طاعة الله ، قاله ابن زيد[٩].

قال ابن زيد:" وما أمسك، عن طاعة الله وإن كثرت فهو إقتار"[١٠].

الرابع : لم يقصروا في الحق ، قاله الأعمش[١١].

قوله تعالى:{وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان : ٦٧]، أي:" وكان إنفاقهم وسطًا بين التبذير والتضييق"[١٢].

قال ابن كثير:أي:" عَدْلا خيارًا ، وخير الأمور أوسطها ، لا هذا ولا هذا ، { وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا } ، كَمَا قَالَ : { وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا } [الإسراء : ٢٩]"[١٣].

قال الفراء:" عدلا بين ذلك، أي: بين الإسراف والإقتار"[١٤].

عن الأعمش قوله: "{وكان بين ذلك قواما}، قال: عدلا"[١٥].

عن وهب بن منبه: "{وكان بين ذلك قواما}، قال: الشطر من أموالهم"[١٦].

قال ابن زيد:" القوام بين ذلك أن تنفقوا في طاعة الله وتمسكوا، عن محارم الله"[١٧].

قال إبراهيم بن نشيط: "سألت عمر مولى غفرة قلت له ما القوام؟ قال: القوام ألا تنفق في غير حق ولا تمسك من حق هو عليك"[١٨].

قال قتادة:" إن الله عز وجل قد أقاتكم قيتة فانتهوا إلى قيتة الله عز وجل"[١].

---

(١) معاني القرآن:٤/٧٥-٧٦.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٣٨٠):ص٨/٢٧٢٦.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٣٨٣):ص٨/٢٧٢٦.
(٤) التفسير الميسر:٣٦٥.
(٥) تفسير ابن كثير:٦/١٢٤.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٣٨٥): ٨/ ٢٧٢٦.
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٣٨٦):٨/٢٧٢٦.
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٣٨٧):٨/ ٢٧٢٧.
(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٣٨٩):٨/٢٧٢٦.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٣٨٩):ص٨/٢٧٢٧.
(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٣٨٨):٨/٢٧٢٦.
(١٢) التفسير الميسر:٣٦٥.
(١٣) تفسير ابن كثير:٦/١٢٤.
(١٤) معاني القرآن:٢/٢٧٣.
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٣٩٣):ص٨/٢٧٢٧.
(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٣٩٢):ص٨/٢٧٢٧.
(١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٣٩٥):ص٨/٢٧٢٨.
(١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٣٩١):ص٨/٢٧٢٧.

قال مطرف بن الشخير: "العلم خير من العمل وخير الأمور أوساطها والحسنة بين السيئتين ذلك بأن الله عز وجل يقول: {والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا}، يقول سيئة: {ولم يقتروا} يقول: سيئة: {وكان بين ذلك قواما}، يقول: حسنة"[٢].

وروي عن النبي ﷺ قال : "من فقه الرجل رفقه في معيشته". ولم يخرجوه"[٣].

عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : "ما عال من اقتصد"[٤].

عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ "ما أحسن القصد في الغنى ، وأحسن القصد في الفقر ، وأحسن القصد في العبادة"[٥].

القرآن

{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١)} [الفرقان : ٦٨ - ٧١]

التفسير:

والذين يوحدون الله، ولا يدعون ولا يعبدون إلهًا غيره، ولا يقتلون النفس التي حرَّم الله قتلها إلا بما يحق قتلها به: من كفر بعد إيمان، أو زنى بعد زواج، أو قتل نفس عدوانًا، ولا يزنون، بل يحفظون فروجهم، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، ومن يفعل شيئًا من هذه الكبائر يَلْقَ في الآخرة عقابًا. يُضاعَفْ له العذاب يوم القيامة، ويَخْلُدْ فيه ذليلا حقيرًا. (والوعيد بالخلود لمن فعلها كلَّها، أو لمن أشرك بالله) . لكن مَن تاب مِن هذه الذنوب توبة نصوحًا وآمن إيمانًا جازمًا مقرونًا بالعمل الصالح، فأولئك يمحو الله عنهم سيئاتهم ويجعل مكانها حسنات؛ بسبب توبتهم وندمهم. وكان الله غفورًا لمن تاب، رحيمًا بعباده حيث دعاهم إلى التوبة بعد مبارزته بأكبر المعاصي. ومن تاب عمَّا ارتكب من الذنوب، وعمل عملا صالحا فإنه بذلك يرجع إلى الله رجوعًا صحيحًا، فيقبل الله توبته ويكفر ذنوبه.

في سبب نزولها وجوه:

أحدها: عن ابن عباس:" أن ناسا من أهل الشرك قد قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا ثم أتوا محمدا ﷺ فقالوا إن الذي تقوله وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزلت: {والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون}، ونزلت: {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم}"[٦].

وقال السدي:" ونزلت في المشركين قالوا: كيف تأمرنا يا محمد أن نتبعك وأنت تقول إنه من أشرك أو قتل أو زنا فهو في النار، فأنزل الله: {إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا}"[٧].

قال أبو مالك: "لما نزلت هذه الآية: {والذين لا يدعون مع الله إلها آخر}، الآية. قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ: قد كنا أشركنا في الجاهلية وقتلنا. فنزلت: {إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا}"[٨].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٣٩٤):ص٢٧٢٧/٨.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٣٩٠):ص٢٧٢٧/٨.
(٣)المسند (١٩٤/٥).
(٤)المسند (٤٤٧/١) وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٢/١٠) "في إسناده إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف".
(٥)مسند البزار برقم (٣٦٠٤) وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٢/١٠) : "رواه البزار عن سعيد بن حكيم عن مسلم بن حبيب ، ومسلم هذا لم أجد من ذكره إلا ابن حبان في ترجمة سعيد الراوي عنه ، وبقية رجاله ثقات".
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٣٩٨):ص٢٧٢٨/٨.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤١٩):ص٢٧٣٢/٨.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٢٠):ص٢٧٣٢/٨.

الثاني: قال سعيد بن جبير:" نزلت هذه الآية: {والذين لا يدعون مع الله إلها آخر} الآية، في كفار مكة فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة كتب وحش غلام المطعم بن عدي ابن نوفل إلى النبي ﷺ بالمدينة: إني قد أشركت وزنيت وقتلت- وكان قتل حمزة بن عبد المطلب يوم أحد- قال: هل لي من توبة؟ فنزلت فيه فاستثنى: {إلا من تاب} يعنى، من الشرك"[1].

ونقل يحيى بن سلام عن الكلبي:" أن وحشيا بعدما قتل حمزة كتب إلى النبي يسأله هل له توبة وكتب إليه فيما كتب: إن الله أنزل آيتين بمكة أيستاني من كل خير: {والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما {٦٨} يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا {٦٩} } [الفرقان: ٦٨-٦٩] وإن وحشيا قد فعل هذا كله، قد زنى، وأشرك، وقتل النفس التي حرم الله، فأنزل الله: {إلا من تاب} [الفرقان: ٧٠] أي من الزنا {وآمن} [الفرقان: ٧٠] بعد الشرك {وعمل عملا صالحا} [الفرقان: ٧٠] بعد السيئات {فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات} [الفرقان: ٧٠] بالشرك الإيمان، وبالفجور العفاف {وكان الله غفورا رحيما} [الفرقان: ٧٠]. فكتب بها رسول الله إليه، فقال وحشي: هذا شرط شديد فلعلي ألا أبقى بعد التوبة حتى أعمل صالحا. فكتب إلى رسول الله: هل من شيء أوسع من هذا؟ فأنزل الله: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} [النساء: ٤٨]. فكتب بها رسول الله إلى وحشي، فأرسل وحشي إلى رسول الله: إني أخاف ألا أكون من مشيئة الله. فأنزل الله في وحشي وأصحابه: {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم} [الزمر: ٥٣] فكتب بها رسول الله إلى وحشي فأقبل وحشي، إلى رسول الله وأسلم"[2].

الثالث: عن عبد الله بن مسعود قال": سُئل رسول الله ﷺ أي : الذنب أكبر ؟ قال : "أن تَجعل لله ندًا وهو خلقك". قال : ثم أي ؟ قال : "أن تقتل ولدك خشية أن يَطْعم معك". قال : ثم أي ؟ قال : "أن تزاني حليلة جارك". قال عبد الله : وأنزل الله تصديق ذلك : { وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا }"[3].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} [الفرقان : ٦٨]، أي:" والذين يوحدون الله، ولا يدعون ولا يعبدون إلهًا غيره"[4].

قال أبو مجلز: "كنت جالسا عند عبد الله بن عمر سأله رجل، عن الشرك؟ فقال: أن تجعل مع الله إلها آخر"[5].

عن عبد الله بن مسعود قال: "سئل رسول الله ﷺ، عن الكبائر، قال: «أن تدعو لله ندا وهو خلقك، وأن تقتل ولدك أن يطعم معك وأن تزاني حليلة جارك»، ثم قرأ:{والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون}"[6].

عن أبي فاختة قال: "قال رسول الله ﷺ لرجل: إن الله ينهاك أن تعبد المخلوق وتدع الخالق وينهاك أن تقتل ولدك وتغزوا كلبك وينهاك أن تزني بحليلة جارك، قال سفيان: وهو قوله: والذين لا يدعون مع الله إلها آخر"[7].

قوله تعالى:{وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} [الفرقان : ٦٨]، أي:" ولا يقتلون النفس التي حرَّم الله قتلها إلا بما يحق قتلها به"[8].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤١٧):ص٢٧٣١/٨.
(٢) تفسير يحيى بن سلام: ٤٩١/١.
(٣)المسند (٣٨٠/١) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٣٦٨)، وأخرجه ابن ابي حاتم(١٥٣٩٧):ص٢٧٢٨/٨.
(٤) التفسير الميسر:٣٦٦.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٠٠):ص٢٧٢٩/٨.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٣٩٦):ص٢٧٢٨/٨.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٣٩٩):ص٢٧٢٨/٨.
(٨) التفسير الميسر:٣٦٦.

عن سعيد بن جبير قوله: "{ولا يقتلون النفس التي حرم الله} قتلها {إلا بالحق}"(١).
قال سعيد بن جبير:" يعني نفس المؤمن"(٢).
قال أبو جعفر:" هم أهل الذمة"(٣).

وروي عن رسول الله-ﷺ-، قال:" " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها "(٤).

وفي رواية:" "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها، قيل: وما حقها؟ قال: زنا بعد إحصان أو كفر بعد إسلام أو قتل نفس فتقتل بها"(٥).

وعن سعيد بن جبير في قول الله: {ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق}، قال النبي ﷺ: إني أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها حرمت دماؤهم إلا بحقها وحسابهم على الله قالوا: يا نبي الله وما حقها؟ قال: النفس بالنفس والثيب الزاني والمرتد، عن الإسلام والتارك لدينه فغير إيمانه المفارق للجماعة"(٦).

قوله تعالى:{وَلَا يَزْنُونَ} [الفرقان : ٦٨]، أي:" ولا يزنون، بل يحفظون فروجهم، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم"(٧).

قال مسروق:" إني لأعجب ممن يقول: إن القذف أشد من الزنا وقد قرن الله الزنا بالقتل والإشراك. قال الله: {والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون}"(٨).

عن النبي ﷺ : قال : "ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نُطفة وضعها رجل في رَحِم لا يحل له"(٩).

قوله تعالى:{وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا} [الفرقان : ٦٨]، أي:" ومن يفعل شيئًا من هذه الكبائر يَلْقَ في الآخرة عقابًا"(١٠).

عن عبد الله بن عمر: "{أثاما}، قال: واد في جهنم"(١١). وروى عن مجاهد وسعيد بن جبير -في إحدى الروايات- وعكرمة مثل ذلك(١).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٠٣):ص٢٧٢٩/٨.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٠١):ص٢٧٢٩/٨.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٠٢):ص٢٧٢٩/٨.
(٤)أخرجه من حديث أبي هريرة: البخاري (١٣٩٩) و (١٤٥٧) و (٦٩٢٤) و (٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠) و (٢١)، وأحمد ٢/ ٣٤٥ و٣٧٧ و٤٢٣ و٤٧٥ و٥٠٢ و٥٢٧ و٥٢٨، والترمذي (٢٦٠٦) و (٢٦٠٧)، والنسائي ٧/ ٧٩، وأبو داود (٢٦٤٠)، والحاكم ١/ ٢٨٧.
وأخرجه من حديث أنس: أحمد ٣/ ١٩٩ و٢٢٤ - ٢٢٥ والبخاري (٣٩٢)، والترمذي (٢٦٠٨)، وأبو داود (٢٦٤١)، والنسائي ٧/ ٧٥ - ٧٦ و٨/ ١٠٩، والحاكم ١/ ٣٨٦ - ٣٨٧.
وأخرجه من حديث ابن عمر: البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢)، والترمذي عقب حديث أبي هريرة.
وأخرجه من حديث أوس بن حذيفة: أحمد ٤/ ٨ - ٩، والنسائي ٧/ ٨٠ - ٨١.
وأخرجه من حديث جابر: أحمد ٣/ ٣٠٠ و٣٣٢ و٣٣٩، والحاكم ٢/ ٥٢٢ .
(٥)تفسير الطبري: ١٧/ ٤٣٩؛ الطبراني، المعجم الأوسط: ٣/ ٣٠٠، رقم ٣٢٢١. وكلاهما أخرجاه من طريق طريق عمرو بن هاشم البيروتي عن سليمان بن حيان عن حميد الطويل عن أنس، وعمرو البيروتي اختلف فيه، قال ابن وراة: كتبت عنه وكان قليل الحديث ليس بذاك، وقال ابن عدي: ليس به بأس (تهذيب التهذيب: ٨/ ٩٩)، قال الذهبي: وثق (المغني: ٢/ ٤٩١)، وقال الحافظ ابن حجر: صدوق يخطئ (تقريب التهذيب: ص ٤٢٨)؛ قال الهيثمي: والأكثر على توثيقه (مجمع الزوائد: ١/ ٢٦).
(٦) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٤٠٤):ص٢٧٢٩/٨.
(٧) التفسير الميسر:٣٦٦.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٠٥):ص٢٧٢٨/٨.
(٩)المسند (٨/٦) وقال الهيثمي في المجمع (١٦٨/٨) "رجاله ثقات".
(١٠) التفسير الميسر:٣٦٦.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٠٧):ص٢٧٣٠/٨.

قال عكرمة: "أودية في جهنم فيها الزناة"[(٢)].

عن قتادة:" {أثاما}، أودية في جهنم"[(٣)].

قال قتادة:" أي: نكالا كنا نحدث أنه واد في جهنم، وقد ذكر لنا أن لقمان كان يقول: يا بني إياك والزنا فإنه أوله مخافة وآخره ندامة"[(٤)].

عن سعيد بن جبير قوله: "{ومن يفعل ذلك} من هذه الآيات الثلاث، {يلق أثاما}، يعني: جزاؤه أثاما"[(٥)].

عن السدي: "{يلق أثاما}، قال: جزاء"[(٦)].

قال ابن كثير:" وهذا أشبه بظاهر الآية ؛ ولهذا فسره بما بعده مبدلا منه ، وهو قوله : { يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } أي : يكرر عليه ويغلظ ، { وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا } أي : حقيرا ذليلا"[(٧)].

قوله تعالى:{يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الفرقان : ٦٩]، أي: يُضاعف عقابُه يوم القيامة ويُغلَّظ بسبب الشرك وبسبب المعاصي"[(٨)].

قال ابن كثير:" أي : يكرر عليه ويغلظ "[(٩)].

قال قتادة:" أي: عذاب الدنيا والآخرة"[(١٠)].

قوله تعالى:{وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا} [الفرقان : ٦٩]، أي:" يُخلد في ذلك العذاب حقيراً ذليلاً أبد الآبدين"[(١١)].

قال ابن كثير:" أي : حقيرا ذليلا "[(١٢)].

عن سعيد بن جبير قوله: "{ويخلد فيه}، يعنى: في العذاب، {مهانا}، يعني: يهان فيه"[(١٣)].

قال عمر بن عبد العزيز: "كل شيء في القرآن «خلود»: فإنه لا توبة له"[(١٤)].

قوله تعالى:{إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا} [الفرقان : ٧٠]، أي:" لكن مَن تاب مِن هذه الذنوب توبة نصوحًا وآمن إيمانًا جازمًا مقرونًا بالعمل الصالح"[(١٥)].

قال ابن كثير:" أي : جزاؤه على ما فعل من هذه الصفات القبيحة ما ذكر { إلا مَنْ تَابَ } في الدنيا إلى الله من جميع ذلك ، فإن الله يتوب عليه.

وفي ذلك دلالة على صحة توبة القاتل ، ولا تعارض بين هذه وبين آية النساء : { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } [النساء : ٩٣] فإن هذه وإن كانت مدنية إلا أنها مطلقة ، فتحمل على من لم يتب ، لأن هذه مقيدة بالتوبة ، ثم قد قال الله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } [

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٧٣٠/٧. بدون سند.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٠٩):ص٢٧٣٠/٨.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٠٨):ص٢٧٣٠/٨.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤١٠):ص٢٧٣٠/٨.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٠٦):ص٢٧٣٠/٨.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤١١):ص٢٧٣٠/٨.
(٧) تفسير ابن كثير:١٢٦/٦.
(٨) صفوة التفاسير:٣٣٩/٢.
(٩) تفسير ابن كثير:١٢٦/٦.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٤١٢):ص٢٧٣٠/٨.
(١١) صفوة التفاسير:٣٣٩/٢.
(١٢) تفسير ابن كثير:١٢٦/٦.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤١٤):ص٢٧٣١/٨.
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٤١٣):ص٢٧٣٠/٨-٢٧٣١.
(١٥) التفسير الميسر:٣٦٦.

النساء : ٤٨ ، ١١٦]. وقد ثبتت السنة الصحيحة ، عن رسول الله ﷺ بصحة توبة القاتل ، كما ذكر مقررا من قصة الذي قتل مائة رجل ثم تاب ، وقبل منه ، وغير ذلك من الأحاديث"(١).

قال سعيد بن جبير:" فاستثنى: {إلا من تاب} يعنى، من الشرك، {وآمن}، يعني: وصدق بتوحيد الله"(٢).

قال قتادة:" {إلا من تاب}، أي: من ذنوبه"، {وآمن}، أي: بربه. {وعمل عملا صالحا}، أي: فيما بينه وبين الله عز وجل"(٣).

قال ابن عباس:" هم الذين يتوبون فيعملون بطاعة الله"(٤).

قال سعيد بن جبير: "سألت ابن عباس، عن قوله: {والذين لا يدعون مع الله إلها آخر}، إلى قوله: {إلا من تاب}، قال: كانت هذه في الجاهلية"(٥).

قال ابن عباس:" نزلت هذه الآية: {ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم}، بعد قوله: {إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا}، بسنة"(٦).

قال أبو سعيد: "لما أسلم وحشي أنزل الله عز وجل: {والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق}، قال وحشي وأصحابه: فنحن قد ارتكبنا هذا كله. فأنزل الله عز وجل:"{يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم}، الآية"(٧).

قال سهل بن عبدالله:" لا تصح التوبة لأحدكم حتى يدع الكثير من المباح، مخافة أن يخرجه إلى غيره، كما قالت عائشة رضي الله عنها: اجعلوا بينكم وبين الحرام سترا من الحلال، كان رسول الله ﷺ يدعنا بعد الطهر ثلاثا حتى تذهب فورة الدم"(٨).

قوله تعالى:{فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} [الفرقان : ٧٠]، أي:" فأولئك يمحو الله عنهم سيئاتهم ويجعل مكانها حسنات؛ بسبب توبتهم وندمهم"(٩).

قال الحسن:" هذه ليست لكم هذه في أهل الشرك"(١٠).

قال ميسرة أبي جميلة:" هم الذين ولجوا إلى الإسلام من المشركين"(١١).

عن أبي هريرة قال: "ليأتين الله بأناس يوم القيامة رأوا أنهم قد استكثروا من السيئات قيل: من هم يا أبا هريرة؟ قال: الذين يبدل الله بسيئاتهم حسنات"(١٢).

وفي تفسير قوله تعالى: { يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ }[الفرقان : ٧٠]، قولان:

أحدهما : أن هذا في الدنيا، ومعناه: أنهم بدلوا مكان عمل السيئات بعمل الحسنات. وهذا قول الحسن البصري(١٣)، وسعيد بن جبير(١٤)، والضحاك(١٥)، وعطاء بن ابي رباح(١٦)، وآخرون.

قال الزجاج:" ليس أن السيئة بعينها تصير حسنة، ولكن التأويل: أن السيئة تمحى بالتوبة، وتكتب الحسنة مع التوبة، والكافر يحبط الله عمله ويثبت الله عليه السيئات"(١).

---

(١) تفسير ابن كثير:٦/١٢٦-١٢٧.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤١٧)، (١٥٤٢٣):ص٨/٢٧٣١، ٢٧٣٢.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٢١)، (١٥٤٢٤):ص٨/٢٧٣٢.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٢٢):ص٨/٢٧٣٢.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤١٥):ص٨/٢٧٣١.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤١٦):ص٨/٢٧٣١.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤١٨):ص٨/٢٧٣١.
(٨) تفسير التستري:١١٤.
(٩) التفسير الميسر:٣٦٦.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٣٥):ص٨/٢٧٣٤.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٣٦):ص٨/٢٧٣٤.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٢٩):ص٨/٢٧٣٣.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٤٣٣):ص٨/٢٧٣٤.
(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٤٢٥)، (١٥٤٢٧)، (١٥٤٣٣):ص٨/٢٧٣٢، ٢٧٣٣.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:١٩/٣١٠-٣١١.
(١٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٤٣٧):ص٨/٢٧٣٤.

عن سعيد بن جبير، "{فأولئك}، يعني: الذين فعلوا ما ذكر الله عز وجل في هذه الآية، {يبدل الله}، يعني: يحول الله، [قال]: يبدلهم بمكان الشرك الإسلام وبمكان القتال الكف، وبمكان الزنا العفاف"(٢).

قال سعيد بن جبير:" فأبدلهم بعبادة الأوثان عبادة الله وأبدلهم بقتال المسلمين قتالا مع المسلمين المشركين وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات"(٣).

قال الحسن:" التبديل في الدنيا أبدلهم الله بالعمل السيئ العمل الصالح وأبدلهم بالشرك إخلاصا. وأبدلهم بالفجور إحصانا، وبالكفر إيمانا وإسلاما"(٤).

قال عطاء بن أبي رباح" إنما هذا في الدنيا الرجل يكون على الهيئة القبيحة ثم يبدله الله بها خيرا"(٥).

وعن قتادة: "{فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات}، قال: ذكر الله بعد نسيانه وطاعة الله بعد معصيته"(٦).

قال ابن عباس:" هم المؤمنون كانوا قبل إيمانهم على السيئات فرغب الله بهم، عن ذلك فحولهم إلى الحسنات وأبدلهم مكان السيئات الحسنات"(٧).

عن ابن عباس أنه كان ينشد عند هذه الآية :" بُدِّلْنَ بَعْدَ حَرِّهِ خَرِيفا.. وَبَعْدَ طُول النَّفَس الوَجيفَا (٨)"(٩). قال ابن كثير:" يعني : تغيرت تلك الأحوال إلى غيرها"(١٠).

عن شعيب بن الحبحاب:" قيل لأبي العالية: إن ناسا يقولون ودوا أنهم استكثروا من الذنوب، فقال أبو العالية ولم يقولون ذلك؟ قال: قيل: يتأولون هذه الآية: {فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات}، فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا هذه الآية: {يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا}، الآية"(١١).

الثاني : أن هذا في الآخرة، والله تعالى يبدل سيئات التائب بالحسنات في صحيفته. وهذا قول علي بن الحسن(١٢)، ومكحول(١٣)، وسلمان(١٤).

عن علي بن الحسين: "{يبدل الله سيئاتهم حسنات}، قال: في الآخرة"(١٥).

قال مكحول:" يجعل سيئاتهم حسنات"(١).

---

(١) معاني القرآن:٧٦/٤.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٤٢٥)، (١٥٤٢٧)، (١٥٤٣٣):ص٢٧٣٢/٨، ٢٧٣٣.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٣٤):ص٢٧٣٤/٨، والطبري:٣١٠/١٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٣٣):ص٢٧٣٤/٨.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٣٧):ص٢٧٣٤/٨.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٣٨):ص٢٧٣٤/٨.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٤٣٢):ص٢٧٣٣/٨.
(٨)هذا بيت للبيد العامري الشاعر. وروايته هكذا غامضة. ولم أجده في أصل ديوانه، وإنما وجدته في الملحق بالديوان (طبع ليدن ص ٥٦) ، وروايته فيه كرواية السيوطي في الإتقان: وهذه الرواية أجود وأوضح، وهي:
بدلن بعد النفش الوجيفا ... وبعد طول الحرة الصريفا
يصف لبيد جماعة من الإبل، بأنها كانت ترعى ليلا زمنا طويلا، ثم بدلت بذلك الوجيف، وهو ضرب من سير الإبل والخيل سريع، يقال: وجف البعير والفرس وجفا، ووجيفا أسرع وبدلت بعد طول الاجتراء في مباركها الصريف. والاجتراء: أن يخرج دو الكرش جزءا من الطعام ليمضغه جيدا ثم يعيده والصريف يطلق على معان، منها اللبن ساعة يحلب، والخمر؛ والمراد به هنا صوت ناب الناقة إذا حركته، وإنما يكون ذلك إذا نالها الإعياء والكلال فكأن لبيدا يقول تبدلت أحوالها بعد النعيم بؤسا.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٣١):ص٢٧٣٣/٨.
(١٠) تفسير ابن كثير:١٢٧/٦.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٣٠):ص٢٧٣٣/٨.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٤٤٠):ص٢٧٣٥/٨.
(١٣)انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٤٢٨):ص٢٧٣٣/٨.
(١٤)انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٤٣٩):ص٢٧٣٤/٨.
(١٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٤٠):ص٢٧٣٥/٨.

قال مكحول:" يغفرها لهم فيجعلها حسنات"[٢].

قال سلمان: "يعطى رجل يوم القيامة صحيفة فيقرأ أعلاها فإذا سيئاته فإذا كان يسوء إنه ينظر في أسفلها فإذا حسنات، ثم ينظر في أعلاها فإذا هي قد بدلت حسنات"[٣].

عن ابي حمزة، قال أبو الضيف -وكان من أصحاب معاذ بن جبل-: "يدخل أهل الجنة الجنة على أربعة أصناف المتقين ثم الشاكرين ثم الخائفين ثم أصحاب اليمين، قلت: لم سموا أصحاب اليمين؟ قال: لأنهم عملوا بالحسنات والسيئات فأعطوا كتبهم بأيمانهم فقرأوا سيئاتهم حرفا حرفا، قالوا: يا ربنا هذه سيئاتنا فأنى حسناتنا؟ فعند ذلك محا الله السيئات وأبدلها حسنات فعند ذلك قالوا: هاؤم اقرؤا كتابيه. فهم أهل الجنة"[٤].

عن أبي ذر ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : "إني لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار ، وآخر أهل الجنة دخولا إلى الجنة : يؤتى برجل فيقول : نَحّوا كبار ذنوبه وسلوه عن صغارها ، قال : فيقال له : عملت يوم كذا وكذا كذا ، وعملت يوم كذا وكذا كذا ؟ فيقول : نعم - لا يستطيع أن ينكر من ذلك شيئا - فيقال : فإن لك بكل سيئة حسنة. فيقول : يا رب ، عملت أشياء لا أراها هاهنا". قال : فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه"[٥].

قال الطبري:" وأولى التأويلين بالصواب في ذلك، تأويل من تأوله: فأولئك يبدل الله سيئاتهم: أعمالهم في الشرك حسنات في الإسلام، بنقلهم عما يسخطه الله من الأعمال إلى ما يرضى، وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية، لأن الأعمال السيئة قد كانت مضت على ما كانت عليه من القبح، وغير جائز تحويل عين قد مضت بصفة إلى خلاف ما كانت عليه إلا بتغييرها عما كانت عليه من صفتها في حال أخرى، فيجب إن فعل ذلك كذلك أن يصير شرك الكافر الذي كان شركا في الكفر بعينه إيمانا يوم القيامة بالإسلام ومعاصيه كلها بأعيانها طاعة، وذلك ما لا يقوله ذو حجا"[٦].

قال ابن كثير:"وما ذاك[أي: تبديل السيئات بالحسنات] إلا أنه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر ، فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار. فيوم القيامة وإن وجده مكتوبا عليه لكنه لا يضره وينقلب حسنة في صحيفته ، كما ثبتت السنة بذلك ، وصحت به الآثار المروية عن السلف ، رحمهم الله تعالى"[٧].

قوله تعالى:{وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الفرقان : ٧٠]، أي:" وكان الله غفورًا لمن تاب، رحيمًا بعباده حيث دعاهم إلى التوبة بعد مبارزته بأكبر المعاصي"[٨].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وكان الله ذا عفو عن ذنوب من تاب من عباده، وراجع طاعته، وذا رحمة به أن يعاقبه على ذنوبه بعد توبته منها"[٩].

قال سعيد بن جبير:{غفورا}" يعني: لما كان في الشرك، {رحيما}، يعني: رحيما بهم في الإسلام"[١٠].

عن أبي هريرة قال: "جاءتني امرأة فقالت هل لي من توبة؟ إني زنيت وولدت وقتلته فقلت: لا. ولا نعمت العين ولا كرامة فقامت وهي تدعو بالحسرة ثم صليت مع النبي ﷺ الصبح فقصصت عليه ما قالت المرأة وما قلت لها فقال رسول الله ﷺ: بئس ما قلت أما كنت تقرأ هذه

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٢٨):ص٢٧٣٣/٨.
(٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٤١):ص٢٧٣٥/٨.
(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٣٩):ص٢٧٣٤/٨.
(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٤٢):ص٢٧٣٥/٨.
(٥)المسند (١٧٠/٥) وصحيح مسلم برقم (١٩٠).
(٦) تفسير الطبري:٣١٢/١٩.
(٧) انظر: تفسير ابن كثير:١٢٧/٦.
(٨) التفسير الميسر:٣٦٦.
(٩) تفسير الطبري:٣١٢/١٩.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٤٤٥):ص٢٧٣٦/٨.

الآية: {والذين لا يدعون مع الله إلها آخر}، إلى قوله: {إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما}، فقرأتها عليها فخرت ساجدة، وقالت: الحمد لله الذي جعل لي مخرجا"[(١)].

قال مكحول:" جاء شيخ كبير هرم قد سقطت حاجباه على عينيه فقال: يا رسول الله رجل غدر وفجر لم يدع حاجة ولا داجة إلا اقتطعها بيمينه لو قسمت خطيئته بين أهل الأرض لأوبقتهم فهل له من توبة؟ فقال النبي ﷺ: أسلمت؟ فقال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. فقال النبي ﷺ: فإن الله غافر لك ما كنت كذلك ومبدل سيئاتك حسنات. قال: يا رسول الله وغدراتي وفجراتي؟ قال: وغدراتك وفجراتك. قال: فولى الرجل يكبر ويهلل "[(٢)].

قوله تعالى:{وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا} [الفرقان : ٧١]، أي:" ومن تاب عمَّا ارتكب من الذنوب، وعمل عملا صالحا فإنه بذلك يرجع إلى الله رجوعًا صحيحًا، فيقبل الله توبته ويكفر ذنوبه"[(٣)].

قال الطبري:" يقول: ومن تاب من المشركين، فآمن بالله ورسوله وعمل بما أمره الله فأطاعه، فإن الله فاعل به من إبداله سيئ أعماله في الشرك بحسنها في الإسلام، مثل الذي فعل من ذلك بمن تاب وآمن وعمل صالحا قبل نزول هذه الآية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم"[(٤)].

قال ابن زيد:" هذا للمشركين الذين قالوا لما أنزلت: {والذين لا يدعون مع الله إلها آخر} ... إلى قوله {وكان الله غفورا رحيما} لأصحاب رسول الله ﷺ، ما كان هؤلاء إلا معنا، قال: ومن تاب وعمل صالحا فإن لهم مثل ما لهؤلاء {فإنه يتوب إلى الله متابا} لم تحظر التوبة عليكم"[(٥)].

عن مجاهد، قوله: "{ومن تاب}، قال: تاب الله عليه"[(٦)].

قال ابن عباس:" الأعمال الصالحة: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا اله والله أكبر"[(٧)].

فوائد الآيات:[٦٣-٧١]:

١- بيان صفات عباد الرحمن الذين بهم يعرف الرحمن عز وجل.
٢- فضيلة التواضع والسكينة في المشيء والوقار.
٣- فضيلة رد السيئة بالحسنة والقول السليم من الإثم.
٤- فضيلة قيام الليل والخوف من عذاب النار.
٥- فضيلة الاعتدال والقصد في النفقة وهي حسنة بين السيئتين.
٦- حرمة الشرك وقتل النفس والزنى وأنها أمهات الكبائر.
٧- التوبة تجب ما قبلها. والندب إلى التوبة وأنها مقبولة مالم يغرغر.

القرآن

{وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢)} [الفرقان : ٧٢]

التفسير:

والذين لا يشهدون بالكذب ولا يحضرون مجالسه، وإذا مروا بأهل الباطل واللغو من غير قصد مرُّوا معرضين منكرين يتنزهون عنه، ولا يرضونه لغيرهم.

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٤٣):ص٢٧٣٥/٨.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٤٤):ص٢٧٣٥/٨-٢٧٣٦.
(٣) التفسير الميسر:٣٦٦.
(٤) تفسير الطبري:٣١٢/١٩.
(٥) أخرجه الطبري:٣١٣/١٩.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٤٦):ص٢٧٣٦/٨.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٤٧):ص٢٧٣٦/٨.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ} [الفرقان : ٧٢]، أي:" والذين لا يشهدون بالكذب ولا يحضرون مجالسه"(١).

قال ابن كثير:" وهذه أيضا من صفات عباد الرحمن"(٢).

واختلف أهل التفسير في معنى «الزور» في الآية، على أقوال:

أحدها: معناه: الشرك بالله. قاله ابن زيد(٣).

وقال مقاتل:" يعني: لا يحضرون الذنب، يعني: الشرك"(٤).

الثاني: أنه الغناء. وهذا قول مجاهد(٥).

الثالث: أنه الكذب. وهذا قول ابن جريج(٦).

قال الفراء:" يقول: لا يحضرون مجالس الكذب والمعاصي"(٧).

الرابع: أنه شهادة الزور، وهي الكذب متعمدا على غيره. حكاه ابن كثير(٨).

عن أبي بَكْرَة قال : قال رسول الله ﷺ : "ألا أنبئكم بأكْبر الكبائر" ثلاثا ، قلنا : بلى ، يا رسول الله ، قال : "الشرك بالله ، وعقوق الوالدين". وكان متكئًا فجلس ، فقال : "ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور. فما زال يكررها ، حتى قلنا : ليته سكت(٩).

قال ابن كثير:" الأظهر من السياق أن المراد: لا يشهدون الزور، أي:لا يحضرونه"(١٠).

الخامس : معناه: لا يشهدون أهل الباطل على باطلهم ولا يمالئونهم فيه. قاله يحيى بن سلام(١١).

السادس : أن «الزور»: مجالس المبتدعين. قاله سهل بن عبدالله(١٢).

السابع: أنه أعياد المشركين، لأنها زور وكذب إذ كانت لغير الله. ذكره الفراء(١٣).

قال الطبري:" وأصل الزور تحسين الشيء، ووصفه بخلاف صفته، حتى يخيل إلى من يسمعه أو يراه، أنه خلاف ما هو به، والشرك قد يدخل في ذلك، لأنه محسن لأهله، حتى قد ظنوا أنه حق، وهو باطل، ويدخل فيه الغناء، لأنه أيضا مما يحسنه ترجيع الصوت، حتى يستحلي سامعه سماعه، والكذب أيضا قد يدخل فيه لتحسين صاحبه إياه، حتى يظن صاحبه أنه حق، فكل ذلك مما يدخل في معنى الزور.

فإذا كان ذلك كذلك، فأولى الأقوال بالصواب في تأويله أن يقال: والذين لا يشهدون شيئا من الباطل لا شركا، ولا غناء، ولا كذبا ولا غيره، وكل ما لزمه اسم الزور، لأن الله عم في وصفه إياهم أنهم لا يشهدون الزور، فلا ينبغي أن يخص من ذلك شيء إلا بحجة يجب التسليم لها، من خبر أو عقل"(١٤).

قوله تعالى:{وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} [الفرقان : ٧٢]، أي:" وإذا مروا بأهل الباطل واللغو من غير قصد مرُّوا معرضين منكرين يتنزهون عنه، ولا يرضونه لغيرهم"(١٥).

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٦.
(٢) تفسيرابن كثير:١٣٠/٦.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٣١٣/١٩.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٤٢/٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٣١٣/١٩.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٣١٤/١٩.
(٧) معاني القرآن:٢٧٣/٢-٢٧٤.
(٨) انظر: تفسير ابن كثير:١٣٠/٦.
(٩)صحيح البخاري برقم (٢٦٥٤) وصحيح مسلم برقم (٨٧).
(١٠) تفسير ابن كثير:١٣١/٦.
(١١) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٤٩٢/١.
(١٢) انظر: تفسير التستري:١١٤.
(١٣) انظر: معاني القرآن:٢٧٣/٢-٢٧٤.
(١٤) تفسير الطبري:٣١٤/١٩.
(١٥) التفسير الميسر:٣٦٦.

قال الزجاج:" تأويله أعرضوا عنه"(١).

قال السمعاني:"«اللغو»: في اللغة كل ما هو باطل، ولا يفيد فائدة، أي: مروا معرضين كما يمر الكرام، وقيل: أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه "(٢).

قال الفراء:" ذكر أنهم كانوا إذا أجروا ذكر النساء كنوا عن قبيح الكلام فيهن. فذلك مرورهم به "(٣).

قال ابن كثير:" أي : لا يحضرون الزور ، وإذا اتفق مرورهم به مرُّوا ، ولم يتدنسوا منه بشيء "(٤).

وفي قوله تعالى:{وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} [الفرقان : ٧٢]، أقوال:

احدها: معناه: ما كان المشركون يقولونه للمؤمنين، ويكلمونهم به من الأذى. ومرورهم به كراما إعراضهم عنهم وصفحهم. وهذا قول مجاهد(٥).

قال مجاهد:" إذا أوذوا مروا كراما، قال: صفحوا"(٦).

قال مقاتل:" يقول: إذا سمعوا من كفار مكة الشتم والأذى على الإسلام «مروا كراما» معرضين عنهم، كقوله- سبحانه-: {وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه}[القصص:٥٥]"(٧).

الثاني: معناه: وإذا مروا بذكر النكاح، كفوا عنه. وهذا قول مجاهد ايضا(٨).

وقال سيار:" إذا مروا بالرفث كفوا"(٩).

الثالث:المعنى: إذا مروا بما كان المشركون فيه من الباطل مروا منكرين له. وهذا قول ابن زيد(١٠).

قال ابن زيد:" هؤلاء المهاجرون، واللغو ما كانوا فيه من الباطل، يعني المشركين وقرأ {فاجتنبوا الرجس من الأوثان}"(١١).

الرابع: أن «اللغو» -هاهنا-: المعاصي كلها. وهذا قول الحسن(١٢).

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي، أن يقال: إن الله أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم بأنهم إذا مروا باللغو مروا كراما، واللغو في كلام العرب هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل، أو ما يستقبح فسب الإنسان الإنسان بالباطل الذي لا حقيقة له من اللغو. وذكر النكاح بصريح اسمه مما يستقبح في بعض الأماكن، فهو من اللغو، وكذلك تعظيم المشركين آلهتهم من الباطل الذي لا حقيقة لما عظموه على نحو ما عظموه، وسماع الغناء مما هو مستقبح في أهل الدين، فكل ذلك يدخل في معنى اللغو، فلا وجه إذ كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو، أن يقال: عني به بعض ذلك دون بعض، إذ لم يكن لخصوص ذلك دلالة من خبر أو عقل. فإذ كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وإذا مروا بالباطل فسمعوه أو رأوه، مروا كراما، مرورهم كراما في بعض ذلك بأن لا يسمعوه، وذلك كالغناء. وفي بعض ذلك بأن يعرضوا عنه ويصفحوا، وذلك إذا أو ذوا بإسماع القبيح من القول، وفي بعضه بأن ينهوا عن ذلك، وذلك بأن يروا من المنكر ما يغير بالقول فيغيروه بالقول. وفي بعضه بأن يضاربوا عليه

---

(١) معاني القرىن:٧٧/٤.
(٢) تفسير السمعاني:٤٦٣/٣.
(٣) معاني القرآن:٢٧٣/٢.
(٤) تفسير ابن كثير:١٣١/٦.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٣١٤/١٩.
(٦) أخرجه الطبري:٣١٤/١٩.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٤٢/٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٣١٤/١٩-٣١٥.
(٩) أخرجه الطبري:٣١٥/١٩.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٣١٤/١٩-٣١٥.
(١١) أخرجه الطبري:٣١٥/١٩.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٣١٤/١٩-٣١٥.

بالسيوف، وذلك بأن يروا قوما يقطعون الطريق على قوم، فيستصرخهم المراد ذلك منهم، فيصرخونهم، وكل ذلك مرورهم كراما"[(١)].

عن إبراهيم بن ميسرة، قال: "مر ابن مسعود بلهو مسرعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أصبح ابن مسعود لكريما"[(٢)].

عن سفيان، قال: "سمعت السدي يقول: {وإذا مروا باللغو مروا كراما}، قال: هي مكية"[(٣)].

قال الطبري:" وإنما عني السدي بقوله هذا إن شاء الله، أن الله نسخ ذلك بأمره المؤمنين بقتال المشركين بقوله: {فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم}، وأمرهم إذا مروا باللغو الذي هو شرك، أن يقاتلوا أمراءه، وإذا مروا باللغو، الذي هو معصية لله أن يغيروه، ولم يكونوا أمروا بذلك بمكة"[(٤)].

قال الشافعي -رحمه الله-: "وفرض الله على السمع: أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرم الله، وأن يغضي عما نهى الله عنه، فقال: {والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما}، الآية، فذلك ما فرض الله جل ذكره على السمع من التنزيه عما لا يحل له، وهو عمله، وهو من الإيمان"[(٥)].

القرآن

{وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣)} [الفرقان : ٧٣]

التفسير:

والذين إذا وُعِظُوا بآيات القرآن ودلائل وحدانية الله لم يتغافلوا عنها، كأنهم صمٌّ لم يسمعوها، وعُمْيٌ لم يبصروها، بل وَعَتْها قلوبهم، وتفتَّحت لها بصائرهم، فخرُّوا لله ساجدين مطيعين.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ} [الفرقان : ٧٣]، أي:" والذين إذا وُعِظُوا بآيات القرآن ودلائل وحدانية الله"[(٦)].

قال الفراء:" يقال: إذا تلي عليهم القرآن"[(٧)].

قال الطبري: يقول:" والذين إذا ذكرهم مذكر بحجج الله"[(٨)].

قوله تعالى:{لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا} [الفرقان : ٧٣]، أي:" لم يتغافلوا عنها، كأنهم صمٌّ لم يسمعوها، وعُمْيٌ لم يبصروها، بل وَعَتْها قلوبهم، وتفتَّحت لها بصائرهم، فخرُّوا لله ساجدين مطيعين"[(٩)].

قال الطبري: يقول:" لم يكونوا صما لا يسمعون، وعميا لا يبصرونها ولكنهم يقاظ القلوب، فهماء العقول، يفهمون عن الله ما يذكرهم به، ويفهمون عنه ما ينبههم عليه، فيوعون مواعظه آذانا سمعته، وقلوبا وعته"[(١٠)].

قال ابن كثير:" بخلاف الكافر ، فإنه إذا سمع كلام الله لا يؤثر فيه ولا يُقْصر عما كان عليه ، بل يبقى مستمرا على كفره وطغيانه وجهله وضلاله ، كما قال تعالى : { وَإِذَا مَا أُنزلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَأَمَّا

---

(١) تفسير الطبري:٣١٦/١٩.
(٢) أخرجه الطبري:١ح/٣١٦.
(٣) أخرجه الطبري:١ح/٣١٦.
(٤) تفسير الطبري:٣١٦/١٩.
(٥) تفسير الغمام الشافعي:١١٦١/٣.
(٦) التفسير الميسر:٣٦٦.
(٧) معاني القرآن:٢٧٤/٢.
(٨) تفسير الطبري:٣١٦/١٩.
(٩) التفسير الميسر:٣٦٦.
(١٠) تفسير الطبري:٣١٦/١٩.

الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ } [التوبة : ١٢٤ - ١٢٥]. فقوله : { لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا } أي : بخلاف الكافر الذي ذكر بآيات ربه ، فاستمر على حاله ، كأن لم يسمعها أصم أعمى"(١).

قال الفراء:" لم يقعدوا على حالهم الأولى كأنهم لم يسمعوه. فذلك الخرور. وسمعت العرب تقول: قعد يشتمني، وأقبل يشتمني. وأنشدني بعض العرب(٢):

لا يقنع الجارية الخضاب ... ولا الوشاحان ولا الجلباب

من دون أن تلتقي الأركاب ... ويقعد الهن له لعاب

قال الفراء: يقال لموضع المذاكير: ركب. ويقعد كقولك: يصير"(٣).

عن مجاهد، قوله: "{لم يخروا عليها صما وعميانا}، فلا يسمعون، ولا يبصرون، ولا يفقهون حقا"(٤).

عن ابن عون، قال: "قلت للشعبي: رأيت قوما قد سجدوا ولم أعلم ما سجدوا منه أسجد، قال: {والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا}"(٥).

قال ابن زيد: هذا مثل ضربه الله لهم، لم يدعوها إلى غيرها، وقرأ قول الله: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم} ... الآية"(٦).

القرآن

{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)} [الفرقان : ٧٤]

التفسير:

والذين يسألون الله تعالى قائلين: ربنا هب لنا مِن أزواجنا وذريَّاتنا ما تَقَرُّ به أعيننا، وفيه أنسنا وسرورنا، واجعلنا قدوة يُقتدى بنا في الخير.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ} [الفرقان : ٧٤]، أي:" والذين يسألون الله تعالى قائلين: ربنا هب لنا مِن أزواجنا وذريَّاتنا ما تَقَرُّ به أعيننا، وفيه أنسنا وسرورنا"(٧).

قال الطبري: يقول:" والذين يرغبون إلى الله في دعائهم ومسألتهم بأن يقولوا: ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا ما تقر به أعيننا من أن تريناهم يعملون بطاعتك"(٨).

قال ابن كثير:" يعني : الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم وذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له "(٩).

قال ابن عباس:" يعنون: من يعمل لك بالطاعة فتقر بهم أعيننا في الدنيا والآخرة"(١٠).

عن حزم، قال: "سمعت كثيرا سأل الحسن، قال: يا أبا سعيد، قول الله: {هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين}، في الدنيا والآخرة؟ قال: لا بل في الدنيا، قال: وما ذاك؟ قال: المؤمن يرى زوجته وولده يطيعون الله"(١١).

قال سليمان:" وإنما قرة أعينهم أن يروهم يعملون بطاعة الله"(١).

---

(١) تفسير ابن كثير:١٣١/٦.
(٢) وانظر: تفسير الطبري:٣١٧/١٩، والبحر المحيط في التفسير:٣٠/٧.
(٣) معاني القرآن:٢٧٤/٢.
(٤) أخرجه الطبري:٣١٦/١٩.
(٥) أخرجه الطبري:٣١٧/١٩.
(٦) أخرجه الطبري:٣١٧/١٩.
(٧) التفسير الميسر:٣٦٦.
(٨) تفسير الطبري:٣١٨/١٩.
(٩) تفسير ابن كثير:١٣١/٦.
(١٠) اخرجه الطبري:٣١٨/١٩.
(١١) اخرجه الطبري:٣١٨/١٩.

قال ابن جريج:" يعبدونك يحسنون عبادتك، ولا يجرون علينا الجرائر"[٢].
قال ابن زيد:" يسألون الله لأزواجهم وذرياتهم أن يهديهم للإسلام"[٣].
عن جبير بن نفير، قال: "جلسنا إلى المقداد بن الأسود، فقال: لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أشد حالة بعث عليها نبي من الأنبياء في فترة وجاهلية، ما يرون دينا أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل، وفرق بين الوالد وولده، حتى إن كان الرجل ليرى ولده ووالده وأخاه كافرا، وقد فتح الله قفل قلبه بالإسلام، فيعلم أنه إن مات دخل النار، فلا تقر عينه، وهو يعلم أن حبيبه في النار، وإنها للتي قال الله: {والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين} ... الآية"[٤].
قوله تعالى:{وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} [الفرقان : ٧٤]، أي:" واجعلنا قدوة يُقتدى بنا في الخير"[٥].
عن سعيد بن جبير، قوله: "{للمتقين}، يعنى: الذين يتقون الشرك"[٦].
وفي قوله تعالى:{وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} [الفرقان : ٧٤]، وجوه من التفسير:
أحدها : أمثالا ، قاله عكرمة[٧].
الثاني : رضاً ، قاله جعفر الصادق[٨].
عن القاسم بن الأرقم قال: "قلت لجعفر بن محمد: يقول الرجل في الصلاة: اللهم اجعلني للمتقين إماما. قال: نعم وتدري ما ذاك. قال: قلت: لا. قال: يقول اللهم اجعلني في المسلمين رضيا، وإذا قلت صدقوني وقبلوا ذاك مني"[٩].
الثالث : قدوة في الحلال والحرام. قاله السدي[١٠].
قال أبو حفص الأبار: "قلت للسدي رأيتك في المنام كأنك تؤم الناس قال: فقال: إن قوله: واجعلنا للمتقين إماما ليس أن يؤم الرجل الناس، إنما قالوا: اجعلنا أئمة لهم في الحلال والحرام يقتدون بنا فيه"[١١].
الرابع : أئمة هدى يُهْتدى بنا ، قاله ابن عباس[١٢]، وأبو صالح[١٣]، وعبد الله بن شوذب[١٤].
قال ابن عباس:" يقول: أئمة يقتدى بنا"[١٥]. وفي رواية:" أئمة التقوى ولأهله يقتدى بنا"[١٦].
قال ابن زيد: "كما قال لإبراهيم: {إني جاعلك للناس إماما}"[١٧].
قال ابن كثير:" فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم وأن يكون هداهم متعديًا إلى غيرهم بالنفع ، وذلك أكثر ثوابًا ، وأحسن مآبًا ؛ ولهذا ورد في صحيح مسلم ،

---

(١) اخرجه الطبري:٣١٨/١٩.
(٢) أخرجه الطبري:٣١٩/١٩.
(٣) أخرجه الطبري:٣١٩/١٩.
(٤) أخرجه الطبري:٣١٩/١٩.
(٥) التفسير الميسر:٣٦٦.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٤٨٦):ص٢٧٤٢/٨.
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٤٩٠):ص٢٧٤٣/٨.
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٤٩٣):ص٢٧٤٣/٨.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٩٣):ص٢٧٤٣/٨.
(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٤٩٢):ص٢٧٤٣/٨.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٩٢):ص٢٧٤٣/٨.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٣١٩/١٩.
(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٧٤٢/٨. بدون سند.
(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٧٤٢/٨. بدون سند.
(١٥) أخرجه الطبري:٣١٩/١٩.
(١٦) أخرجه الطبري:٣١٩/١٩.
(١٧) أخرجه الطبري:٣١٩/١٩.

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : ولد صالح يدعو له ، أو علم ينتفع به من بعده ، أو صدقة جارية»[1]"[2].

الخامس : نأتم بمن قبلنا حتى يأتم بنا من بعدنا ، قاله مجاهد[3]، والحسن[4]، وقتادة[5]، والربيع والربيع بن أنس[6]، والسدي[7]، ومكحول[8].

قال مجاهد:" أئمة نقتدي بمن قبلنا، ونكون أئمة لمن بعدنا"[9].

قال مجاهد:" اجعلنا مؤتمين بهم، مقتدين بهم"[10].

قال مكحول:" أئمة في التقوى حتى نأتم بمن كان قبلنا ويأتم بنا من بعدنا"[11].

قال الطبري:" وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: واجعلنا للمتقين الذين يتقون معاصيك، ويخافون عقابك إماما يأتمون بنا في الخيرات، لأنهم إنما سألوا ربهم أن يجعلهم للمتقين أئمة ولم يسألوه أن يجعل المتقين لهم إماما"[12].

قال الماوردي:"وفي الآية دليل عل أن طلب الرياسة في الدين ندب"[13].

القرآن

{أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦)} [الفرقان : ٧٥ - ٧٦]

التفسير:

أولئك الذين اتصفوا بالصفات السابقة من عباد الرحمن، يثابون أعلى منازل الجنة؛ برحمة الله وبسبب صبرهم على الطاعات، وسَيُلَقَّوْن في الجنة التحية والتسليم من الملائكة، والحياة الطيبة والسلامة مِنَ الآفات، خالدين فيها أبدًا مِن غير موت، حَسُنَتْ مستقرًا يَقِرُّون فيه ومقامًا يقيمون به، لا يبغون عنها تحولا.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا} [الفرقان : ٧٦]، أي:" أولئك الذين اتصفوا بالصفات السابقة من عباد الرحمن، يثابون أعلى منازل الجنة؛ برحمة الله وبسبب صبرهم على الطاعات"[14].

قال ابن كثير:" لما ذكر تعالى من أوصاف عباده المؤمنين ما ذكر من هذه الصفات الجميلة ، والأفعال والأقوال الجليلة - قال بعد ذلك كله : { أُوْلَئِكَ } أي : المتصفون بهذه { يُجْزَوْن } أي : يوم القيامة { الْغُرْفَةَ } وهي الجنة، { بِمَا صَبَرُوا } أي : على القيام بذلك"[15].

قال الطبري:" هؤلاء الذين وصفت صفتهم من عبادي، وذلك من ابتداء قوله: {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا} ... إلى قوله: {والذين يقولون ربنا هب لنا من

---

(١)صحيح مسلم برقم (١٦٣١).
(٢) تفسير ابن كثير:١٣٢/٦.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٣٢٠/١٩.
(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٧٤٣/٨. بدون سند.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٧٤٣/٨. بدون سند.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٧٤٣/٨. بدون سند.
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٧٤٣/٨. بدون سند.
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٤٨٩):ص٢٧٤٣/٨.
(٩) أخرجه الطبري:٣٢٠/١٩.
(١٠) أخرجه الطبري:٣٢٠/١٩.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٨٩):ص٢٧٤٣/٨.
(١٢) تفسير الطبري:٣٢٠/١٩.
(١٣) النكت والعيون:١٦١/٤.
(١٤) التفسير الميسر:٣٦٦.
(١٥) تفسير ابن كثير:١٣٢/٦.

أزواجنا} ... الآية ، يثابون على أفعالهم هذه التي فعلوها في الدنيا {الغرفة} وهي منزلة من منازل الجنة رفيعة، بصبرهم على هذه الأفعال، ومقاساة شدتها"[١].

عن سعيد بن جبير، " {أولئك}، يعني: الذين في هؤلاء الآيات. {يجزون}، يعنى: في الآخرة، {الغرفة} الجنة، {بما صبروا على أمر ربهم}"[٢].

عن أبي جعفر، قوله: "{أولئك يجزون الغرفة بما صبروا}، على الفقر في الدنيا"[٣].

عن الضحاك، وأبي جعفر محمد بن علي، والسدي، قالوا:"{الغرفة} الجنة"[٤].

قوله تعالى:{وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا} [الفرقان : ٧٦]، أي:" وسَيُلَقَّوْن في الجنة التحية والتسليم من الملائكة، والحياة الطيبة والسلامة مِنَ الآفات"[٥].

قال الطبري:" تتلقاهم الملائكة فيها بالتحية"[٦].

قال ابن كثير:" يُبْتَدرُون فيها بالتحية والإكرام ، ويلقون فيها التوقير والاحترام ، فلهم السلام وعليهم السلام ، فإن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار "[٧].

عن سعيد بن جبير، "{ويلقون فيها}، يعنى تتلقاهم الملائكة بالتحية والسلام"[٨].

قال مجاهد:" تتلقاهم الملائكة الذين كانوا قرناءهم في الدنيا يوم القيامة"[٩].

عن عاصم قال: "لقي ابن سيرين رجل فقال: حياك الله. فقال: إن أفضل التحية تحية أهل الجنة السلام"[١٠].

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا} [الفرقان : ٧٦]، أي:" خالدين فيها أبدًا مِن غير موت"[١١].

قال سعيد بن جبير:" يعنى: لا يموتون"[١٢].

قال الطبري:يقول:" أولئك يجزون الغرفة بما صبروا، خالدين في الغرفة، يعني أنهم ماكثون فيها، لابثون إلى غير أمد"[١٣].

قال ابن كثير:"أي : مقيمين ، لا يظعنون ولا يَحُولون ولا يموتون ، ولا يزولون عنها ولا يبغون عنها حولا كما قال تعالى : { وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ } [هود : ١٠٨]"[١٤].

قوله تعالى:{حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} [الفرقان : ٧٦]، أي:" حَسُنَتْ مستقرًا يَقِرُّون فيه ومقامًا يقيمون به، لا يبغون عنها تحولا"[١٥].

قال الطبري:يقول:" حسنت تلك الغرفة قرارا لهم وإقامة"[١٦].

قال ابن كثير:" أي : حسنت منظرا وطابت مَقيلا ومنزلا "[١٧].

---

(١) تفسير الطبري:٣٢١/١٩.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٩٤)، (١٥٤٩٦):ص٢٧٤٣/٨. وعبارة: "{الغرفة} الجنة»، ذكره عنه بدون سند.
(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٩٧):ص٢٧٤٤/٨.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٤٩٥):ص٢٧٤٣/٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٦٦.
(٦) تفسير الطبري:٣٢١/١٩.
(٧) تفسير ابن كثير:١٣٣/٦.
(٨) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٤٩٩)، (١٥٥٠٠):ص٢٧٤٤/٨.
(٩) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٤٩٨):ص٢٧٤٤/٨.
(١٠) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٥٠١):ص٢٧٤٤/٨.
(١١) التفسير الميسر:٣٦٦.
(١٢) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٥٠٢):ص٢٧٤٤/٨.
(١٣) تفسير الطبري:٣٢١/١٩.
(١٤) تفسير ابن كثير:١٣٣/٦.
(١٥) التفسير الميسر:٣٦٦.
(١٦) تفسير الطبري:٣٢١/١٩.
(١٧) تفسير ابن كثير:١٣٣/٦.

عن سعيد بن جبير:" {حسنت مستقرا}، يعنى: مستقرهم في الجنة. وقوله: {ومقاما}، يعنى: مقام أهل الجنة"(١).

القرآن

{قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧)} [الفرقان : ٧٧]

التفسير:

أخبر الله تعالى أنه لا يبالي ولا يعبأ بالناس، لولا دعاؤهم إياه دعاء العبادة ودعاء المسألة، فقد كَذَّبتم -أيها الكافرون- فسوف يكون تكذيبكم مُفْضِيًا لعذاب يلزمكم لزوم الغريم لغريمه، ويهلككم في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ} [الفرقان : ٧٧]، أي:" قل لهم يا محمد: لا يكترثُ ولا يحفلُ بكم ربي لولا تضرعكم إليه واستغاثتكم إيّاه في الشدائد"(٢).

قال ابن قتيبة:" أي: ما يعبأ بعذابكم ربّي لولا ما تدعونه من دونه من الشريك والولد"(٣).

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه لنبيه: قل يا محمد لهؤلاء الذين أرسلت إليهم: أي شيء يعدكم، وأي شيء يصنع بكم ربي؟ لولا عبادة من يعبده منكم، وطاعة من يطيعه منكم"(٤).

قال ابن كثير:" أي : لا يبالي ولا يكترث بكم إذا لم تعبدوه ؛ فإنه إنما خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه ويسبحوه بكرة وأصيلا"(٥).

عن عمرو بن شعيب، قوله: "{قل ما يعبؤا بكم ربي}، قال: ما يصنع بكم ربي، {لولا دعاؤكم}: لولا أدعوكم إلى الإسلام فتستجيبون لي"(٦).

قال مجاهد:" يقول: ما يفعل بكم ربي، {لولا دعاؤكم}: دعاؤه إياكم لتعبدوه وتطيعوه"(٧).

عن ابن عباس قوله: "{لولا دعاؤكم}، يقول: لولا إيمانكم فأخبر الله الكفار أنه لا حاجة له بهم إذ لم يخلقهم مؤمنين. ولو كان له بهم حاجة لحبب إليهم الإيمان كما حببه إلى المؤمنين"(٨).

عن الوليد بن أبي الوليد، قال: بلغني أن تفسير هذه الآية: {قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم}، ما خلقتكم لي بكم حاجة إلا أن تسألون فأغفر وتسألوني فأعطكم"(٩).

قوله تعالى:{فَقَدْ كَذَّبْتُمْ} [الفرقان : ٧٧]، أي:" فقد كذبتم أيها الكافرون بالرسول والقرآن"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : أيها الكافرون "(١١).

عن السدي: "{فقد كذبتم}، يقول: لقريش"(١٢).

عن سلمان أبي عبد الله، قال: "صليت خلف عبد الله بن الزبير فقرأ: «فقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاما»"(١).

---

(١) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٥٠٢):ص٢٧٤٤/٨.
(٢) صفوة التفاسير:٣٤٠/٢.
(٣) تأويل مشكل القرآن:٢٤٦.
(٤) تفسير الطبري:٣٢١/١٩-٣٢٢.
(٥) تفسير ابن كثير:١٣٤/٦.
(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٠٣)، (١٥٥٠٧):ص٢٧٤٥/٨.
(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٠٤)، (١٥٥٠٦):ص٢٧٤٥/٨.
(٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٠٥):ص٢٧٤٥/٨.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٠٨):ص٢٧٤٥/٨.
(١٠) صفوة التفاسير:٣٤٠/٢.
(١١) تفسير ابن كثير:١٣٤/٦.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٠٩):ص٢٧٤٥/٨.

قال الضحاك:" كذبوا رسول الله ﷺ فيما جاء به من عند الله"(٢).
قوله تعالى:{فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا} [الفرقان : ٧٧]، أي:" فسوف يكون العذاب ملازماً لكم في الآخرة"(٣).
قال يحيى:" أخذا بالعذاب"(٤).
قال أبو عبيدة:" أي: جزاء وهو الفيصل قال الهذلي(٥):
فإما ينجوا من حتف يوم ... فقد لقيا حتوفهما لزاما"(٦).
قال ابن قتيبة:" أي يكون العذاب لمن كذّب ودعا من دونه إلها- لازما. ومثله من المضمر الشاعر (٧):
من شاء دلّى النّفس في هوّة ... ضنك، ولكن من له بالمضيق
أراد: ولكن من له بالخروج من المضيق؟"(٨).
قال ابن كثير أي : فسوف يكون تكذيبكم لزامًا لكم ، يعني : مقتضيا لهلاككم وعذابكم ودماركم في الدنيا والآخرة ، ويدخل في ذلك يوم بدر "(٩).
عن أبي مالك: "{فسوف يكون لزاما}، يوم بدر"(١٠). وروى، عن أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود ومحمد بن كعب القرظي ومجاهد وقتادة والضحاك نحو ذلك(١١).
قال مقاتل:" يلزمكم العذاب ببدر، فقتلوا وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وعجل الله- تعالى- بأرواحهم إلى النار فيعرضون عليها طرفي النهار"(١٢).
قال السدي:" اللزام القتل الذي أصابهم يوم بدر"(١٣). وفي رواية:" يقول: عذابا فكان يوم بدر العذاب"(١٤).
عن محمد بن كعب، قوله: "{لزاما}، قال: موتا"(١٥).
وعن قتادة: "{فسوف يكون لزاما}، قال: كان الحسن يقول ذلك يوم القيامة"(١٦).
فوائد الآيات:[٧٢-٧٧]:
١- حرمة شهود الزور، حرمة شهادته، وفي الحديث:« أكبر الكبائر الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وشهادة الزور وقول الزور»(١٧).
٢- فضيلة الإعراض عن اللغو فعلاً كان أو قولاً.
٣- فضيلة تدبر القرآن وحسن الاستماع لتلاوته والاتعاظ بمواعظه والعمل بهدايته.
٤- فضيلة علو الهمة وسمو الروح وطلب الكمال والقدوة في الخير.

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥١٠):ص٢٧٤٦/٨.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥١١):ص٢٧٤٦/٨.
(٣) صفوة التفاسير:٣٤٠/٢.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:٤٩٣/١.
(٥)ديوان الهذليين ١/ ١٠٢ والطبري ١٩/ ٣٣ والقرطبي ١٣/ ٨٦ واللسان والتاج (لزم).
(٦) مجاز القرآن:٨٢/٢.
(٧) البيت بلا نسبة في لسان العرب (ضيق) ، (دلا).
(٨) تأويل مشكل القرآن:٢٤٦.
(٩) تفسير ابن كثير:١٣٤/٦.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٥١٢):ص٢٧٤٦/٨.
(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٧٤٦/٨. بدون سند.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٤٣/٣.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٥١٥):ص٢٧٤٦/٨.
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٥١٦):ص٢٧٤٦/٨.
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٥١٤):ص٢٧٤٦/٨.
(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٥١٣):ص٢٧٤٦/٨.
(١٧)أخرجه البخارى (٢٥١٩/٦، رقم ٦٤٧٧) . وأخرجه أيضا: مسلم (٩١/١، رقم ٨٨) والبيهقى (١٢١/١٠، رقم ٢٠١٦٩)، من حديث أنس-رضي الله عنه-.

٥- لا قيمة للإنسان وهو أشرف الحيوانات لولا عبادته الله عز وجل فإذا لم يعبده كان شر الخليقة، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} [البينة : ٦].

«آخر تفسير سورة (الفرقان)، والحمد لله وحده»

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة «الشعراء»

سورة «الشعراء»: هي السورة «السادسة والعشرون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة: «الواقعة»(1)، عدد آياتها مائتان وسبع وعشرون فى عد الكوفى والشامى، ومائتان وست وست وعشرون فى عدّ الباقين، كلماتها ألف ومائتان وسبع وسبعون، وحروفها خمسة آلاف وخمسمائة وثنتان وأربعون، الآيات المختلف فيها أربع: {طسم} [الشعراء : ١]، {فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} [الشعراء : ٤٩]، {أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُون} [الشعراء : ٩٢]، {وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ} [الشعراء : ٢١٠](2).

مجموع فواصل آياتها «ملن»، على اللام: أربع، آخرهن {إِسْرَائِيلَ} [الشعراء :٥٩،٢٢،١٧، ١٩٧](3).

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة الشعراء»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة الشعراء»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وكتب السنة.

وقد وردت هذه التسمية في عهد الرسول-ﷺ-، كما روي:

- عن ابن عباس:" نزلت سورة {طسم} الشعراء بمكة"(4).
- عن ابن الزبير قال: "أنزلت سورة الشعراء بمكة"(5).

- **وجه التسمية:**

سميت «سورة الشعراء» لما ختمت به من المقارنة بين الشعراء الضالين والشعراء المؤمنين في قوله سبحانه: {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [الشعراء : ٢٢٤]،إلى قوله: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات} [الشعراء : ٢٢٧]، بقصد الرد على المشركين الذين زعموا أن محمدا ﷺ كان شاعرا، وأن ما جاء به من قبيل الشعر(6).

- **ثانيا:- اسمهاؤها الإجتهادية:**
- **الاسم الاول والثاني: «طسم»، و«طسم الشعراء»:**

وتسمى هذه السورة«طسم»، وسميت ايضا«طسم الشعراء»، وذلك من باب تسمية السورة بمفتتحها، إذ روي عبدالله بن مسعود-رضي الله عنه-أنه سئل عن «طسم» الشعراء، فقال:"ليست معي ولكن عليكم ممن اخذها من رسول الله -ﷺ-، عليكم بأبي عبدالله خباب بن الأرث"(7).

- عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: "أعطيت السورة التي يذكر فيها البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى -عليه السلام- ، وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي يذكر فيها البقرة من تحت العرش، وأعطيت المفصل نافلة"(8).

---

(١) انظر: الكشاف:٢٩٨/٣.

(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٤٤.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٨٨/٦، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٨٨/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٦)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٤٠، والتفسير المنير للزحيلي:٥/١٩.

(٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية:١٤٣/١، وانظر: الدر المنثور:٢٨٨/٦.

(٨) سيأتي تخريجه في فضائل السورة.

وأورده السيوطي في الدر المنثور:٥٤٨/٥، وعزاه غلى ابن مردويه، وروايته فيه:" أعطيت السورة التي ذكرت

- **الاسم الثالث: «سورة الجامعة»:**

وقعت هذه التسمية في تفسير الإمام مالك كما نسبها إليه ابن كثير(١)، والسيوطي(٢)، وذكرها الألوسي(٣)، والقاسمي(٤).

قال ابن عاشور:" ولم يظهر وصفها بهذا الوصف، ولعلها أول سورة جمعت ذكر أصحاب الشرائع المعلومة إلى الرسالة المحمدية"(٥).

وقد وردت في احكام القرن لابن العربي بلفظ«الخاضعة»، ولعلها تصحيف لفظ«الجامعة».

وقد ذكرها لها البقاعي اسما آخر، وهي«الظلة»، وقال:" وكذا تسميتها بالظلة إشارة إلى أنه أعدل في بيانه، أو أدل في جميع شأنه، من المقادير التي دلت عليها قصة شعيب عليه السلام بالمكيال والميزان، وأحرق من الظلة لمن يبارزه بالعصيان"(٦).

وبالأخير فإن هذه الأسماء«طسم»، «الجامعة»، «الظلة»، تبقى إجتهادية مستنبطة من مضمون السورة، ولم تثبت عن رسول الله-ﷺ-، والله أهلم.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنها نزلت بمكة. وهذا قول ابن عباس(٧)، وابن الزبير(٨)، ويحيى بن سلام(٩).

الثاني : انها مكية غير آيتين فإنهما مدنيتان أحدهما قوله- تعالى-: {أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ} [الشعراء : ١٩٧]، والأخرى قوله- تعالى-:{وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [الشعراء : ٢٢٤]. قاله مقاتل(١٠).

الثالث : أنها مكية سوى أربع آيات من آخرها نزلت بالمدينة : {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [الشعراء : ٢٢٤] إلى آخرها، وهذا قول ابن عباس أيضا(١١)، وقتادة(١٢)، وبه قال الثعلبي(١٣)، والسمعاني(١٤)، والبغوي(١٥)، والزمخشري(١٦)، والفخر الرازي(١٧).

قال القرطبي:" هي مكية في قول الجمهور"(١٨).

- **مناسبة سورة«الشعراء» مع سورة «الفرقان»:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

١- إن فيها بسطا وتفصيلا لبعض ما ذكر في موضوعات سالفتها.

٢- إن كلتيهما قد بدئت بمدح الكتاب الكريم.

فيها الأنعام من الذكر الأول..".

(١)قال ابن كثير في تفسيره ٦/ ١٢٢: "ووقع في تفسير مالك المروي عنه، تسميتها: سورة الجامعة".

(٢) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن:١٩٨/٣.

(٣) انظر: روح المعاني:٥٨/١٠.

(٤) انظر: محاسن التأويل:٤٤٧/٧.

(٥) التحرير والتنوير:٨٩/١٩.

(٦) نظم الدرر في تناسب البيات والسور:١/١٤-٢.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٨٨/٦، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه.

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٨٨/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٤٩٥/٢.

(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٥٧/٣.

(١١) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٨٨/٦، وعزاه إلى النحاس، وانظر: تفسير القرطبي:٨٧/١٣.

(١٢) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٣٤/٣، والقرطبي في التفسير:٨٧/١٣.

(١٣) انظر: الكشف والبيان:١٥٥/٧.

(١٤) انظر: تفسير السمعاني:٣٨/٣.

(١٥) انظر: تفسير البغوي:٢٩٨/٣.

(١٦) انظر: الكشاف:٢٩٨/٣.

(١٧) انظر: مفاتيح الغيب:٤٩٠/٢٤.

(١٨) تفسير القرطبي:٨٧/١٣.

٣- إن كلتيهما ختمت بإبعاد المكذبين[١].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

إن مقصود سورة الشعراء على الجملة: إثبات توحيد الله سبحانه. والخوف من الآخرة. والتصديق بالوحي المنزل على رسول الله ﷺ. والتخويف من عاقبة التكذيب، إما بعذاب الدنيا الذي يدمر المكذبين، وإما بعذاب الآخرة الذي ينتظر الكافرين.

أما مقصود السورة على التفصيل فجاء وفق التالي:

١- التنويه بالقرآن الكريم، والتعريض بعجز المشركين عن معارضته. والرد على مطاعنهم في القرآن، وأنه منزه عن أن يكون شعراً، ومن أقوال الشياطين .

٢- تواجه السورة تكذيب مشركي قريش لرسول الله ﷺ، واستهزاءهم بالنُّذر، وإعراضهم عن آيات الله، واستعجالهم بالعذاب الذي توعدهم به، مع التقول على الوحي والقرآن والادعاء بأنه سحر أو شعر، تتنزل به الشياطين!

٣- تسلية النبي ﷺ عما يلاقيه من إعراض قومه عن التوحيد الذي دعاهم إليه القرآن.

٤- تهديد المشركين بسبب موقفهم من دعوة رسول الله ﷺ، وتعرضهم لغضب الله تعالى، وضرب المثل لهم بما حل بالأمم المكذبة رسلها، والمعرضة عن آيات الله.

٥- طمأنة قلوب المؤمنين وتصبيرهم على ما يلقون من عنت المشركين، وتثبيتهم على العقيدة مهما أوذوا في سبيلها من الظالمين، كما ثبت من قبلهم من المؤمنين .

٦- تضمنت السورة مناظرة نبي الله موسى عليه السلام مع فرعون الملعون، زعيم الطغاة وسيدهم، وذكر السحرة، ومكرهم وخداعهم في الابتداء، وإيمانهم وانقيادهم في الانتهاء.

٧- هدفت السورة إلى تأكيد أن آيات الوحدانية، وصدق الرسل عديدة كافية لمن يطلب الحق، وأن أكثر المشركين لا يؤمنون، وأن الله عزيز قادر على أن ينزل بهم العذاب، وأنه رحيم برسله، ناصرهم على أعدائهم لا محال.

٨- تضمنت السورة جملة من قصص الأقوام السابقة، وغلب على قصصها -كما غلب على السورة كلها- جوُّ الإنذار والتكذيب، والعذاب الذي يتبع التكذيب، وجاء ختام كل قصة بقوله سبحانه: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩)} [الشعراء : ٨ - ٩]. قال الزمخشري:"كل قصة من القصص المذكورة في هذه السورة كتنزيل برأسه. وفيها من الاعتبار ما في غيرها، فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تختم بما اختتمت به صاحبتها؛ ولأن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس، وتثبيتاً لها في الصدور. وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب، وأرسخ في الفهم، وأبعد من النسيان؛ ولأن هذه القصص طُرقت بها آذان وَقْرٌ عن الإنصات للحق، وقلوب غُلف عن تدبره، فكوثرت بالوعظ والتذكير، وروجعت بالترديد والتكرير، لعل ذلك يفتح أُذناً، أو يفتق ذهناً"[٢].

٩- أمر الرسول ﷺ بإنذار عشيرته، وأنه عليه الصلاة والسلام ما عليه إلا البلاغ.

١٠- خُتمت السورة بوعيد الظالمين، وبيان أن عاقبتهم عاقبة وخيمة، وأن ظلمهم شامل، يشمل ظلم أنفسهم بكفرهم بالله وآياته، وشامل أيضاً ظلم الآخرين، وذلك بالاعتداء على حقوق الناس[٣].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: "أعطيت السورة التي يذكر فيها البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى -عليه السلام- ، وأعطيت فواتح

---

(١) انظر: تفسير المراغي:١٤٥/١٨، والتفسير المنير للزحيلي:٥/١٩.

(٢) الكشاف:٣٣٤/٣.

(٣) انظر: موقع: [إسلام ويب].

القرآن وخواتيم السورة التي يذكر فيها البقرة من تحت العرش، وأعطيت المفصل نافلة"[١].

- عن أنس أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "إن الله أعطاني السبع مكان التوراة، وأعطاني الطواسين مكان الزبور، وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي"[٢].
- عن أبي بن كعب، قال: قال لي رسول الله، ﷺ: "من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم، وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد ﷺ"[٣].

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) اخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:١٥٥/٧، والبغوي في التفسير:٢٥٩/٥، وفيه أبو بكر الهذلي، قال عنه ابن حجر: إخباري متروك الحديث. وأخرجه مطولا عن معقل بن يسار: البيهقي في السنن: ١٠ / ٩، والحاكم في المستدرك: ١ / ٥٦١، ٥٦٨، و٢ / ٢٥٩، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص: (٣٢٢) . وفيه عبيد الله بن أبي حميد وهو متروك. وانظر: فيض القدير للمناوي: ١ / ٥٦٤.

وأورده السيوطي في الدر المنثور:٥٤٨/٥، وعزاه غلى ابن مردويه، وروايته فيه:" أعطيت السورة التي ذكرت فيها الأنعام من الذكر الأول..".

(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:١٥٥/٧. وأورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧، وعزاه لابن مردويه، وانظر: تفسير القرطبي: ١٣/ ٨٧. من حديث البراء بن عازب، مع زيادة: «وأعطاني المبين مكان الإنجيل»

(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:١٢٢/٧، والواحدي في التفسير الوسيط(٦٧٣):ص٣٥٠/٣.

وهو حديث موضوع، قال ابن الجوزي: "وقد فرق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره فذكر عند كل سورة منه ما يخصها، وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجب منهما؛ لأنهما ليسا من أهل الحديث. "الموضوعات" ١/ ١٧٤.

وحكم عليه بالوضع الزيلعي، في تخريجه لأحاديث الكشاف ٢/ ٤٦٩، والمناوي في: "الفتح السماوي في تخريج أحاديث البيضاوي" ٢/ ٨٨٥.

القرآن

{طسم (١)} [الشعراء : ١]

التفسير:

(طسم) سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

وفي قوله تعالى {طسم} [الشعراء : ١]، أربعة وجوه:

أحدها : أنه اسم من أسماء الله أقسم به، والمقسم عليه :{إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ}، قاله ابن عباس[١].

الثاني : أنه اسم من أسماء القرآن أقسم به، قاله قتادة[٢].

الثالث : أنه من الفواتح التي افتتح الله بها كتابه ، قاله الحسن[٣].

الرابع : أنها حروف هجاء مقطعة من أسماء الله وصفاته.

قال السدي: "هذه حروف من الهجاء من الأسماء المقطعة"[٤].

وروى عن مجاهد:" أنه هجاء مقطوع"[٥].

عن محمد بن كعب، "«طسم» قال: الطاء من الطول والسين من القدوس والميم من الرحمن"[٦].

قال الطبري:" فتأويل الكلام على قول ابن عباس والجميع: إن هذه الآيات التي أنزلتها على محمد ﷺ في هذه السورة لآيات الكتاب الذي أنزلته إليه من قبلها الذي بين لمن تدبره بفهم، وفكر فيه بعقل، أنه من عند الله ﷻ، لم يتخرصه محمد ﷺ، ولم يتقوله من عنده، بل أوحاه إليه ربه"[٧].

القرآن

{تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)} [الشعراء : ٢]

التفسير:

هذه آيات القرآن الموضِّح لكل شيء الفاصل بين الهدى والضلال.

قال يحيى:" هذه آيات الكتاب، القرآن. {المبين}: البين"[٨].

عن أبي مالك قوله: "{تلك}، يعني: هذه"[٩].

عن سعيد بن جبير قوله: "{الكتاب}، يعنى: القرآن"[١٠]. وروى، عن ابن عباس والحسن البصري مثل ذلك[١١].

عن مطر :"{تلك آيات}، قال: الزبور"[١٢].

عن الحسن:"{تلك آيات الكتاب،} قال: التوراة والزبور"[١٣].

عن قتادة:"{الر تلك آيات الكتاب}، قال: الكتب التي خلت قبل القرآن. {المبين}، قال: إي والله تبين بركته وهداه ورشده"[١].

---

(١) انظر: تفسيرابن أبي حاتم(١٥٥١٧):ص٢٧٤٧/٨.

(٢) انظر: تفسيرابن أبي حاتم(١٥٥٢٠):ص٢٧٤٧/٨.

(٣) انظر: تفسيرابن أبي حاتم(١٥٥١٩):ص٢٧٤٧/٨.

(٤) تفسير ابن ابي حاتم:٢٧٤٧/٨.

(٥) تفسير ابن ابي حاتم:٢٧٤٧/٨.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥١٨):٢٧٤٧/٨.

(٧) تفسير الطبري:٣٢٦/١٩.

(٨) تفسير يحيى بن سلام:٤٩٥/٢.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٥٢١):ص٢٧٤٧/٨.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٥٢٢):ص٢٧٤٨/٨.

(١١) انظر: تفسيرابن أبي حاتم:٢٧٤٨/٨. بدون سند.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٥٢٢):ص٢٧٤٨/٨.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٥٢٤):ص٢٧٤٨/٨.

القرآن
{لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣)} [الشعراء : ٣]
التفسير:
لعلك - أيها الرسول - من شدة حرصك على هدايتهم مُهْلِك نفسك؛ لأنهم لم يصدِّقوا بك ولم يعملوا بهديك، فلا تفعل ذلك.
قال الطبري:يقول:" لعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها إن لم يؤمن قومك بك، ويصدقوك على ما جئتهم به والبخع: هو القتل والإهلاك في كلام العرب؛ ومنه قول ذي الرمة[٢]:
ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه ... لشيء نحته عن يديه المقادر"[٣].
قال ابن كثير:" أي: مهلك { نفسك }، أي : مما تحرص عليهم وتحزن عليهم { أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } ، وهذه تسلية من الله لرسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، في عدم إيمان مَنْ لم يؤمن به من الكفار ، كما قال تعالى : { فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ } [فاطر : ٨] ، وقال : { فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا } [الكهف : ٦]"[٤].
عن سعيد بن جبير، قوله: "{لعلك}، يعنى: لكي"[٥].
عن مجاهد، قوله: "{لعلك باخع نفسك}، قال: قاتل نفسك"[٦]. وروى، عن الحسن وعكرمة وقتادة وعطية والضحاك مثل ذلك[٧].
عن عطاء بن أبي مسلم الخراساني:" أما {لعلك باخع نفسك}، فيقال: فعلك مخرج نفسك وقاتلها"[٨].
قال السدي:" قاتل نفسك حزنا إن لم يؤمنوا"[٩].
قال ابن زيد:" لعلك من الحرص على إيمانهم مخرج نفسك من جسدك"[١٠].
عن نصر بن علي، قال: "سألت الأصمعي، عن حديث النبي- ﷺ- :أتاكم أهل اليمن، فقال: أفصح فقلت: إن أبا أحمد الزبيري، حدثني، عن إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد :{لعلك باخع نفسك}، قال: قاتل نفسك. قال: هذا الذي قلت لك بلغت بهم النصيحة حتى قتلوا أنفسهم"[١١].
قال ابن عباس:" فإن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتبعوه على الهدى، فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الأول ا"[١٢].

القرآن
{إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤)} [الشعراء : ٤]
التفسير:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٥٢٥):ص٢٧٤٨/٨.
(٢)ديوانه ٢٥١، ومجاز القرن:٣٩٣/١، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٤٨ والصحاح والراغب والأساس واللسان والتاج (نجع) وفتح الباري ٨/ ٣٠٨.
(٣) تفسير الطبري:٣٢٦/١٩.
(٤) تفسير ابن كثير:١٣٥/٦.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٢٥):ص٢٧٤٨/٨.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٢٦):ص٢٧٤٨/٨.
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٧٤٨/٨. بدون سند.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٢٨):ص٢٧٤٩/٨.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٢٨):ص٢٧٤٩/٨.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٣٠):ص٢٧٤٩/٨.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٢٩):ص٢٧٤٨/٨.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٣١):ص٢٧٤٩/٨.

إن نشأ ننزل على المكذبين من قومك من السماء معجزة مخوِّفة لهم تلجئهم إلى الإيمان، فتصير أعناقهم خاضعة ذليلة، ولكننا لم نشأ ذلك؛ فإن الإيمان النافع هو الإيمان بالغيب اختيارًا.

قوله تعالى:{إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً} [الشعراء : ٤]، أي:" إن نشأ ننزل على المكذبين من قومك من السماء معجزة مخوِّفة لهم تلجئهم إلى الإيمان"[١].

عن قتادة، "{إن نشأ}، قال: لو نشاء"[٢].

عن زاذان، قوله: " {ننزل عليهم من السماء}: الشمس من مغربها "[٣].

قوله تعالى:{فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ} [الشعراء : ٤]، أي:" فتصير أعناقهم خاضعة ذليلة"[٤].

قال قتادة:" لو شاء الله أنزل عليهم آيه يذلون بها فلا يلوي أحد منهم عنقه إلى معصية الله"[٥].

عن قتادة :"{فظلت أعناقهم لها خاضعين}، حتى لا يلتفت أحد إلى معصية"[٦].

قال ابن زيد:" الخاضع: الذليل"[٧].

قال ابن كثير:" أي : لو شئنا لأنزلنا آية تضطرهم إلى الإيمان قهرا ، ولكَّنا لا نفعل ذلك ؛ لأنا لا نريد من أحد إلا الإيمان الاختياري ؛ وقال تعالى : { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } [يونس : ٩٩] ، وقال : { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ } [هود : ١١٨ ، ١١٩] ، فنَفَذ قَدَرُه ، ومضت حكمته ، وقامت حجته البالغة على خلقه بإرسال الرسل إليهم ، وإنزال الكتب عليهم"[٨].

قال الزجاج:" ذكر «الأعناق» لأن معنى خضوع الأعناق هو خضوع أصحاب الأعناق، لما لم يكن الخضوع إلا لخضوع الأعناق جاز أن يعبر عن المضاف إليه كما قال الشاعر[٩]:

رأت مرّ السنين أخذن مني ... كما أخذ السرار من الهلال

لما كانت السنون لا تكون إلا بمر أخبر عن السنين وإن كان أضاف إليها المرور، ومثل ذلك أيضا قول الشاعر[١٠]:

مشين كما اهتزت رماح تسفهت. . . أعاليها مر الرياح النواسم

كأنه قال تسفهتها الرياح، لما كانت - الرياح لا تكون إلا بالمرور.

وجاء في التفسير {أعناقهم}، يعنى به: كبراؤهم ورؤساؤهم، وجاء في اللغة أعناقهم جماعاتهم، يقال: جاء لي عنق من الناس أي جماعة وذكر بعضهم وجها آخر، قالوا: فظلت أعناقهم لها خاضعين هم، وأضمرهم. وأنشد[١١]:

---

(١) التفسير الميسر:٢٦٧.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٣٢):ص٢٧٤٩/٨.
(٣) اخرجه ابن ابي حاتم:٢٧٤٩/٨. الخبر غير مرقم بالمطبوع!
(٤) التفسير الميسر:٢٦٧.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٣٤):ص٢٧٥٠/٨.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٣٣):ص٢٧٥٠/٨.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٣٥):ص٢٧٥٠/٨.
(٨) تفسير ابن كثير:١٣٥/٦.
(٩) البيت لجرير في ديوانه ٤٢٦- والكامل للمبرد ٣١٣، ومجاز القرآن لأبي عبيدة:٩٨/١، وتفسير الطبري:٨٦/٧، وحروف المعاني: ٦٢ آ. والسرار: الليلة التي يستتر فيها القمر.
(١٠)الشاهد لذي الرمة في ديوانه ص ٧٥٤، وخزانة الأدب ٤/ ٢٢٥، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٥٨، والكتاب ١/ ٩٤، والمحتسب ١/ ٢٣٧، والمقاصد النحوية ٣/ ٣٦٧ وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٥/ ٢٣٩، والخصائص، ٢/ ٤١٧، وشرح الأشموني ٢/ ٣١٠، وشرح عمدة الحافظ ٨٣٨، ولسان العرب (عرد) و (صدر) ، و (قبل) ، و (سفه) ، والمقتضب ٤/ ١٩٧.
(١١) البيت للفرزدق في ديوانه ص ١٣١، ومجاز القرآن لأبي عبيدة:٨٤/٢، وتفسير الطبري:١٨٠/٧.

ترى أرباقهم متقلديها كما. . . صدئ الحديد عن الكماة
وهذا لا يجوز في القرآن، وهو على بدل الغلط يجوز في الشعر، كأنه قال: يرى أرباقهم يرى متقلديها، كأنه قال: يرى قوما متقلدين أرباقهم فلو كان على حذف هم لكان مما يجوز في الشعر أيضا"(١).

القرآن

{وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥)} [الشعراء : ٥]

التفسير:

وما يجيء هؤلاء المشركين المكذبين مِن ذِكْرٍ من الرحمن مُحْدَث إنزاله، شيئًا بعد شيء، يأمرهم وينهاهم، ويذكرهم بالدين الحق إلا أعرضوا عنه، ولم يقبلوه.

قال مقاتل:" يقول ما يحدث الله- عز وجل- إلى النبي- ﷺ- من القرآن {إلا كانوا عنه}، يعني: عن الإيمان بالقرآن معرضين"(٢).

قال الطبري:يقول:" وما يجيء هؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويجحدون ما أتيتهم به يا محمد من عند ربك من تذكير وتنبيه على مواضع حجج الله عليهم على صدقك، وحقيقة ما تدعوهم إليه مما يحدثه الله إليك ويوحيه إليك، لتذكرهم به، إلا أعرضوا عن استماعه، وتركوا إعمال الفكر فيه وتدبره"(٣).

قال ابن كثير:" أي : كلما جاءهم كتاب من السماء أعرض عنه أكثر الناس ، كما قال : { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } [يوسف : ١٠٣] ، وقال : { يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } [يس : ٣٠] ، وقال : { ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ } [المؤمنون : ٤٤]"(٤).

قال قتادة:" يقول: ما يأتيهم من شيء من كتاب الله إلا أعرضوا عنه"(٥).

قال سهل بن عبدالله:" أي: ما أحدث لهم من علم القرآن الذي لم يكونوا يعلمونه من قبل، وهو النزول، إلا أعرضوا عنه، ليس أن يكون الذكر في نفسه محدثا، لأنه من صفات ذات الحق، ليس بمكون ولا مخلوق"(٦).

القرآن

{فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٦)} [الشعراء : ٦]

التفسير:

فقد كذَّبوا بالقرآن واستهزؤوا به، فسيأتيهم أخبار الأمر الذي كانوا يستهزئون به ويسخرون منه، وسيحلُّ بهم العذاب جزاء تمردهم على ربهم.

قوله تعالى:{فَقَدْ كَذَّبُوا} [الشعراء : ٦]، أي:" فقد كذَّبوا بالقرآن واستهزؤوا به"(٧).

قال مقاتل:" يعني: بالقرآن لما جاءهم، يعني: حين جاءهم به محمد- ﷺ-"(٨).

قال الطبري:يقول:" فقد كذب يا محمد هؤلاء المشركون بالذكر الذي أتاهم من عند الله، وأعرضوا عنه"(١).

---

(١) معاني القرآن:٨٣/٤.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٥٨/٣.
(٣) تفسير الطبري:٣٣٥/١٩.
(٤) تفسير ابن كثير:١٣٦/٦.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٣٦):ص٢٧٥٠/٨.
(٦) تفسير التستري:١١٥.
(٧) التفسير الميسر:٢٦٧.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٥٨/٣.

قال ابن كثير:" أي : فقد كذبوا بما جاءهم من الحق"(٢).

قوله تعالى:{فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الشعراء : ٦]، أي:" فسيأتيهم أخبار الأمر الذي كانوا يستهزئون به ويسخرون منه، وسيحلُّ بهم العذاب جزاء تمردهم على ربهم"(٣).

قال الطبري:" يقول: فسيأتيهم أخبار الأمر الذي كانوا يسخرون منه، وذلك وعيد من الله لهم أنه محل بهم عقابه على تماديهم في كفرهم، وتمردهم على ربهم"(٤).

قال مقاتل:" يعنى: حديث ما كانوا به يستهزؤن، وذلك أنهم حين كذبوا بالقرآن أوعدهم الله- عز وجل- بالقتل ببدر"(٥).

قال ابن كثير:أي:" فسيعلمون نبأ هذا التكذيب بعد حين، { وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ } [الشعراء : ٢٢٧]"(٦).

عن قتادة:" { فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء}، يعنى: يوم القيامة، {ما كانوا به يستهزؤن}، يقول: أنباء ما استهزؤا به من كتاب الله عز وجل"(٧).

القرآن

{أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٧) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩)} [الشعراء : ٧ - ٩]

التفسير:

أكذبوا ولم ينظروا إلى الأرض التي أنبتنا فيها من كل نوع حسن نافع من النبات، لا يقدر على إنباته إلا رب العالمين؟ إن في إخراج النبات من الأرض لَدلالة واضحة على كمال قدرة الله، وما كان أكثر القوم مؤمنين. وإن ربك لهو العزيز على كل مخلوق، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء.

قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} [الشعراء : ٧]، أي:" أكذبوا ولم ينظروا إلى الأرض التي أنبتنا فيها من كل نوع حسن نافع من النبات، لا يقدر على إنباته إلا رب العالمين؟"(٨).

قال الطبري: يقول:" أولم ير هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث والنشر إلى الأرض، كم أنبتنا فيها بعد أن كانت ميتة لا نبات فيها {من كل زوج كريم}، يعني: بالكريم: الحسن، كما يقال للنخلة الطيبة الحمل: كريمة، وكما يقال للشاة أو الناقة إذا غزرتا، فكثرت ألبانهما: ناقة كريمة، وشاة كريمة"(٩).

قال ابن كثير:" ثم نبه تعالى على عظمته في سلطانه وجلالة قدره وشأنه ، الذين اجترؤوا على مخالفة رسوله وتكذيب كتابه ، وهو القاهر العظيم القادر ، الذي خلق الأرض وأنبت فيها من كل زوج كريم ، من زروع وثمار وحيوان "(١٠).

عن مجاهد قوله: "{من كل زوج كريم}، قال: من نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام"(١١).

---

(١) تفسير الطبري:٣٣٥/١٩.
(٢) تفسير ابن كثير:١٣٦/٦.
(٣) التفسير الميسر:٢٦٧.
(٤) تفسير الطبري:٣٣٥/١٩.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٥٨/٣.
(٦) تفسير ابن كثير:١٣٦/٦.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٣٦):ص٢٧٥٠/٨.
(٨) التفسير الميسر:٢٦٧.
(٩) تفسير الطبري:٣٣٥/١٩.
(١٠) تفسير ابن كثير:١٣٦/٦.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٣٧):ص٢٧٥٠/٨.

عن الشعبي، قوله :"{كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم}، قال: الناس من نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم"[١].

عن سعيد بن جبير قوله: "{كريم}، يعنى: حسن"[٢]. وروي، عن قتادة مثل ذلك[٣].

قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً} [الشعراء : ٨]، أي:" إن في إخراج النبات من الأرض لَدلالة واضحة على كمال قدرة الله"[٤].

قال الطبري: يقول:" إن في إنباتنا في الأرض من كل زوج كريم لآية. يقول: لدلالة لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث، على حقيقته، وأن القدرة التي بها أنبت الله في الأرض ذلك النبات بعد جدوبتها، لن يعجزه أن ينشر بها الأموات بعد مماتهم، أحياء من قبورهم"[٥].

قال ابن كثير:" أي : دلالة على قدرة الخالق للأشياء ، الذي بسط الأرض ورفع بناء السماء"[٦].

عن ابن عباس: "{إن في ذلك لآية}، قال: علامة ألم تر إلى الرجل إذا أراد أن يرسل إلى أهله في حاجة أرسل بخاتمه أو بثوبه فعرفوا أنه حق"[٧]. وروى عن سعيد بن جبير نحو ذلك[٨].

قوله تعالى: {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} [الشعراء : ٨]، أي:" وما كان أكثر القوم مؤمنين"[٩].

قال الطبري: " يقول: وما كان أكثر هؤلاء المكذبين بالبعث، الجاحدين نبوتك يا محمد، بمصدقيك على ما تأتيهم به من عند الله من الذكر. يقول جل ثناؤه: وقد سبق في علمي أنهم لا يؤمنون، فلا يؤمن بك أكثرهم للسابق من علمي فيهم"[١٠].

عن سعيد بن جبير، "{وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ}، :يعنى: مصدقين"[١١].

قال ابن كثير: أي : "ومع هذا ما آمن أكثر الناس ، بل كذبوا به وبرسله وكتبه ، وخالفوا أمره وارتكبوا زواجره "[١٢].

قوله تعالى: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [الشعراء : ٩]، أي:" وإن ربك لهو العزيز على كل مخلوق، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء"[١٣].

قال الطبري: " يقول: وإن ربك يا محمد لهو العزيز في نقمته، لا يمتنع عليه أحد أراد الانتقام منه. يقول تعالى ذكره: وإني إن أحللت بهؤلاء المكذبين بك يا محمد، المعرضين عما يأتيهم من ذكر من عندي، عقوبتي بتكذيبهم إياك، فلن يمنعهم مني مانع، لأني أنا العزيز الرحيم، يعني أنه ذو الرحمة بمن تاب من خلقه من كفره ومعصيته، أن يعاقبه على ما سلف من جرمه بعد توبته"[١٤].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٣٨):ص٢٧٥٠/٨.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٣٩):ص٢٧٥٠/٨.
(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٧٥٠/٨. بدون سند.
(٤) التفسير الميسر:٢٦٧.
(٥) تفسير الطبري:٣٣٦/١٩.
(٦) تفسير ابن كثير:١٣٦/٦.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٤٠):ص٢٧٥١/٨.
(٨)انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٧٥١/٨. بدون سند.
(٩) التفسير الميسر:٢٦٧.
(١٠) تفسير الطبري:٣٣٦/١٩.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٤١):ص٢٧٥١/٨.
(١٢) تفسير ابن كثير:١٣٦/٦.
(١٣) التفسير الميسر:٢٦٧.
(١٤) تفسير الطبري:٣٣٦/١٩.

قال ابن كثير: " أي : الذي عَزّ كلَّ شيء وقهره وغلبه ، { الرحيم } أي : بخلقه ، فلا يعجل على مَنْ عصاه ، بل ينظره ويؤجله ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر"(١).

عن محمد بن إسحاق: "{العزيز}، قال: العزيز في نصرته ممن كفر به إذا شاء"(٢).

عن سعيد، قوله: "{الرحيم}، يعني: رحيما بهم بعد التوبة"(٣).

قال ابن جريج: "كل شيء في الشعراء من قوله «العزيز الرحيم»، فهو ما أهلك ممن مضى من الأمم، يقول: عزيز، حين انتقم من أعدائه، رحيم بالمؤمنين، حين أنجاهم مما أهلك به أعداءه"(٤).

فوائد الآيات:[١-٩]:

١- بيان أن القرآن الكريم معجز لأنه مؤلف من مثل طا سين ميم ولم يستطع أحد أن يؤلف مثله.

٢- بيان ما كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يناله من الغم والحزن وتكذيب قومه له.

٣- بيان أن إيمان المكره لا ينفعه، ولذا لم يكره الله تعالى الكفار على الإيمان بواسطة الآيات.

٤- التحذير من عاقبة التكذيب بآيات الله وعدم الاكتراث بها.

٥- في إحياء الأرض بالماء وإنبات النباتات المختلفة فيها دليل على البعث الآخر.

القرآن

{وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (١١)} [الشعراء : ١٠ - ١١]

التفسير:

واذكر - أيها الرسول - لقومك إذ نادى ربك موسى: أن ائت القوم الظالمين، قوم فرعون، وقل لهم: ألا يخافون عقاب الله تعالى، ويتركون ما هم عليه من الكفر والضلال؟

قوله تعالى:{وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ} [الشعراء : ١٠-١١]، أي:" واذكر - أيها الرسول - لقومك إذ نادى ربك موسى: أن ائت القوم الظالمين، قوم فرعون"(٥).

قال مقاتل:" وإذ أمر ربك يا محمد {موسى أن ائت القوم الظالمين}، يعني: المشركين {قوم فرعون}، واسمه: فيطوس بأرض مصر"(٦).

عن السدي: "{وإذ نادى ربك موسى}، قال: حين نودي من جانب الطور الأيمن"(٧).

عن ابن عباس: "{الظالمين}، يقول: الكافرين"(٨).

قال الزمخشري:" سجل عليهم بالظلم بأن قدم القوم الظالمين، ثم عطفهم عليهم عطف البيان، كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد: إن شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين، وإن شاء عبر بقوم فرعون. وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين: من جهة ظلمهم أنفسهم بالكفر وشرارتهم، ومن جهة ظلمهم لبنى إسرائيل باستعبادهم لهم"(٩).

قوله تعالى: {أَلَا يَتَّقُونَ} [الشعراء : ١١]، أي:" ألا يخافون عقاب الله؟"(١٠).

---

(١) تفسير ابن كثير:١٣٦/٦.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٤٣):ص٢٧٥١/٨.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٤٤):ص٢٧٥١/٨.

(٤) أخرجه الطبري:٣٣٦/١٩.

(٥) التفسير الميسر:٣٦٧.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٥٩/٣.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٤٥):ص٢٧٥١/٨.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٤٦):ص٢٧٥١/٨.

(٩) الكشاف:٣٠١/٣.

(١٠) صفوة التفاسير:٣٤٥/٢.

قال الطبري:" يقول: ألا يتقون عقاب الله على كفرهم به"(١).
قال يحيى:" أي: فليتقوا الله"(٢).
قال مقاتل:" يعني: ألا يعبدون الله- عز وجل-"(٣).
قال الزمخشري:" فيه لطف وحث على زيادة التقوى، وكم من آية أنزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين، تدبرا لها واعتبارا بموردها. وفي ألا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر، وهو أن يكون المعنى: ألا يا ناس اتقون، كقوله: {أَلَّا يَسْجُدُوا} [النمل : ٢٥]"(٤).

القرآن
{قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (١٤)} [الشعراء : ١٢ - ١٤]
التفسير:
قال موسى: رب إني أخاف أن يكذبوني في الرسالة، ويملأ صدري الغمُّ لتكذيبهم إياي، ولا ينطلق لساني بالدعوة فأرسِلْ جبريل بالوحي إلى أخي هارون؛ ليعاونني ويصدقني فيما أقول، ويبين لهم ما أخاطبهم به، فهو أفصح مني نطقاً. ولهم علي ذنب في قتل رجل منهم، وهو القبطي، فأخاف أن يقتلوني به.
قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ} [الشعراء : ١٢]، أي:" قال موسى: رب إني أخاف أن يكذبوني في الرسالة"(٥).
قال الطبري:" {قال} موسى لربه {رب إني أخاف} من قوم فرعون الذين أمرتني أن آتيهم {أن يكذبون} بقيلي لهم: إنك أرسلتني إليهم"(٦).
قوله تعالى:{وَيَضِيقُ صَدْرِي} [الشعراء : ١٣]، أي:" ويملأ صدري الغمُّ لتكذيبهم إياي"(٧).
قال الطبري:" من تكذيبهم إياي إن كذبوني"(٨).
قال يحيى:" فلا ينشرح بتبليغ الرسالة، فشجعني حتى أبلغ الرسالة"(٩).
قوله تعالى:{وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي} [الشعراء : ١٣]، أي:" ولا ينطلق لساني بالدعوة"(١٠).
قال الطبري:" يقول: ولا ينطق بالعبارة عما ترسلني به إليهم، للعلة التي كانت بلسانه"(١١).
قال يحيى:" للعقدة التي كانت في لسانه"(١٢).
قال ابن عباس:" شكا موسى إلى ربه ما يتخوف من آل فرعون في القتيل وعقدة لسانه فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير الكلام فآتاه الله سؤله فحل عقدة لسانه"(١٣).

---

(١) تفسير الطبري:٣٣٧/١٩.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٤٩٦/٢.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٥٩/٣.
(٤) الكشاف:٣٠٢/٣.
(٥) التفسير الميسر:٣٦٧.
(٦) تفسير الطبري:٣٣٧/١٩.
(٧) التفسير الميسر:٣٦٧.
(٨) تفسير الطبري:٣٣٧/١٩.
(٩) تفسير يحيى بن سلام:٤٩٧/٢.
(١٠) التفسير الميسر:٣٦٧.
(١١) تفسير الطبري:٣٣٧/١٩.
(١٢) تفسير يحيى بن سلام:٤٩٧/٢.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٤٨):ص٢٧٤٧/٨.

قوله تعالى:{فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ} [الشعراء : ١٣]، أي:" فأرسلْ إلى هارون ليعينني على تبليغ رسالتك"[١].

قال الزمخشري:معناه:" أرسل إليه جبرائيل، واجعله نبيا، وآزرني به "[٢].

قال ابن عباس:" سأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له ردئا ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه"[٣].

قال الزمخشري:" فإن قلت: كيف ساغ لموسى عليه السلام أن يأمره الله بأمر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل، وقد علم أن الله من ورائه؟ قلت: قد امتثل وتقبل، ولكنه التمس من ربه أن يعضده بأخيه حتى يتعاونا على تنفيذ أمره وتبليغ رسالته. فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه، ثم التمس بعد ذلك، وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الأمر: ليس بتوقف في امتثال الأمر، ولا بتعلل فيه، وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل"[٤].

قوله تعالى: {وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ} [الشعراء : ١٤]، أي:" ولهم علي ذنب في قتل رجل منهم، وهو القبطي، فأخاف أن يقتلوني به"[٥].

قال الطبري:" يقول: ولقوم فرعون علي دعوى ذنب أذنبت إليهم-وذلك قتله النفس التي قتلها منه- فأخاف أن يقتلوني قودا بالنفس التي قتلت منهم"[٦].

قال ابن كثير:" أي : بسبب ما كان من قتل ذلك القبطي الذي كان سبب خروجه من بلاد مصر "[٧].

عن مجاهد، قوله: "{ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون}، قال: قتل النفس التي قتل منهم"[٨].

قال ابن عباس: "شكى موسى- ﷺ- إلى ربه ما يتخوف من آل فرعون في القتيل"[٩].

قال الزمخشري:" أراد بالذنب: قتله القبطي. وقيل: كان خباز فرعون واسمه فاتون. يعنى: ولهم على تبعة ذنب، وهي قود ذلك القتل، فأخاف أن يقتلوني به، فحذف المضاف. أو سمى تبعة الذنب ذنبا، كما سمى جزاء السيئة سيئة. فإن قلت: قد أبيت أن تكون تلك الثلاث عللا، وجعلتها تمهيدا للعذر فيما التمسه، فما قولك في هذه الرابعة؟ قلت: هذه استدفاع للبلية المتوقعة. وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة، فكيف يكون تعللا. والدليل عليه: ما جاء بعده من كلمة الردع، والموعد بالكلاءة والدفع"[١٠].

القرآن

{قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (١٥) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧)} [الشعراء : ١٥ - ١٧]

التفسير:

---

(١) صفوة التفاسير:٣٤٥/٢.
(٢) الكشاف:٣٠٢/٣.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٤٨):ص٢٧٤٧/٨.
(٤) الكشاف:٣٠٢/٣-٣٠٣.
(٥) التفسير الميسر:٣٦٧.
(٦) تفسير الطبري:٣٣٨/١٩.
(٧) تفسير ابن كثير:١٣٧/٦.
(٨) أخرجه الطبري:٣٣٨/١٩.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٥١):ص٢٧٥٢/٨.
(١٠) الكشاف:٣٠٣/٣.

قال الله لموسى: كلا لن يقتلوك، وقد أجبت طلبك في هارون، فاذهبا بالمعجزات الدالة على صدقكما، إنا معكم بالعلم والحفظ والنصرة مستمعون. فأتِيَا فرعون فقولا له: إنا مرسَلان إليك وإلى قومك من رب العالمين: أن اترك بني إسرائيل؛ ليذهبوا معنا.

قوله تعالى:{قَالَ كَلَّا} [الشعراء : ١٥]، أي:" قال الله لموسى: كلا لن يقتلوك"(١).

قال محمد بن كعب:" يقول الجبار عز وجل: كلا"(٢).

قال الطبري:" أي: لن يقتلك قوم فرعون"(٣).

قال مقاتل:" لا تخافا القتل"(٤).

قال الزجاج:" {كلا}: ردع وزجر عن الإقامة على هذا الظن، كأنه قال: ارتدع عن هذا الظن وثق بالله"(٥).

قال القرطبي:" فهو ردع وزجر عن هذا الظن، وأمر بالثقة بالله تعالى، أي ثق بالله وانزجر عن خوفك منهم، فإنهم لا يقدرون على قتلك، ولا يقوون عليه"(٦).

قال الزمخشري:" يريد: أنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه إذا حضر واستمع ما يجرى بينكما"(٧).

قال ابن كثير:" أي : قال الله له : لا تخف من شيء من ذلك كما قال : { قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا } أي : برهانا { فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ } [القصص : ٣٥]"(٨).

قال السعدي:" أي: لا يتمكنون من قتلك فإنا سنجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون ولهذا لم يتمكن فرعون من قتل موسى مع منابذته له غاية المنابذة وتسفيه رأيه وتضليله وقومه"(٩).

قوله تعالى:{فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا} [الشعراء : ١٥]، أي:" فاذهب أنت وهارون بالبراهين والمعجزات الباهرة"(١٠).

قال الطبري:" يقول: فاذهب أنت وأخوك بآياتنا، يعني بأعلامنا وحججنا التي أعطيناك عليهم"(١١).

قال القرطبي:" {فاذهبا}، أي: أنت وأخوك فقد جعلته رسولا معك. {بآياتنا}، أي: ببراهيننا وبالمعجزات"(١٢).

قوله تعالى:{إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ} [الشعراء : ١٥]، أي:" فأنا معكما بالعون والنصرة أسمع ما تقولان وما يجيبكما به"(١٣).

قال السعدي:" أي: أحفظكما وأكلؤكما"(١٤).

قال الطبري:أي:" من قوم فرعون ما يقولون لكم، ويجيبونكم به"(١٥).

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٧.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٥٢):ص٢٧٥٢/٨.
(٣) تفسير الطبري:٣٣٨/١٩.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٥٩/٣.
(٥) معاني القران:٨٥/٤.
(٦) تفسير القرطبي:٩٢/١٣-٩٣.
(٧) الكشاف:٣٠٣/٣.
(٨) تفسير ابن كثير:١٣٧/٦.
(٩) تفسير السعدي:٥٨٩.
(١٠) صفوة التفاسير:٣٤٥/٢.
(١١) تفسير الطبري:٣٣٨/١٩.
(١٢) تفسير القرطبي:٩٣/١٣.
(١٣) صفوة التفاسير:٣٤٥/٢.
(١٤) تفسير السعدي:٥٨٩.
(١٥) تفسير الطبري:٣٣٨/١٩.

قال ابن كثير:" أي : إنني معكما بحفظي وكلاءتي ونصري وتأييدي"[١].

قال الزمخشري:" يريد: أنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه إذا حضر واستمع ما يجرى بينكما"[٢].

قال القرطبي:" يريد نفسه سبحانه وتعالى. {مستمعون}، أي: سامعون ما يقولون وما يجاوبون. وإنما أراد بذلك تقوية قلبيهما وأنه يعينهما ويحفظهما. والاستماع إنما يكون بالإصغاء، ولا يوصف الباري سبحانه بذلك. وقد وصف سبحانه نفسه بأنه السميع البصير. وقال في: [طه: ١]، {أسمع وأرى}، وقال:{معكم}، فأجراهما مجرى الجمع، لأن الاثنين جماعة. ويجوز أن يكون لهما ولمن أرسلا إليه. ويجوز أن يكون لجميع بني إسرائيل"[٣].

قال وهب:" قال لموسى- يعنى ربه عز وجل-: إني قد أقمتك اليوم في مقام لا ينبغي لبشر بعدك أن يقوم مقامك، أدنيتك وقربتك حتى سمعت كلامي، وكنت بأقرب الأمكنة مني فانطلق برسالتي فإنك بعيني وسمعي، وإن معك ايدي وبصري"[٤].

قوله تعالى: {فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء : ١٦]، أي:" فأتِيَا فرعون فقولا له: إنا مرسَلان إليك وإلى قومك من رب العالمين"[٥].

قال ابن كثير:" أي : كل منا رسول الله إليك"[٦].

قال ابن عباس:" لقد دخل موسى على فرعون وعليه زرمانقة من صوف ما يجاوز يديها مرفقه، فاستؤذن على فرعون، فقال: أدخلوه. فدخل، فقال: إن إلهي أرسلني إليك. فقال: للقوم حوله ما علمت لكم من إله غيري. قال: خذوه"[٧].

قوله تعالى:{أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} [الشعراء : ١٧]، أي:" أن اترك بني إسرائيل؛ ليذهبوا معنا"[٨].

قال الزجاج:" معناه: إنا رسالة رب العالمين، أي: ذوو رسالة رب العالمين"[٩].

قال ابن كثير:" أي : أطلقهم من إسارك وقبضتك وقهرك وتعذيبك ، فإنهم عباد الله المؤمنون ، وحزبه المخلصون ، وهم معك في العذاب المهين "[١٠].

قال ابن عباس:" قال: فرعون لموسى وهارون، ما تريدان؟ وذكره القتيل، فاعتذر بما سمعت. فقال: أريد أن تؤمن بالله عز وجل، وأن ترسل معي بني إسرائيل"[١١].

فوائد الآيات:[١٠-١٧]:

١- إثبات صفة الكلام لله تعالى بندائه موسى عليه السلام.

٢- لا بأس بإبداء التخوف عند الأقدام على الأمر الصعب ولا يقدح في الإيمان ولا في التوكل.

٣- مشروعية طلب العون والمساعدة من المسئولين إذا كلفوا المرء بما يصعب.

القرآن

{قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩)} [الشعراء : ١٨ - ١٩]

التفسير:

---

(١) تفسير ابن كثير:١٣٧/٦.
(٢) الكشاف:٣٠٣/٣.
(٣) تفسير القرطبي:٩٣/١٣.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٥٣):ص٢٧٥٣/٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٦٧.
(٦) تفسير ابن كثير:١٣٧/٦.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٥٤):ص٢٧٥٣/٨.
(٨) التفسير الميسر:٣٦٧.
(٩) معاني القرآن:٨٥/٤.
(١٠) تفسير ابن كثير:١٣٧/٦.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٥٦):ص٢٧٥٣/٨.

قال فرعون لموسى -ممتنًا عليه-: ألم نُرَبِّك في منازلنا صغيرًا، ومكثت في رعايتنا سنين من عُمُرك وارتكبت جنايةً بقتلك رجلا من قومي حين ضربته ودفعته، وأنت من الجاحدين نعمتي المنكرين ربوبيتي؟

قوله تعالى:{قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا} [الشعراء : ١٨]، أي:" قال فرعون لموسى -ممتنًا عليه-: ألم نُرَبِّك في منازلنا صغيرًا"(١).

قال الطبري: في الكلام محذوف، تقديره:" فأتيا فرعون فأبلغاه رسالة ربهما إليه، فقال فرعون: ألم نربك فينا يا موسى وليدا.."(٢).

قال ابن كثير:" أي : أما أنت الذي ربيناه فينا ، وفي بيتنا وعلى فراشنا وغذيناه"(٣).

قوله تعالى:{وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ} [الشعراء : ١٨]، أي:" ومكثت في رعايتنا سنين من عُمُرك"(٤).

قال الطبري: " وذلك مكثه عنده قبل قتل القتيل الذي قتله من القبط"(٥).

قال ابن كثير:" أي وأنعمنا عليه مدة من السنين"(٦).

قوله تعالى:{وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ} [الشعراء : ١٩]، أي:" وارتكبت جنايةً بقتلك رجلا من قومي حين ضربته ودفعته"(٧).

قال مجاهد:" قتل النفس"(٨).

قال الطبري: " يعني: قتله النفس التي قتل من القبط"(٩).

قال ابن كثير:" ثم بعد هذا قابلت ذلك الإحسان بتلك الفعلة، أن قتلت منا رجلا"(١٠).

قال الصابوني:" والتعبيرُ بالفعلة لتهويل الواقعة وتعظيم الأمر، ومرادُه قتل القبطي"(١١).

وقرأ الشعبي «فعلتك» - بكسر الفاء -(١٢).

قال الزجاج:"والفتح أجود وأكثره لأنه يريد قتلت النفس قتلتك على مذهب المرة الواحدة، وقرأ الشعبي على معنى: وقتلت القتلة التي عرفتها، لأنه قتله بوكزة، يقال: جلست جلسة تريد مرة واحدة، وجلست جلسة - بالكسر تريد هيئة الجلوس"(١٣).

قوله تعالى:{وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [الشعراء : ١٩]، أي:" وأنت من الجاحدين نعمتي المنكرين ربوبيتي؟"(١٤).

قال ابن كثير:" وجحدت نعمتنا عليك"(١٥).

قال الزجاج:" نفى موسى - ﷺ - الكفر واعترف بأن فعله ذلك جهل، فقال: {قال فعلتها إذا وأنا من الضالين}، أي: من الجاهلين"(١٦).

وفي قوله تعالى:{وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [الشعراء : ١٩]، وجهان:

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٧.
(٢) تفسير الطبري:٣٣٩/١٩.
(٣) تفسير ابن كثير:١٣٧/٦.
(٤) التفسير الميسر:٣٦٧.
(٥) تفسير الطبري:٣٣٩/١٩.
(٦) تفسير ابن كثير:١٣٧/٦.
(٧) التفسير الميسر:٣٦٧.
(٨) أخرجه الطبري:٣٣٩/١٩.
(٩) تفسير الطبري:٣٣٩/١٩.
(١٠) تفسير ابن كثير:١٣٧/٦.
(١١) صفوة التفاسير:٣٤٥/٢.
(١٢) انظر: معاني القرآن:٨٦/٤.
(١٣)معاني القرآن:٨٦/٤.
(١٤) التفسير الميسر:٣٦٧.
(١٥) تفسير ابن كثير:١٣٧/٦.
(١٦) معاني القرآن:٨٦/٤.

أحدهما : أي: من الكافرين بالهك، كنت معنا على ديننا الذي تعيب، وهو قول الحسن[1]، والسدي[2].

قال السدي:" يعني: على ديننا هذا الذي تعيب"[3].

الثاني : من الكافرين لإحساني إليك وفضلي عليك. وهذا قول ابن عباس[4]، وابن زيد[5]، ومحمد بن إسحاق[6].

قال ابن عباس:" يقول: كافرا للنعمة، لأن فرعون لم يكن يعلم ما الكفر"[7].

قال يحيى:" لنعمتنا، أي: إنا ربيناك"[8].

قال ابن زيد:" ربيناك فينا وليدا، فهذا الذي كافأتنا أن قتلت منا نفسا، وكفرت نعمتنا!"[9].

قال الطبري:" وهذا القول الذي قاله ابن زيد أشبه بتأويل الآية، لأن فرعون لم يكن مقرا لله بالربوبية وإنما كان يزعم أنه هو الرب، فغير جائز أن يقول لموسى إن كان موسى كان عنده على دينه يوم قتل القتيل على ما قاله السدي: فعلت الفعلة وأنت من الكافرين، الإيمان عنده: هو دينه الذي كان عليه موسى عنده، إلا أن يقول قائل: إنما أراد: وأنت من الكافرين يومئذ يا موسى، على قولك اليوم، فيكون ذلك وجها يتوجه. فتأويل الكلام إذن: وقتلت الذي قتلت منا وأنت من الكافرين نعمتنا عليك، وإحساننا إليك في قتلك إياه. وقد قيل: معنى ذلك: وأنت الآن من الكافرين لنعمتي عليك، وتربيتي إياك"[10].

قال محمد بن إسحاق:" فلما وقف على فرعون قال إني رسول رب العالمين فعرفه فرعون قال: {ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين}، أي: لإحساني إليك وفضلي عليك، ولم تشكر نعمتي ولا صنيعي، ثم قتلت رجلا من شيعتي"[11].

القرآن

{قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٢)} [الشعراء : ٢٠ - ٢٢]

التفسير:

قال موسى مجيبًا لفرعون: فعلتُ ما ذكرتَ قبل أن يوحي الله إلي، ويبعثني رسولا فخرجت من بينكم فارًّا إلى «مدين» ، لمَّا خفت أن تقتلوني بما فعلتُ من غير عَمْد، فوهب لي ربي تفضلا منه النبوة والعلم، وجعلني من المرسلين. أو تلك التربية في بيتك تَعُدُّها نعمة منك عليَّ، وقد جعلت بني إسرائيل عبيدًا تذبح أبناءهم وتستبقي نساءهم للخدمة والامتهان؟"[12].

---

(١) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٣٦/٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٣٤٠/١٩.
(٣) اخرجه الطبري:٣٤٠/١٩.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٣٤٠/١٩.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٣٤٠/١٩.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٥٦٢):ص٢٧٥٤/٨.
(٧) اخرجه الطبري:٣٤٠/١٩.
(٨) تفسير يحيى بن سلام:٤٩٩/٢.
(٩) اخرجه الطبري:٣٤٠/١٩.
(١٠) تفسير الطبري:٣٤٠/١٩.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٦٢):ص٢٧٥٤/٨.
(١٢) التفسير الميسر:٣٦٨.

قوله تعالى:{قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ} [الشعراء : ٢٠]، أي:" قال موسى مجيبًا لفرعون: فعلتُ ما ذكرتَ قبل أن يوحي الله إلي، ويبعثني رسولا"(١).

قال السمعاني:" أي: فعلت ما فعلت حينئذ {وأنا من الضالين} أي: من الجاهلين. وقيل: من الناسين"(٢).

قال ابن كثير:"أي : في تلك الحال ، { وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ } أي : قبل أن يوحى إليّ وينعم الله عليَّ بالرسالة والنبوة "(٣).

قال الطبري:" قال موسى لفرعون: قتلت تلك النفس التي قتلت إذن وأنا من الجاهلين قبل أن يأتيني من الله وحي بتحريم قتله علي، والعرب تضع من الضلال موضع الجهل، والجهل موضع الضلال، فتقول: قد جهل فلان الطريق وضل الطريق، بمعنى واحد"(٤).

عن ابن عباس: "{قال فعلتها إذا وأنا من الضالين}، يقول: وأنا من الجاهلين"(٥).

عن مجاهد: "{وأنا من الضالين}، قال: من الجاهلين"(٦).

قال ابن زيد:" قبل أن يأتيني من الله شيء كان قتلي إياه ضلالة خطأ. قال: والضلالة ههنا الخطأ، لم يقل ضلاله فيما بينه وبين الله"(٧).

قال الضحاك:" فقال موسى: لم أكفر، ولكن فعلتها وأنا من الضالين. وفي حرف ابن مسعود: «فعلتها إذا وأنا من الجاهلين»"(٨).

وقال محمد بن إسحاق:" أي خطأ لا أريد ذلك"(٩).

قوله تعالى:{فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ} [الشعراء : ٢١]، أي:" فخرجت من بينكم فارًّا إلى «مدين» لمَّا خفت أن تقتلوني بما فعلتُ من غير عَمْد"(١٠).

قال الطبري:" {ففررت منكم}، معشر الملأ من قوم فرعون {لما خفتكم} أن تقتلوني بقتلي القتيل منكم"(١١).

قوله تعالى:{فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء : ٢١]، أي:" فوهب لي ربي تفضلا منه النبوة والعلم، وجعلني من المرسلين"(١٢).

قال الطبري:" يقول: فوهب لي ربي نبوة وهي الحكم، وألحقني بعداد من أرسله إلى خلقه، مبلغا عنه رسالته إليهم بإرساله إياي إليك يا فرعون"(١٣).

قال ابن كثير:" أي : الحال الأول انفصل وجاء أمر آخر ، فقد أرسلني الله إليك ، فإن أطعته سَلِمت ، وإن خالفته عَطِبت"(١٤).

قوله تعالى:{وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} [الشعراء : ٢٢]، أي:" أو تلك التربية في بيتك تَعُدُّها نعمة منك عليَّ، وقد جعلت بني إسرائيل عبيدًا تذبح أبناءهم وتستبقي نساءهم للخدمة والامتهان؟"(١٥).

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٨.
(٢) تفسير السمعاني:٤١/٤.
(٣) تفسير ابن كثير:١٣٧/٦.
(٤) تفسير الطبري:٣٤٠/١٩-٣٤١.
(٥) أخرجه الطبري:٣٤١/١٩.
(٦) أخرجه الطبري:٣٤١/١٩.
(٧) أخرجه الطبري:٣٤١/١٩.
(٨) أخرجه الطبري:٣٤١/١٩.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٦٦):ص٢٧٥٥/٨.
(١٠) التفسير الميسر:٣٦٨.
(١١) تفسير الطبري:٣٤١/١٩.
(١٢) التفسير الميسر:٣٦٨.
(١٣) تفسير الطبري:٣٤١/١٩.
(١٤) تفسير ابن كثير:١٣٧/٦-١٣٨.
(١٥) التفسير الميسر:٣٦٨.

قال الطبري: يقول:" وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل وتركتني، فلم تستعبدني"[١].

قال ابن كثير:" أي : وما أحسنت إلي وربَّيْتني مقابل ما أسأتَ إلى بني إسرائيل ، فجعلتهم عبيدا وخدما ، تصرفهم في أعمالك ومشاق رعيتك ، أفَيَفي إحسانك إلى رجل واحد منهم بما أسأتَ إلى مجموعهم ؟ أي : ليس ما ذكرتَه شيئا بالنسبة إلى ما فعلتَ بهم"[٢].

قال الأخفش:" {وتلك نعمة تمنها علي} فيقال هذا استفهام كأنه قال «أو تلك نعمة تمنها» ثم فسر فقال {أن عبدت بني إسرائيل} وجعله بدلا من النعمة"[٣].

قال الزجاج:" أخرجه المفسرون على جهة الإنكار أن تكون تلك نعمة، كأنه قال: فأية نعمة لك علي في أن عبدت بني إسرائيل. واللفظ لفظ خبر، والمعنى يخرج على ما قالوا على أن لفظه لفظ الخبر وفيه تبكيت للمخاطب كأنه قال له: هذه نعمة أن اتخذت بني إسرائيل عبيدا على جهة التبكيت لفرعون، واللفظ يوجب أن موسى - ﷺ - قال: هذه نعمة لأنك اتخذت بني إسرائيل عبيدا ولم تتخذني عبدا. ويقال: عبدت الرجل، وأعبدته، اتخذته عبدا "[٤].

عن مجاهد: "{تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل}، قال: قهرتهم واستعملتهم"[٥].

قال ابن جريج:" قهرت وغلبت واستعملت بني إسرائيل"[٦].

وقال قتادة:" يقول موسى لفرعون: أتمن علي أن اتخذت أنت بني إسرائيل عبيدا"[٧].

فوائد الآيات:[١٨-٢٢]:

١- قبح جريمة القتل عند كافة الناس مؤمنهم وكافرهم وهو أمر فطري.

٢ - جواز التذكير بالإحسان لمن أنكره ولكن لا على سبيل الامتنان فإنه محبط للعمل.

٣ - جواز إطلاق لفظ الضلال على الجهل كما قال تعالى {ووجدك ضالاً} كما قال موسى {وأنا من الضالين} أي الجاهلين قبل أن يعلمني ربي.

٤- مشروعية الفرار من الخوف إذا لم يكن في البلد قضاء عادل، وإلا لما جاز الهرب من وجه العدالة.

القرآن

{قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣)} [الشعراء : ٢٣]

التفسير:

قال فرعون لموسى: وما رب العالمين الذي تدَّعي أنك رسوله؟

قال الطبري:" يقول: وأي شيء رب العالمين؟"[٨].

قال ابن إسحاق:" يستوصفه الله الذي أرسله إليه أي ما إلهك هذا؟"[٩].

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن كفر فرعون ، وتمرده وطغيانه وجحوده ، في قوله : { وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ } ؟ وذلك أنه كان يقول لقومه : { مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي } [القصص : ٣٨] ، { فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ } [الزخرف : ٥٤] ، وكانوا يجحدون الصانع - تعالى - ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون ، فلما قال له موسى : { إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الزخرف : ٤٦] ، قال له : ومَنْ هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري ؟ هكذا

---

(١) تفسير الطبري:٣٤٢/١٩.

(٢) تفسير ابن كثير:١٣٨/٦.

(٣) معاني القرآن:٤٦١/٢.

(٤) معاني القرآن:٨٦/٤-٨٧.

(٥) أخرجه الطبري:٣٤٢/١٩.

(٦) أخرجه الطبري:٣٤٢/١٩-٣٤٣.

(٧) أخرجه الطبري:٣٤٣/١٩.

(٨) تفسير الطبري:٣٤٣/١٩.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٧٤):ص٢٧٥٦/٨.

فسره علماء السلف وأئمة الخلف ، حتى قال السدي : هذه الآية كقوله تعالى : «{ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى } [طه : ٤٩ ، ٥٠]»(١).

ثم قال ابن كثير:" ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم ؛ أن هذا سؤال عن الماهية ، فقد غلط ؛ فإنه لم يكن مقرًا بالصانع حتى يسأل عن الماهية ، بل كان جاحدًا له بالكلية فيما يظهر ، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه"(٢).

القرآن

{قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤)} [الشعراء : ٢٤]

التفسير:

قال موسى: هو مالك ومدبر السموات والأرض وما بينهما، إن كنتم موقنين بذلك، فآمِنوا.

قوله تعالى:{قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} [الشعراء : ٢٤]، أي:" قال موسى: هو مالك ومدبر السموات والأرض وما بينهما"(٣).

قال الطبري:" {قال} موسى هو {رب السماوات والأرض} ومالكهن، ومالك ما بين السموات والأرض من شيء"(٤).

قال ابن كثير:" أي : خالق جميع ذلك ومالكه ، والمتصرف فيه وإلهه ، لا شريك له ، هو الله الذي خلق الأشياء كلها ، العالم العلوي وما فيه من الكواكب الثوابت والسيارات النيرات ، والعالم السفلي وما فيه من بحار وقفار ، وجبال وأشجار ، وحيوان ونبات وثمار ، وما بين ذلك من الهواء والطيور ، وما يحتوي عليه الجو ، الجميع عبيد له خاضعون ذليلون"(٥).

قال السعدي:" : أي: الذي خلق العالم العلوي والسفلي، ودبره بأنواع التدبير، ورباه بأنواع التربية. ومن جملة ذلك، أنتم أيها المخاطبون، فكيف تنكرون خالق المخلوقات، وفاطر الأرض والسماوات"(٦).

قال الزجاج:" فأجابه موسى - ﷺ - بما هو دليل على الله - جل وعز - بما خلق مما يعجز المخلوقون عن أن يأتوا بمثله"(٧).

قال ابن عباس:" فلم يزده إلا رغما"(٨).

قوله تعالى:{إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ} [الشعراء : ٢٤]، أي:" إن كنتم موقنين بذلك، فآمِنوا"(٩).

قال الطبري:" يقول: إن كنتم موقنين أن ما تعاينونه كما تعاينونه، فكذلك فأيقنوا أن ربنا هو رب السموات والأرض وما بينهما"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : إن كانت لكم قلوب موقنة ، وأبصار نافذة "(١١).

قال الزمخشري:" معناه: إن كان يرجى منكم الإيقان الذي يؤدى إليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب، وإلا لم ينفع. أو إن كنتم موقنين بشيء قط فهذا أولى ما توقنون به، لظهوره وإنارة دليله"(١٢).

---

(١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم(١٥٥٧٣):ص٢٧٥٦/٨.
(٢) تفسير ابن كثير:١٣٨/٦.
(٣) التفسير الميسر:٣٦٩.
(٤) تفسير الطبري:٣٤٣/١٩-٣٤٤.
(٥) تفسير ابن كثير:١٣٨/٦.
(٦) تفسير السعدي:٥٩٠.
(٧) معاني القرآن:٨٧/٤.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٧٥):ص٢٧٥٦/٨.
(٩) التفسير الميسر:٣٦٩.
(١٠) تفسير الطبري:٣٤٤/١٩.
(١١) تفسير ابن كثير:١٣٨/٦.
(١٢) الكشاف:٣٠٨/٣.

القرآن

{قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥)} [الشعراء : ٢٥]

التفسير:

قال فرعون لمن حوله مِن أشراف قومه: ألا تسمعون مقالة موسى العجيبة بوجود رب سواي؟

قال الطبري:" قال فرعون لمن حوله من قومه: ألا تستمعون لما يقول موسى، فأخبر موسى عليه السلام القوم بالحواب عن مسألة فرعون إياه وقيله له (وما رب العالمين) ليفهم بذلك قوم فرعون مقالته لفرعون، وجوابه إياه عما سأله، إذ قال لهم فرعون {ألا تستمعون} إلى قول موسى"[١].

قال الزجاج:" فتحير فرعون ولم يردد جوابا ينقض به هذا القول، فقال لمن حوله: {ألا تستمعون}"[٢].

قال ابن كثير:" التفت فرعون إلى مَنْ حوله من مَلَئه ورؤساء دولته قائلا لهم ، على سبيل التهكم والاستهزاء والتكذيب لموسى فيما قاله : { أَلا تَسْتَمِعُونَ } أي : ألا تعجبون مما يقول هذا في زعمه : أن لكم إلها غيري ؟"[٣].

قال ابن إسحاق:" أي: إنكارا لما قال أن ليس إلها غيري"[٤].

قال الزمخشري:" كان حوله أشراف قومه، قيل: كانوا خمسمائة رجل عليهم الأساور وكانت الملوك خاصة"[٥].

القرآن

{قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦)} [الشعراء : ٢٦]

التفسير:

قال موسى: الرب الذي أدعوكم إليه هو الذي خلقكم وخلق آباءكم الأولين، فكيف تعبدون مَن هو مخلوق مثلكم، وله آباء قد فنوا كآبائكم؟

قال الطبري:" فقال لهم الذي دعوته إليه وإلى عبادته {ربكم} الذي خلقكم {ورب آبائكم الأولين}"[٦].

قال ابن إسحاق:" أي: وخلق آبائكم الأولين وخلقكم، من آبائكم"[٧].

قال ابن كثير:" أي : خالقكم وخالق آبائكم الأولين، الذي كانوا قبل فرعون وزمانه "[٨].

"[٨].

قال الزمخشري:" قد عمم أولا، ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم. لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه، وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع، والناقل من هيئة إلى هيئة وحال إلى حال من وقت ميلاده إلى وقت وفاته"[٩].

القرآن

{قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧)} [الشعراء : ٢٧]

التفسير:

---

(١) تفسير الطبري:٣٤٤/١٩.
(٢) معاني القرآن:٨٧/٤.
(٣) تفسير ابن كثير:١٢٨/٦.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٧٦):ص٢٧٥٦/٨.
(٥) الكشاف:٣٠٨/٣.
(٦) تفسير الطبري:٣٤٤/١٩.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٧٧):ص٢٧٥٦/٨.
(٨) تفسير ابن كثير:١٣٨/٦.
(٩) الكشاف:٣٠٨/٣.

قال فرعون لخاصته يستثير غضبهم؛ لتكذيب موسى إياه: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون، يتكلم كلامًا لا يُعْقَل!

قال ابن كثير:" قال فرعون لقومه: ليس لرسولكم عقل في دعواه أن ثمّ ربا غيري"(١).

قال الطبري:" يقول: إن رسولكم هذا الذي يزعم أنه أرسل إليكم لمغلوب على عقله، لأنه يقول قولا لا نعرفه ولا نفهمه، وإنما قال ذلك ونسب موسى عدو الله إلى الجنة، لأنه كان عنده وعند قومه أنه لا رب غيره يعبد، وأن الذي يدعوه إليه موسى باطل ليست له حقيقة، فقال موسى عند ذلك محتجا عليهم، ومعرفهم ربهم بصفته وأدلته، إذ كان عند قوم فرعون أن الذي يعرفونه ربا لهم في ذلك الوقت هو فرعون، وأن الذي يعرفونه لآبائهم أربابا ملوك أخر، كانوا قبل فرعون، قد مضوا فلم يكن عندهم أن موسى أخبرهم بشيء له معنى يفهمونه ولا يعقلونه، ولذلك قال لهم فرعون: إنه مجنون، لأن كلامه كان عندهم كلاما لا يعقلون معناه"(٢).

قال السعدي:" قال فرعون معاندا للحق، قادحا بمن جاء به: {إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ} حيث قال خلاف ما نحن عليه، وخالفنا فيما ذهبنا إليه، فالعقل عنده وأهل العقل، من زعموا أنهم لم يخلقوا، أو أن السماوات والأرض، ما زالتا موجودتين من غير موجد وأنهم، بأنفسهم، خلقوا من غير خالق، والعقل عنده، أن يعبد المخلوق الناقص، من جميع الوجوه، والجنون عنده، أن يثبت الرب الخالق للعالم العلوي والسفلي، والمنعم بالنعم الظاهرة والباطنة، ويدعو إلى عبادته، وزين لقومه هذا القول، وكانوا سفهاء الأحلام، خفيفي العقول {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ}"(٣).

وقرئ: « الذي أرسل إليكم»، بفتح الهمزة(٤).

القرآن

{قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨)} [الشعراء : ٢٨]

التفسير:

قال موسى: رب المشرق والمغرب وما بينهما وما يكون فيهما من نور وظلمة، وهذا يستوجب الإيمان به وحده إن كنتم من أهل العقل والتدبر!

قوله تعالى:{قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا} [الشعراء : ٢٨]، أي:" قال موسى: رب المشرق والمغرب وما بينهما وما يكون فيهما من نور وظلمة"(٥)

قال الطبري:" معناه: الذي أدعوكم وفرعون إلى عبادته رب المشرق والمغرب وما بينهما يعني ملك مشرق الشمس ومغربها، وما بينهما من شيء لا إلى عبادة ملوك مصر الذين كانوا ملوكها قبل فرعون لآبائكم فمضوا، ولا إلى عبادة فرعون الذي هو ملكها"(٦).

قال ابن كثير:" أي : {قال} موسى لأولئك الذين أوعز إليهم فرعون ما أوعز من الشبهة، فأجاب موسى بقوله : { رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ } أي : هو الذي جعل المشرق مشرقًا تطلع منه الكواكب ، والمغرب مغربًا تغرب فيه الكواكب ، ثوابتها وسياراتها ، مع هذا النظام الذي سَخّرها فيه وقدّرها ، فإن كان هذا الذي يزعم أنه ربكم وإلهكم صادقًا فليعكس الأمر ، وليجعل المشرق مغربًا ، والمغرب مشرقًا ، كما أخبر تعالى عن { الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي

---

(١) تفسير ابن كثير:٦/١٣٨-١٣٩.[بتصرف يسيط]

(٢) تفسير الطبري:١٩/٣٤٤.

(٣) تفسير السعدي:٥٩٠.

(٤) انظر: الكشاف:٣/٣٠٨.

(٥)التفسير الميسر:٣٦٩.

(٦) تفسير الطبري:١٩/٣٤٤.

وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [البقرة : ٢٥٨]"(١).

قال الزمخشري:" خصص المشرق والمغرب، لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدل به ولظهوره انتقل إلى الاحتجاج به خليل الله، عن الاحتجاج بالإحياء والإماتة على نمروذ بن كنعان، فبهت الذي كفر"(٢).

وقرئ: «رب المشارق والمغارب»(٣).

قوله تعالى:{إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} [الشعراء : ٢٨]، أي:" وهذا يستوجب الإيمان به وحده إن كنتم من أهل العقل والتدبر!"(٤).

قال ابن إسحاق:" أي: خالق المشرق والمغرب، {وما بينهما}، أي: خالق ما بينهما من الخلق"(٥).

قال الطبري:" يقول: إن كان لكم عقول تعقلون بها ما يقال لكم، وتفهمون بها ما تسمعون مما يعين لكم؛ فلما أخبرهم عليه السلام بالأمر الذي علموا أنه الحق الواضح، إذ كان فرعون ومن قبله من ملوك مصر لم يجاوز ملكهم عريش مصر، وتبين لفرعون ومن حوله من قومه أن الذي يدعوهم موسى إلى عبادته، هو الملك الذي يملك الملوك"(٦).

قال السعدي:أي:" فقد أديت لكم من البيان والتبيين، ما يفهمه كل من له أدنى مسكة من عقل، فما بالكم تتجاهلون فيما أخاطبكم به؟ وفيه إيماء وتنبيه إلى أن الذي رميتم به موسى من الجنون، أنه داؤكم فرميتم أزكى الخلق عقلا وأكملهم علما، بالجنون، والحال أنكم أنتم المجانين، حيث ذهبت عقولكم لإنكار أظهر الموجودات، خالق الأرض والسماوات وما بينهما، فإذا جحدتموه، فأي شيء تثبتون؟ وإذا جهلتموه، فأي شيء تعلمون؟ وإذا لم تؤمنوا به وبآياته، فبأي شيء - بعد الله وآياته - تؤمنون؟ تالله، إن المجانين الذين بمنزلة البهائم، أعقل منكم، وإن الأنعام السارحة، أهدى منكم"(٧).

عن ابن زيد:" {تعقلون}: يتفكرون"(٨).

قال الزمخشري:" فإن قلت: كيف قال أولا إن كنتم موقنين وآخرا إن كنتم تعقلون؟ قلت: لاين أولا، فلما رأى منهم شدة الشكيمة (٩) في العناد وقلة الإصغاء إلى عرض الحجج خاشن وعارض: إن رسولكم لمجنون، بقوله: إن كنتم تعقلون"(١٠).

القرآن

{قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩)} [الشعراء : ٢٩]

التفسير:

قال فرعون لموسى مهددًا له: لئن اتخذت إلهًا غيري لأسجننك مع مَن سجنت.

قال الطبري:" قال فرعون حينئذ استكبارا عن الحق، وتماديا في الغي لموسى: لئن أقررت بمعبود"(١١). سواي لأسجننك مع من في السجن من أهله"(١).

---

(١) تفسير ابن كثير:١٣٩/٦.
(٢) الكشاف:٣٠٨/٣.
(٣) انظر: الكشاف:٣٠٨/٣.
(٤)التفسير الميسر:٣٦٩.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٧٩):ص٢٧٥٧/٨.
(٦) تفسير الطبري:٣٤٤/١٩-٣٤٥.
(٧) تفسير السعدي:٥٩٠.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٧٩):ص٢٧٥٧/٨.
(٩)الشكيمة، في الصحاح: فلان شديد الشكيمة، إذا كان شديد النفس أنفا أبيا.
(١٠) الكشاف:٣٠٨/٣.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٨٠):ص٢٧٥٧/٨.

قال ابن إسحاق:" أي: إن أقمت على هذا أن تعبد غيري، وتترك عبادتي لأجعلنك من المسجونين"(٢).

قال ابن كثير:" لما غُلب فرعون وانقطعت حجته ، عدل إلى استعمال جاهه وقوته وسلطانه ، واعتقد أن ذلك نافع له ونافذ في موسى ، عليه السلام ، فقال ما أخبر الله تعالى عنه : { قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ}.. لما قامت على فرعون الحجة بالبيان والعقل ، عدل إلى أن يقهر موسى بيده وسلطانه ، وظن أنه ليس وراء هذا المقام مقال"(٣).

قال السعدي: " زعم - قبحه الله - أنه قد طمع في إضلال موسى، وأن لا يتخذ إلها غيره، وإلا فقد تقرر أنه هو ومن معه، على بصيرة من أمرهم"(٤).

قال الزمخشري:" فإن قلت: ألم يكن: لأسجننك، أخصر من: {لأجعلنك من المسجونين}، ومؤديا مؤداه؟

قلت: أما أخصر فنعم. وأما مؤد مؤداه فلا، لأن معناه: لأجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجونى. وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع، فكان ذلك أشد من القتل وأشد"(٥).

القرآن

{قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (٣٠)} [الشعراء : ٣٠]

التفسير:

قال موسى: أتجعلني من المسجونين، ولو جئتك ببرهان قاطع يتبين منه صدقي؟

قال الطبري: "قال موسى لفرعون لما عرفه ربه، وأنه رب المشرق والمغرب، ودعاه إلى عبادته وإخلاص الألوهة له: أتجعلني من المسجونين {أولو جئتك بشيء مبين} يبين لك صدق ما أقول يا فرعون وحقيقة ما أدعوك إليه؟ وإنما قال ذلك له، لأن من أخلاق الناس السكون للإنصاف، والإجابة إلى الحق بعد البيان"(٦).

قال ابن كثير:" أي : ببرهان قاطع واضح "(٧).

قال السعدي: " أي: آية ظاهرة جلية، على صحة ما جئت به، من خوارق العادات"(٨).

قال ابن إسحاق:" أي: بأمر تعرف به صدقي وكذبك وحقي وباطلك"(٩).

قال الزمخشري:" «الواو» في قوله: {أولو جئتك}: واو الحال، دخلت عليها همزة الاستفهام. معناه: أتفعل بى ذلك ولو جئتك بشيء مبين، أى: جائيا بالمعجزة"(١٠).

القرآن

{قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١)} [الشعراء : ٣١]

التفسير:

قال فرعون: فأت به إن كنت من الصادقين في دعواك.

---

(١) تفسير الطبري:٣٤٥/١٩.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٥٨٠):ص٢٧٥٧/٨.
(٣) تفسير ابن كثير:١٣٩/٦.
(٤) تفسير السعدي:٥٩٠.
(٥) الكشاف:٣٠٨/٣-٣٠٩.
(٦) تفسير الطبري:٣٤٥/١٩.
(٧) تفسير ابن كثير:١٣٩/٦.
(٨) تفسير السعدي:٥٩٠.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٥٨٣):ص٢٧٥٧/٨.
(١٠) الكشاف:٣٠٩/٣.

قال الطبري: " قال له فرعون: فأت بالشيء المبين حقيقة ما تقول، فإنا لن نسجنك حينئذ إن اتخذت إلها غيري، إن كنت محقا فيما تقول، وصادقا فيما تصف وتخبر"[1].

قال السدي:" ثم قال له فرعون: إن كنت جئت بآية فأت بها {إن كنت من الصادقين} وذلك بعد ما قال: الله من الكلام ما ذكر الله قال: له موسى: {أولو جئتك بشيء مبين}"[2].

قال ابن عباس:" لقد دخل موسى على فرعون وعليه زرمانقة من صوف ما تجاوز مرفقيه، قال: فاستؤذن على فرعون فقال: أدخلوه فدخل فقال: إن إلهي أرسلني إليك. فقال: للملأ حوله ما علمت لكم من إله غيري. قال: خذوه. قال: إني قد جئتك بآية، قال :{فأت به إن كنت من الصادقين}"[3].

قال الزمخشري:" في قوله {إن كنت من الصادقين}: أنه لا يأتى بالمعجزة إلا الصادق في دعواه، لأن المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة، والحكيم لا يصدق الكاذب"[4].

فوائد الآيات:[٢٣-٣١]:

١- تقرير الربوبية المقتضية للألوهية من طريق هذا الحوار ليسمع ذلك المشركون، وليعلموا أنهم مسبوقون بالشرك والكفر وأنهم ضالون.

٢- سنة أهل الباطل أنهم يفجرون في الخصومة وفي الحديث "وإذا خاصم فجر"[5].

٣- أهل الكبر والعلو في الأرض إذا أعيتهم الحجج لجأوا إلى التهديد والوعيد واستخدام القوة.

القرآن

{فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣)} [الشعراء : ٣٢ - ٣٣]

التفسير:

فألقى موسى عصاه فتحولت ثعبانًا حقيقيًا، ليس تمويهًا كما يفعل السحرة، وأخرج يده مِن جيبه فإذا هي بيضاء كالثلج من غير برص، تَبْهَر الناظرين.

قوله تعالى:{فَأَلْقَى عَصَاهُ} [الشعراء : ٣٢]، أي:" فألقى موسى عصاه"[6].

قال سعيد بن جبير:" كان عصا موسى من عوسج فقط"[7].

قال الحكم: "كانت عصى موسى -عليه الصلاة والسلام- من عوسج ولم يسخر العوسج لأحد بعده"[8].

قوله تعالى:{فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ} [الشعراء : ٣٢]، أي:" فتحولت ثعبانًا حقيقيًا، ليس تمويهًا كما يفعل السحرة"[9].

قال الطبري:" يعني حية {مبين}، يقول: تتبين لمن يراها أنها حية"[10].

عن ابن عباس :قوله: {ثعبان مبين}، قال: "الحية الذكر"[11].

قال ابن عباس:" فالقى عصاه فصارت ثعبانا ما بين لحييه ما بين الشفق إلى الأرض"[12].

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٣٤٥.
(٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٨٢):ص٨/٢٧٥٧.
(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٨٤):ص٨/٢٧٥٧.
(٤) الكشاف:٣/٣٠٩.
(٥)رواه البخاري (٣٤ و٢٤٥٩) ومسلم (٥٨).
(٦) التفسير الميسر:١٦٤.
(٧) تفسير ابن ابي حاتم:٨/٢٧٥٨. بدون سند
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩١):ص٥/١٥٣٢.
(٩) التفسير الميسر:٣٦٨.
(١٠) تفسير الطبري:١٣/١٥.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٥٨٩):ص٨/٢٧٥٨.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٥٩٢):ص٨/٢٧٥٩.

قال ابن عباس:" فألقى عصاه فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها، مسرعة إلى فرعون، فلما رآها فرعون أنها قاصدة إليه خافها فاقتحم على سريره، واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل"(١).

أخرج ابن ابي حاتم بسنده عن معمر، عن قتادة، {فإذا هي ثعبان مبين}، قال: " تحولت حية عظيمة وقال: غيره مثل المدينة وقال: قتادة فأكلت سحرهم كله"(٢).

قال السدي:" والثعبان: الذكر من الحيات، فاتحةً فاها، واضعة لحيها الأسفل في الأرض، والأعلى على سور القصر، ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه، فلما رأها ذُعِر منها، ووثب فأحدث، ولم يكن يُحْدِث قبل ذلك، وصاح: يا موسى، خذها وأنا مؤمن بك، وأرسل معك بنى إسرائيل! فأخذها موسى فعادت عصًا"(٣).

قال وهب بن منبه:" كان بين لحى الثعبان الذي من عصا موسى اثنا عشر ذراعا"(٤).

قوله تعالى:{وَنَزَعَ يَدَهُ} [الشعراء : ٣٣]، أي:" وأخرج يده مِن جيبه"(٥).

قال ابن عباس:" فأخرج يده من جيبه"(٦).

قال ابن كثير:" أي : نزع يده : أخرجها من درعه بعد ما أدخلها فيه"(٧).

قوله تعالى:{فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ} [الشعراء : ٣٣]، أي:" فإذا هي بيضاء كالثلج من غير برص، تبْهر الناظرين"(٨).

قال ابن كثير:" أي : تتلألأ كقطعة من القمر"(٩).

قال مجاهد:" بيضاء من غير برص"(١٠).

قال السدي:" وكان موسى رجلا آدم، فأخرج يده، فإذا هي بيضاء، أشد بياضا اللبن {من غير سوء}، قال: من غير برص، آيةً لفرعون"(١١).

قال ابن عباس:" أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء، يعني: من غير برص ثم أعادها إلى كمّه، فعادت إلى لونها الأول"(١٢).

قال ابن عباس:" فأدخل يده في جيبه فأخرجها مثل البرق تلتمع الأبصار فخروا على وجوههم، وأخذ موسى عصاه ثم خرج ليس أحد من الناس إلا يفر منه"(١٣).

قال ابن إسحاق:" ثم أدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء مثل الثلج ثم ردها فرجعت كهيئتها وأدخل موسى يده في جيبه فصارت عصا بيده، يده بين شعبتيها ومحجنها في أسفلها كما كان وأخذ فرعون بطنه فكان فيما يزعمون يمكث الخميس والسبت ما يلتمس المذهب كما كان يلتمسه الناس، وكان ذلك مما زين له أن يقول: إنه ليس له في الناس شبيه"(١٤).

القرآن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٣):ص١٥٣٢/٥.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٥٩٠):ص٢٧٥٨/٨.
(٣) أخرجه الطبري(١٤٩١١):ص١٥/١٣-١٦.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٥٩١):ص٢٧٥٨/٨-٢٧٥٩.
(٥) التفسير الميسر:٣٦٨.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٦):ص١٥٣٣/٥.
(٧) تفسير ابن كثير:٤٥٥/٣.
(٨) التفسير الميسر:٣٦٨.
(٩) تفسير ابن كثير:١٣٩/٦.
(١٠) أخرجه الطبري(١٤٩٢٠):ص١٨/١٣.
(١١) أخرجه الطبري(١٤٩٢٣):ص١٨/١٣.
(١٢) أخرجه الطبري(١٤١٨):ص١٧/١٣، و ابن أبي حاتم(٨٧٩٦):ص١٥٣٣/٥. أعطاه المحقق نفس الرقم الخبر السابق.
(١٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٩٧):ص٢٧٦٠/٨.
(١٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٩٨):ص٢٧٦٠/٨.

{قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥)} [الشعراء : ٣٤ - ٣٥]

التفسير:

قال فرعون لأشراف قومه خشية أن يؤمنوا: إن موسى لَساحر ماهر، يريد أن يخرجكم بسحره من أرضكم، فأي شيء تشيرون به في شأنه أتبع رأيكم فيه؟

قوله تعالى:{قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ} [الشعراء : ٣٤]، أي:" قال فرعون لأشراف قومه خشية أن يؤمنوا: إن موسى لَساحر ماهر"[١].

قال ابن كثير:" فبادر فرعون - بشقائه - إلى التكذيب والعناد ، فقال للملأ حوله : { إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ } أي : فاضل بارع في السحر. فَرَوَّج عليهم فرعون أن هذا من قبيل السحر لا من قبيل المعجزة "[٢].

قال المراغي:" أي: ماهر فى فنون السحر"[٣].

قال ابن إسحاق:" قال: لملائه: {إن هذا لساحر عليم}، أي: ما ساحر أسحر منه"[٤].

قوله تعالى:{يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ} [الشعراء : ٣٥]، أي:" يريد أن يخرجكم بسحره من أرضكم"[٥].

قال السدي:" يستخرجكم من أرضكم"[٦].

قال ابن كثير:" ثم هيجهم وحرضهم على مخالفته ، والكفر به. فقال { يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ } ؟ أي : أراد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا ، فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه ويغلبكم على دولتكم ، فيأخذ البلاد منكم ، فأشيروا عليَّ فيه ماذا أصنع به ؟"[٧].

قال الطبري:" يريد: أرض مصر، معشر القبط السحرة"[٨].

قال السدي:" يستخرجكم من أرضكم"[٩].

قوله تعالى:{فَمَاذَا تَأْمُرُونَ} [الشعراء : ٣٥]، أي:" فأي شيء تشيرون به في شأنه أتبع رأيكم فيه؟"[١٠].

قال الطبري:"يقول: فأي شيء تأمرون أن نفعل في أمره؟ بأي شيء تشيرون فيه؟"[١١].

قال ابن كثير:" وتشاوروا في أمره ، وماذا يصنعون في أمره ، وكيف تكون حيلتهم في نوره وإخماد كلمته ، وظهور كذبه وافترائهم ، وتخوفوا من معرفته أن يستميل الناس بسحره فيما يعتقدون فيكون ذلك سببا لظهوره عليهم ، وإخراجه إياهم من أرضهم والذي خافوا منه وقعوا فيه ، كما قال تعالى:{ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ } [القصص : ٦]"[١٢].

عن محمد بن إسحاق: "{فماذا تأمرون}، أأقتله؟"[١٣].

قال ابن عباس:" فلما أفاق وذهب، عن فرعون الروع قال للملإ حوله ماذا تأمرون"[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٨.
(٢) تفسير ابن كثير:١٣٩/٦.
(٣) تفسير المراغي:٢٥/٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٠٢):ص٢٧٦٠/٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٦٨.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٠٣):ص٢٧٦٠/٨.
(٧) تفسير ابن كثير:١٣٩/٦.
(٨) تفسير الطبري:٢٠/١٣.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٨):ص١٥٣٣/٥.
(١٠) التفسير الميسر:٣٦٨.
(١١) تفسير الطبري:٢٠/١٣.
(١٢) تفسير ابن كثير:٤٥٦/٣.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٠٤):ص٢٧٦١/٨.

القرآن

{قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧)} [الشعراء : ٣٦ - ٣٧]

التفسير:

قال له قومه: أخِّر أمر موسى وهارون، وأرسِلْ في المدائن جندًا جامعين للسحرة، يأتوك بكلِّ مَن أجاد السحر، وتفوَّق في معرفته.

قوله تعالى:{قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ} [الشعراء : ٣٦]، أي:" قال له قومه: أخِّر أمر موسى وهارون"[٢].

قال ابن عباس:" يقول: أخره وأخاه"[٣].

قال ابن عباس:" لا تأتنا به ولا يقربنا"[٤].

وقال قتادة:" احبسه وأخاه"[٥].

قال ابن كثير:" أي : أخِّره وأخاه "[٦].

قال الطبري:" «الإرجاء»: في كلام العرب التأخير. يقال منه: "أرجيت هذا الأمر"، أرجأته"، إذا أخرته. ومنه قول الله تعالى: {تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ}[سورة الأحزاب: ٥١] تؤخر، فالهمز من كلام بعض قبائل قيس، يقولون: "أرجأت هذا الأمر"، وترك الهمز من لغة تميم وأسد، يقولون: "أرجيته"»[٧].

وسمي «المرجئة» بذلك، لأنهم أخروا العمل عن الإيمان وقالوا العمل ليس جزءا من الإيمان[٨].

قوله تعالى:{وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ} [الشعراء : ٣٦]، أي:" وأرسِلْ في المدائن جندًا جامعين للسحرة"[٩].

قال ابن كثير:" حتى تجمع له من مدائن مملكتك وأقاليم دولتك"[١٠].

قال المراغي:" أي: جامعين لك السحرة منها وسائقيهم إليك"[١١].

قال أبو السعود:" قيل هي مدائن صعيد مصر وكان رؤساء السحرة ومهرتهم بأقصى مدائن الصعيد"[١٢].

قال أبو هلال العسكري: "«الحشر»: هو الجمع مع السوق، والشاهد قوله تعالى: {قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين} [الشعراء: ٣٦]، أي: ابعث من يجمع السحرة ويسوقهم إليك، ومنه يوم الحشر لأن الخلق يجمعون فيه ويساقون إلى الموقف"[١٣].

عن ابن عباس في قوله: "{في المدائن حاشرين}، قال: الشُّرَط "[١٤]. وروي عن مجاهد[١]، والسدي[٢] مثل ذلك.

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٠١):ص٢٧٦٠/٨.
(٢) التفسير الميسر:٣٦٨.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٠)(١٥٦٠٦):ص١٥٣٣/٥، ٢٧٦١/٨.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٠٥):ص٢٧٦١/٨.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩١):ص١٥٣٣/٥.
(٦) تفسير ابن كثير:١٣٩/٦.
(٧) تفسير الطبري:٢٠/١٣-٢١.
(٨) انظر: لتحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية:١٠١.
(٩) التفسير الميسر:٣٦٨.
(١٠) تفسير ابن كثير:١٣٩/٦.
(١١) تفسير المراغي:٢٥/٩.
(١٢) تفسير أبي السعود:٢٥٩/٣.
(١٣)الفروق في اللغة:١٣٦.
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٤):ص١٥٣٤/٥.

قال ابن عباس:" وكانت السحرة يخشون من فرعون فلما أرسل إليهم قال: قد احتاج إليكم إلهكم، قال: إن هذا فعل كذا وكذا"(٣).

قال ابن كثير:" وقد كان السحر في زمانهم غالبا كثيرا ظاهرا. واعتقد من اعتقد منهم ، وأوهم من أوهم منهم ، أن ما جاء موسى ، عليه السلام ، من قبيل ما تشعبذه سحرتهم ؛ فلهذا جمعوا له السحرة ليعارضوه بنظير ما أراهم من البينات ، كما أخبر تعالى عن فرعون حيث قال : { قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى. فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى. قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى. فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى } [طه : ٥٧ - ٦٠]"(٤).

قوله تعالى:{يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ} [الشعراء : ٣٧]، أي:" يأتوك بكلِّ مَن أجاد السحر، وتفوَّق في معرفته"(٥).

قال الطبري:" وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن مشورة الملأ من قوم فرعون على فرعون، أن يرسل في المدائن حاشرين يحشرون كل ساحر عليم"(٦).

قال ابن كثير:أي:" كل سحَّار عليم يقابلونه ، ويأتون بنظير ما جاء به ، فتغلبه أنت وتكون لك النصرة والتأييد. فأجابهم إلى ذلك. وكان هذا من تسخير الله تعالى لهم في ذلك ؛ ليجتمع الناس في صعيد واحد ، ولتظهر آيات الله وحججه وبراهينه على الناس في النهار جهرة"(٧).

عن محمد بن إسحاق: "{يأتوك بكل سحار عليم}، أي: كابره بالسحر لعلك تجد في السحرة من يأتي بمثل ما جاء به وقد كان موسى وهارون خرجا من عنده حين أراه موسى من سلطان الله ما أراه وبعث فرعون في مملكته مكانه فلم يترك في سلطانه ساحر إلا أتي به"(٨).

قال ابن عباس:" فحشر له كل سحار متعالم"(٩).

قال السدي:" فحشروا السحرة وحشر الناس ينظرون"(١٠).

القرآن

{فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (٤٠)} [الشعراء : ٣٨ - ٤٠]

التفسير:

فَجُمع السحرة، وحُدِّد لهم وقت معلوم، هو وقت الضحى من يوم الزينة الذي يتفرغون فيه من أشغالهم، ويجتمعون ويتزيَّنون؛ وذلك للاجتماع بموسى، وقيل للناس: بادروا إلى الإجتماع لكي نتبع السحرة في دينهم إن غلبوا موسى.

قوله تعالى:{فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ} [الشعراء : ٣٩]، أي:" فَجُمع السحرة، وحُدِّد لهم وقت معلوم، هو وقت الضحى من يوم الزينة"(١١).

قال ابن كثير:" ذكر الله تعالى هذه المناظرة الفعلية بين موسى والقبط في "سورة الأعراف" وفي "سورة طه" وفي هذه السورة : وذلك أن القبط أرادوا أن يطفئوا نور الله

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٢٧):ص٢٣/١٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٢٨):ص٢٣/١٣.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٢):ص١٥٣٤/٥.
(٤) تفسير ابن كثير:٤٥٦/٣.
(٥) التفسير الميسر:٣٦٨.
(٦) تفسير الطبري:٢٤/١٣.
(٧) تفسير ابن كثير:١٣٩/٦-١٤٠.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦١٤):ص٢٧٦٢/٨٥.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦١٢):ص٢٧٦٢/٨٥.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦١٣):ص٢٧٦٢/٨٥.
(١١) التفسير الميسر:٣٦٨.

بأفواههم ، فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. وهذا شأن الكفر والإيمان ، ما تواجها وتقابلا إلا غلبه الإيمان ، { بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ } [الأنبياء : ١٨] ، { وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا } [الإسراء : ٨١] ، ولهذا لما جاء السحرة ، وقد جمعوهم من أقاليم بلاد مصر ، وكانوا إذ ذاك أسحر الناس وأصنعهم وأشدهم تخييلا في ذلك ، وكان السحرة جمعًا كثيرًا ، وجمًا غفيرًا ، قيل : كانوا اثني عشر ألفًا. وقيل : خمسة عشر ألفًا. وقيل : سبعة عشر ألفًا وقيل : تسعة عشر ألفًا. وقيل : بضعة وثلاثين ألفًا. وقيل : ثمانين ألفًا. وقيل غير ذلك ، والله أعلم بعدتهم"(١).

قال محمد بن إسحاق:" فذكر لي والله أعلم أنه جمع له خمسة عشر ألف ساحر"(٢).

قوله تعالى:{وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ} [الشعراء : ٣٩]، أي:" وقيل للناس حثا لهم على المبادرة إلى الاجتماع ومشاهدة ما يكون من الجانبين: هل أنتم مجتمعون فى ذلك الميقات لتروا ما سيكون فى ذلك اليوم المشهود"(٣).

قال السدي:" يقول: حشر الناس ينظرون"(٤).

قال المراغي:" وكان ذلك ثقة من فرعون بالظهور، وقد طلب أن يكون ذلك بمجمع من الناس لئلا يؤمن بموسى أحد منهم، فوقع من موسى الموقع الذي يريده، لأنه يعلم أن حجة الله هى الغالبة، وحجة الكافرين هى الداحضة، وفى ظهور حجة الله بمجمع من الناس زيادة فى الاستظهار للمحقين، وقهر للمبطلين"(٥).

قوله تعالى:{لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ} [الشعراء : ٤٠]، أي:" إننا نطمع أن تكون الغلبة للسحرة، فنثبت على ديننا"(٦).

قال ابن كثير:" لم يقولوا : نتبع الحق سواء كان من السحرة أو من موسى ، بل الرعية على دين ملكهم"(٧).

قال ابن عباس:" فلما اجتمعوا في صعيد قال: الناس بعضهم لبعض انطلقوا فلنحضر هذا الأمر ونتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين، يعني بذلك موسى وهارون عليهما السلام استهزاء بهما"(٨).

القرآن

{فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢)} [الشعراء : ٤١ - ٤٢]

التفسير:

فلما جاء السحرة فرعون قالوا له: أإن لنا لأجرًا مِن مال أو جاه، إنْ كنا نحن الغالبين لموسى؟ قال فرعون: نعم لكم عندي ما طلبتم مِن أجر، وإنكم حينئذ لمن المقربين لديَّ.

قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ} [الشعراء : ٤١] ، أي: "فلما جاء السحرة فرعون"(٩).

قال عكرمة: "السحرة كانوا سبعين، قال أبو جعفر: أحسبه أنه قال: ألفًا"(١٠).

قال محمد بن كعب:" السحرة الذين توفاهم الله مسلمين ثمانين ألفا"(١١).

---

(١) تفسير ابن كثير:١٤١/٦.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦١٥):ص٢٧٦٢/٨.
(٣) تفسير المراغي:٦٠/١٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦١٧):ص٢٧٦٢/٨.
(٥) تفسير المراغي:٦٠/١٩.
(٦) التفسير الميسر:٣٦٩.
(٧) تفسير ابن كثير:١٤١/٦.
(٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦١٨):ص٢٧٦٢/٨.
(٩) التفسير الميسر:٣٦٩.
(١٠) أخرجه الطبري(١٤٩٣٥):ص٢٦/١٣.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٦):ص١٥٣٤/٥.

قال كعب: "كانت سحرة فرعون اثنى عشر ألفا"(١).
وقال كعب: "كانت سحرة فرعون تسعة عشر ألفا"(٢).
وعن أبي ثمامة قال: "سحرة فرعون سبعة عشر ألفا"(٣).
قال السدي:" كان يعين السحرة بضعة وثلاثين ألفا ليس منهم رجل إلا ومعه حبل أو عصا"(٤).
قال محمد بن إسحاق:" فاجتمعوا إليه أمرهم أمره، فقال: لهم إنه قد جاءنا ساحر لم نر مثله قط، وإنكم إن غلبتموه أكرمتكم وقربتكم وفضلتكم على أهل مملكتي"(٥).
قوله تعالى: {قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ} [الشعراء : ٤١] ، أي:" قالوا لفرعون: أإن لنا لأجرًا مِن مال أو جاه، إنْ كنا نحن الغالبين لموسى؟"(٦).
قال السدي:" يقول: عطية تعطينا{إن كنا نحن الغالبين}"(٧).
قال ابن كثير:" أي : إلى مجلس فرعون وقد ضرب له وطاقا ، وجمع حشمه وخدمه وأمراءه ووزراءه ورؤساء دولته وجنود مملكته ، فقام السحرة بين يدي فرعون يطلبون منه الإحسان إليهم والتقرب إليه إن غلبوا ، أي : هذا الذي جمعتنا من أجله ، فقالوا : { أَئِنَّ لَنَا لأجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ"(٨).
قال ابن عباس:" فلما أتوا فرعون قالوا: بم يعمل هذا الساحر؟ قالوا: عمله بالحيات، قالوا: فلا والله ما في الأرض قوم يعملون بالسحر بالحيات والحبال والعصى الذي نعمل، فما أجرنا إن غلبنا؟ قال: فقال لهم: أنتم أقاربي وخاصتي، وأنا صانع إليكم كما أحببتم"(٩).
قال ابن إسحاق:" وبعث فرعون في مملكته، فلم يترك في سلطانه ساحرًا إلا أتي به. فذكر لي، والله أعلم، أنه جمع له خمسة عشر ألف ساحر، فلما اجتمعوا إليه، أمرهم أمره، وقال لهم: قد جاءنا ساحرٌ ما رأينا مثله قط، وإنكم إن غلبتموه أكرمتكم وفضلتكم، وقرَّبتكم على أهل مملكتي! قالوا: وإن لنا ذلك إن غلبناه؟ قال: نعم!"(١٠).
قوله تعالى:{قَالَ نَعَمْ} [الشعراء : ٤٢]، أي:" قال فرعون للسحرة: نعم لكم عندي ما طلبتم مِن أجر"(١١).
قال الطبري:" قال: نعم، لكم ذلك"(١٢).
قوله تعالى:{وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} [الشعراء : ٤٢]، أي:" وإنكم حينئذ لمن المقربين لديَّ"(١٣).
قال الطبري:" وإنكم لممن أقرّبه وأدْنيه مني"(١٤).
قال الماتريدي:أي:" في المنزلة والقدر عندي"(١٥).
قال السمعاني:" أي: لكم المنزلة الرفيعة مع الأجر"(١).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٧):ص١٥٣٤/٥.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٨):ص١٥٣٤/٥.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٩):ص١٥٣٥/٥.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٠٠):ص١٥٣٥/٥.
(٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٢٠):ص٢٧٦٣/٨.
(٦) التفسير الميسر:٣٦٩.
(٧) أخرجه الطبري(١٤٩٣٣):ص٢٥/١٣.
(٨) تفسير ابن كثير:١٤١/٦.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٠١):ص١٥٣٥/٥.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٣٤):ص٢٥/١٣-٢٦.
(١١) التفسير الميسر:٣٦٩.
(١٢) تفسير الطبري:٢٦/١٣.
(١٣) التفسير الميسر:٣٦٩.
(١٤) تفسير الطبري:٢٦/١٣.
(١٥) تأويلات أهل السنة:٥٢٧/٤.

قال ابن كثير:" أي : وأخص مما تطلبون أجعلكم من المقربين عندي وجلسائي "(٢).
قال الرازي:" أراد: أني لا أقتصر بكم على الثواب بل أزيدكم عليه وتلك الزيادة أني أجعلكم من المقربين عندي"(٣).
قال الكلبي: "أول من يدخل علي وآخر من يخرج، يعني السحرة"(٤).
قال ابن عباس:" فقال لهم: أنتم أقاربي وخاصتي، وأنا صانع إليكم كما أحببتم"(٥).

فوائد الآيات:[٣٢-٤٢]:
١- إثبات المعجزات للأنبياء كمعجزة العصا واليد لموسى عليه السلام.
٢- مشروعية استشارة الأمير رجاله في الأمور ذات البال.
٣- ثبوت السحر وأنه فن من فنون المعرفة وإن كان تعلمه وتعليمه محرمين.
٤- إعطاء المكافأة للفائزين في المباراة وغيرها ومن ذلك السباق في الإسلام.

القرآن
{قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٤٣)} [الشعراء : ٤٣]
التفسير:
قال موسى للسحرة مريدًا إبطال سحرهم وإظهار أن ما جاء به ليس سحرًا: ألقوا ما تريدون إلقاءه من السحر.
قال الطبري:أي:" من حبالكم وعصيكم"(٦).
قال ابن كثير: "أي : أنتم أولا قبلي. والحكمة في هذا - والله أعلم - ليري الناس صنيعهم ويتأملوه ، فإذا فُرغ من بهرجهم ومحالهم ، جاءهم الحق الواضح الجلي بعد تطلب له والانتظار منهم لمجيئه ، فيكون أوقع في النفوس. وكذا كان"(٧).

القرآن
{فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤)} [الشعراء : ٤٤]
التفسير:
فألقَوا حبالهم وعصيَّهم، وخُيِّل للناس أنها حيَّات تسعى، وأقسموا بعزة فرعون قائلين: إننا لنحن الغالبون.
قوله تعالى:{فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ} [الشعراء : ٤٤]، أي:" فألقَوا حبالهم وعصيَّهم من أيديهم"(٨).
قال السدي:" فألقوا حبالهم وعصيهم! وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل، ليس منهم رجل إلا معه حبل وعصا"(٩).
قال ابن عباس:" ألقوا حبالا غلاظًا طوالا وخشبًا طوالا قال: فأقبلت يخيَّل إليه من سحرهم أنها تسعى"(١٠).

---
(١) تفسير السمعاني:٢٠٣/٢.
(٢) تفسير ابن كثير:١٤١/٦.
(٣) مفاتيح الغيب:٣٣٣/١٤-٣٣٤.
(٤) الكشف والبيان:٢٦٩/٤.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٠١):ص١٥٣٥/٥.
(٦) تفسير الطبري:٣٤٨/١٩.
(٧) تفسير ابن كثير:٤٥٦/٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٣٤٨/١٩.
(٩) أخرجه الطبري(١٤٩٣٨):ص٢٧/١٢-٢٨.
(١٠) أخرجه الطبري(١٤٩٣٩):ص٢٨/١٣.

قوله تعالى:{وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ} [الشعراء : ٤٤]، أي:" وأقسموا بعزة فرعون قائلين: إننا لنحن الغالبون"(١).

قال الطبري:" يقول: أقسموا بقوة فرعون وشدة سلطانه، ومنعة مملكته {إنا لنحن الغالبون} موسى"(٢).

قال قتادة:" فوجدوا الله عز وجل أعز منه"(٣).

قال بشر بن منصور: "بلغني أنه لما تكلم ببعض هذا وقالوا بعزة فرعون أو نحو هذا، قالت الملائكة: قصه ورب الكعبة. قال: فقال: الله عز وجل: تألون علي قد أمهلته أربعين عاما"(٤).

قال ابن إسحاق:" صفّ خمسة عشر ألف ساحر، مع كل ساحر حباله وعصيه. وخرج موسى معه أخوه يتكئ على عصاه حتى أتى الجمعَ، وفرعونُ في مجلسه مع أشراف مملكته، ثم قالت السحرة: {يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} [طه: ٦٥-٦٦] ، فكان أوّل ما اختطفوا بسحرهم بصرَ موسى وبصرَ فرعون، ثم أبصارَ الناس بعدُ. ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من العصيّ والحبال، فإذا هي حيات كأمثال الجبال، قد ملأت الوادي يركبُ بعضها بعضًا {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى}، [طه: ٦٧] ، وقال: والله إن كانت لعصيًّا في أيديهم، ولقد عادت حيات! وما تعدو عصايَ هذه! أو كما حدّث نفسه"(٥).

القرآن

{فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥)} [الشعراء : ٤٥]

التفسير:

فألقى موسى عصاه، فإذا هي حية عظيمة، تبتلع ما صدر منهم من إفك وتزوير.

قوله تعالى:{فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ} [الشعراء : ٤٥]، أي:" فألقى موسى عصاه من يده"(٦).

قال الطبري:" حين ألقت السحرة حبالهم وعصيهم"(٧).

قال ابن عباس:" أوحى الله إليه أن ألقي العصا فلما ألقاها صارت ثعبانا عظيما"(٨).

قال ابن عباس:" وعصى موسى اسمها:«ماسا»، وهي مع يوشع بن نون"(٩).

قوله تعالى:{فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ} [الشعراء : ٤٥]، أي:" ، فإذا هي حية عظيمة، تبتلع ما صدر منهم من إفك وتزوير"(١٠).

قال الطبري:" يقول: فإذا عصا موسى تزدرد ما يأتون به من الفرية والسحر الذي لا حقيقة له، وإنما هو مخاييل وخدعة"(١١).

قال ابن كثير:" أي : تختطفه وتجمعه من كل بقعة وتبتلعه فلم تدع منه شيئا"(١٢).

عن مجاهد: "{يأفكون}، قال: يكذبون"(١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٩.
(٢) تفسير الطبري:٣٤٨/١٩.
(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٢٦):ص٢٧٦٤/٨.
(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٢٧):ص٢٧٦٤/٨.
(٥) أخرجه الطبري(١٤٩٤٠):ص٢٨/١٣.
(٦) التفسير الميسر:٣٦٩.[بتصرف]
(٧) تفسير الطبري:٣٤٨/١٩.
(٨) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٢٨):ص٢٧٦٤/٨.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٠٤):ص١٥٣٦/٥.
(١٠)التفسير الميسر:٣٦٩.
(١١) تفسير الطبري:٣٤٨/١٩.
(١٢) تفسير ابن كثير:١٤١/٦.

عن الحسن: "{تلقف ما يأفكون}، قال: حبالهم وعصيهم، تسترطها استراطا"[٢].
قال قتادة:" فألقى موسى عصاه، فتحولت حية، فأكلت سحرهم كله"[٣].
قال ابن عباس:" فألقى عصاه فإذا هي حية تلقف ما يأفكون، لا تمر بشيء من حبالهم وخُشُبهم التي ألقوها إلا التقمته، فعرفت السحرة أن هذا أمرٌ من السماء، وليس هذا بسحر، فخرُّوا سجَّدًا وقالوا: {آمنا بربّ العالمين* رب موسى وهارون}"[٤].
وعن ابن عباس أيضا:" فجعلت العصا بدعوة موسى تلتبس بالحبال، فصارت جرزا إلى الثعبان حتى تدخل فيه حتى ما بقيت عصا ولا حبل إلا ابتلعته"[٥].
قال السدي:" أوحى الله إلى موسى: لا تخف، وألق ما في يمينك تلقف ما يأفكون. فألقى عصاه، فأكلت كل حية لهم. فلما رأوا ذلك سجدوا، وقالوا: آمنا برب العالمين، رب موسى وهارون"[٦].

القرآن
{فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٨)} [الشعراء : ٤٦ - ٤٨]
التفسير:
فلما شاهدوا ذلك، وعلموا أنه ليس من تمويه السحرة، آمنوا بالله وسجدوا له، وقالوا: آمنَّا برب العالمين رب موسى وهارون.
قال الطبري:" يقول: فلما تبين السحرة أن الذي جاءهم به موسى حق لا سحر، وأنه مما لا يقدر عليه غير الله الذي فطر السموات والأرض من غير أصل، خروا لوجوههم سجدا لله، مذعنين له بالطاعة، مقرين لموسى بالذي أتاهم به من عند الله أنه هو الحق، وأن ما كانوا يعملونه من السحر باطل"[٧].
قوله تعالى:{فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ} [الشعراء : ٤٦]، أي:" وخَرَّ السحرة سُجَّدًا على وجوههم لله رب العالمين لِمَا عاينوا من عظيم قدرة الله"[٨].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وألقي السحرة عندما عاينوا من عظيم قدرة الله، ساقطين على وجوههم سجَّدًا لربهم"[٩].
قال الواحدي:" خرُّوا لله عابدين سامعين مطيعين"[١٠].
قال الثعلبي:" حيث عرفوا أن ذلك أمر سماوي وليس سحرا، قيل: ألهمهم الله أن يسجدوا فسجدوا"[١١].
قال مقاتل: "ألقاهم الله"[١٢].
وقال الأخفش: "من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا"[١٣].

---

(١) أخرجه الطبري(١٤٩٤٧):ص٣٠/١٣.
(٢) أخرجه الطبري(١٤٩٤٩):ص٣٠/١٣. سرط الطعام)) ، و ((استرطه)) ، إذا ازدرده، وابتلعه ابتلاعاً سهلا سريعا لا غصة فيه.
(٣) أخرجه الطبري(١٤٩٤٢):ص٢٩/١٣.
(٤) أخرجه الطبري(١٤٩٤٣):ص٢٩/١٣.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٠٥).:ص١٥٣٦/٥
(٦) أخرجه الطبري(١٤٩٤٤):ص٣٠/١٣.
(٧) تفسير الطبري:٣٤٨/١٩.
(٨) التفسير الميسر:١٦٤.
(٩) تفسير الطبري:٣٢/١٣.
(١٠) الوجيز:٤٠٧.
(١١) الكشف والبيان:٢٧٠/٤.
(١٢) حكاه عنه البغوي في تفسيره:٢٦٦/٣.
(١٣) حكاه عنه الثعلبي والبغوي في تفسيرهما، انظر: تفسير الثعلبي:٢٧٠/٤، وتفسير البغوي:٢٦٦/٣.

قال السمعاني:" قيل: إن موسى وهارون سجدا شكرا لله - تعالى - فوافقهم السحرة"[1].

قال الزمخشري:" وإنما عبر عن الخرور بالإلقاء، لأنه ذكر مع الإلقآت، فسلك به طريق المشاكلة. وفيه أيضا مع مراعاة المشاكلة أنهم حين رأوا ما رأوا، لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين، كأنهم أخذوا فطرحوا طرحا. فإن قلت: فاعل الإلقاء ما هو لو صرح به؟ قلت: هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق. أو إيمانهم. أو ما عاينوا من المعجزات الباهرة، ولك أن لا تقدر فاعلا، لأن ألقوا بمعنى خروا وسقطوا"[2].

قال سعيد بن جبير:" رأوا منازلهم تبنى لهم وهم في سجودهم"[3].

قال ابن عباس:" لما رأت السحرة ما رأت، عرفت أن ذلك أمر من السماء وليس بسحر، فخروا سجدًا، وقالوا: {آمنا برب العالمين* رب موسى وهارون}"[4].

قال ابن كعب: "كانت السحرة الذين توفاهم الله مسلمين ثمانين ألفا"[5]. وروي عن محمد بن المنكدر مثل ذلك[6].

وروي عن كعب:" كان سحرة فرعون اثنا عشر ألفا"[7]. وفي رواية:" كان سحرة فرعون تسعة عشر ألفا"[8].

قتادة: "كانوا أول النهار كفارا سحرة، وفي آخره شهداء بررة"[9].

وعن الحسن: "تراه ولد في الإسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا، وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر، بذلوا أنفسهم لله"[10].

قال أبو الليث:" قال بعض الحكماء: إن سحرة فرعون كانوا كفروا خمسين سنة فغفر لهم بإقرار واحد وبسجدة فكيف بالذي أقر وسجد خمسين سنة كيف لا يرجو رحمته ومغفرته؟"[11].

قوله تعالى:{قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء : ٤٧]، أي:"قال السحرة: صدقنا واعترفنا برب العالمين"[12].

قال الطبري:" يقولون: صدقنا بما جاءنا به موسى، وأنّ الذي علينا عبادته، هو الذي يملك الجنّ والإنس وجميع الأشياء، وغير ذلك، ويدبر ذلك كله"[13].

قال الزجاج:" فسلموا الأمر لله وتبين لهم ما لا يدفع"[14].

قال ابن عباس:" فلما عرف السحرة ذلك قالوا: لو كان هذا سحرا لم يبلغ من سحرنا كل هذا ولكن هذا أمر من الله آمنا بالله وبما جاء به موسى ونتوب إلى الله مما كنا عليه"[15].

قال ابن عطية:" لما رأى السحرة من عظيم القدرة وما تيقنوا به نبوة موسى آمنوا بقلوبهم وانضاف إلى ذلك الاستهوال والاستعظام والفزع من قدرة الله تعالى فخروا سجدا لله تعالى متطارحين وآمنوا نطقا بألسنتهم"[1].

---

(١) تفسير السمعاني:٢٠٥/٢.
(٢) الكشاف:٣١٣/٣.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٨١٠):ص١٥٣٦/٥.
(٤) أخرجه الطبري(١٤٩٥٤):ص٣٢/١٣.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٣٣):ص٢٧٦٥/٨.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٧٦٥/٨. بدون سند.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٣٤):ص٢٧٦٥/٨.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٣٥):ص٢٧٦٥/٨.
(٩) حكاه عنه الزمخشري، انظر: الكشاف:١٤١/٢، وابو حيان في البحر:١٣٩/٥.
(١٠) حكاه عنه الزمخشري، انظر: الكشاف:١٤١/٢، وابو حيان في البحر:١٣٩/٥.
(١١) بحر العلوم:٥٤١/١.
(١٢) التفسير المنير للزحيلي:١٥١/١٩.
(١٣) تفسير الطبري:٣٢/١٣.
(١٤) معاني القرآن:٩٠/٤.
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٤٠):ص٢٧٦٦.

قوله تعالى:{رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ} [الشعراء : ٤٨]، أي:" وهو رب موسى وهارون"(٢).

قال الطبري: أي:" لا فرعون"(٣).

قال الخازن:" وإنما قالوا: {رب موسى وهارون}، لأن فرعون كان يدعي الربوبية فأرادوا عزله"(٤).

قال البيضاوي:" إبدال للتوضيح ودفع التوهم والإشعار على أن الموجب لإيمانهم ما أجراه على أيديهما"(٥).

قال الماتريدي:" قال بعض أهل التأويل: إنهم لما قالوا: آمنا برب العالمين، قال لهم فرعون: إياي تعنون، فعند ذلك قالوا: لا، ولكن رب موسى وهارون، ولكن لا ندري هذا، وموسى أول ما جاء فرعون ودعاه إلى دينه قال له: {إني رسول من رب العالمينؤ، فلا يحتمل أن يشكل عليه قولهم: {آمنا برب العالمين} وإنهم إياه عنوا بذلك، وجائز أن يكون آمنا برب الذي أرسل موسى وهارون رسولا"(٦).

قال الشوكاني:" وإنما قالوا هذه المقالة وصرحوا بأنهم آمنوا برب العالمين، ثم لم يكتفوا بذلك حتى قالوا: {رب موسى وهارون}، لئلا يتوهم متوهم من قوم فرعون المقرين بإلهيته أن السجود له"(٧).

قال ابن عطية:" هارون أخو موسى أسن منه بثلاث سنين"(٨).

قال ابن عباس:" لما رأت السحرة ما رأت، عرفت أن ذلك أمر من السماء وليس بسحر، فخروا سجدًا، وقالوا: {آمنا برب العالمين* رب موسى وهارون}"(٩).

قال قتادة:" ذكر لنا أن السحرة قالوا حين اجتمعوا إن يكن ما جاء به موسى سحرا فلن نغلب وإن يكن من الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه تلقفت ما أفكوا من سحرهم وجاءوا به من حبالهم وعصيهم علموا أنه من الله فألقى السحرة عند ذلك اجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون"(١٠).

قال محمد بن إسحاق:" وكان من رؤوس السحرة الذي جمع فرعون لموسى فيما بلغني سابور، وعاذور، وحصحط، ومصفى أربعة هم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من سلطان الله فآمنت معهم السحرة جميعا"(١١).

القرآن

{قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩)} [الشعراء : ٤٩]

التفسير:

قال فرعون للسحرة مستنكرًا: آمنتم لموسى بغير إذن مني، وقال موهمًا أنَّ فِعْل موسى سحر: إنه لكبيركم الذي علَّمكم السحر، فلسوف تعلمون ما ينزل بكم من عقاب: لأقطعنَّ أيديكم وأرجلكم من خلاف: بقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أو عكس ذلك، ولأصلبنَّكم أجمعين.

---

(١) المحرر الوجيز:٤٤٠/٢.
(٢) التفسير الميسر:١٦٥.
(٣) تفسير الطبري:٣٢/١٣.
(٤) تفسير الخازن:٣٢٥/٣.
(٥) تفسير البيضاوي:١٣٨/٤.
(٦) تأويلات أهل السنة:٥٣١/٤.
(٧) فتح القدير:٢٦٥/٢.
(٨) المحرر الوجيز:٤٤٠/٢.
(٩) أخرجه الطبري(١٤٩٥٤):ص٣٢/١٣.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٤١):ص٢٧٦٦.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٤٢):ص٢٧٦٦/٨.

قوله تعالى:{قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ} [الشعراء : ٤٩]، أي:" قال فرعون للسحرة مستنكرًا: آمنتم لموسى بغير إذن مني"[١].

قال الطبري:" قال فرعون للذين كانوا سحرته فآمنوا: آمنتم لموسى بأن ما جاء به حق قبل أن آذن لكم في الإيمان به"[٢].

قال ابن كثير:أي:" كان ينبغي أن تستأذنوني فيما فعلتم ، ولا تفتاتوا عليَّ في ذلك ، فإن أذنت لكم فعلتم ، وإن منعتكم امتنعتم ، فإني أنا الحاكم المطاع"[٣].

قوله تعالى:{إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ} [الشعراء : ٤٩]، أي:" إن موسى لرئيسكم في السحر، وهو الذي علمكموه، ولذلك آمنتم به"[٤].

قال ابن كثير:" وهذه مكابرة يعلم كل أحد بُطلانها ، فإنهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم ، فكيف يكون كبيرهم الذي أفادهم صناعة السحر ؟ هذا لا يقوله عاقل"[٥].

قال محمد بن إسحاق:" أي: إنه لعظيم السحار الذي علمكم السحر"[٦].

قال قتادة:" يعنى بكبيرهم موسى- ﷺ-"[٧].

قوله تعالى:{فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} [الشعراء : ٤٩]، أي:" فلسوف تعلمون ما ينزل بكم من عقاب"[٨].

قال ابن كثير:" أي : ما أصنع بكم"[٩].

قال الزمخشري:" أى: وبال ما فعلتم"[١٠].

قال الطبري:أي:" عند عقابي إياكم وبال ما فعلتم، وخطأ ما صنعتم من الإيمان به"[١١].

قال الخازن:الآية" فيه وعيد مطلق وتهديد شديد"[١٢].

قوله تعالى:{لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ} [الشعراء : ٤٩]، أي:" لأقطعنَّ أيديكم وأرجلكم -أيها السحرة- من خلاف: بقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، أو اليد اليسرى والرجل اليمنى"[١٣].

قال الطبري:" وذلك أن يقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى، أو يقطع يده اليسرى ورجله اليمنى، فيخالف بين العضوين في القَطْع، فمخالفته في ذلك بينهما هو «القطع من خلاف»، ويقال: إن أوّل من سن هذا القطع فرعون"[١٤].

قال ابن كثير:" يعني : يقطع يد الرّجُل اليمنى ورجْله اليسرى أو بالعكس"[١٥].

قال ابن عباس:" أوّل من صلّب، وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف، فرعون"[١٦].

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٩.
(٢) تفسير الطبري:٣٤٨/١٩.
(٣) تفسير ابن كثير:١٤١/٦.
(٤) تفسير الطبري:٣٤٨/١٩.
(٥) تفسير ابن كثير:١٤١/٦.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٤٥):ص:٢٧٦٧/٨.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٤٤):ص:٢٧٦٧/٨.
(٨) التفسير الميسر:٣٦٩.
(٩) تفسير ابن كثير:٤٥٩/٣.
(١٠) الكشاف:٣١٣/٣.
(١١) تفسير الطبري:٣٤٨/١٩.
(١٢) تفسير الخازن:٣٢٥/٣.
(١٣) التفسير الميسر:١٦٥.
(١٤) تفسير الطبري:٣٤/١٣.
(١٥) تفسير ابن كثير:٤٥٩/٣.
(١٦) أخرجه الطبري(١٤٩٥٦):ص٣٤/١٣.

قوله تعالى:{وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ} [الشعراء : ٤٩]، أي:" ثم لأعلقنَّكم جميعًا على جذوع النخل؛ تنكيلا بكم وإرهابًا للناس"(١).

قال المراغي:أي:" ثم لأصلبنكم أجمعين بعد ذلك"(٢).

قال الطبري:" وإنما قال هذا فرعون، لما رأى من خذلان الله إياه، وغلبة موسى عليه السلام وقهره له"(٣).

فوائد الآيات:[٤٣-٤٩]:

١-لم يبادر موسى بإلقاء عصاه أولاً لأن المسألة مسألة علم لا مسألة حرب ففي الحرب تنفع المبادرة بافتكاك زمام المعركة، وأما في العلم فيحسن تقديم الخصم، فإذا أظهر ما عنده كر عليه بالحجج والبراهين فأبطله وظهر الحق وانتصر على الباطل، هذا الأسلوب الذي اتبع موسى بإلهام من ربه تعالى.

٢- مظهر من مظاهر الهداية الإلهية هداية السحرة إذ هم في أول النهار سحرة كفرة وفي آخره مؤمنون بررة.

٣- ما سلكه فرعون مع السحرة كله من باب المناورات السياسية الفاشلة.

القرآن

{قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (٥١)} [الشعراء : ٥٠ - ٥١]

التفسير:

قال السحرة لفرعون: لا ضرر علينا فيما يلحقنا من عقاب الدنيا، إنا راجعون إلى ربنا فيعطينا النعيم المقيم. إنا نرجو أن يغفر لنا ربنا خطايانا من الشرك وغيره؛ لكوننا أول المؤمنين في قومك.

قوله تعالى:{قَالُوا لَا ضَيْرَ} [الشعراء : ٥٠]، أي:" قال السحرة لفرعون: لا ضرر علينا فيما يلحقنا من عقاب الدنيا"(٤).

قال الطبري:" معناه: لا ضرر"(٥).

قال ابن كثير:" أي : لا حرج ولا يضرنا ذلك ولا نبالي به"(٦).

قال ابن زيد:" يقول: لا يضرنا الذي تقول، وإن صنعته بنا وصلبتنا"(٧).

قوله تعالى:{إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ} [الشعراء : ٥٠]، أي:" إنا راجعون إلى ربنا فيعطينا النعيم المقيم"(٨).

قال سعيد بن جبير:" يعني: إنا إلى ربنا راجعون"(٩).

قال مقاتل:" يعني: لراجعون إلى الآخرة"(١٠).

قال الطبري:" يقول: إنا إلى ربنا راجعون، وهو مجازينا بصبرنا على عقوبتك إيانا، وثباتنا على توحيده، والبراءة من الكفر به"(١١).

---

(١) التفسير الميسر:١٦٥.
(٢) تفسير المراغي:٦٢/١٩.
(٣) تفسير الطبري:٣٤/١٣.
(٤) التفسير الميسر: ٣٦٩.
(٥) تفسير الطبري:٣٤٩/١٩.
(٦) تفسير ابن كثير:١٤١/٦.
(٧) أخرجه الطبري:٣٤٩/١٩.
(٨) التفسير الميسر: ٣٦٩.
(٩) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٤٧):ص٢٧٦٧/٨.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٦٤/٣.
(١١) تفسير الطبري:٣٤٩/١٩.

قال ابن كثير:" أي : المرجع إلى الله ، وهو لا يضيع أجر مَنْ أحسن عملا ولا يخفى عليه ما فعلت بنا ، وسيجزينا على ذلك أتم الجزاء "[١].

وقال ابن كثير:" أي : قد تحققنا أنا إليه راجعون ، وعذابه أشد من عذابك ، ونكاله ما تدعونا إليه ، وما أكرهتنا عليه من السحر ، أعظم من نكالك ، فلنصبرن اليوم على عذابك لنخلص من عذاب الله "[٢].

قوله تعالى:{إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء : ٥١]، أي:" إنا نرجو أن يغفر لنا ربنا خطايانا من الشرك وغيره؛ لكوننا أول المؤمنين في قومك"[٣].

قال ابن كثير:" أي : ما قارفناه من الذنوب ، وما أكرهتنا عليه من السحر "[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل السحرة: إنا نطمع: إنا نرجو أن يصفع لنا ربنا عن خطايانا التي سلفت منا قبل إيماننا به، فلا يعاقبنا بها"[٥].

عن ابن زيد، قوله :"{إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا}، قال: السحر والكفر الذي كانوا فيه"[٦].

قوله تعالى:{أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء : ٥١]، أي:" لكوننا أول المؤمنين في قومك"[٧].

قال الفراء:" يقولون: أول مؤمني أهل زماننا"[٨].

قال ابن كثير:" أي : بسبب أنا بادرنا قومنا من القبط إلى الإيمان. فقتلهم كلهم"[٩].

قال الطبري:" لأن كنا أول من آمن بموسى وصدقه بما جاء به من توحيد الله وتكذيب فرعون في ادعائه الربوبية في دهرنا هذا وزماننا"[١٠].

قال ابن زيد:" كانوا كذلك يومئذ أول من آمن بآياته حين رأوها"[١١].

القرآن

{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٥٢)} [الشعراء : ٥٢]

التفسير:

وأوحى الله إلى موسى عليه السلام: أَنْ سِرْ ليلا بمن آمن من بني إسرائيل؛ لأن فرعون وجنوده متبعوكم حتى لا يدركوكم قبل وصولكم إلى البحر.

قوله تعالى:{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي} [الشعراء : ٥٢]، أي:" وأوحى الله إلى موسى عليه السلام: أَنْ سِرْ ليلا بمن آمن من بني إسرائيل"[١٢].

قال الطبري:" يقول: وأوحينا إلى موسى إذ تمادى فرعون في غيه وأبى إلا الثبات على طغيانه بعد ما أريناه آياتنا: أن سر ببني إسرائيل ليلا من أرض مصر"[١٣].

قال ابن عباس:" فلما طال مكث موسى لمواعيد فرعون الكاذبة أمر موسى بالخروج بقومه فخرج بهم ليلا"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير:١٤١/٦.
(٢) تفسير ابن كثير:٤٥٩/٣.
(٣) التفسير الميسر: ٣٦٩.
(٤) تفسير ابن كثير:١٤١/٦.
(٥) تفسير الطبري:٣٤٩/١٩.
(٦) أخرجه الطبري:٣٤٩/١٩.
(٧) التفسير الميسر: ٣٦٩.
(٨) معاني القرآن:٢٨٠/٢.
(٩) تفسير ابن كثير:١٤١/٦.
(١٠) تفسير الطبري:٣٤٩/١٩.
(١١) أخرجه الطبري:٣٤٩/١٩.
(١٢) التفسير الميسر: ٣٦٩.
(١٣) تفسير الطبري:٣٥٠/١٩.

قال ابن كثير:" لما طال مُقام موسى ، عليه السلام ، ببلاد مصر ، وأقام بها حُجَج الله وبراهينه على فرعون وملئه ، وهم مع ذلك يكابرون ويعاندون ، لم يبق لهم إلا العذاب والنكال ، فأمر الله موسى ، عليه السلام ، أن يخرج ببني إسرائيل ليلا من مصر ، وأن يمضي بهم حيث يؤُمَر ، ففعل موسى ، عليه السلام ، ما أمره به ربه عز وجل. خرج بهم بعدما استعاروا من قوم فرعون حليا كثيرا ، وكان خروجه بهم ، فيما ذكر غير واحد من المفسرين ، وقت طلوع القمر. وذكر مجاهد ، رحمه الله ، أنه كُسِف القمر تلك الليلة ، فالله أعلم ، وأن موسى ، عليه السلام ، سأل عن قبر يوسف ، عليه السلام ، فدلته امرأة عجوز من بني إسرائيل عليه ، فاحتمل تابوته معهم ، ويقال : إنه هو الذي حمله بنفسه ، عليهما السلام ، وكان يوسف قد أوصى بذلك إذا خرج بنو إسرائيل أن يحملوه معهم ، وقد ورد في ذلك حديث رواه ابن أبي حاتم ، رحمه الله ، فقال : حدَّثنا علي بن الحسين ...عن أبي موسى قال : «نزل رسول الله ﷺ بأعرابي فأكرمه ، فقال له رسول الله ﷺ : تعاهدنا. فأتاه الأعرابي فقال له رسول الله ﷺ : "ما حاجتك ؟" قال ناقة برحلها وأعنز يحتلبها أهلي ، فقال : "أعجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل ؟" فقال له أصحابه : وما عجوز بني إسرائيل يا رسول الله ؟ قال : "إن موسى لما أراد أن يسير ببني إسرائيل أضل الطريق ، فقال لبني إسرائيل : ما هذا ؟ فقال له علماء بني إسرائيل : نحن نحِّدثك أن يوسف عليه السلام لما حضره الموت أخذ علينا موثقًا من الله ألا نخرج من مصر حتى ننقل تابوته معنا ، فقال لهم موسى : فأيكم يدري أين قبر يوسف ؟ قالوا : ما يعلمه إلا عجوز لبني إسرائيل. فأرسل إليها فقال لها : دليني على قبر يوسف. فقالت : والله لا أفعل حتى تعطيني حكمي. قال لها : وما حكمك ؟ قالت: حكمي أن أكون معك في الجنة. فكأنه ثقل عليه ذلك ، فقيل له : أعطها حكمها. قال : فانطلقت معهم إلى بحيرة - مستنقع ماء - فقالت لهم : أنضبوا هذا الماء. فلما أنضبوه قالت : احتفروا ، فلما احتفروا استخرجوا قبر يوسف ، فلما احتملوه إذا الطريق مثل ضوء النهار »[٢]"[٣].

ثم قال قال ابن كثير: "هذا حديث غريب جدًا ، والأقرب أنه موقوف ، والله أعلم "[٤].

وقرئ: «أسر»، بقطع الهمزة ووصلها[٥].

قوله تعالى:{إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ} [الشعراء : ٥٢]، أي:" لأن فرعون وجنوده متبعوكم"[٦].

قال يحيى:" أي: يتبعكم فرعون وقومه"[٧].

قال الطبري:يقول:" إن فرعون وجنده متبعوك وقومك من بني إسرائيل، ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرضهم، أرض مصر"[٨].

قال الزمخشري:" علل الأمر بالإسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم. والمعنى: أنى بنيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا ويتبعوكم، حتى يدخلوا مدخلكم، ويسلكوا مسلككم من طريق البحر، فأطبقه عليهم فأهلكهم"[٩].

القرآن

{فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣)} [الشعراء : ٥٣]

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٤٩):ص٢٧٦٨/٨.

(٢)ورواه أبو يعلى في مسنده (٢٣٦/١٣) وابن حبان في صحيحه برقم (٢٤٣٥) "موارد" ، والحاكم في المستدرك (٥٧١/٢) من طريق محمد بن فضيل ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي بردة عن أبي موسى به. وقال الهيثمي في المجمع (١٧٠/١٠) : "رجال أبي يعلى رجال الصحيح".

(٣) تفسير ابن كثير:١٤٢/٦.

(٤) تفسير ابن كثير:١٤٣/٦.

(٥) انظر: الكشاف:٣١٤/٣.

(٦) التفسير الميسر: ٣٦٩.

(٧) تفسير يحيى لبن سلام:٥٠٣/٢.

(٨) تفسير الطبري:٣٥٠/١٩.

(٩) الكشاف:٣١٤/٣.

التفسير:
فأرسل فرعون جنده -حين بلغه مسير بني إسرائيل- يجمعون جيشه من مدائن مملكته.
قال الطبري:يقول:" فأرسل فرعون في المدائن يحشر له جنده وقومه"(١).
قال الزجاج:" أي: أرسل من جمع له الجيش، معناه: فجمع جمعه"(٢).
قال ابن كثير:" فلما أصبحوا وليس في ناديهم داع ولا مجيب ، غاظ ذلك فرعون واشتد غضبه على بني إسرائيل ؛ لما يريد الله به من الدمار ، فأرسل سريعا في بلاده حاشرين ، أي : مَنْ يحشر الجندَ ويجمعه ، كالنّقباء والحُجَّاب"(٣).

القرآن
{إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (٥٦)} [الشعراء : ٥٤ - ٥٦]
التفسير:
قال فرعون: إن بني إسرائيل الذين فرُّوا مع موسى لَطائفة حقيرة قليلة العدد، وإنهم لمالئون صدورنا غيظًا؛ حيث خالفوا ديننا، وخرجوا بغير إذننا، وإنا لجميع متيقظون مستعدون لهم.
قوله تعالى:{إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ} [الشعراء : ٥٤]، أي:" قال فرعون: إن بني إسرائيل الذين فرُّوا مع موسى لَطائفة حقيرة قليلة العدد"(٤).
قال ابن كثير:" نادى فيهم : {إِنَّ هَؤُلاءِ} - يعني : بني إسرائيل - { لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ } أي : لطائفة قليلة"(٥).
قال الفراء:" يقول عصبة قليلة"(٦).
قال أبو عبيدة:" أي: طائفة. وكل بقية قليلة فهى: شرذمة"(٧).
قال الزجاج:" الشرذمة في كلام العرب: القليل"(٨).
قال الطبري:يقول:" ويقول فرعون لجنده وقومه: {إن هؤلاء} يعني بهؤلاء: بني إسرائيل {لشرذمة قليلون}، يعني بالشرذمة: الطائفة والعصبة الباقية من عصب جبيرة، وشرذمة كل شيء: بقيته القليلة؛ ومنه قول الراجز(٩):
جاء الشتاء وقميصي أخلاق ... شراذم يضحك منه التواق
وقيل: قليلون، لأن كل جماعة منهم كان يلزمها معنى القلة؛ فلما جمع جمع جماعاتهم قيل: قليلون، كما قال الكميت(١٠):
فرد قواصي الأحياء منهم ... فقد صاروا كحي واحدينا "(١١).
قال الزمخشري:" يجوز أن يريد بالقلة: الذلة والقماءة، ولا يريد قلة العدد. والمعنى: أنهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم"(١٢).
عن السدي، قوله: "{إن هؤلاء لشرذمة قليلون}، يعني: بني إسرائيل"(١٣).

---

(١) تفسير الطبري:٣٥٠/١٩.
(٢) معاني القرآن:٩١/٤.
(٣) تفسير ابن كثير:١٤٣/٦.
(٤) التفسير الميسر:٣٦٩.
(٥) تفسير ابن كثير:١٤٣/٦.
(٦) معاني القرآن:٢٨٠/٢.
(٧) مجاز القرآن:٨٦/٢.
(٨) معاني القرآن:٩١/٤.
(٩)البيت في (اللسان: خلق) منسوب لراجز.
(١٠)البيت للكميت (اللسان: وحد).
(١١) تفسير الطبري:٣٥٠/١٩.
(١٢) الكشاف:٣١٥/٣.
(١٣) أخرجه الطبري:٣٥٢/١٩.

قال مجاهد:" هم يومئذ ست مئة ألف، ولا يحصى عدد أصحاب فرعون"(١).
قال أبو عبيدة:" كانوا ست مئة وسبعين ألفا"(٢).
قال ابن عباس:" كان مع فرعون يومئذ ألف جبار، كلهم عليه تاج، وكلهم أمير على خيل"(٣).
قال عبد الله بن شداد بن الهاد: "اجتمع يعقوب وولده إلى يوسف، وهم اثنان وسبعون، وخرجوا مع موسى وهم ست مئة ألف، فقال فرعون {إن هؤلاء لشرذمة قليلون}، وخرج فرعون على فرس أدهم حصان على لون فرسه في عسكره ثمان مئة ألف"(٤).
عن يحيى بن عروة بن الزبير، "إن الله عز وجل أمر موسى بالسير ببني إسرائيل وقد كان موسى وعد بني إسرائيل أن يسير بهم إذا طلع القمر فدعا ربه أن يؤخر طلوعه حتى يفرغ، فلما سار موسى ببني إسرائيل أذن فرعون في الناس إن هؤلاء لشرذمة قليلون"(٥).
عن قيس بن عباد: "أن الشرذمة الذين سماهم فرعون من بني إسرائيل كانوا ست مئة ألف، قال: وكان مقدمة فرعون سبعة مئة ألف، كل رجل منهم على حصان على رأسه بيضة، وفي يده حربة، وهو خلفهم في الدهم. فلما انتهى موسى ببني إسرائيل إلى البحر، قالت بنو إسرائيل. يا موسى أين ما وعدتنا، هذا البحر بين أيدينا، وهذا فرعون وجنوده قد دهمنا من خلفنا، فقال موسى للبحر: انفلق أبا خالد، قال: لا لن أنفلق لك يا موسى، أنا أقدم منك خلقا؛ قال: فنودي أن أضرب بعصاك البحر، فضربه، فانفلق البحر، وكانوا اثني عسر سبطا. قال الجريري. فأحسبه قال: إنه كان لكل سبط طريق، قال: فلما انتهى أول جنود فرعون إلى البحر، هابت الخيل اللهب؛ قال: ومثل لحصان منها فرس وديق، فوجد ريحها فاشتد، فاتبعه الخيل؛ قال: فلما تتام آخر جنود فرعون في البحر، وخرج آخر بني إسرائيل، أمر البحر فانصفق عليهم، فقالت بنو إسرائيل: ما مات فرعون وما كان ليموت أبدا، فسمع الله تكذيبهم نبيه عليه السلام، قال: فرمى به على الساحل، كأنه ثور أحمر يتراءاه بنو إسرائيل"(٦).
قال ابن جريج:" أوحى الله إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل، كل أربعة أبيات في بيت، ثم اذبحوا أولاد الضأن، فاضربوا بدمائها على الأبواب، فإني سآمر الملائكة أن لا تدخل بيتا على بابه دم، وسآمرهم بقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم، ثم اخبزوا خبزا فطيرا، فإنه أسرع لكم، ثم أسر بعبادي حتى تنتهي للبحر، فيأتيك أمري، ففعل؛ فلما أصبحوا قال فرعون: هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأموالنا، فأرسل في أثرهم ألف ألف وخمس مئة ألف وخمس مئة ملك مسور، مع كل ملك ألف رجل، وخرج فرعون في الكرش العظمى، وقال {إن هؤلاء لشرذمة قليلون}، قال: قطعة، وكانوا ست مئة ألف، مئتا ألف منهم أبناء عشرين سنة إلى أربعين"(٧).
قوله تعالى:{وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ} [الشعراء : ٥٥]، أي:" وإنهم لمالئون صدورنا غيظًا؛ حيث خالفوا ديننا، وخرجوا بغير إذننا"(٨).
قال ابن كثير:" أي : كل وقت يصل لنا منهم ما يغيظنا "(٩).
قال الطبري:" يقول: وإن هؤلاء الشرذمة لنا لغائظون، فذكر أن غيظهم إياهم كان قتل الملائكة من قتلت من أبكارهم، وقد يحتمل أن يكون معناه: وإنهم لنا لغائظون بذهابهم منهم

---

(١) أخرجه الطبري:٣٥٢/١٩.
(٢) أخرجه الطبري:٣٥١/١٩.
(٣) أخرجه الطبري:٣٥٢/١٩.
(٤) أخرجه الطبري:٣٥١/١٩.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٥١):ص٢٧٦٨/٨.
(٦) أخرجه الطبري:٣٥١/١٩.
(٧) أخرجه الطبري:٣٥٢/١٩.
(٨) التفسير الميسر:٣٦٩.
(٩) تفسير ابن كثير:١٤٣/٦.

بالعواري التي كانوا استعاروها منهم من الحلي، ويحتمل أن يكون ذلك بفراقهم إياهم، وخروجهم من أرضهم بكره لهم لذلك"[١].

قال ابن جريج:" يقول: بقتلهم أبكارنا من أنفسنا وأموالنا"[٢].

قال الزمخشري:أي:"ولكنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا"[٣].

قال الزجاج:" يقال: قد غاظني فلان، ومن قال: أغاظني فقد لحن"[٤].

قوله تعالى:{وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ} [الشعراء : ٥٦]، أي:" وإنا لجميع متيقظون مستعدون لهم"[٥].

قال الطبري: معناه" أنهم معدون مؤدون ذوو أداة وقوة وسلاح"[٦].

قال ابن كثير:" أي : نحن كل وقت نحذر من غائلتهم ، وإني أريد أن أستأصل شأفتهم ، وأبيد خضراءهم. فجوزي في نفسه وجنده بما أراد لهم"[٧].

قال الزمخشري:أي:" ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور، فإذا خرج علينا خارج، سارعنا إلى حسم فساده، وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن، لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه"[٨].

عن ابن عباس في قوله: وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ}، قال:" مؤدون مقوون"[٩].

عن أبي إسحاق، قال: "سمعت الأسود بن زيد يقرأ: {وإنا لجميع حاذرون}، قال: مقوون مؤدون"[١٠].

عن الضحاك بن مزاحم أنه كان يقرأ: "{وإنا لجميع حاذرون}، يقول: مؤدون"[١١].

قال السدي:" يقول: حذرنا، قال: جمعنا أمرنا"[١٢].

قال ابن جريج:" مؤدون معدون في السلاح والكراع"[١٣].

قال محمد بن قيس: "كان مع فرعون ست مئة ألف حصان أدهم سوى ألوان الخيل"[١٤].

قال الزجاج:" جاء في التفسير أن معنى حاذرون، مؤدون. أي: ذوو أداة، أي ذوو سلاح والسلاح أداة الحرب، فالحاذر المستعذ، والحذر المتيقظ"[١٥].

وقرئ:« وأنا لجميع حذرون»، بغير ألف[١٦].

القرآن

{فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩)} [الشعراء : ٥٧ - ٥٩]

التفسير:

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٣٥٢-٣٥٣.
(٢) أخرجه الطبري:١٩/٣٥٢.
(٣) الكشاف:٣/٣١٥.
(٤) معاني القرآن:٤/٩٢.
(٥) التفسير الميسر:٣٦٩.
(٦) تفسير الطبري:١٩/٣٥٣.
(٧) تفسير ابن كثير:٦/١٤٣.
(٨) الكشاف:٣/٣١٥.
(٩) أخرجه الطبري:١٩/٣٥٤.
(١٠) أخرجه الطبري:١٩/٣٥٣.
(١١) أخرجه الطبري:١٩/٣٥٣.
(١٢) أخرجه الطبري:١٩/٣٥٤.
(١٣) أخرجه الطبري:١٩/٣٥٤.
(١٤) أخرجه الطبري:١٩/٣٥٤.
(١٥) معاني القرآن:٤/٩٢.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:١٩/٣٥٣.

فأخرج الله فرعون وقومه من أرض «مصر» ذات البساتين وعيون الماء وخزائن المال والمنازل الحسان. وكما أخرجناهم، جعلنا هذه الديار من بعدهم لبني إسرائيل.

قوله تعالى:{فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ} [الشعراء : ٥٧-٥٨]، أي:" فأخرج الله فرعون وقومه من أرض «مصر» ذات البساتين وعيون الماء وخزائن المال والمنازل الحسان"[١].

قال ابن كثير:" أي : فخرجوا من هذا النعيم إلى الجحيم ، وتركوا تلك المنازل العالية والبساتين والأنهار والأموال والأرزاق والملك والجاه الوافر في الدنيا "[٢].

قال الطبري: يقول:" فأخرجنا فرعون وقومه من بساتين وعيون ماء، وكنوز ذهب وفضة، ومقام كريم. قيل: إن ذلك المقام الكريم: المنابر"[٣].

قال السمعاني:" في القصة: أن البساتين كانت ممتدة على حافتي النيل من أعلاه إلى آخره.. وقوله: {وكنوز} أي: كنوز الأموال، وفي بعض القصص: أنه كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام، كل غلام على فرس من عتيق، في عنق كل فرس طوق من ذهب، وقوله: {ومقام كريم} أي: منازل حسان، وقد قيل: إن المقام الكريم هو المنابر، وكان بمصر ألف منبر في ذلك الوقت، وقيل: {ومقام كريم} أي: مجلس الأشراف، وذكر بعضهم: أنه كان إذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلاثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الأشراف، عليهم أقبية الديباج مخوصة بالذهب "[٤].

عن عبد الله بن عمرو قال: " نيل مصر سيد الأنهار سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب وذلله له فإذا أراد الله أن يجري نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فمدته الأنهار بمائها وفجر الله له من الأرض عيونا فإذا انتهى جريه إلى ما أراد الله أوحى الله إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره"[٥].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} [الشعراء : ٥٧]، أي:" وكما أخرجناهم، جعلنا هذه الديار من بعدهم لبني إسرائيل"[٦].

قال الطبري: " يقول: هكذا أخرجناهم من ذلك كما وصفت لكم في هذه الآية والتي قبلها، وأورثنا تلك الجنات التي أخرجناهم منها والعيون والكنوز والمقام الكريم عنهم بهلاكهم بني إسرائيل"[٧].

قال ابن كثير:" { كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ } ، كما قال تعالى : { وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ } [الأعراف : ١٣٧] ، وقال تعالى : { وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ } [القصص : ٥ ، ٦]"[٨].

القرآن

{فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (٦٠)} [الشعراء : ٦٠]

التفسير:

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٩.
(٢) تفسير ابن كثير:١٤٣/٦.
(٣) تفسير الطبري:٣٥٤/١٩.
(٤) تفسير السمعاني:٤٨/٤.
(٥) أخرجه النحاس في معاني القرآن:٨١/٥،و انظر: تفسير ابن كثير:٢٣٢/٧.
(٦) التفسير الميسر:٣٦٩.
(٧) تفسير الطبري:٣٥٤/١٩.
(٨) تفسير ابن كثير:١٤٣/٦.

فلحق فرعون وجنده موسى ومَن معه وقت شروق الشمس.

قال قتادة:" أتبع فرعون وجنوده موسى حين أشرقت الأرض"(١).

قال الطبري: " فأتبع فرعون وأصحابه بني إسرائيل، مشرقين حين أشرقت الشمس، وقيل حين أصبحوا"(٢).

قال الزجاج:" أي: في وقت شروق الشمس، يقال أشرقنا أي دخلنا في وقت طلوع الشمس، ويقال شرقت الشمس إذا طلعت، وأشرقت إذا أضاءت وصفت، وأشرقنا نحن دخلنا في الشروق"(٣).

قال ابن كثير:" أي : وصلوا إليهم عند شروق الشمس ، وهو طلوعها"(٤).

قال ابن كثير:"ذكر غير واحد من المفسرين : أن فرعون خرج في جحفل عظيم وجمع كبير، وهو عبارة عن مملكة الديار المصرية في زمانه ، أولي الحل والعقد والدول ، من الأمراء والوزراء والكبراء والرؤساء والجنود ، فأمَّا ما ذكره غير واحد من الإسرائيليات ، من أنه خرج في ألف ألف وستمائة ألف فارس ، منها مائة ألف على خيل دُهْم ، وقال كعب الأحبار : فيهم ثمانمائة ألف حصان أدهم ، ففي ذلك نظر. والظاهر أنه من مجازفات بني إسرائيل ، والله ، سبحانه وتعالى ، أعلم. والذي أخبر به هو النافع ، ولم يعين عدتهم ؛ إذ لا فائدة تحته ، إلا أنهم خرجوا بأجمعهم"(٥).

قال السدي:" خرج موسى ليلا فكسف القمر وأظلمت الأرض، وقال أصحابه: إن يوسف أخبرنا أنا سننجى من فرعون، وأخذ علينا العهد لنخرجن بعظامه معنا، فخرج موسى ليلته يسأل عن قبره، فوجد عجوزا بيتها على قبره، فأخرجته له بحكمها، وكان حكمها أو كلمة تشبه هذا، أن قالت: احملني فأخرجني معك، فجعل عظام يوسف في كسائه، ثم حمل العجوز على كسائه، فجعله على رقبته، وخيل فرعون هي ملء أعنتها حضرا في أعينهم، ولا تبرح، حبست عن موسى وأصحابه حتى تواروا"(٦).

فوائد الآيات:[٥٠-٦٠]:

١- قوة الإيمان مصدر شجاعة خارقة للعادة بحيث يفرح المؤمن بالموت لأنه يوصله إلى ربه.

٢- حسن الرجاء في الله والطمع في رحمته، وفضل الأسبقية في الخير.

٣- مشروعية التعبئة العامة واستعمال أسلوب خاص في الحرب يهديء من مخاوف الأمة حكومة وشعباً.

٤- دمار الظالمين وهلاك المسرفين في الكفر والشر والفساد.

القرآن

{فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١)} [الشعراء:٦١]

التفسير:

فلما رأى كل واحد من الفريقين الآخر قال أصحاب موسى: إنَّ جَمْعَ فرعون مُدْرِكنا ومهلكنا.

قوله تعالى:{فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ} [الشعراء:٦١]، أي:" فلما رأى كل واحد من الفريقين الآخر"(٧).

قال ابن كثير:" أي : رأى كل من الفريقين صاحبه"(٨).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٥٣):ص٢٧٦٩/٨.

(٢) تفسير الطبري:٣٥٤/١٩.

(٣) معاني القرآن:٩٢/٤.

(٤) تفسير ابن كثير:١٤٣/٦.

(٥) تفسير ابن كثير:١٤٣/٦.

(٦) اخرجه الطبري:٣٥٤/١٩-٣٥٥.

(٧) التفسير الميسر:٣٧٠.

(٨) تفسير ابن كثير:١٤٣/٦.

قال الزجاج:" أي لما واقف جمع موسى جمع فرعون، وكان أصحاب موسى قد خرجوا ليلا"(١).

روي عن المشيخة، قال: "لما لقي موسى فرعون، قال: أمر موسى يوشع بن نون وأصحابه أن يسودوا رؤوسهم ولحاهم"(٢).

قوله تعالى:{قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ} [الشعراء:٦١]، أي:" قال أصحاب موسى: إنَّ جَمْعَ فرعون مُدْرِكنا ومهلكنا"(٣).

قال الزجاج:" أي: سيدركنا جمع فرعون هذا الكثير، ولا طاقة لنا بهم"(٤).

قال ابن كثير:" وذلك أنه انتهى بهم السير إلى سيف البحر ، وهو بحر القلزم ، فصار أمامهم البحر ، وفرعون قد أدركهم بجنوده"(٥).

القرآن

{قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢)} [الشعراء:٦٢]

التفسير:

قال موسى لهم: كلا ليس الأمر كما ذكرتم فلن تُدْرَكوا؛ إن معي ربي بالنصر، سيهديني لما فيه نجاتي ونجاتكم.

قوله تعالى:{قَالَ كَلَّا} [الشعراء:٦٢]، أي:" قال موسى لهم: كلا ليس الأمر كما ذكرتم فلن تُدْرَكوا"(٦)

قال الزجاج:" قال موسى كلا أي ارتدعوا وازدجروا فليسوا يدركوننا"(٧).

قال ابن كثير:" أي : لا يصل إليكم شيء مما تحذرون"(٨).

قوله تعالى:{إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الشعراء:٦٢]، أي:" إن معي ربي بالنصر، سيهديني لما فيه نجاتي ونجاتكم"(٩).

قال ابن كثير: أي : "فإن الله - سبحانه - هو الذي أمرني أن أسير هاهنا بكم ، وهو لا يخلف الميعاد(١٠).

عن عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي: "قال أصحاب موسى: {إنا لمدركون}. قال: {كلا إن معي ربي سيهدين} إلى النجاة قد وعدني ذلك ولا خلف لموعده"(١١).

القرآن

{فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣)} [الشعراء:٦٣]

التفسير:

فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فضرب، فانفلق البحر إلى اثني عشر طريقًا بعدد قبائل بني إسرائيل، فكانت كل قطعة انفصلت من البحر كالجبل العظيم.

---

(١) معاني القرآن:٩٢/٤.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٦٣):ص٢٧٧١/٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٧٠.
(٤) معاني القرآن:٩٢/٤.
(٥) تفسير ابن كثير:١٤٣/٦.
(٦) التفسير الميسر:٣٧٠.
(٧) معاني القرآن:٩٢/٤.[بتصرف]
(٨) تفسير ابن كثير:١٤٣/٦-١٤٤
(٩) التفسير الميسر:٣٧٠.
(١٠) تفسير ابن كثير:١٤٣/٦-١٤٤
(١١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٦٢):ص٢٧٧١/٨.

قوله تعالى:{فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ} [الشعراء:٦٣]، أي:" أمرنا موسى بطريق الوحي أن يضرب البحر بعصاه"(١).

قال قيس بن عبادة :" لما انتهى موسى عليه السلام ببني إسرائيل إلى البحر، قالت بنوا إسرائيل: أين ما وعدتنا هذا البحر بين أيدينا وهذا فرعون وجنوده قد دهمنا من خلفنا. فقال موسى للبحر: انفرق أبا خالد. فقال: لن أنفرق لك يا موسى، أنا أقدم منك وأشد خلقا. قال: فنودي {أن اضرب بعصاك البحر}"(٢).

قال السدي:" فتقدم هارون فضرب البحر، فأبى البحر أن ينفتح، وقال: من هذا الجبار الذي يضربني؟ حتى أتاه موسى، فكناه: أبا خالد، وضربه فانفلق"(٣).

قال محمد بن إسحاق فأوحى الله عز وجل فيما ذكر لي إلى البحر أن إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له قال فبات البحر يضرب بعضه بعضا خوفا من الله انتظارا لما أمره الله وأوحى الله إلى موسى أن اضرب البحر، فضربه بها فيها سلطان الله الذي أعطاه فانفلق"(٤).

قوله تعالى:{فَانْفَلَقَ} [الشعراء:٦٣]، أي:" فضربه فانشق وانفلق"(٥).

قال ابن كثير:" كان هارون ، عليه السلام ، في المقدمة ، ومعه يوشع بن نون، ومؤمن آل فرعون وموسى ، عليه السلام ، في الساقة ، وقد ذكر غير واحد من المفسرين : أنهم وقفوا لا يدرون ما يصنعون ، وجعل يوشع بن نون، أو مؤمن آل فرعون يقول لموسى ، عليه السلام : يا نبي الله ، هاهنا أمرك الله أن تسير ؟ فيقول : نعم ، واقترب فرعون وجنوده ، ولم يبق إلا القليل ، فعند ذلك أمر الله نبيه موسى أن يضرب بعصاه البحر ، فضربه ، وقال : انفلق بإذن الله"(٦).

قال عن قيس بن عباد: "فضرب يعنى موسى البحر، فانفلق البحر"(٧).

قال أبو مسعود الجريري: "كانوا اثنا عشر سبطا فأحسب أنه كان لكل سبط طريق"(٨).

عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام:" : أن موسى ، عليه السلام ، لما انتهى إلى البحر قال : يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء ، والكائن قبل كل شيء ، اجعل لنا مخرجًا. فأوحى الله إليه : { أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ }"(٩).

قال ابن عباس:" خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث، وخرج موسى عليه السلام في بني إسرائيل في ستمائة ألف قال فرعون إن هؤلاء لشرذمة قليلون فلما بلغ موسى البحر واتبعه فرعون قال له فتاه أين تريد؟ وكان الله عز وجل أوحى إليه أن اضرب بعصاك البحر وأوحى الله إلى البحر أن موسى سيضربك فإذا ضربك فاسمع له وأطع فبات البحر تلك الليلة وله أفكل يعنى رعدة لا يدري من أي جوانبه يضرب موسى، فقال له فتاه يوشع بن نون: يا موسى أين أمرك ربك قال: أمرني أن أضرب البحر قال: فاضربه"(١٠).

قال ابن عباس:" وأوحى الله عز جل إلى البحر إذا ضربك عبدي فانفلق له اثنا عشر فرقا حتى يجوز موسى ومن معه ثم التقى على من بقي بعد من فرعون وأشياعه فنسي موسى أن يضرب البحر فدفع إلى البحر وله قصيف مخافة أن يضربه موسى بعصاه وهو غافل فيصير عاصيا له فلما تراءا الجمعان وتقاربا قال قوم موسى: إنا لمدركون افعل ما أمرك ربك فإنك لم

---

(١) صفوة التفاسير:٣٥١/٢.
(٢) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٦٨):ص٢٧٧٢/٨.
(٣) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٦٩):ص٢٧٧٢/٨.
(٤) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٧٠):ص٢٧٧٢/٨.
(٥) صفوة التفاسير:٣٥١/٢.
(٦) تفسير ابن كثير:١٤٤/٦.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٧٢):ص٢٧٧٣/٨.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٧٣):ص٢٧٧٣/٨.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٦٤):ص٢٧٧١/٨.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٦٥):ص٢٧٧١/٨.

تكذب ولم تكذب قال وعدني إذا انتهيت إلى البحر أن ينفرق لي حتى أجاوزه ثم ذكر بعد ذلك العصا فضرب البحر بالعصا حين دنى أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى فانفرق البحر كما أمر الله وكما وعد موسى ﷺ"(١).

قال عمرو بن ميمون :"لما انتهى موسى إلى البحر، قال له وصيه: يا نبي الله أين أمرت؟ قال: هاهنا. قال: والله ما كذبت ولا كذبت مرتين ثم إن موسى قال للبحر: أتعرفني فقال: لقد استكبرت يا موسى ما انفرقت لأحد من بني إسرائيل إلا لك فأوحى الله إليه: {اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم}"(٢).

قال سعيد بن جبير:" كان البحر ساكنا لا يتحرك فلما كان ليلة ضربه موسى بالعصا صار يمد ويزجر"(٣).

قوله تعالى:{فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ} [الشعراء:٦٣]، أي:" فكان كل جزء منه كالجبل الشامخ الثابت"(٤).

قال الزجاج:" أي: كل جزء تفرق منه كالجبل العظيم"(٥).

قال ابن عباس:" أوحى الله إلى موسى :{أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم}، قال: فضرب فصار اثنا عشر طريقا، وكانوا اثنا عشر سبط لكل سبط طريق"(٦).

عن ابن عباس، قوله: "{كالطود}، يقول: كالجبل"(٧). وروى عن عبد الله بن مسعود ومحمد بن كعب والضحاك وقتادة وعبد الله بن عبيد مثل ذلك(٨).

قال عطاء :" وأما {كالطود العظيم}: الفسح العظيم بين الجبلين"(٩).

عن السدي، "{فكان كل فرق كالطود العظيم}،يقول: كالجبل العظيم، فدخل بنوا إسرائيل وكان في البحر اثنا عشر طريقا في كل طريق سبط، وكانت الطرق إذا انفلقت بجدران فقال كل سبط: قد قتل أصحابنا فلما رأى ذلك موسى دعا الله عز وجل فجعلها لهم قناطر كهيئة الطيقان ينظر آخرهم إلى أولهم حتى خرجوا جميعا"(١٠).

قال محمد بن إسحاق: {فكان كل فرق كالطود العظيم}، أي: كالجبل العظيم، عن يبس من الأرض، يقول عز وجل لموسى: {فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى}، فلما أسفر له البحر، عن طريق قائمة يبس، سلك فيه موسى ببني إسرائيل وأتبعه فرعون بجنوده"(١١).

القرآن

{وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٦)} [الشعراء:٦٤-٦٦]

التفسير:

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٧١):ص٢٧٧٢/٨-٢٧٧٣.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٦٧):ص٢٧٧١/٨-٢٧٧٢.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٦٦):ص٢٧٧١/٨.
(٤) صفوة التفاسير:٣٥١/٢.
(٥) معاني القرآن:٩٢/٤.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٧٥):ص٢٧٧٣/٨.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٧٤):ص٢٧٧٣/٨.
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٧٧٣/٨. بدون سند.
(٩) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٧٨):ص٢٧٧٤/٨. أي:" الفَجّ بين الجبلين". انظر: تفسير ابن كثير:١٤٤/٦
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٧٦):ص٢٧٧٣/٨.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٧٧):ص٢٧٧٣/٨.

وقرَّبْنا هناك فرعون وقومه حتى دخلوا البحر، وأنجينا موسى ومَن معه أجمعين. فاستمر البحر على انفلاقه حتى عبروا إلى البر، ثم أغرقنا فرعون ومن معه بإطباق البحر عليهم بعد أن دخلوا فيه متبعين موسى وقومه.

قوله تعالى:{وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ} [الشعراء:٦٤]، أي:" وقرَّبْنا هناك فرعون وقومه حتى دخلوا البحر"[١].

قال أبو عبيدة:" أي: وجمعنا، ومنه ليلة المزدلفة، والحجة فيها أنها ليلة جمع وقال بعضهم وأهلكنا"[٢].

قال الزجاج:" أي: قربنا ثم الآخرين من الغرق، وهم أصحاب فرعون، وقال أبو عبيدة: {أزلفنا}: جمعنا ثم الآخرين[٣]. قال ومن ذلك سميت مزدلفة جمعا. وكلا القولين حسن جميل، لأن جمعهم تقريب بعضهم من بعض، وأصل الزلفى في كلام العرب القربى"[٤].

قال الطبري:" وقربنا هنالك آل فرعون من البحر، وقدمناهم إليه، ومنه قوله: {وأزلفت الجنة للمتقين}، بمعنى: قربت وأدنيت؛ ومنه قول العجاج[٥]:

طي الليالي زلفا فزلفا ... سماوة الهلال حتى احقوقفا"[٦].

قال قتادة:" يقول: وأدنينا فرعون وجنوده إلى البحر"[٧].

قال عطاء:" وأما :{أزلفنا ثم الآخرين}: فقدمنا إلى البحر آل فرعون"[٨].

قال السدي:" ثم دنا فرعون وأصحابه، فلما نظر فرعون إلى البحر منفلق قال: ألا ترون إلى البحر فرق مني فانفتح لي حتى أدرك أعدائي فأقتلهم، فذلك قول الله عز وجل: {أزلفنا}، يقول: قربنا"[٩].

قوله تعالى:{وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ} [الشعراء:٦٥]، أي:" وأنجينا موسى ومَن معه جميعا"[١٠].

قال الطبري: يقول:" وأنجينا موسى مما أتبعنا به فرعون وقومه من الغرق في البحر ومن مع موسى من بني إسرائيل أجمعين"[١١].

قال ابن كثير:" أي : أنجينا موسى وبني إسرائيل ومن معهم على دينهم فلم يهلك منهم أحد"[١٢].

عن عبد الله أن موسى ﷺ حين أسرى ببني إسرائيل بلغ فرعون فأمر بشاة فذبحت ثم قال: لا يفرغ من سلخها حتى تجتمع إلي ستمائة ألف من القبط فانطلق موسى حتى انتهى إلى البحر فقال له: انفرق فقال له البحر لقد استكبرت يا موسى وهل انفرقت لأحد من ولد آدم فأفرق لك؟ قال: ومع موسى رجل على حصان له، فقال له ذلك الرجل: أين أمرت يا نبي الله؟ قال ما أمرت إلا بهذا الوجه هذا البحر. فأقحم فرسه فسبح به فخرج. فقال: أين أمرت يا نبي الله؟ قال: ما أمرت إلا بهذا الوجه. قال: والله ما كذبت ولا كذبت. ثم أقحم الثانية فسبح ثم خرج، ثم قال: أين أمرت يا نبي الله؟ قال ما أمرت إلا بهذا الوجه. قال: والله ما كذبت ولا كذبت. قال: فأوحى

---

(١)التفسير الميسر:٣٧٠.

(٢) مجاز القرآن:٨٧/٢.

(٣) انظر: مجاز القرآن:٨٧/٢.

(٤) معاني القرآن:٩٣/٤.

(٥)ديوانه ٨٤- والكتاب ١/ ١٥٠، ومجاز القرآن:٣٠٠/١، والصحاح واللسان والتاج (زلف) والشنتمرى ١/ ١٨٠ وفتح الباري.

(٦) تفسير الطبري:٣٥٨/١٩.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٨٠):ص٢٧٧٤/٨.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٨١):ص٢٧٧٤/٨.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٧٩):ص٢٧٧٤/٨.

(١٠) صفوة التفاسير:٣٥١/٢.

(١١) تفسير الطبري:٣٦٠/١٩.

(١٢) تفسير ابن كثير:١٤٥/٦.

الله إلى موسى: {أن اضرب بعصاك البحر} فضربه موسى بعصاه {فانفلق}، فكان فيه اثنا عشر سبطا لكل سبط طريق يتراءون فيه، فلما خرج أصحاب موسى تتام أصحاب فرعون، التقى البحر عليهم فأغرقهم"(١).

قوله تعالى:{ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ} [الشعراء:٦٦]، أي:" ثم أغرقنا فرعون ومن معه"(٢). معه"(٢).

قال الطبري: " يقول: ثم أغرقنا فرعون وقومه من القبط في البحر بعد أن أنجينا موسى منه ومن معه"(٣).

قال ابن كثير:" وأغرق فرعون وجنوده ، فلم يبق منهم رجل إلا هلك"(٤).

قال ابن عباس:" فلما جاز أصحاب موسى كلهم دخل أصحاب فرعون كلهم فالتقى البحر عليهم كما أمر، فلما جاوز البحر موسى، قال أصحابه: إنا نخاف ألا يكون فرعون غرق ولا نؤمن بهلاكه، فدعا ربه، فأخرجه ببدنه حتى استيقنوا"(٥).

قال قتادة:" ذكر لنا أنه لما خرج آخر بني إسرائيل من البحر ودخل البحر آل فرعون، أطبق عليهم البحر فغرقهم"(٦).

قال عبدالله:" فلما خرج أصحاب موسى، وتكامل أصحاب فرعون، اضطم عليهم البحر، فما رؤي سواد أكثر من يومئذ، قال: وغرق فرعون"(٧).

عن عبد الله بن شداد قال، ثنا إنه لما دخلت بنو إسرائيل البحر فلم يبق منهم أحد، أقبل فرعون على حصان له من الخيل حتى وقف على شفير البحر وهو قائم على حاله فهاب الحصان أن يتقدم، فعرض له جبريل عليه السلام على فرس أنثى وريق فقربها منه فشمها الفحل فلما شمها قدمها فتقدم الحصان عليه فرعون، فلما رأى جند فرعون، قد دخل دخلوا معه قال وجبريل أمامه وميكائيل على فرس من خلف القوم يشحذهم على فرسه، ذلك يقول الحقوا بصاحبكم حتى إذا فصل جبريل من البحر ليس أمامه أحد وقف ميكائيل على ناحيته الأخرى ليس خلفه أحد أطبق عليهم البحر، ونادى فرعون حين رأى من سلطان الله وقدرته ما رأى وعرف له وخذلته نفسه نادى: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين"(٨).

قال السدي:" فلما قام فرعون على أفواه الطريق أبت خيله أن تقتحم، فنزل جبريل على ماذيانة فشامت الحصن ريح الماذيانة فاقتحمت في أثرها حتى إذا هم أولهم أن يخرج ودخل آخرهم أمر البحر أن يأخذهم، فالتطم عليهم، وتفرد جبريل بفرعون يمقله من مقل البحر فجعل يدسها في فيه"(٩).

القرآن

{إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٧)}[الشعراء : ٦٧]،

التفسير:

إن في ذلك الذي حدث لَعبرة عجيبة دالة على قدرة الله، وما صار أكثر أتباع فرعون مؤمنين مع هذه العلامة الباهرة.

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٨٢):ص٨/٢٧٧٤-٢٧٧٥.
(٢)التفسير الميسر: ٣٧٠.
(٣) تفسير الطبري:٣٦٠/١٩.
(٤) تفسير ابن كثير:١٤٥/٦.
(٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٨٣):ص٢٧٧٥/٨.
(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٨٥):ص٢٧٧٥/٨.
(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٨٦):ص٢٧٧٥/٨.
(٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٨٧):ص٢٧٧٥/٨-٢٧٧٦.
(٩) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٨٤):ص٢٧٧٥/٨.

قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً}[الشعراء : ٦٧]، أي:" إن في ذلك الذي حدث لَعبرة عجيبة دالة على قدرة الله"(١).

قال ابن كثير:" أي : في هذه القصة وما فيها من العجائب والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين ؛ لدلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة"(٢).

قال محمد بن إسحاق:" أي عبرة وبينة أنك لم تكن كما كنت تقول لنفسك، وكان يقال: لو لم يخرجه الله تعالى ببدنه حين أغرقه لشك فيه بعض الناس"(٣).

قال الطبري:يقول: " إن فيما فعلت بفرعون ومن معه تغريقي إياهم في البحر إذ كذبوا رسولي موسى، وخالفوا أمري بعد الإعذار إليهم، والإنذار لدلالة بينة يا محمد لقومك من قريش على أن ذلك سنتي فيمن سلك سبيلهم من تكذيب رسلي، وعظة لهم وعبرة أن ادكروا واعتبروا أن يفعلوا مثل فعلهم من تكذيبك مع البرهان والآيات التي قد أتيتهم، فيحل بهم من العقوبة نظير ما حل بهم، ولك آية في فعلي بموسى، وتنجيتي إياه بعد طول علاجه فرعون وقومه منه، وإظهاري إياه وتوريثه وقومه دورهم وأرضهم وأموالهم، على أني سالك فيك سبيله، إن أنت صبرت صبره، وقمت من تبليغ الرسالة إلى من أرسلتك إليه قيامه، ومظهرك على مكذبيك، ومعليك عليهم"(٤).

قوله تعالى: {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ}[الشعراء : ٦٧]، أي:" وما صار أكثر أتباع فرعون مؤمنين مع هذه العلامة الباهرة"(٥).

قال الطبري:" يقول: وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين بما أتاك الله من الحق المبين، فسابق في علمي أنهم لا يؤمنون"(٦).

عن سعيد بن جبير، "{وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ}، :يعنى: مصدقين"(٧).

القرآن

{وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦٨)}[الشعراء : ٦٨]،

التفسير:

وإن ربك لهو العزيز الرحيم، بعزته أهلك الكافرين المكذبين، وبرحمته نجَّى موسى ومَن معه أجمعين.

قال الطبري:" {العزيز} في انتقامه ممن كفر به وكذب رسله من أعدائه، {الرحيم} بمن أنجى من رسله، وأتباعهم من الغرق والعذاب الذي عذب به الكفرة"(٨).

قال ابن كثير: " أي : الذي عَزّ كلَّ شيء وقهره وغلبه ، { الرحيم } أي : بخلقه ، فلا يعجل على مَنْ عصاه ، بل ينظره ويؤجله ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر"(٩).

عن محمد بن إسحاق: "{العزيز}، قال: العزيز في نصرته ممن كفر به إذا شاء"(١٠).

عن سعيد، قوله: "{الرحيم}، يعني: رحيما بهم بعد التوبة"(١١).

فوائد الآيات:[٦١-٦٨]:

١- ظهور آثار الاستعباد في بني إسرائيل متجلية في خوفهم مع مشاهدة الآيات.

---

(١)التفسير الميسر:٣٧٠.
(٢) تفسير ابن كثير:١٤٥/٦.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٨٨):ص٢٧٧٦/٨.
(٤) تفسير الطبري:٣٦٠/١٩-٣٦١.
(٥)التفسير الميسر:٣٧٠.
(٦) تفسير الطبري:٣٦١/١٩.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٤١):ص٢٧٥١/٨.
(٨) تفسير الطبري:٣٦١/١٩.
(٩) تفسير ابن كثير:١٣٦/٦.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٤٣):ص٢٧٥١/٨.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٤٤):ص٢٧٥١/٨.

٢- ثبوت صفة المعية الإلهية في قول موسى {إن معي ربي} إذ قال له عند إرساله {إنني معكما}
.
٣- ثبوت الوحي الإلهي.
٤- آية انفلاق البحر من أعظم الآيات.
٥- تقرير نبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقصة مثل هذا القصص الذي لا يتأتى إلا بوحي خاص.

القرآن
{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) } [الشعراء:٦٩- ٧٠]
التفسير:
واقصص على الكافرين - أيها الرسول - خبر إبراهيم حين قال لأبيه وقومه: أي شيء تعبدونه؟
قوله تعالى:{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ} [الشعراء: ٦٩]، أي:" واقصص على الكافرين - أيها الرسول - خبر إبراهيم"(١).
قال الزجاج:" معناه: خبر إبراهيم"(٢).
قال الطبري: يقول:" واقصص على قومك من المشركين يا محمد خبر إبراهيم"(٣).
قال ابن كثير:" هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء ، أمر الله رسوله محمدا ، صلوات الله وسلامه عليه ، أن يتلوه على أمته ، ليقتدوا به في الإخلاص والتوكل ، وعبادة الله وحده لا شريك له ، والتبرؤ من الشرك وأهله ؛ فإن الله تعالى آتى إبراهيم رشده من قبل ، أي : من صغره إلى كبره ، فإنه من وقت نَشَأَ وشَب"(٤).
قال السدي :"إن أول ملك ملك في الأرض شرقها وغربها نمرود بن كنعان بن كوشن بن سام بن نوح وكانت الملوك الذين ملكوا الأرض أربعة نمرود وسليمان بن داود وذو القرنين وبخت نصر مسلمين وكافرين، وإنه اطلع كوكب على نمرود ذهب بضوء الشمس والقمر ففزع من ذلك فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة فسألهم، عن ذلك فقالوا يخرج من ملكك رجل يكون على وجهه هلاكك وهلاك ملكك، وكان مسكنه ببابل الكوفة فخرج من قريته إلى قرية أخرى وأخرج الرجال وترك النساء وأمر ألا يولد مولود ذكر إلا ذبحه فذبح أولادهم، ثم إنه بدت له حاجة في المدينة لم يأمن عليها إلا آزر أبو إبراهيم فدعاه فأرسله فقال له: انظر لا تواقع أهلك فقال له آزر أنا أضن بديني من ذلك فلما دخل القرية نظر إلى أهله فلم يملك نفسه أن وقع عليها ففر بها إلى قرية بين الكوفة والبصرة يقال لها أور فجعلها في سرب فكان يتعاهدها بالطعام ومما يصلحها وإن الملك لما طال عليه الأمر قال: قول سحرة كذابين ارجعوا إلى بلدكم، فرجعوا وولد إبراهيم عليه الصلاة والسلام فكان في كل يوم يمر به كأنه جمعة والجمعة كالشهر من سرعة نمائه، نسي الملك ذلك، وكبر إبراهيم ولا يدري أحد من الخلق غيره وغير أبيه وأمه فقال آزر لأصحابه: إن لي ابنا وقد خبأته فتخافون عليه الملك إن أنا جئت به، قالوا: لا فأت به فانطلق فأخرجه، فلما خرج الغلام من السرب نظر إلى الدواب والبهائم والخلق فجعل يسأل أباه فيقول: ما هذا فيخبره، عن البعير أنه بعير وعن البقرة أنها بقرة وعن الشاة أنها شاة فقال: ما لهؤلاء الخلق بد من أن يكون لهم رب"(٥).
عن محمد بن إسحاق، "كان من حديث إبراهيم أن آزر كان رجلا من أهل كوثى من أهل قرية بالسواد سواد الكوفة وكان إذ ذاك ملك المشرق لنمرود الخابط وكان يقال له العاصي وكان ملكه فيما يزعمون قد أحاط بمشارق الأرض ومغاربها وكان ببابل، وكان ملك قومه بالمشرق وقيل ملك فارس ويقال لم يجتمع ملك الأرض ولم يجتمع الناس على ملك واحد إلا على ثلاثة

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٩.
(٢) معاني القرآن:٩٣/٤.
(٣) تفسير الطبري:٣٦١/١٩.
(٤) تفسير ابن كثير:١٤٥/٦.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٦٨٩):ص٢٧٧٦/٨-٢٧٧٧.

ملوك نمرود بن راعو وذو القرنين وسليمان ابن داود فلما أراد الله أن يبعث إبراهيم حجة على قومه ورسولا إلى عباده ولم يكن فيما بين نوح وإبراهيم نبي قبله إلا هود وصالح فلما تقارب زمان إبراهيم الذي أراد الله فيه ما أراد أتى أصحاب النجوم نمرود فقالوا له إنا نجد في علمنا أن غلاما يولد في قريتك هذه يقال له إبراهيم يفارق دينكم ويكسر أوثانكم في شهر كذا وكذا فكان مما أجاز عندي هذا الحديث وصدقت به أن للمرسل نجوما يولدون بها يعرفها أصحاب العلم من أهل العلم بها"(١).

قال محمد بن إسحاق:" فلما دخلت السنة التي وصف أصحاب النجوم لنمرود بعث نمرود إلى كل امرأة بحبلها وذلك أنها كانت جادة حديثه فيما يذكرون لم يعزف الحبل في بطنها ولما أراد الله أن يبلغ بولدها أراد أن يقتل كل غلام ولد في ذلك الشهر من تلك السنة حذرا على ملكه فجعل لا تلد امرأة غلاما في ذلك الشهر من تلك السنة إلا أمر به فذبح فلما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت ليلا إلى مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها إبراهيم وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود ثم سدت عليه المغارة ثم رجعت إلى بيتها ثم كانت تطالعه في المغارة لتنظر ما فعل فتجده حيا يمص إبهامه- والله أعلم فيما يزعمون- إن الله عز وجل جعل رزق إبراهيم فيها وما يجيئه من مصة، وكان آزر فيما يزعمون سأل أم إبراهيم، عن حملها ما فعل فقالت: ولدت غلاما فمات فصدقها وسكت عنها فكان اليوم فيما يذكرون على إبراهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث إبراهيم ﷺ في المغارة فيما يذكرون إلا خمسة عشر شهرا حتى قال لأمه أخرجيني فأخرجته عشاء فنظر فتفكر في خلق السماوات والأرض وقال: إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي مالي إله غيره"(٢).

قوله تعالى:{إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ} [الشعراء: ٧٠]، أي:" حين قال لأبيه وقومه: أي شيء تعبدونه؟"(٣).

قال الطبري: يقول:" حين قال لأبيه وقومه: أي شيء تعبدون؟"(٤).

قال ابن كثير:" أي : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟، أنكر على قومه عبادة الأصنام مع الله "(٥).

القرآن

{قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) } [الشعراء: ٧١]

التفسير:

قالوا: نعبد أصنامًا، فنَعْكُف على عبادتها.

قال الطبري: " يقول: فنظل لها خدما مقيمين على عبادتها وخدمتها"(٦).

قال الزجاج:" معناه: مقيمين على عبادتها"(٧).

قال ابن كثير:" أي : مقيمين على عبادتها ودعائها "(٨).

عن ابن عباس، قوله:" {قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين}، قال: الصلاة لأصنامهم"(٩).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٩٠):ص٢٧٧٧/٨.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٩١):ص٢٧٧٧/٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٦٩.
(٤) تفسير الطبري:٣٦١/١٩.
(٥) تفسير ابن كثير:١٤٥/٦-١٤٦.
(٦) تفسير الطبري:٣٦١/١٩.
(٧) معاني القرآن:٩٣/٤.
(٨) تفسير ابن كثير:١٤٦/٦.
(٩) أخرجه الطبري:ذ٣٦١/٩.

القرآن

{قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣)} [الشعراء: ٧٢-٧٣]

التفسير:

قال إبراهيم منبهًا على فساد مذهبهم: هل يسمعون دعاءكم إذ تدعونهم، أو يقدِّمون لكم نفعًا إذا عبدتموهم، أو يصيبونكم بضر إذا تركتم عبادتهم؟

قوله تعالى:{قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ} [الشعراء: ٧٢]، أي:" قال إبراهيم منبهًا على فساد مذهبهم: هل يسمعون دعاءكم إذ تدعونهم؟"[١].

قال الطبري: "قال إبراهيم لهم: هل تسمع دعاءكم هؤلاء الآلهة إذ تدعونهم؟"[٢].

قوله تعالى:{أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ} [الشعراء: ٧٣]، أي:" أو يقدِّمون لكم نفعًا إذا عبدتموهم؟"[٣].

قال الطبري:" يقول: أو تنفعكم هذه الأصنام، فيرزقونكم شيئا على عبادتكموها"[٤].

قوله تعالى:{أَوْ يَضُرُّونَ} [الشعراء: ٧٣]، أي:" أو يصيبونكم بضر إذا تركتم عبادتهم؟"[٥].

قال الطبري:" أو يضرونكم فيعاقبونكم على ترككم عبادتها بأن يسلبوكم أموالكم، أو يهلكوكم إذا هلكتم وأولادكم"[٦].

قال السدي:" فجعل إبراهيم يدعوا قومه وينذرهم فكان أبوه يصنع الأصنام فيعطيها ولده فيبيعونها وكان يعطيه فينادي: من يشتري ما يضره ولا ينفعه فرجع إخوته وقد باعوا أصنامهم ويرجع إبراهيم بأصنامه كما هي به فرحا شديدا وكان آزر يصنع أصنام قومه التي يعبدون ثم يعطيها إبراهيم يبيعها له فيذهب بها فيما يذكرون فيقول من يشتري ما يضر ولا ينفعه فلا يشتريها منه أحد فإذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر لهم فصوب فيه رؤسها وقال: اشربي استهزاء بقومه وبما هم عليه من ضلالة حتى فشا عيبه إياها واستهزاؤه بها في قومه وأهل قريته من غير أن يكون ذلك بلغ نمرود الملك"[٧].

القرآن

{قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) } [الشعراء: ٧٤]

التفسير:

قالوا: لا يكون منهم شيء من ذلك، ولكننا وجدنا آباءنا يعبدونهم، فقلَّدناهم فيما كانوا يفعلون.

قال الطبري:أي:" آبائنا يعبدونها ويعكفون عليها لخدمتها وعبادتها، فنحن نفعل ذلك اقتداء بهم، واتباعا لمنهاجهم"[٨].

قال قتادة:" يعنى: على دين وإنا متبعوهم على ذلك"[٩].

قال ابن كثير:" يعني : اعترفوا بأن أصنامهم لا تفعل شيئا من ذلك ، وإنما رأوا آباءهم كذلك يفعلون ، فهم على آثارهم يُهرعون "[١٠].

القرآن

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٩.
(٢) تفسير الطبري:٣٦١/١٩.
(٣) التفسير الميسر:٣٦٩.
(٤) تفسير الطبري:٣٦٢/١٩.
(٥) التفسير الميسر:٣٦٩.
(٦) تفسير الطبري:٣٦٢/١٩.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٩٧):ص٢٧٧٩/٨.
(٨) تفسير الطبري:٣٦٢/١٩.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٩٧):ص٢٧٧٩/٨.
(١٠) تفسير ابن كثير:١٤٦/٦.

{قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)} } [الشعراء: ٧٥-٨٢]

التفسير:

قال إبراهيم: أفأبصرتم بتدبر ما كنتم تعبدون من الأصنام التي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر، أنتم وآباؤكم الأقدمون من قبلكم؟ فإن ما تعبدونهم من دون الله أعداء لي، لكن رب العالمين ومالك أمرهم هو وحده الذي أعبده. هو الذي خلقني في أحسن صورة فهو يرشدني إلى مصالح الدنيا والآخرة، وهو الذي ينعم عليَّ بالطعام والشراب، وإذا أصابني مرض فهو الذي يَشْفيني ويعافيني منه، وهو الذي يميتني في الدينا بقبض روحي، ثم يحييني يوم القيامة، لا يقدر على ذلك أحد سواه، والذي أطمع أن يتجاوز عن ذنبي يوم الجزاء.

قوله تعالى: {قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦)} [الشعراء : ٧٥ - ٧٦]، أي:" قال إبراهيم: أفأبصرتم بتدبر ما كنتم تعبدون من الأصنام التي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر، أنتم وآباؤكم الأقدمون من قبلكم؟"[١].

قال الطبري:" قال إبراهيم لقومه: أفرأيتم أيها القوم ما كنتم تعبدون من هذه الأصنام أنتم وآباؤكم الأقدمون"[٢].

قوله تعالى: {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء : ٧٧]، أي:" فإن ما تعبدونهم من دون الله أعداء لي، لكن رب العالمين ومالك أمرهم هو وحده الذي أعبده"[٣].

قال الطبري: أي:" أفرأيتم كل معبود لكم ولآبائكم، فإني منه بريء لا أعبده، إلا رب العالمين"[٤].

قال ابن كثير:" أي : إن كانت هذه الأصنام شيئا ولها تأثير ، فَلْتَخْلُص إلي بالمساءة ، فإني عدو لها لا أباليها ولا أفكر فيها. وهذا كما قال تعالى مخبرًا عن نوح ، عليه السلام : { فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ } [يونس : ٧١] وقال هود ، عليه السلام : { إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ. إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [هود : ٥٤ - ٥٦] وهكذا تبرأ إبراهيم من آلهتهم وقال : { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا } [الأنعام : ٨١] وقال تعالى : { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ } [الممتحنة : ٤] وقال تعالى : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [الزخرف : ٢٦ - ٢٨] يعني : لا إله إلا الله"[٥].

قال الزجاج:" قال النحويون: إنه استثناء ليس من الأول، أي لكن رب العالمين، ويجوز أن يكونوا عبدوا مع الله الأصنام وغيرها، فقال لهم: أن جميع من عبدتم عدو لي إلا رب العالمين؛ لأنهم سووا آلهتهم بالله فأعلمهم أنه قد تبرأ مما يعبدون إلا الله فإنه لم يتبرأ من عبادته"[٦].

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٩.
(٢) تفسير الطبري:١٩/٣٦٢-٣٦٣.
(٣) التفسير الميسر:٣٦٩.
(٤) تفسير الطبري:١٩/٣٦٣.
(٥) تفسير ابن كثير:٦/١٤٦.
(٦) معاني القرآن:٤/٩٣.

قوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ} [الشعراء : ٧٨]، أي:" هو الذي خلقني في أحسن صورة فهو يرشدني إلى مصالح الدنيا والآخرة"(١).
قال الطبري: أي:" للصواب من القول والعمل، ويسددني للرشاد"(٢).
قال ابن كثير:" يعني : لا أعبد إلا الذي يفعل هذه الأشياء ، { الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ } أي : هو الخالق الذي قدر قدرًا ، وهدى الخلائق إليه ، فكل يجري على ما قدّر ، وهو الذي يهدي من يشاء ويُضل من يشاء "(٣).
قال السعدي:" هو المنفرد بنعمة الخلق، ونعمة الهداية للمصالح الدينية والدنيوية"(٤).
قال قتادة:" كان يقال أول نعمة الله على عبده حين خلقه"(٥).
قوله تعالى: {وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ} [الشعراء : ٧٩]، أي:" وهو الذي ينعم عليَّ بالطعام والشراب"(٦).
قال الطبري: " يقول: والذي يغذوني بالطعام والشراب، ويرزقني الأرزاق"(٧).
قال ابن كثير:" أي : هو خالقي ورازقي ، بما سخر ويَسَّر من الأسباب السماوية والأرضية ، فساق المُزْنَ ، وأنزل الماء ، وأحيا به الأرض ، وأخرج به من كل الثمرات رزقا للعباد ، وأنزل الماء عذبًا زلالا لـ { نُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا } [الفرقان : ٤٩]"(٨).
قوله تعالى: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} [الشعراء : ٨٠]، أي:" وإذا أصابني مرض فهو الذي يَشْفيني ويعافيني منه"(٩).
قال الطبري: " يقول: وإذا سقم جسمي واعتل، فهو يبرئه ويعافيه"(١٠).
قال ابن كثير:" أسند المرض إلى نفسه ، وإن كان عن قدر الله وقضائه وخلْقه ، ولكن أضافه إلى نفسه أدبا ، كما قال تعالى آمرًا للمصلي أن يقول : { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ } [الفاتحة : ٦ ، ٧]، فأسند الإنعام إلى الله، سبحانه وتعالى ، والغضب حُذف فاعله أدبًا ، وأسند الضلال إلى العبيد ، كما قالت الجن:{ وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا } [الجن : ١٠] ؛ ولهذا قال إبراهيم : { وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ } أي : إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره ، بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه"(١١).
قوله تعالى: {وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ} [الشعراء : ٨١]، أي:" وهو الذي يميتني في الدينا بقبض روحي، ثم يحييني يوم القيامة"(١٢).
قال الطبري: " يقول: والذي يميتني إذا شاء ثم يحييني إذا أراد بعد مماتي"(١٣).
قال ابن كثير:" أي : هو الذي يحيي ويميت ، لا يقدر على ذلك أحد سواه ، فإنه هو الذي يبدئ ويعيد "(١٤).

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٩.
(٢) تفسير الطبري:٣٦٣/١٩.
(٣) تفسير ابن كثير:١٤٦/٦.
(٤) تفسير السعدي:٥٩٢.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٩٩):ص٢٧٧٩/٨.
(٦) التفسير الميسر:٣٦٩.
(٧) تفسير الطبري:٣٦٣/١٩.
(٨) تفسير ابن كثير:١٤٦/٦.
(٩) التفسير الميسر:٣٦٩.
(١٠) تفسير الطبري:٣٦٣/١٩.
(١١) تفسير ابن كثير:١٤٦/٦-١٤٧.
(١٢) التفسير الميسر:٣٦٩.
(١٣) تفسير الطبري:٣٦٣/١٩.
(١٤) تفسير ابن كثير:١٤٦/٦-١٤٧.

قوله تعالى: {وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ} [الشعراء : ٨٢]، أي:" والذي أطمع أن يتجاوز عن ذنبي يوم الجزاء"(١).

قال ابن كثير:" أي : هو الذي لا يقدر على غَفْر الذنوب في الدنيا والآخرة ، إلا هو ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، وهو الفعال لما يشاء "(٢).

قال السعدي:" فهذا دليل قاطع، وحجة باهرة، لا تقدرون أنتم وآباؤكم على معارضتها، فدل على اشتراككم في الضلال، وترككم طريق الهدى والرشد. قال الله تعالى: {وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ} الآيات"(٣).

قال الزجاج:" معنى :{خطيئتي} أن الأنبياء بشر، وقد يجوز أن يقع عليهم الخطيئة إلا أنهم صلوات الله عليهم لا تكون منهم الكبيرة لأنهم معصومون مختارون على العالمين كل نبي هو أفضل من عالم أهل دهره كلهم"(٤).

عن ابن عباس قوله: "{يوم الدين}: يوم حساب الخلائق وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر إلا من عفي عنه"(٥).

قال الطبري: " فربي هذا الذي بيده نفعي وضري، وله القدرة والسلطان، وله الدنيا والآخرة، لا الذي لا يسمع إذا دعي، ولا ينفع ولا يضر. وإنما كان هذا الكلام من إبراهيم احتجاجا على قومه، في أنه لا تصلح الألوهة، ولا ينبغي أن تكون العبودة إلا لمن يفعل هذه الأفعال، لا لمن لا يطيق نفعا ولا ضرا.

وقيل: إن إبراهيم صلوات الله عليه، عني بقوله: {والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين}: والذي أرجو أن يغفر لي قولي: {إني سقيم} وقوله: {بل فعله كبيرهم هذا} وقولي لسارة: إنها أختي"(٦).

عن مجاهد، قوله: "{أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين}، قال: قوله: {إني سقيم} وقوله: {فعله كبيرهم هذا}، وقوله لسارة: إنها أختي، حين أراد فرعون من الفراعنة أن يأخذها"(٧).

عن أبي هريرة قال: قال: "رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم في شيء قط إلا في ثلاث كلهن في الله قوله: {إني سقيم}. ولم يكن سقيما، وقوله لسارة: أختي. قوله: {بل فعله كبيرهم هذا}"(٨).

فوائد الآيات:[٦٩-٨٢]:

١- تقرير النبوة المحمدية بذكر هذا القصص.
٢- تقرير التوحيد بالحوار الذي دار بين إبراهيم إمام الموحدين وقومه المشركين.
٣- بيان أن كل من عبد معبود غير الله تعالى سيكون له عدواً لدوداً يوم القيامة.
٤- بيان أن العكوف على الأضرحة والتمرغ في تربتها وطلب الشفاء منها شرك.
٥- بيان الأسلوب الحكيم في الدعوة إلى الله تعالى من طريق السؤال والجواب.

القرآن

{رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣)} [الشعراء: ٨٣]

التفسير:

---

(١) التفسير الميسر:٣٦٩.
(٢) تفسير ابن كثير:١٤٦/٦-١٤٧.
(٣) تفسير السعدي:٥٩٢.
(٤) معاني القرآن:٩٤/٤.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٠٤):ص٢٧٨٠/٨.
(٦) تفسير الطبري:٣٦٣/١٩.
(٧) اخرجه الطبري:٢٦٤/١٩.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٧٥):ص٢٤٥٦/٨.

قال إبراهيم داعيًا ربه: ربِّ امنحني العلم والفهم، وألحقني بالصالحين، واجمع بيني وبينهم في الجنة."[١].

قوله تعالى:{رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا} [الشعراء: ٨٣]، أي:" قال إبراهيم داعيًا ربه: ربِّ امنحني العلم والفهم"[٢].

قال الطبري:" يقول: رب هب لي نبوة"[٣].

قال السمعاني:" أي: العلم والفهم، وقيل: إصابة الحق"[٤].

قال السدي:" الحكم: النبوة"[٥].

قال عكرمة:" الحكم: اللب"[٦].

قال ابن عباس:" الحكم: العلم"[٧].

وقال مجاهد:" الحكم هو القرآن"[٨].

قوله تعالى:{وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [الشعراء: ٨٣]، أي:" وألحقني بالصالحين، واجمع بيني وبينهم في الجنة"[٩].

قال الطبري:" يقول: واجعلني رسولا إلى خلقك، حتى تلحقني بذلك بعداد من أرسلته من رسلك إلى خلقك، وائتمنته على وحيك، واصطفيته لنفسك"[١٠].

قال السمعاني:" أي: من الأنبياء والمرسلين"[١١].

قال ابن زيد:" مع الأنبياء والمؤمنين"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : اجعلني مع الصالحين في الدنيا والآخرة ، كما قال النبي ﷺ عند الاحتضار : «اللهم الرفيق الأعلى»[١٣] قالها ثلاثا. وفي الحديث في الدعاء: «اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين ، غير خزايا ولا مبدلين»[١٤]"[١٥].

القرآن

{وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤)} [الشعراء: ٨٤]

التفسير:

واجعل لي ثناء حسنًا وذكرًا جميلا في الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة.

قال الطبري:" يقول: واجعل لي في الناس ذكرا جميلا وثناء حسنا، باقيا فيمن يجيء من القرون بعدي"[١٦].

---

(١) التفسير الميسر:٣٧٠.
(٢) التفسير الميسر:٣٧٠.
(٣) تفسير الطبري:٣٦٤/١٩.
(٤) تفسير السمعاني:٥٤/٤.
(٥) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٧٠٩):ص٢٧٨١/٨.
(٦) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٧٠٦):ص٢٧٨٠/٨.
(٧) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٧٠٧):ص٢٧٨١/٨.
(٨) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٧٠٨):ص٢٧٨١/٨.
(٩) التفسير الميسر:٣٧٠.
(١٠) تفسير الطبري:٣٦٤/١٩.
(١١) تفسير السمعاني:٥٤/٤.
(١٢) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٧١٠):ص٢٧٨١/٨.
(١٣)رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٥٠٩) ومسلم في صحيحه برقم (٢١٩١) من حديث عائشة ، رضي الله عنها ، وليس عندهما أنه قالها ثلاثا ، وإنما فيهما ما يفيد أنها مرتين ، والله أعلم.
(١٤)رواه أحمد في مسنده (٤٢٤/٣) من حديث الزرقي ، وعنده : "غير خزايا ولا مفتونين".
(١٥) تفسير ابن كثير:١٤٧/٦.
(١٦) تفسير الطبري:٣٦٤/١٩.

قال السمعاني:" أي: ثناء حسنا إلى قيام الساعة، ويقال: إن المراد منه تولي جميع أهل الأديان له، وقبول كل الناس إياه، ويقال: إن معناه: اجعل في ذريتي من يقوم بالحق إلى قيام الساعة"(١).

قال ابن كثير:" أي : واجعل لي ذكرًا جميلا بعدي أذكرَ به ، ويقتدى بي في الخير ، كما قال تعالى : { وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ. سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } [الصافات : ١٠٨ - ١١٠]"(٢).

عن ابن عباس قوله: "{واجعل لي لسان صدق في الآخرين}، قال: اجتماع أهل الملل على إبراهيم"(٣).

قال مجاهد: "الثناء الحسن"(٤). وروى عن قتادة مثل ذلك(٥).

وقال مجاهد:" هو كقوله: {وآتيناه في الدنيا حسنة وآتيناه أجره في الدنيا}"(٦).

قال ابن زيد:" اللسان الصدق: الذكر الصدق، والثناء الصالح، والذكر الصالح في الآخرين من الناس، من الأمم"(٧).

وعن ليث بن أبي سليم ، قوله :"{اجعل لي لسان صدق في الآخرين}، قال: يؤمن به أهل كل ملة"(٨).

عن عكرمة، قوله: "{واجعل لي لسان صدق في الآخرين} قوله: {وآتيناه أجره في الدنيا}. قال: إن الله فضله بالخلة حين اتخذه خليلا فسأل الله فقال: {واجعل لي لسان صدق في الآخرين} حتى لا تكذبني الأمم، فأعطاه الله ذلك، فإن اليهود آمنت بموسى، وكفرت بعيسى، وإن النصارى آمنت بعيسى، وكفرت بمحمد ﷺ، وكلهم يتولى إبراهيم؛ قالت اليهود: هو خليل الله وهو منا، فقطع الله ولايتهم منه بعد ما أقروا له بالنبوة وآمنوا به، فقال: {ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين} ثم ألحق ولايته بكم فقال: {إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين} فهذا أجره الذي عجل له، وهي الحسنة، إذ يقول: {وآتيناه في الدنيا حسنة} وهو اللسان الصدق الذي سأل ربه"(٩).

وروي عن ابن زيد، قوله:"{في الآخرين}، قال في الآخرين من الناس من الاسم"(١٠).

القرآن

{وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥)} [الشعراء: ٨٥]

التفسير:

واجعلني من عبادك الذين تورثهم نعيم الجنة.

قال الطبري:يقول:" أورثني يا رب من منازل من هلك من أعدائك المشركين بك من الجنة، وأسكني ذلك"(١١).

قال السمعاني:" أي: ممن تعطيه جنة النعيم"(١٢).

---

(١) تفسير السمعاني:٥٤/٤.
(٢) تفسير ابن كثير:١٤٧/٦.
(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧١١):ص٢٧٨١/٨.
(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧١٢):ص٢٧٨١/٨.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٧٨١/٨. بدون سند
(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧١٤):ص٢٧٨١/٨.
(٧) أخرجه الطبري:٣٦٥/١٩.
(٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧١٥):ص٢٧٨١/٨.
(٩) أخرجه الطبري:٣٦٤/١٩-٣٦٥.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٧٢٦):ص٢٧٨٢/٨.
(١١) تفسير الطبري:٣٦٥/١٩.
(١٢) تفسير السمعاني:٥٤/٤.

قال ابن كثير:" أي : أنعم عَليَّ في الدنيا ببقاء الذكر الجميل بعدي ، وفي الآخرة بأن تجعلني من ورثة جنة النعيم "[١].

قال مالك بن دينار: "جنات النعيم بين جنات الفردوس وبين جنات عدن وفيها جواري خلقن من ورد الجنة قيل ومن يسكنها قال: الذين هموا بالمعاصي فلما ذكروا عظمتي راقبوني والذين انثنت أبدانهم من خشيتي وعزتي إني لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب"[٢].

القرآن

{وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦)} [الشعراء: ٨٦]

التفسير:

وهذا دعاء من إبراهيم عليه السلام أن ينقذ الله أباه من الضلال إلى الهدى، فيغفر له ويتجاوز عنه، كما وعد إبراهيم أباه بالدعاء له، فلما تبيَّن له أنه مستمر في الكفر والشرك إلى أن يموت تبرَّأ منه.

قال الطبري: " يقول: واصفح لأبي عن شركه بك، ولا تعاقبه عليه، إنه كان ممن ضل عن سبيل الهدى، فكفر بك"[٣].

قال السمعاني:" قال أهل العلم: هذا قبل أن يتبرأ منه، ويستقين أنه عدو لله، وقال بعضهم: واغفر لأبي أي: جنايته عليّ، كأنه أسقط حقه وعفا عنه"[٤].

قال ابن كثير:هو" كقوله : { رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ } [إبراهيم : ٤١] ، وهذا مما رجَعَ عنه إبراهيم ، عليه السلام ، كما قال تعالى : { وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأبِيهِ إِلا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأوَّاهٌ حَلِيمٌ } [التوبة : ١١٤]، وقد قطع الله تعالى الإلحاق في استغفاره لأبيه ، فقال : { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأبِيهِ لأسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ } [الممتحنة : ٤]"[٥].

قال ابن عباس:" امنن عليه بتوبة يستحق بها مغفرتك يعنى بتوبة الإسلام"[٦].

القرآن

{وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)} [الشعراء: ٨٧-٨٩]

التفسير:

ولا تُلْحق بي الذل، يوم يخرج الناس من القبور للحساب والجزاء، يوم لا ينفع المال والبنون أحدًا من العباد، إلا مَن أتى الله بقلب سليم من الكفر والنفاق والرذيلة.

قوله تعالى:{وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ} [الشعراء: ٨٧]، أي:" ولا تُلْحق بي الذل، يوم يخرج الناس من القبور للحساب والجزاء"[٧].

قال الطبري: " يقول: ولا تذلني بعقابك إياي يوم تبعث عبادك من قبورهم لموقف القيامة"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير:١٤٨/٦.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٢٧):ص٢٧٨٢/٨.
(٣) تفسير الطبري:٣٦٥/١٩.
(٤) تفسير السمعاني:٥٥/٤.
(٥) تفسير ابن كثير:١٤٧/٦-١٤٨.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٢٨):ص٢٧٨٢/٨.
(٧) التفسير الميسر:٣٧١.

قال ابن كثير:" أي : أجرني من الخزي يوم القيامة ويوم يبعث الخلائق أولهم وآخرهم"(٢).

قال الصابوني:" وهذا تواضعٌ منه امام عظمة الله وجلاله وإلا فقد أثنى الله عليه بقوله: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً} [النحل: ١٢٠] الآية"(٣).

عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : "يلقى إبراهيم أباه ، فيقول : يا رب ، وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون. فيقول الله : إني حرمت الجنة على الكافرين"(٤).

قال قتادة:" وذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: يجيء رجل يوم القيامة من المؤمنين آخذ بيد أب له مشرك حتى يقطعه النار يريد أن يدخله الجنة فينادي: أنه لا يدخله الجنة مشرك. فيقول: رب كتبت لا تخزني، رب كتبت لا تخزني. قال: فلا يزال متشبثا به حتى يحول في صورة قبيحة وريح منتنة في صورة ضبعان. قال: فيرسله عند ذلك فيقول لست أبي لست أبي. قال: فكنا نرى أنه خليل الله إبراهيم ﷺ وما سماه رسول الله ﷺ يومئذ"(٥).

قوله تعالى:{يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ} [الشعراء: ٨٧]، أي:" يوم لا ينفع المال والبنون أحدًا من العباد"(٦).

قال الطبري: " يقول: لا تخزني يوم لا ينفع من كفر بك وعصاك في الدنيا مال كان له في الدنيا، ولا بنوه الذين كانوا له فيها، فيدفع ذلك عنه عقاب الله إذا عاقبه، ولا ينجيه منه"(٧).

قال ابن كثير:" أي : لا يقي المرء من عذاب الله ماله ، ولو افتدى بملء الأرض ذهبا : { وَلا بَنُونَ } ولو افتدى بِمَنْ في الأرض جميعا ، ولا ينفعُ يومئذ إلا الإيمانُ بالله ، وإخلاص الدين له ، والتبري من الشرك"(٨).

قال علي رضي الله عنه: "المال والبنون حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام"(٩).

عن معاوية ابن هشام قال: سمعت الثرى قال:" إنما سمي المال لأنه يميل بالناس"(١٠).

قوله تعالى:{إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: ٨٧]، أي:" إلا مَن أتى الله بقلب سليم من الكفر والنفاق والرذيلة"(١١).

قال ابن كثير:" أي : سالم من الدنس والشرك"(١٢).

قال الطبري: " يقول: ولا تخزني يوم يبعثون، يوم لا ينفع إلا القلب السليم، والذي عني به من سلامة القلب في هذا الموضع: هو سلامة القلب من الشك في توحيد الله، والبعث بعد الممات"(١٣).

عن عون، قال: "قلت لمحمد: ما القلب السليم؟ قال: أن يعلم أن الله حق، وأن الساعة قائمة، وأن الله يبعث من في القبور"(١٤).

عن ابن عباس: "{إلا من أتى الله بقلب سليم}، قال: شهادة أن لا إله إلا الله"(١).

---

(١) تفسير الطبري:٣٦٥/١٩.
(٢) تفسير ابن كثير:١٤٨/٦.
(٣) صفوة التفاسير:٣٥٢/٢.
(٤)صحيح البخاري برقم (٤٧٦٩).
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٢٩):ص٢٧٨٢/٨.
(٦) التفسير الميسر:٣٧١.
(٧) تفسير الطبري:٣٦٥/١٩.
(٨) تفسير ابن كثير:١٤٩/٦.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٣٠):ص٢٧٨٣/٨.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٣١):ص٢٧٨٣/٨.
(١١) التفسير الميسر:٣٧١.
(١٢) تفسير ابن كثير:١٤٩/٦.
(١٣) تفسير الطبري:٣٦٥/١٩-٣٦٦.
(١٤) أخرجه الطبري:٣٦٦/١٩.

عن مجاهد: "{إلا من أتى الله بقلب سليم}، قال: لا شك فيه"[٢].
قال قتادة:" سليم من الشرك"[٣]. وروي عن الحسن مثله[٤].
قال ابن زيد:" سليم من الشرك، فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد"[٥].
عن الضحاك، قوله: " {إلا من أتى الله بقلب سليم}، قال: هو الخالص"[٦]. وفي رواية: "مخلص"[٧].
وقال الضحاك:" الناصح لله في خلقه"[٨].
عن عوف قال: "قلت لمحمد بن سيرين: ما القلب السليم؟ قال: يعلم بأن الله حق وأن الساعة قائمة وأن الله يبعث من في القبور"[٩].
وقال سعيد بن المسيب : القلب السليم : هو القلب الصحيح ، وهو قلب المؤمن ؛ لأن قلب الكافر والمنافق مريض ، قال الله : { فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ } [البقرة : ١٠] "[١٠].
وقال أبو عثمان النيسابوري : "هو القلب الخالي من البدعة ، المطمئن إلى السنة"[١١].
عن هشام، عن أبيه، "{إلا من أتى الله بقلب سليم}، قال: ألا يكون لعانا"[١٢].

القرآن

{وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠)} [الشعراء: ٩٠]

التفسير:
وقُرِّبت الجنة للذين اجتنبوا الكفر والمعاصي، وأقبلوا على الله بالطاعة.
قال الطبري: " وأدنيت الجنة وقربت للمتقين، الذين اتقوا عقاب الله في الآخرة بطاعتهم إياه في الدنيا"[١٣].
قال ابن كثير:" أي : قربت الجنة وأدنيت من أهلها يوم القيامة مزخرفة مزينة لناظريها ، وهم المتقون الذين رغبوا فيها ، وعملوا لها عملها في الدنيا"[١٤].
قال الضحاك:" قربت من أهلها"[١٥]. وروى عن السدي وقتادة والربيع بن خثيم نحو ذلك[١٦].
عن السدي، "{للمتقين}، قال: هم المؤمنون. وذكر حديث: لا يكون الرجل من المتقين"[١٧].

القرآن

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٣٢):ص٢٧٨٣/٨.
(٢) أخرجه الطبري:٣٦٦/١٩.
(٣) أخرجه الطبري:٣٦٦/١٩.
(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٧٣٦):ص٢٧٨٣/٨.
(٥) أخرجه الطبري:٣٦٦/١٩.
(٦) أخرجه الطبري:٣٦٦/١٩.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٣٨):ص٢٧٨٣/٨.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٤٠):ص٢٧٨٤/٨.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٣٣):ص٢٧٨٣/٨.
(١٠) نقلا عن تفسير ابن كثير:١٤٩/٦.
(١١) نقلا عن تفسير ابن كثير:١٤٩/٦.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٣٩):ص٢٧٨٤/٨.
(١٣) تفسير الطبري:٣٦٦/١٩.
(١٤) تفسير ابن كثير:١٤٩/٦.
(١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٤١):ص٢٧٨٤/٨.
(١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٧٨٤/٨. بدون سند.
(١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٤٢):ص٢٧٨٤/٨.

{وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١)} [الشعراء: ٩١]

التفسير:

وأُظهرت النار للكافرين الذين ضَلُّوا عن الهدى، وتجرَّؤوا على محارم الله وكذَّبوا رسله.

قال الطبري: " يقول: وأظهرت النار للذين غووا فضلوا عن سواء السبيل"(١).

قال ابن كثير:أي:" أظهرت وكُشف عنها ، وبدت منها عُنقٌ ، فزفرت زفرة بلغت منها القلوب إلى الحناجر "(٢).

عن أبي مالك قوله: "{الجحيم}، يعنى: ما عظم من النار"(٣).

القرآن

{وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (٩٣)} [الشعراء: ٩٢-٩٣]

التفسير:

وقيل لهم توبيخًا: أين آلهتكم التي كنتم تعبدونها مِن دون الله، وتزعمون أنها تشفع لكم اليوم؟ هل ينصرونكم، فيدفعون العذاب عنكم، أو ينتصرون بدفع العذاب عن أنفسهم؟ لا شيء من ذلك.

قوله تعالى:{وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الشعراء: ٩٢-٩٣]، أي:" قيل للمجرمين على سبيل التقريع والتوبيخ: أين آلهتكم الذين عبدتموهم من الأصنام والأنداد؟"(٤).

قال الطبري: أي:" من الأنداد"(٥).

قوله تعالى:{هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ} [الشعراء: ٩٣]، أي:" هل ينصرونكم، فيدفعون العذاب عنكم، أو ينتصرون بدفع العذاب عن أنفسهم؟"(٦).

قال الطبري: يقول:" {هل ينصرونكم} اليوم من الله، فينقذونكم من عذابه، {أو ينتصرون} لأنفسهم، فينجونها مما يراد بها؟"(٧).

قال ابن كثير:" أي : ليست الآلهة التي عبدتموها من دون الله ، من تلك الأصنام والأنداد تغني عنكم اليوم شيئًا ، ولا تدفع عن أنفسها ؛ فإنكم وإياها اليوم حَصَبُ جَهَنم أنتم لها واردون"(٨).

قال الصابوني:" هذا كله توبيخ"(٩).

عن الزعراء:" قال عبد الله بن مسعود: ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض فينفخ فيه فلا يبقى لله خلق في السماوات والأرض إلا مات إلا ما شاء ربك ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون وليس من بني آدم خلق في الأرض إلا في السماء منه شيء، فيرسل الله ماء من تحت العرش منيا كمني الرجال فينبت جسمانهم ولحمانهم من ذلك الماء كما تنبت الأرض من الثرى ثم قال عبد الله بن مسعود والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض فينفخ فيه فتنطلق كل نفس إلى جسدها حتى تدخل فيه ثم يقومون فيحيون تحية رجل واحد قياما لرب العالمين وليس أحد كان يعبد شيئا من دون الله في الدنيا إلا هو مرفوع له يتبعه، ثم الله تبارك

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٣٦٦-٣٦٧.
(٢) تفسير ابن كثير:٦/١٤٩-١٥٠.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٤٣):ص٨/٢٧٨٤.
(٤) صفوة التفاسير:٢/٣٥٣.
(٥) تفسير الطبري:١٩/٣٦٧.
(٦) صفوة التفاسير:٢/٣٥٣.
(٧) تفسير الطبري:١٩/٣٦٧.
(٨) تفسيرابن كثير:٦/١٥٠.
(٩) صفوة التفاسير:٢/٣٥٣.

وتعالى يلقى الخلق فيلقى اليهود فيقول: من تعبدون فيقولون نعبد عزيرا فيقول: هل يسركم الماء؟ فيقولون: نعم، فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب ثم كذلك من كان يعبد من دون الله شيئا ثم يمر به المسلمون فيقول: من تعبدون فيقولون: نعبد الله ولا نشرك به شيئا"[(١)].

فوائد الآيات:[٨٣-٩٣]:

١-بيان أن الجنة تورث ويذكر تعالى سبب إرثها وهو التقوى في قوله {تلك الجنة لتي نورث من عبادنا من كان تقياً}

٢- مشروعية الاستغفار للوالدين إن ماتا على التوحيد.

٣- بطلان الانتفاع يوم القيامة بغير الإيمان والعمل الصالح بعد فضل الله ورحمته.

٤- الترغيب في التقوى والتحذير من الغواية.

القرآن

{فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥)} [الشعراء: ٩٤-٩٥]

التفسير:

فجُمِعوا وألقُوا في جهنم، هم والذين أضلوهم وأعوان إبليس الذين زيَّنوا لهم الشر، لم يُفْلِت منهم أحد.

قوله تعالى: {فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ} [الشعراء: ٩٤]، أي:" فجُمِعوا وألقُوا في جهنم، هم والذين أضلوهم"[(٢)].

قال الطبري:" يقول: وكبكب فيها مع الأنداد والغاوين"[(٣)].

قال مقاتل:" يعني: فقذفوا في النار، يعني: فقذفهم الحزنة في النار، {هم} يعني: كفار بني آدم، {والغاوون}، يعني: الشياطين الذين أغووا بني آدم"[(٤)].

قال ابن كثير:" المراد : أنه ألقي بعضهم على بعض ، من الكفار وقادتهم الذين دعوهم إلى الشرك"[(٥)].

قال الزمخشري:" أى: الآلهة وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم. و«الكبكبة»: تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقى في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها، اللهم أجرنا منها يا خير مستجار"[(٦)].

عن ابن عباس قوله: "{فكبكبوا فيها} يقول: جمعوا فيها"[(٧)]. وروى عن السدي مثل ذلك[(٨)].

عن مجاهد: "{فكبكبوا فيها}، قد هووا فيها"[(٩)].

قال ابن زيد:" طرحوا فيها"[(١٠)].

عن السدي قوله: "{فكبكبوا فيها}، قال: الآلهة"[(١١)]، "{فيها}، في النار"[(١٢)].

وعن السدي: "{فكبكبوا}، قال: مشركوا العرب"[(١٣)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٧٤٤):ص٢٧٨٤/٨.

(٢) التفسير الميسر:٣٧١.

(٣) تفسير الطبري:٣٦٧/١٩.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٠/٣.

(٥) تفسير ابن كثير:١٥٠/٦.

(٦) الكشاف:٣٢٢/٣.

(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٤٥):ص٢٧٨٥/٨.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٧٨٥/٨. بدون سند.

(٩) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٤٦):ص٢٧٨٥/٨.

(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٤٧):ص٢٧٨٥/٨.

(١١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٤٨):ص٢٧٨٥/٨.

(١٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٥٠):ص٢٧٨٥/٨.

(١٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٤٩):ص٢٧٨٥/٨.

قال السدي:" يقول: جمعوا فيها هم الآلهة والمشركون"[1].
عن ابن عباس، قوله: "{الغاوون}، قال: المشركون"[2].
عن السدي: "{الغاوون}: مشركوا العرب"[3].
عن قتادة ، قوله:"{هم والغاوون}، قال: الشياطين"[4].
قوله تعالى: {وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ} [الشعراء: ٩٥]، أي:" وأتباعُ إبليس قاطبة من الإنس والجن"[5].
قال مقاتل:" يعني: ذرية إبليس كلهم"[6].
قال الطبري:" وجنوده: كل من كان من تباعه، من ذريته كان أو من ذرية آدم"[7].
قال الزمخشري:" {جنود إبليس}: شياطينه، أو متبعوه من عصاة الجن والإنس"[8].
قال ابن كثير:" أي : ألقوا فيها عن آخرهم "[9].
عن السدي، قوله: "{وجنود إبليس أجمعون}، قال: مما كان من ذريته"[10].
عن السدي قوله: "{وجنود إبليس أجمعون}، قال: هم الشياطين"[11].
قال ابن عباس:" إن الجن لا يدخلون الجنة إنما ينجو مؤمنهم من العذاب، لأنهم من ذرية إبليس ولا يدخل ذرية إبليس الجنة"[12].

القرآن
{قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩)} [الشعراء: ٩٦-٩٩]
التفسير:
قالوا معترفين بخطئهم، وهم يتنازعون في جهنم مع مَن أضلوهم، تالله إننا كنا في الدنيا في ضلال واضح لا خفاء فيه؛ إذ نسويكم برب العالمين المستحق للعبادة وحده. وما أوقعنا في هذا المصير السيِّئ إلا المجرمون الذين دعونا إلى عبادة غير الله فاتبعناهم.
قوله تعالى:{قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ} [الشعراء: ٩٦]، أي:" قال العابدون لمعبوديهم وهم في الجحيم يتنازعون ويتخاصمون"[13].
قال الطبري:يقول:" قال هؤلاء الغاوون والأنداد التي كانوا يعبدونها من دون الله وجنود إبليس، وهم في الجحيم يختصمون"[14].
قال الزمخشري:" يجوز أن ينطق الله الأصنام حتى يصح التقاول والتخاصم. ويجوز أن يجرى ذلك بين العصاة والشياطين"[15].

---

(١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٥٢):ص٢٧٨٥/٨.
(٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٥١):ص٢٧٨٥/٨.
(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٥٣):ص٢٧٨٦/٨.
(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٥٤):ص٢٧٨٦/٨.
(٥) صفوة التفاسير:٣٥٣/٢.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٠/٣.
(٧) تفسير الطبري:٣٦٧/١٩.
(٨) الكشاف:٣٢٢/٣.
(٩) تفسير ابن كثير:١٥٠/٦.
(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٥٥):ص٢٧٨٦/٨.
(١١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٥٦):ص٢٧٨٦/٨.
(١٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٥٧):ص٢٧٨٦/٨.
(١٣) صفوة التفاسير:٣٥٣/٢.
(١٤) تفسير الطبري:٣٦٨/١٩.
(١٥) الكشاف:٣٢٢/٣.

قال ابن عباس:" يخاصم الصادق الكاذب، والمظلمون الظالم والمهتدي الضال، والضعيف المتكبر"[1].

قوله تعالى:{تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الشعراء: ٩٧]، أي:" نقسم بالله لقد كنا في ضلالٍ واضح وبعدٍ عن الحق ظاهر"[2].

قال الطبري: " يقول: تالله لقد كنا في ذهاب عن الحق، إن كنا لفي ضلال مبين، يبين ذهابنا ذلك عنه عن نفسه، لمن تأمله وتدبره، أنه ضلال وباطل"[3].

قال ابن زيد:" الضلال هو أن يكفر بعد إيمانه"[4].

قوله تعالى:{إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: ٩٨]، أي:" حين عبدناكم مع ربّ العالمين وجعلناكم مثله في استحقاق العبادة"[5].

قال الطبري: " يقول الغاوون للذين يعبدونهم من دون الله: تالله إن كنا لفي ذهاب عن الحق حين نعدلكم برب العالمين فنعبدكم من دونه"[6].

قال ابن كثير:" أي : نجعل أمركم مطاعًا كما يطاع أمر رب العالمين ، وعبدناكم مع ربِ العالمين"[7].

عن ابن زيد، في قوله: "{إذ نسويكم برب العالمين}، قال: لتلك الآلهة"[8].

قوله تعالى:{وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ} [الشعراء: ٩٩]، أي:" وما أضلنا عن الهدى إلاّ الرؤساء والكبراء الذين زينوا لنا الكفر والمعاصي"[9].

قال الطبري: " يعني بالمجرمين إبليس، وابن آدم الذي سن القتل"[10].

قال ابن كثير:" أي : ما دعانا إلى ذلك إلا المجرمون "[11].

قال الزمخشري:" المراد بالمجرمين الذين أضلوهم: رؤساؤهم وكبراؤهم، كقوله: {رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا} [الأحزاب : ٦٧]"[12].

عن عكرمة، قوله: "{وما أضلنا إلا المجرمون}، قال: إبليس وابن آدم القاتل"[13].

القرآن

{فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) } [الشعراء: ١٠٠-١٠١]

التفسير:

فلا أحدَ يشفع لنا، ويخلِّصنا من العذاب، ولا مَن يَصْدُق في مودتنا ويشفق علينا.

قوله تعالى:{فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ} [الشعراء: ١٠٠]، أي:" ليس لنا من يشفع لنا من هول هذا اليوم"[14].

قال الطبري: " يقول: فليس لنا شافع فيشفع لنا عند الله من الأباعد، فيعفو عنا، وينجينا من عقابه"[1].

---

(١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٥٨):ص٢٧٨٦/٨.
(٢) صفوة التفاسير:٣٥٣/٢.
(٣) تفسير الطبري:٣٦٨/١٩.
(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٥٩):ص٢٧٨٦/٨.
(٥) صفوة التفاسير:٣٥٣/٢.
(٦) تفسير الطبري:٣٦٨/١٩.
(٧) تفسير ابن كثير:١٥٠/٦.
(٨) أخرجه الطبري:٣٦٨/١٩.
(٩) صفوة التفاسير:٣٥٣/٢.
(١٠) تفسير الطبري:٣٦٨/١٩.
(١١) تفسير ابن كثير:١٥٠/٦.
(١٢) الكشاف:٣٢٢/٣.
(١٣) اخرجه الطبري:٣٦٨/١٩.
(١٤) صفوة التفاسير:٣٥٣/٢.

قال الزمخشري:" {فما لنا من شافعين}، كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين"[٢].

عن ابن جريج: "{فما لنا من شافعين}، قال: من الملائكة"[٣].

قوله تعالى:{وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ} [الشعراء: ١٠١]، أي:" ولا صديقٍ خالص الود ينقذنا من عذاب الله"[٤].

قال الطبري:أي: " من الأقارب"[٥].

قال ابن كثير:" أي : قريب "[٦].

قال الزمخشري:" {ولا صديق} كما نرى لهم أصدقاء، لأنه لا يتصادق في الآخرة إلا المؤمنون. وأما أهل النار فبينهم التعادي والتباغض، قال الله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين أو: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء وأصدقاء، لأنهم كانوا يعتقدون في أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله، وكان لهم الأصدقاء من شياطين الإنس. أو أرادوا أنهم وقعوا في مهلكة علموا أن الشفعاء والأصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم، فقصدوا بنفيهم نفى ما يتعلق بهم من النفع، لأن ما لا ينفع: حكمه حكم المعدوم، و«الحميم»: من الاحتمام، وهو الاهتمام، وهو الذي يهمه ما يهمك. أو من الحامة بمعنى الخاصة، وهو الصديق الخاص"[٧].

عن ابن جريج: "{ولا صديق حميم}، قال: من الناس"[٨].

عن مجاهد:" {صديق حميم}، قال: شقيق"[٩].

قال يحيى بن سعيد المسمعي: "كان قتادة إذا قرأ: {فما لنا من شافعين ولا صديق حميم}، قال: يعلمون والله أن الصديق إذا كان صالحا نفع، وأن الحميم إذا كان صالحا شفع"[١٠].

قال الزمخشري:" جمع الشافع ووحد الصديق، لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق، ألا ترى أن الرجل إذا امتحن بإرهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته، رحمة له وحسبة، وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة. وأما الصديق- وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما أهمك- فأعز من بيض الأنوق[١١]. وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال: اسم لا معنى له. ويجوز أن يريد بالصديق: الجمع"[١٢].

القرآن

{فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٢)} [الشعراء: ١٠٢]

التفسير:

فليت لنا رجعة إلى الدنيا، فنصير من جملة المؤمنين الناجين.

قوله تعالى:{فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً} [الشعراء: ١٠٢]، أي:" فليت لنا رجعة إلى الدنيا"[١٣].

قال الطبري: " يقول: فلو أن لنا رجعة إلى الدنيا"[١].

---

(١) تفسير الطبري:٣٦٨/١٩.
(٢) الكشاف:٣٢٢/٣.
(٣) أخرجه الطبري:٣٦٨/١٩.
(٤) صفوة التفاسير:٣٥٣/٢.
(٥) تفسير الطبري:٣٦٨/١٩.
(٦) تفسير ابن كثير:١٥٠/٦.
(٧) الكشاف:٣٢٢/٣.
(٨) أخرجه الطبري:٣٦٨/١٩.
(٩) أخرجه الطبري:٣٦٨/١٩-٣٦٩.
(١٠) أخرجه الطبري:٣٦٩/١٩.
(١١)في الصحاح: الأنوق- على فعول-: طائر وهو الرخمة.
(١٢) الكشاف:٣٢٢/٣-٣٢٣.
(١٣) التفسير الميسر:٣٧١.

قال ابن عباس:" يعنون: رجعة"(٢).

قال الزمخشري:" {لو}: في مثل هذا الموضع في معنى التمني، كأنه قيل: فليت لنا كرة. وذلك لما بين معنى «لو» و «ليت» من التلاقي في التقدير. ويجوز أن تكون على أصلها ويحذف الجواب، وهو: لفعلنا كيت وكيت"(٣).

قوله تعالى:{فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ١٠٢]، أي:" فنصير من جملة المؤمنين الناجين"(٤).

قال الطبري:أي: " فنؤمن بالله فنكون بإيماننا به من المؤمنين"(٥).

قال ابن كثير:" وذلك أنهم يتمنون أنهم يردُّون إلى الدار الدنيا ، ليعملوا بطاعة ربهم - فيما يزعمون - وهو ، سبحانه وتعالى ، يعلم أنه لو ردهم إلى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون. وقد أخبر تعالى عن تخاصم أهل النار في سورة «ص» ، ثم قال : { إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ } [ص : ٦٤]"(٦).

عن ابن عباس، قوله:{فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}، قال:" حتى تحل لنا الشفاعة كما حلت لهؤلاء"(٧).

القرآن

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٠٤)} [الشعراء: ١٠٣-١٠٤]

التفسير:

إن في نبأ إبراهيم السابق لَعبرة لِمن يعتبر، وما صار أكثر الذين سمعوا هذا النبأ مؤمنين. وإن ربك لهو العزيز القادر على الانتقام من المكذبين، الرحيم بعباده المؤمنين.

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً} [الشعراء: ١٠٣]، أي:" إن في نبأ إبراهيم السابق لَعبرة لِمن يعتبر"(٨).

قال الطبري: يقول:" إن فيما احتج به إبراهيم على قومه من الحجج التي ذكرنا له لدلالة بينة واضحة لمن اعتبر، على أن سنة الله في خلقه الذين يستنون بسنة قوم إبراهيم من عبادة الأصنام والآلهة، ويقتدون بهم في ذلك ما سن فيهم في الدار الآخرة، من كبكبتهم وما عبدوا من دونه مع جنود إبليس في الجحيم"(٩).

قال ابن كثير:" أي : إن في محاجة إبراهيم لقومه وإقامته الحجج عليهم في التوحيد لآية ودلالة واضحة جلية على أنه لا إله إلا الله "(١٠).

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ١٠٣]، أي:" وما صار أكثر الذين سمعوا هذا النبأ مؤمنين"(١١).

قال الطبري:" وما كان أكثرهم في سابق علمه مؤمنين"(١٢).

---

(١) تفسير الطبري:٣٦٩/١٩.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٧٦٢):ص٢٧٨٧/٨.
(٣) الكشاف:٣٢٣/٣.
(٤) التفسير الميسر:٣٧١.
(٥) تفسير الطبري:٣٦٩/١٩.
(٦) تفسير ابن كثير:١٥٠/٦.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٧٦٣):ص٢٧٨٧/٨.
(٨) التفسير الميسر:٣٧١.
(٩) تفسير الطبري:٣٦٩/١٩.
(١٠) تفسير ابن كثير:١٥٠/٦.
(١١) التفسير الميسر:٣٧١.
(١٢) تفسير الطبري:٣٦٩/١٩.

قوله تعالى:{وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [الشعراء: ١٠٤]، أي:" وإن ربك لهو العزيز القادر على الانتقام من المكذبين، الرحيم بعباده المؤمنين"(١).

قال الطبري: يقول:" وإن ربك يا محمد لهو الشديد الانتقام ممن عبد دونه، ثم لم يتب من كفره حتى هلك، الرحيم بمن تاب منهم أن يعاقبه على ما كان سلف منه قبل توبته من إثم وجرم"(٢).

فوائد الآيات:[٩٤-١٠٤]:

١- تقرير أن دعاة الزنى والربا والخرافة والشركيات من الناس هم من جند إبليس.

٢- تقرير أن المجرمين هم الذين أفسدوا نفوسهم ونفوس غيرهم بدعوتهم إلى الضلال وحملهم على المعاصي.

٣- تقرير أن الشفاعة لن تكون لمن مات على الشرك والكفر.

٤- لا تنفع العبر والمواعظ والآيات في هداية قوم كتب الله أزلاً شقاءهم وعلم منهم أنهم لا يؤمنون فكتب ذلك عليهم.

القرآن

{كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١٠)} [الشعراء : ١٠٥-١١٠]

التفسير:

كَذَّبت قوم نوح رسالة نبيهم، فكانوا بهذا مكذبين لجميع الرسل؛ لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل. إذ قال لهم أخوهم نوح: ألا تخشون الله بترك عبادة غيره؟ إني لكم رسول أمين فيما أبلغكم، فاجعلوا الإيمان وقاية لكم من عذاب الله وأطيعوني فيما آمركم به من عبادته وحده. وما أطلب منكم أجرًا على تبليغ الرسالة، ما أجري إلا على رب العالمين، المتصرف في خلقه، فاحذروا عقابه، وأطيعوني بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

قوله تعالى: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء : ١٠٥] ، أي:" كَذَّبت قوم نوح رسالة نبيهم، فكانوا بهذا مكذبين لجميع الرسل؛ لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل"(٣).

قال مقاتل: يعني: كذبوا نوحا وحده"(٤).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {كذبت قوم نوح} رسل الله الذين أرسلهم إليهم لما"(٥).
لما"(٥).

قال الزجاج:" دخلت«التاء» و«قوم نوح» مذكرون، لأن المعنى: كذبت جماعة قوم نوح، وقال: «المرسلين»، ويجوز أن يكونوا كذبوا نوحا وحده، ومن كذب رسولا واحدا من رسل الله فقد كذب الجماعة وخالفها، لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل، وجائز أن يكون كذبت جميع الرسل"(٦).

عن أنس أن النبي ﷺ قال: "أول نبي أرسل نوح عليه السلام"(٧).

قال يزيد الرقاشي: "إنما سمي نوحا لطول ما ناح على نفسه"(٨).

---

(١) التفسير الميسر: ٣٧١.
(٢) تفسير الطبري:٣٦٩/١٩.
(٣)التفسير الميسر: ٣٧١.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٥١٢/٢.
(٥) تفسير الطبري:٣٦٩/١٩.
(٦) معاني القرآن:٩٥/٤.
(٧) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٧٦٤):ص٢٧٨٧/٨.
(٨) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٧٦٥):ص٢٧٨٧/٨.

قال ابن عباس:" بعث نوح وهو لأربعين سنة ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس ونموا"(١).

قوله تعالى: {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ} [الشعراء : ١٠٦] ، أي:" إذ قال لهم أخوهم نوح: ألا تخشون الله بترك عبادة غيره؟"(٢).

قال الطبري:" فتحذروا عقابه على كفركم به، وتكذيبكم رسله"(٣).

قال الزجاج:" قيل {أخوهم}، لأنه منهم، وكل رسول يأتي بلسان قومه ليوضع لهم الحجة ويكون أبين لهم"(٤).

قوله تعالى: {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} [الشعراء : ١٠٧] ، أي:" إني لكم رسول أمين فيما أبلغكم"(٥).

قال الطبري:أي:" {إني لكم رسول} من الله {أمين} على وحيه إلي، برسالته إياي إليكم"(٦).

قال السمعاني:" أي: أمين فيما بينكم وبين الله تعالى، وفي بعض التفاسير: أن نوحا كان يسمى الأمين قبل أن يبعثه الله"(٧).

قال الزمخشري:" كان أمينا فيهم مشهورا بالأمانة، كمحمد ﷺ في قريش"(٨).

عن عبيد بن عمير الليثي، "أنه كان يحدث أنه بلغه أنهم كانوا يبسطونه، -يعنى نوحا عليه السلام- فيخنقونه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق، قال: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، حتى إذا تمادوا في المعصية وعظمت فيهم في الأرض الخطيئة، وتطاول عليه وعليهم الشأن، واشتد عليه منهم البلاء، وانتظر النجل بعد النجل فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من الذي كان قبله حتى إن كان الآخر منهم ليقول قد كان هذا مع آبائنا ومع أجدادنا هكذا مجنونا، لا يقبلون منه شيء، حتى شكا ذلك من أمرهم نوح ﷺ إلى الله عز وجل وقال: كما قص الله علينا في كتابه"(٩).

قوله تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} [الشعراء : ١٠٨] ، أي:" فاجعلوا الإيمان وقاية لكم من عذاب الله وأطيعوني فيما آمركم به من عبادته وحده"(١٠).

قال الطبري:" فاتقوا عقاب الله أيها القوم على كفركم به، وأطيعوني في نصيحتي لكم، وأمري إياكم باتقائه"(١١).

قال السمعاني:" أي: اتقوا الله بترك الشرك، وأطيعون فيما آمركم [به]"(١٢).

قال الزمخشري:أي:" {وأطيعون} في نصحي لكم وفيما أدعوكم إليه من الحق عليه على هذا الأمر، وعلى ما أنا فيه، يعني: دعاءه ونصحه "(١٣).

قوله تعالى:{وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ} [الشعراء : ١٠٩]، أي:" وما أطلب منكم أجرًا على تبليغ الرسالة"(١٤).

قال السمعاني:" أي: من جعل"(١).

---

(١) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٧٦٦):ص٢٧٨٧/٨.
(٢)التفسير الميسر:٣٧١.
(٣) تفسير الطبري:٣٦٩/١٩.
(٤) معاني القرآن:٩٥/٤.
(٥)التفسير الميسر:٣٧١.
(٦) تفسير الطبري:٣٦٩/١٩.
(٧) تفسير السمعاني:٥٧/٤.
(٨) الكشاف:٣٢٣/٣.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٦٧):ص٢٧٨٧/٨-٢٧٨٨.
(١٠)التفسير الميسر:٣٧١.
(١١) تفسير الطبري:٣٧٠/١٩.
(١٢) تفسير السمعاني:٥٧/٤.
(١٣) الكشاف:٣٢٣/٣-٣٢٤.
(١٤)التفسير الميسر:٣٧١.

قال الطبري:" يقول: وما أطلب منكم على نصيحتي لكم وأمري إياكم باتقاء عقاب الله بطاعته فيما أمركم ونهاكم، من ثواب ولا جزاء"(٢).

عن ابن عباس:" {أجر}، يقول: عرضا من عرض الدنيا"(٣).

قوله تعالى:{إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء : ١٠٩]، أي:" ما أجري إلا على رب العالمين، المتصرف في خلقه"(٤).

قال الطبري: يقول: " {إن أجري إلا على رب العالمين} دونكم ودون جميع خلق الله"(٥).

قال السمعاني:" أي: ثوابي، قال أهل العلم: ولا يجوز للنبي أن يأخذ جعلا على النبوة؛ لأنه يؤدي إلى تنفير الناس عن قبول الإيمان، ويجوز أن يأخذ الهدية؛ لأنه لا يؤدي إلى التنفير"(٦).

عن مجاهد،: "{إن أجري إلا على الله}، قال: جزائي"(٧).

قوله تعالى:{فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} [الشعراء : ١١٠]، أي: فاحذروا عقابه، وأطيعوني بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه"(٨).

قال الطبري: يقول:" فاتقوا عقاب الله على كفركم به، وخافوا حلول سخطه بكم على تكذيبكم رسله، وأطيعون: يقول: وأطيعوني في نصيحتي لكم، وأمري إياكم بإخلاص العبادة لخالقكم"(٩).

قال السمعاني:" أعاده تأكيدا"(١٠).

قال الزمخشري:" فاتقوا الله في طاعتي، وكرره ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم، مع تعليق كل واحدة منهما بعلة، جعل علة الأول كونه أمينا فيما بينهم، وفي الثاني حسم طمعه عنهم"(١١).

القرآن

{قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (١١١)} [الشعراء : ١١١]

التفسير:

قال له قومه: كيف نصدِّقك ونتبعك، والذين اتبعوك أراذل الناس وأسافلهم؟

قال الطبري: " قالوا: أنؤمن لك يا نوح، ونقر بتصديقك فيما تدعونا إليه، وإنما اتبعك منا الأرذلون دون ذوي الشرف وأهل البيوتات"(١٢).

قال الزجاج:" قيل في قوله: «الأرذلون»: نسبوهم إلى الحياكة والحجامة، والصناعات لا تضر في باب الديانات"(١٣).

قال الواحدي:" {واتبعك الأرذلون}، يعني: السلفة والحاكة"(١٤).

---

(١) تفسير السمعاني:٥٧/٤.
(٢) تفسير الطبري:٣٧٠/١٩.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٦٨):ص٢٧٨٨/٨.
(٤)التفسير الميسر:٣٧١.
(٥) تفسير الطبري:٣٧٠/١٩.
(٦) تفسير السمعاني:٥٧/٤-٥٨.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٧٠):ص٢٧٨٨/٨.
(٨)التفسير الميسر:٣٧١.
(٩) تفسير الطبري:٣٧٠/١٩.
(١٠) تفسير السمعاني:٥٨/٤.
(١١) الكشاف:٣٢٤/٣.
(١٢) تفسير الطبري:٣٧٠/١٩.
(١٣) المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(١٤) الوجيز:٧٩٢.

قال السمعاني:" في التفسير: أنهم الحاكة، والحجامون، والأساكفة ومن أشبههم، وقيل: إنهم أسافل الناس"(١).

قال الزمخشري:" الرذالة والنذالة: الخسة والدناءة. وإنما استرذلوهم لا تضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا. وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة. والصناعة لا تزري بالديانة، وهكذا كانت قريش تقول في أصحاب رسول الله ﷺ، وما زالت أتباع الأنبياء كذلك، حتى صارت من سماتهم وأماراتهم. ألا ترى إلى هرقل حين سأل أبا سفيان عن أتباع رسول الله ﷺ، فلما قال: «ضعفاء الناس وأراذلهم قال: ما زالت أتباع الأنبياء كذلك»(٢)"(٣).

عن مجاهد، قوله: "{واتبعك الأرذلون}، قال: الحواكون"(٤).

عن قتادة، قوله: "{أنؤمن لك واتبعك الأرذلون}، يقول: سفلة الناس وأراذلهم"(٥).

ويقرأ« وأتباعك الأرذلون»(٦). قال الزجاج:" وهي في العربية جيدة قوية لأن واو الحال تصحب الأسماء أكثر في العربية، لأنك تقول: جئتك وأصحابك الزيدون، ويجوز: وصحبك الزيدون، والأكثر جئتك وقد صحبك الزيدون"(٧).

القرآن

{قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢)} [الشعراء : ١١٢]

التفسير:

فأجابهم نوح عليه السلام بقوله: لست مكلفًا بمعرفة أعمالهم، إنما كُلفت أن أدعوهم إلى الإيمان. والاعتبار بالإيمان لا بالحسب والنسب والحِرف والصنائع.

قال الطبري: " قال نوح لقومه: وما علمي بما كان أتباعي يعملون، إنما لي منهم ظاهر أمرهم دون باطنه، ولم أكلف علم باطنهم، وإنما كلفت الظاهر، فمن أظهر حسنا ظننت به حسنا، ومن أظهر سيئا ظننت به سيئا"(٨).

قال السمعاني:" معنى قول نوح: «أنه لا علم لي بصناعتهم»، وإنما أمرت أن أدعوهم إلى الله، فمن أجاب قبلته"(٩).

قال الزمخشري:يقول:" وأى شيء علمى؟ والمراد: انتفاء علمه بإخلاص أعمالهم لله واطلاعه على سر أمرهم وباطنه. وإنما قال هذا لأنهم قد طعنوا- مع استرذالهم- في إيمانهم، وأنهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة، وإنما آمنوا هوى وبديهة، كما حكى الله عنهم في قوله: {الذين هم أراذلنا بادي الرأي}. ويجوز أن يتغابى لهم نوح عليه السلام. فيفسر قولهم «الأرذلين»، بما هو الرذالة عنده، من سوء الأعمال وفساد العقائد، ولا يلتفت إلى ما هو الرذالة عندهم"(١٠).

قال ابن زيد:" «يعملون» و«يصنعون» واحد"(١١).

القرآن

---

(١) تفسير السمعاني:٥٨/٤.

(٢)متفق عليه من حديث ابن عباس عن أبى سفيان بلفظ: وسألتك ضعفاء الناس اتبعوه أم أشرافهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم وكذلك أتباع الرسل. قلت: رواه بلفظ «أراذلهم».

(٣) الكشاف:٣٢٤/٣.

(٤)أخرجه بن أبي حاتم(١٥٧٧٢):ص٢٧٨٨/٨ .

(٥)أخرجه بن أبي حاتم(١٥٧٧١):ص٢٧٨٨/٨ .

(٦) انظر: معاني القرآن:٩٥/٤.

(٧) المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٨) تفسير الطبري:٣٧٠/١٩.

(٩) تفسير السمعاني:٥٨/٤.

(١٠) الكشاف:٣٢٤/٣.

(١١) خرجه ابن أبي حاتم(١٥٧٧٣):ص٢٧٨٨/٨.

{إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣)} [الشعراء : ١١٣]
التفسير:
ما حسابهم للجزاء على أعمالهم وبواطنهم إلا على ربي المطَّلِع على السرائر. لو كنتم تشعرون بذلك لما قلتم هذا الكلام.

قوله تعالى:{إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي} [الشعراء : ١١٣]، أي:" ما حسابهم للجزاء على أعمالهم وبواطنهم إلا على ربي المطَّلِع على السرائر"(١).

قال الطبري: " يقول: إن حساب باطن أمرهم الذي خفي عني إلا على ربي، فإنه يعلم سر أمرهم وعلانيته"(٢).

قال السمعاني:" {إن حسابهم} أي: أعمالهم {إلا على ربي}"(٣).

قال الزمخشري:" يقول: ما على إلا اعتبار الظواهر، دون التفتيش عن أسرارهم والشق عن قلوبهم، وإن كان لهم عمل سيئ، فالله محاسبهم ومجازيهم عليه، وما أنا إلا منذر لا محاسب ولا مجاز"(٤).

قال ابن جريج:" هو أعلم بما في نفوسهم"(٥).

قوله تعالى:{لَوْ تَشْعُرُونَ} [الشعراء : ١١٣]، أي:" لو كنتم تشعرون بذلك لما قلتم هذا الكلام"(٦).

قال السمعاني:" أي: لو تعلمون"(٧).

قال الزمخشري: يقول:" لو تشعرون ذلك، ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم، وقصد بذلك رد اعتقادهم وإنكار أن يسمى المؤمن رذلا، وإن كان أفقر الناس وأوضعهم نسبا، فإن الغنى غنى الدين، والنسب نسب التقوى"(٨).

قال زر بن حبيش: "شهدت صاحبنا وابصة بن معبد وسمع رجلين يتنازعان في أهل العراق وأهل الشام، يعيب أحدهما هؤلاء ويعيب الآخر هؤلاء. قال وابصة: فهلا يقولون غير ذلك. قال: وماذا نقول؟ قال: يقولان: {إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون}"(٩).

القرآن
{وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١١٥)} [الشعراء : ١١٤-١١٥]
التفسير:
وما أنا بطارد الذين يؤمنون بدعوتي، مهما تكن حالهم؛ تلبية لرغبتكم كي تؤمنوا بي. ما أنا إلا نذير بيِّن الإنذار.

قوله تعالى:{وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء : ١١٥]، أي:" وما أنا بطارد الذين يؤمنون بدعوتي، مهما تكن حالهم؛ تلبية لرغبتكم كي تؤمنوا بي"(١٠).

قال الطبري: يقول:" وما أنا بطارد من آمن بالله واتبعني على التصديق بما جئت به من عند الله"(١١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٧٢.
(٢) تفسير الطبري:٣٧٠/١٩.
(٣) تفسير السمعاني:٥٨/٤.
(٤) الكشاف:٣٢٤/٣.
(٥) أخرجه الطبري:٣٧٠/١٩.
(٦) التفسير الميسر:٣٧٢.
(٧) تفسير السمعاني:٥٨/٤.
(٨) الكشاف:٣٢٤/٣-٣٢٥.
(٩) خرجه ابن أبي حاتم(١٥٧٧٤):ص٢٧٨٨/٨.
(١٠) التفسير الميسر:٣٧٢.
(١١) تفسير الطبري:٣٧٠/١٩.

قال الزمخشري:" يريد: ليس من شأني أن أتبع شهواتكم وأطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح إيمانهم طمعا في إيمانكم وما على إلا أن أنذركم إنذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل، ثم أنتم أعلم بشأنكم"(١).

عن سعيد بن جبير، {المؤمنين}، يعني: المصدقين"(٢).

قوله تعالى:{إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الشعراء : ١١٥]، أي:" ما أنا إلا نذير بيِّن الإنذار"(٣).

قال الطبري: " يقول: ما أنا إلا نذير لكم من عند ربكم أنذركم بأسه، وسطوته على كفركم به {مبين}: يقول: نذير قد أبان لكم إنذاره، ولم يكتمكم نصيحته"(٤).

عن ابن عباس، "{نذير}، قال: نذير من النار"(٥).

فوائد الآيات:[١٠٥-١١٥]:

١-أن من كذب رسولاً فكأنما كذب كل الرسل وذلك باعتبار أن دعوتهم واحدة وهي أن يُعْبَدَ الله وحده بما شرع للناس من عبادات تطهرهم وتزكيهم.

٢- إثبات أخوة النسب، ولا تعارض بينها وبين أخوة الدين.

٣- عدم جواز أخذ أجرة على دعوة الله تعالى. ووجوب إبلاغها مجانا.

٤- وجوب التقوى لله تعالى، وطاعة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٥- لا يجوز طرد الفقراء من مجالس العلم ليجلس مجالسهم الأغنياء وأهل الجاه.

القرآن

{قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦)} [الشعراء: ١١٦]

التفسير:

عدل قوم نوح عن المحاورة إلى التهديد، فقالوا له: لئن لم ترجع -يا نوح- عن دعوتك لتكوننَّ مِنَ المقتولين رميًا بالحجارة.

قال الطبري:" قال لنوح قومه: لئن لم تنته يا نوح عما تقول، وتدعو إليه، وتعيب به آلهتنا، لتكونن من المشتومين، يقول: لنشتمك"(٦).

قال ابن كثير:" لما طال مقام نبي الله بين أظهرهم يدعوهم إلى الله ليلا ونهارًا ، وجهرًا وإسرارًا ، وكلما كرر عليهم الدعوة صمموا على الكفر الغليظ ، والامتناع الشديد ، وقالوا في الآخر : { لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ } أي : عن دعوتك إيانا إلى دينك يا نوح { لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ } أي : لنرجمنَّك"(٧).

قال مقاتل:{مِنَ الْمَرْجُومِينَ}، "يعني: من المقتولين"(٨).

قال الزجاج:" أي: بالحجارة"(٩).

عن قتادة، قوله: "{لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين}، أي: بالحجارة"(١٠).

وقال السدي:" بالشتيمة"(١١).

---

(١) الكشاف:٣/٣٢٥.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٧٧٥):ص٨/٢٧٨٨.

(٣) التفسير الميسر:٣٧٢.

(٤) تفسير الطبري:١٩/٣٧٠.

(٥) خرجه ابن أبي حاتم(١٥٧٧٦):ص٨/٢٧٨٨.

(٦) تفسير الطبري:١٩/٣٧١.

(٧) تفسير ابن كثير:٦/١٥١.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٢٧٢.

(٩) معاني القرآن:٤/٩٥.

(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٧٨):ص٨/٢٧٨٩.

(١١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٧٩):ص٨/٢٧٨٩.

عن عبد بن عمير الليثي، "أنه كان يحدث أنه بلغه أنهم يبطشون به فيخنقونه. حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"(١).

القرآن

{قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨)} [الشعراء: ١١٧-١١٨]

التفسير:

فلما سمع نوح قولهم هذا دعا ربه بقوله: رب إن قومي أصروا على تكذيبي، فاحكم بيني وبينهم حكمًا تُهلك به مَن جحد توحيدك وكذَّب رسولك، ونجني ومَن معي من المؤمنين مما تعذب به الكافرين.

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ} [الشعراء: ١١٧]، أي:" رب إن قومي أصروا على تكذيبي"(٢).

قال الطبري:أي:"{كذبون} فيما أتيتهم به من الحق من عندك، وردوا علي نصيحتي لهم"(٣).

قال الزمخشري:" ليس هذا بإخبار بالتكذيب، لعلمه أن عالم الغيب والشهادة أعلم، ولكنه أراد أنى لا أدعوك عليهم لما غاظونى وآذوني، وإنما أدعوك لأجلك ولأجل دينك"(٤).

عن ابن عمير الليثي: "حتى إذا تمادوا يعنى قوم نوح في المعصية وعظمت فيهم في الأرض الخطيئة وتطاول عليه وعليهم الشأن، واشتد عليهم منه البلاء وانتظر النجل بعد النجل فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من الذي كان قبله حتى إن كان الآخر منهم ليقول: قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنونا لا يقبلون منه شيء حتى شكي ذلك من أمرهم نوح إلى الله عز وجل فقال كما قص الله علينا في كتابه: رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا إلى آخر القصة إلى آخر السورة فلما شكي نوح عليه السلام ذلك منهم إلى الله واستنصره عليهم أوحى الله إليه أن اصنع الفلك"(٥).

قوله تعالى:{فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا} [الشعراء: ١١٨]، أي:" فاحكم بيني وبينهم حكمًا تُهلك به مَن جحد توحيدك وكذَّب رسولك"(٦).

قال الطبري:" يقول: فاحكم بيني وبينهم حكما من عندك تهلك به المبطل، وتنتقم به ممن كفر بك وجحد توحيدك، وكذب رسولك"(٧).

قال قتادة:" فاقض بيني وبينهم قضاء"(٨).

قال ابن زيد:" يقول: اقض بيني وبينهم"(٩).

قال الزمخشري: يقول:"ولأنهم كذبوني في وحيك ورسالتك، فاحكم بيني وبينهم، و«الفتاحة»: الحكومة. والفتاح: الحاكم، لأنه يفتح المستغلق كما سمى فيصلا، لأنه يفصل بين الخصومات"(١٠).

---

(١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٨٠):ص٢٧٨٩/٨.
(٢) التفسير الميسر:٣٧٢.
(٣) تفسير الطبري:٣٧١/١٩.
(٤) الكشاف:٣٢٥/٣.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٨١):ص٢٧٩٠/٨.
(٦) التفسير الميسر:٣٧٢.
(٧) تفسير الطبري:٣٧١/١٩.
(٨) أخرجه الطبري:٣٧١/١٩.
(٩) أخرجه الطبري:٣٧١/١٩.
(١٠) الكشاف:٣٢٥/٣.

قال ابن عباس: "ما كنت أدري ما قوله: «افتح بيننا وبين قومنا بالحق»، حتى سمعت بن ذي يزن يقول: تعالى أفاتحك. يعني: تعال أخاصمك"(١).

قوله تعالى:{وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ١١٨]، أي:" ونجني ومَن معي من المؤمنين مما تعذب به الكافرين"(٢).

قال الطبري:" يقول: ونجني من ذلك العذاب الذي تأتي به حكما بيني وبينهم، والذين معي من أهل الإيمان بك والتصديق لي"(٣).

القرآن

{فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩)} [الشعراء: ١١٩]

التفسير:

فأنجيناه ومَن معه في السفينة المملوءة بصنوف المخلوقات التي حملها معه.

قال الطبري:" يقول: فأنجينا نوحا ومن معه من المؤمنين -حين فتحنا بينهم وبين قومهم، وأنزلنا بأسنا بالقوم الكافرين- في الفلك المشحون، يعني في السفينة الموقرة المملوءة"(٤).

قال ابن كثير:" أي : نجيناه ومن معه كلهم، و«المشحون»: هو المملوء بالأمتعة والأزواج التي حمل فيه من كل زوجين اثنين"(٥).

عن ابن عباس، قوله: "{في الفلك المشحون}، قال: يعني الموقر"(٦).

وقال ابن عباس:" كان طول سفينة نوح عليه السلام أربعمائة ذراع وطولها في السماء ثلاثون ذراعا"(٧).

عن مجاهد، قوله: "{الفلك المشحون}، قال: المفروغ منه المملوء"(٨). وفي رواية:" المفروغ منه تحميلا"(٩).

عن قتادة، قوله:"{الفلك المشحون}، قال: هو المحمل"(١٠).

قال الزجاج:" {المشحون}: المملوء، يقال: شحنته أي ملأته"(١١).

قال قتادة:" ذكر لنا أنه لم ينج ممن في السفينة إلا نوح وثلاثة بنين له ونساؤهم فجميعهم ثمانية"(١٢).

قال ابن عباس:" كان في سفينة نوح ثمانون رجلا أحدهم جرهم وكان لسانه عربيا"(١٣).

قال مطر:" كان مع نوح في السفينة سبعة نوح وثلاثة أولاده وكنائنه ثلاث"(١٤).

قال محمد بن إسحاق:" ما على وجه الأرض من الخلق شيء فيه الروح أو شجر فلم يبق من الخلائق إلا نوح ومن معه في الفلك الأعوج بن أعنق فيما يزعم أهل الكتاب وكان عوج بن سيحان وأمه أعنق جبارا خلقه الله كما شاء أن يخلقه له وكانت أمه أعنق من بنات آدم فكانت فيما يزعمون من أحسن الناس فأما أهل الكتاب يقولون في ولادته أمرا لا نحب أن نقوله وكان

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٨٢):ص٢٧٩٠/٨.
(٢) التفسير الميسر:٣٧٢.
(٣) تفسير الطبري:٣٧١/١٩.
(٤) تفسير الطبري:٣٧١/١٩.
(٥) تفسير ابن كثير:١٥٢/٦.
(٦) أخرجه الطبري:٣٧١/١٩.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٧٩١):ص٢٧٩١/٨.
(٨) أخرجه الطبري:٣٧٢/١٩.
(٩) أخرجه الطبري:٣٧٢/١٩.
(١٠) أخرجه الطبري:٣٧٢/١٩.
(١١) معاني القرآن:٩٥/٤.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٨٧):ص٢٧٩١/٨.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٨٦):ص٢٧٩٠/٨.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٨٨):ص٢٧٩١/٨.

فيما يزعمون السحاب يكون على محجز إزاره وانه كان يصوب يده فيأخذ الحوب من أسفل البحر ثم يشويه بيده بقلب الشمس حتى ينضجه ثم يأكله وكان عمره ثلاثة آلاف سنة وستمائة سنة ولد في دار آدم ثم عاش حتى قتله موسى بن عمران ﷺ"[(١)].

القرآن

{ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠)} [الشعراء: ١٢٠]

التفسير:

ثم أغرقنا بعد إنجاء نوح ومن معه الباقين، الذين لم يؤمنوا مِن قومه وردُّوا عليه النصيحة.

قال الطبري:أي: " من قومه الذين كذبوه، وردوا عليه النصيحة"[(٢)].

قال ابن كثير: أي : " وأغرقنا مَنْ كذبه وخالف أمره كلهم "[(٣)].

قال عوف أبي شداد: "غرق الماء الجبال فصار فوقها ثمانين سيلا. وذكر أيضا حديث المرأة معها الصبي"[(٤)].

القرآن

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١)} [الشعراء: ١٢١]

التفسير:

إن في نبأ نوح وما كان من إنجاء المؤمنين وإهلاك المكذبين لَعلامة وعبرةً عظيمة لمن بعدهم، وما كان أكثر الذين سمعوا هذه القصة مؤمنين بالله وبرسوله وشرعه.

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً} [الشعراء: ١٢١]، أي:" إن في نبأ نوح وما كان من إنجاء المؤمنين وإهلاك المكذبين لَعلامة وعبرةً عظيمة لمن بعدهم"[(٥)].

قال مقاتل:" يقول" إن في هلاك قوم نوح بالغرق لعبرة لمن بعدهم من هذه الأمة ليحذروا مثل عقوبتهم"[(٦)].

قال الطبري: يقول:" إن فيما فعلنا يا محمد بنوح ومن معه من المؤمنين في الفلك المشحون، حين أنزلنا بأسنا وسطوتنا، بقومه الذين كذبوه، لآية لك ولقومك المصدقيك منهم والمكذبيك، في أن سنتنا تنجية رسلنا وأتباعهم، إذا نزلت نقمتنا بالمكذبين بهم من قومهم، وإهلاك المكذبين بالله، وكذلك سنتي فيك وفي قومك"[(٧)].

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ١٢١]، أي:" وما كان أكثر الذين سمعوا هذه القصة مؤمنين بالله وبرسوله وشرعه"[(٨)].

قال مقاتل:" يعني: مصدقين بتوحيد الله- عز وجل- يقول: كان أكثرهم كافرين بالتوحيد ولو كان أكثرهم مؤمنين لم يعذبوا في الدنيا"[(٩)].

قال الطبري: " يقول: ولم يكن أكثر قومك بالذين يصدقونك مما سبق في قضاء الله أنهم لن يؤمنوا"[(١٠)].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٨٩):ص٢٧٩١/٨.
(٢) تفسير الطبري:٣٧٢/١٩.
(٣) تفسير ابن كثير:١٥٢/٦.
(٤) اخرجه ابن أبي حاتم(١٥٧٩٤):ص٢٧٩٢/٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٧٢.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٣/٣.
(٧) تفسير الطبري:٣٧٢/١٩.
(٨) التفسير الميسر:٣٧٢.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٣/٣.
(١٠) تفسير الطبري:٣٧٢/١٩.

قال أهل لعلم:" فإن الله سبحانه أبقى في العالم الآثار الدالة على ما فعله بأنبيائه والمؤمنين من الكرامة، وما فعله بمكذبيهم من العقوبة، كثبوت الطوفان، وإغراق فرعون وجنوده، ولما ذكر سبحانه قصص الأنبياء نبيا بعد نبي، في سورة الشعراء، كقصة موسى وإبراهيم ونوح ومن بعده، يقول في آخر كل قصة: {إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين} {وإن ربك لهو العزيز الرحيم} [الشعراء: ١٢١-١٢٢]. وبالجملة: فالعلم بأنه كان في الأرض من يقول إنه رسول الله، وأن أقواما اتبعوهم، وأن أقواما خالفوهم، وأن الله نصر الرسل والمؤمنين، وجعل العاقبة لهم، وعاقب أعداءهم: هو من أظهر العلوم المتواترة وأجلاها. ونقل أخبار هذه الأمور أظهر وأوضح من نقل أخبار من مضى من الأمم من ملوك الفرس وعلماء الطب، كبقراط وجالينوس وبطليموس وسقراط وأفلاطون وأرسطو وأتباعه. ونحن اليوم إذا علمنا بالتواتر من أحوال الأنبياء وأوليائهم وأعدائهم - علمنا يقينا أنهم كانوا صادقين على الحق من وجوه متعددة: منها: أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أولئك وبقاء العاقبة لهم. ومنها: ما أحدثه الله لهم من نصرهم وإهلاك عدوهم، إذا عرف الوجه الذي حصل عليه، - كغرق فرعون وغرق قوم نوح وبقية أحوالهم - عرف صدق الرسل"[١].

القرآن

{وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢)} [الشعراء: ١٢٢]

التفسير:

وإن ربك لهو العزيز في انتقامه ممن كفر به وخالف أمره، الرحيم بعباده المؤمنين.

قال الطبري: أي:" {العزيز}، في انتقامه ممن كفر به، وخالف أمره. {الرحيم} بالتائب منهم، أن يعاقبه بعد توبته"[٢].

قال أهل العلم:" وربما عبر عن المبتلي بالعزيز المقتدر، كقوله: {فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر} [القمر: ٤٢]، كما أشار إليه في سورة الشعراء حيث قال بعد كل قصة فيها تعذيب أعدائه الكافرين، ورحمة أوليائه المؤمنين: {وإن ربك لهو العزيز الرحيم} [الشعراء: ٩] حتى تكرر ذلك ثمان مرار بعد ثمان قصص، فكان فيه تنبيه لنا على تسمية العزيز القدير بالنظر إلى انتقامه من الكافرين، وإنزاله بهم المضار والعقوبات، وتسميته بالرحيم بالنظر إلى المؤمنين كقوله: {وكان بالمؤمنين رحيما} [الأحزاب: ٤٣]"[٣].

قال ابن عثيمين:"ختم سبحانه قصص الأنبياء وأممهم في سورة الشعراء عقيب كل قصة: {وإن ربك لهو العزيز الرحيم} [الشعراء: ٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٥، ١٩١] فإن ما حكم به لرسله وأتباعهم ولأعدائهم صادر عن عزة ورحمة فوضع الرحمة في محلها وانتقم من أعدائه بعزته ونجى رسله وأتباعهم برحمته والحكمة الحاصلة من ذلك أمر مطلوب مقصود وهي غاية الفعل لا أنها أمر اتفاقي"[٤].

فوائد الآيات:[١١٦-١٢٢]:

١- بيان سنة أن الظلمة والطغاة إذا أعيتهم الحجج يلجأون إلى القوة.

٢- جواز الاستنصار بالله تعالى وطلب الفتح بين المظلوم والظالمين.

٣- سرعة استجابة الله تعالى لعبده نوح وذلك لصبره قروناً طويلة فلما انتهى صبره ورفع شكاته إلى ربه أجابه فوراً فأنجاه وأهلك أعداءه.

القرآن

{كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣)} [الشعراء: ١٢٣]

---

(١) شرح الطحاوية:١١٥.

(٢) تفسير الطبري:٣٧٢/١٩.

(٣)العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم: ٢٢٣/٧.

(٤)المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للعلامة محمد صالح العثيمين:٥٧.

التفسير:
كذَّبت قبيلة عاد رسولهم هودًا -عليه السلام- فكانوا بهذا مكذِّبين لجميع الرسل؛ لاتحاد دعوتهم في أصولها وغايتها.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {كذبت عاد} رسل الله إليهم"[١].

قال يحيى: يعني: هودا أخاهم"[٢].

قال ابن كثير:" هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله هود ، عليه السلام ، أنه دعا قومه عادًا ، وكانوا قومًا يسكنون الأحقاف ، وهي : جبال الرمل قريبًا من بلاد حضرموت متاخمة لبلاد اليمن ، وكان زمانهم بعد قوم نوح ، كما قال في "سورة الأعراف" : { وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً } [الأعراف : ٦٩] وذلك أنهم كانوا في غاية من قوة التركيب ، والقوة والبطش الشديد ، والطول المديد ، والأرزاق الدارة ، والأموال والجنات والعيون ، والأبناء والزروع والثمار ، وكانوا مع ذلك يعبدون غير الله معه ، فبعث الله إليهم رجلا منهم رسولا وبشيرًا ونذيرًا ، فدعاهم إلى الله وحده ، وحذرهم نقمته وعذابه في مخالفته ، فقال لهم كما قال نوح لقومه"[٣].

حقال الربيع ابن خثعم: "عاد، ما بين اليمن إلى الشام مثل الذر"[٤].

قال محمد بن إسحاق:" كان من حديث عاد فيما بلغني والله أعلم أنهم كانوا قوم عربا يتكلمون بهذا اللسان العربي وكان الله قد أعطاهم بسطة في الخلق لم يعطيها غيرهم يقول الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ: ألم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد. التي لم يخلق مثلها في البلاد فكانت منازلهم وجماعتهم حيث بعث الله فيهم بالأحقاف، والأحقاف: الرمل فيما بين عمان إلى حضرموت واليمن كله، وكانوا مع ذلك فشوا في الأرض كلها وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله عز وجل"[٥].

القرآن
{إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧)} [الشعراء: ١٢٤-١٢٧]

التفسير:
إذ قال لهم أخوهم هود: ألا تخشون الله فتخلصوا له العبادة؟ إني مرسَل إليكم لهدايتكم وإرشادكم، حفيظ على رسالة الله، أبلِّغها لكم كما أمرني ربي، فخافوا عقاب الله وأطيعوني فيما جئتكم به من عند الله. وما أطلب منكم على إرشادكم إلى التوحيد أيَّ نوع من أنواع الأجر، ما أجري إلا على رب العالمين.

قوله تعالى:{إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ} [الشعراء: ١٢٤]، أي:" إذ قال لهم أخوهم هود: ألا تخشون الله فتخلصوا له العبادة؟"[٦].

قال يحيى: "أخوهم في النسب وليس بأخيهم في الدين"[٧].

قال مقاتل:" {ألا تتقون}، يعني: ألا تخشون الله- عز وجل-"[٨].

قال الطبري:" {ألا تتقون}، عقاب الله على كفركم به"[١].

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٣٧٢.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٢/٥١٣.
(٣) تفسير ابن كثير:٦/١٥٢.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٧٩٥):ص٢٧٩٢.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٧٩٦):ص٢٧٩٢.
(٦) التفسير الميسر:٣٧٢.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٢/٥١٣.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٢٧٣.

قال السدي:" إن عاد كانوا قوما باليمن بالأحقاف، والأحقاف: هي الرمال فأتاهم فوعظهم وذكرهم بما قص الله في القرآن فكذبوه وسألوا أن يأتيهم بالعذاب"[٢].

قوله تعالى:{إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} [الشعراء: ١٢٥]، أي:" إني مرسَل إليكم لهدايتكم وإرشادكم، حفيظ على رسالة الله، أبلِّغها لكم كما أمرني ربي"[٣].

قال مقاتل:" فيما بينكم وبين ربكم"[٤].

قال يحيى: " على ما جئتكم به"[٥].

قال الطبري:يقول:" {إني لكم رسول} من ربي يأمركم بطاعته، ويحذركم على كفركم بأسه، {أمين} على وحيه ورسالته"[٦].

قوله تعالى:{فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} [الشعراء: ١٢٦]، أي:" فخافوا عقاب الله وأطيعوني فيما جئتكم به من عند الله"[٧].

قال الطبري:يقول:" {فاتقوا الله} بطاعته والانتهاء إلى ما يأمركم وينهاكم {وأطيعون} فيما آمركم به من اتقاء الله وتحذيركم سطوته"[٨].

قوله تعالى:{وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ} [الشعراء: ١٢٧]، أي:" وما أطلب منكم على إرشادكم إلى التوحيد أيَّ نوع من أنواع الأجر"[٩].

قال الطبري:" يقول: وما أطلب منكم على أمري إياكم باتقاء الله جزاء ولا ثوابا"[١٠].

قوله تعالى:{إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: ١٢٧]، أي:" ما أجري إلا على رب العالمين"[١١].

قال الطبري:" يقول: ما جزائي وثوابي على نصيحتي إياكم إلا على رب العالمين"[١٢].

القرآن

{أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١)} [الشعراء: ١٢٨-١٣١]

التفسير:

أتبنون بكل مكان مرتفع بناء عاليًا تشرفون منه فتسخرون مِنَ المارة؟ وذلك عبث وإسراف لا يعود عليكم بفائدة في الدين أو الدنيا، وتتخذون قصورًا منيعة وحصونًا مشيَّدة، كأنكم تخلدون في الدنيا ولا تموتون، وإذا بطشتم بأحد من الخلق قتلا أو ضربًا، فعلتم ذلك قاهرين ظالمين، فخافوا الله، وامتثلوا ما أدعوكم إليه فإنه أنفع لكم.

قوله تعالى:{أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ} [الشعراء: ١٢٨]، أي:" أتبنون بكل مكان مرتفع بناء عاليًا تشرفون منه فتسخرون مِنَ المارة؟ وذلك عبث وإسراف لا يعود عليكم بفائدة في الدين أو الدنيا"[١٣].

---

(١) تفسير الطبري:٣٧٢/١٩.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٧٩٧):ص٢٧٩٢.
(٣) التفسير الميسر:٣٧٢.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٣/٣.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٥١٣/٢.
(٦) تفسير الطبري:٣٧٢/١٩.
(٧) التفسير الميسر:٣٧٢.
(٨) تفسير الطبري:٣٧٢/١٩.
(٩) التفسير الميسر:٣٧٢.
(١٠) تفسير الطبري:٣٧٣/١٩.
(١١) التفسير الميسر:٣٧٢.
(١٢) تفسير الطبري:٣٧٣/١٩.
(١٣) التفسير الميسر:٣٧٢.

قال الزجاج:" «الريع»: -في اللغة-: الموضع المرتفع من الأرض ومن ذلك كم ريع أرضك، أي كم ارتفاع أرضك. جاء في التفسير: {بكل ريع} كل فج والفج الطريق المنفرج في الجبل، وجاء أيضا بكل طريق، وقوله: {آية}، علامة"(١).

قال الزمخشري:" «الريع»: المكان المرتفع، ومنه قولهم: كم ريع أرضك؟ وهو ارتفاعها ، و«الآية»: العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في أسفارهم. فاتخذوا في طرقهم أعلاما طوالا فعبثوا بذلك، لأنهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم"(٢).

قال الطبري:" الريع: كل مكان مشرف من الأرض مرتفع، أو طريق أو واد؛ ومنه قول ذي الرمة(٣):

طراق الخوافي مشرف فوق ريعة ... ندى ليله في ريشه يترقرق

وقول الأعشى(٤):

ويهماء قفر تجاوزتها ... إذا خب في ريعها آلها

ويعني بقوله: {آية}: بنيانا، علما، وقوله: {تعبثون}، قال: تلعبون"(٥).

قال عطاء:" بكل شرف ومنظر تبنون عبثا"(٦).

عن ابن عباس، قوله: "{أتبنون بكل ريع آية تعبثون}، يقول: بكل شرف"(٧). قوله: {آية}، قال:«الآية»: علم"(٨). قوله: "{تعبثون}، قال: تلعبون"(٩).

وروي عن ابن عباس في قوله: {بكل ريع}، قال:" بكل طريق"(١٠). وروي عن قتادة والضحاك مثل ذلك(١١).

عن مجاهد، قوله: "{بكل ريع}، قال: فج"(١٢). قوله:{ آية}، قال:«آية»: بنيان"(١٣). وفي رواية:" بنيان الحمام"(١٤).

وروي عن مجاهد، في قوله: "{بكل ريع}، قال:" الثنية الصغيرة"(١٥). وفي رواية:" {بكل ريع}، فج بين جبلين"(١٦). وفي رواية:" شرف ومنظر"(١٧).

وقال عكرمة:" فج وواد"(١٨).

عن أبي صخر، "{أتبنون بكل ريع آية تعبثون}، قال: الريع: الجبال والأمكنة المرتفعة من الأرض"(١٩).

---

(١) معاني القرآن:٩٦/٤.
(٢) الكشاف:٣٢٦/٣.
(٣)انظر: ديوانه ٤٠٠، واللسان: "ريع"، وغير منسوب في تفسير القرطبي ١٢٣/١٣ والبحر المحيط ٢٩/٧.
(٤)البيت نسبه الطبري للأعشى (أعشى بني قيس بن ثعلبة) وفي ديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين حسين (ص ١٦٣- ١٦٩) قصيدة من هذا البحر المتقارب ومن القافية نفسها، عدتها ٤٧ بيتا، يمدح بها إياس بن قبيصة الطائي. ولكن البيت سقط منها في نسخة الديوان، ولعله يوجد في نسخ أخرى منه قديمة.
(٥) تفسير الطبري:٣٧٣/١٩-٣٧٥.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٨٠٩):ص٢٧٩٤/٩.
(٧) أخرجه الطبري:٣٧٤/١٩.
(٨) اخرجه الطبري:٣٧٥/١.
(٩) أخرجه الطبري:٣٧٥/١٩.
(١٠) أخرجه الطبري:٣٧٤/١٩.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٣٧٤/١٩.
(١٢) أخرجه الطبري:٣٧٤/١٩.
(١٣) اخرجه الطبري:٣٧٥/١.
(١٤) اخرجه الطبري:٣٧٥/١.
(١٥) أخرجه الطبري:٣٧٤/١٩.
(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٠٢):ص٢٧٩٣/٩.
(١٧) أخرجه الطبري:٣٧٤/١٩.
(١٨) أخرجه الطبري:٣٧٤/١٩.
(١٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٧٩٩):ص٢٧٩٣/٩.

قال السدي:" الريع: ما استقبل الطريق بين الجبال والظراب"(١).

قال مجاهد:" ليس أحد أشبه فعالا بعاد من أمة محمد ﷺ، قال:{أتبنون بكل ريع آية تعبثون}، فقد والله فعلوا"(٢).

قوله تعالى:{وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ} [الشعراء: ١٢٨]، أي:" وتتخذون قصورًا منيعة وحصونًا مشيَّدة، كأنكم تخلدون في الدنيا ولا تموتون"(٣).

قال الزجاج:" أي: وتتخذون مباني للخلود، لا تتفكرون في الموت"(٤).

قال البغوي:" المعنى: أنهم كانوا يستوثقون المصانع كأنهم لا يموتون"(٥).

قال الزمخشري:" «المصانع»: مآخذ الماء، {لعلكم تخلدون}: ترجون الخلود في الدنيا. أو تشبه حالكم حال من يخلد"(٦).

عن ابن عباس، قوله: "{لعلكم تخلدون}، يقول: كأنكم تخلدون"(٧).

وقال ابن زيد:" هذا استفهام، يقول: لعلكم تخلدون حين تبنون هذه الأشياء؟"(٨).

وفي قوله تعالى:{وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ} [الشعراء: ١٢٨]، ثلاثة أقوال:

أحدها : القصور المشيدة ، قاله مجاهد(٩)، ومنه قول الشاعر(١٠):

تركنا ديارهم منهم قفاراً ... وهَدّمنا المصانع والبُروجا

الثاني : أنها مآخذ الماء تحت الأرض، يعني الحياض، قاله قتادة(١١)، ومنه قول لبيد(١٢):

بَلينا وما تبلى النجوم الطوالع ... وتبقى الجبال بعدنا والمصانع

قال مجاهد:" قصور مشيدة، وبنيان مخلد"(١٣). وفي رواية:" حصون وقصور"(١٤).

الثالث : أنها بروج الحمام ، قاله مجاهد أيضا(١٥)، والسدي(١٦).

قال السمعاني:" المصانع: جمع مصنعة؛ وهي الحوض وموضع الماء"(١٧).

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن المصانع جمع مصنعة، والعرب تسمي كل بناء مصنعة، وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصورا وحصونا مشيدة، وجائز أن يكون كان مآخذ للماء، ولا خبر يقطع العذر بأي ذلك كان، ولا هو مما يدرك من جهة العقل. فالصواب أن يقال فيه، ما قال الله: إنهم كانوا يتخذون مصانع"(١٨).

وفي حرف أبيّ: «كأنكم». وقرئ: «تخلدون»، بضم التاء مخففا ومشددا(١٩).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٠٣):ص٢٧٩٣/٩.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٨١١):ص٢٧٩٤/٩.
(٣) التفسير الميسر:٣٧٢.
(٤) معاني القرآن:٩٦/٤.
(٥) تفسير البغوي:١٢٣/٦.
(٦) الطشاف:٣٢٦/٣.
(٧) اخرجه الطبري:٣٧٦/١٩.
(٨) اخرجه الطبري:٣٧٦/١٩.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٣٧٥/١٩.
(١٠) الشعر غير منسوب في النكت ووالعيون:١٨١/٤، وتفسير السمعاني:٦٠/٤، وتفسير القرطبي:١٢٣/١٣، وغيرها.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٣٧٦/١٩.
(١٢) ديوانه:٨٨، من قصيدة له في رثاء أخيه أربد.
(١٣) أخرجه الطبري:٣٧٥/١٩.
(١٤) أخرجه الطبري:٣٧٦/١٩.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٣٧٦/١٩.
(١٦) انظر: النكت والعيون:١٨١/٤.
(١٧) تفسير السمعاني:٥٩/٤.
(١٨) تفسير الطبري:٣٧٦/١٩.
(١٩) انظر: الكشاف:٣٢٦/٣.

قوله تعالى:{وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ} [الشعراء: ١٢٨]، أي:" وإذا بطشتم بأحد من الخلق قتلا أو ضربًا، فعلتم ذلك قاهرين ظالمين"(١).

قال ابن قتيبة:" يقول إذا ضربتم: ضربتم بالسياط ضرب الجبارين، وإذا عاقبتم قتلتم"(٢).

قال مقاتل:" يقول إذا أخذتم أخذتم فقتلتم في غير حق كفعل الجبارين، والجبار: من يقتل بغير حق"(٣).

قال الطبري:" يقول: وإذا سطوتم سطوتم قتلا بالسيوف، وضربا بالسياط"(٤).

قال الزمخشري:" وإذا بطشتم بسوط أو سيف كان ذلك ظلما وعلوا، وقيل: الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب"(٥).

قال الزجاج:" جاء في التفسير: أن بطشهم كان بالسوط والسيف، وإنما أنكر ذلك عليهم لأنه ظلم، فأما في الحق فالبطش بالسوط والسيف جائز"(٦).

عن ابن جريج: "{وإذا بطشتم بطشتم جبارين}، قال: القتل بالسيف والسياط"(٧).

وعن الحسن: "تبادرون تعجيل العذاب، لا تتثبتون متفكرين في العواقب"(٨).

وقال الكلبي:" تقتلون على الغضب"(٩).

قوله تعالى:{فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} [الشعراء: ١٢٨]، أي:" فخافوا الله، وامتثلوا ما أدعوكم إليه فإنه أنفع لكم"(١٠).

قال الطبري:يقول:" اتقوا عقاب الله أيها القوم بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم، وانتهوا عن اللهو واللعب، وظلم الناس، وقهرهم بالغلبة والفساد في الأرض"(١١).

فوائد الآيات:[١٢٣-١٣١]:

١- الأمر بالتقوى من النصح للمأمور بها، لأن النجاة والفوز لا يتمان للعبد إلا عليها.

٢- الرسل أمناء على ما يحملون وما يبلغون الناس.

٣-حرمة أخذ الأجرة على بيان الشرع والدعوة إلى ذلك.

٤- ينبغي للعبد أن لا يسرف فيبني مالا يسكن ويد خرما لا يأكل.

٥- استنكار العنف والشدة في الأخذ وعند المؤاخذة.

القرآن

{وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤)} [الشعراء:١٣٢-١٣٤]

التفسير:

واخشوا الله الذي أعطاكم من أنواع النعم ما لا خفاء فيه عليكم، أعطاكم الأنعام: من الإبل والبقر والغنم، وأعطاكم الأولاد، وأعطاكم البساتين المثمرة، وفجَّر لكم الماء من العيون الجارية.

قوله تعالى:{وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ} [الشعراء:١٣٢]، أي:" واخشوا الله الذي أعطاكم من أنواع النعم ما لا خفاء فيه عليكم"(١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٧٢.
(٢) غريب القرآن:٣١٩.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٤/٣.
(٤) تفسير الطبري:٣٧٧/٩.
(٥) الكشاف:٣٢٦/٣.
(٦) معاني القرآن:٩٦/٤.
(٧) اخرجه الطبري:٣٧٧/١٩.
(٨) نقلا عن: الكشاف:٣٢٦/٣.
(٩) نقلا عن معاني القرآن للفراء:٢٨١/٢.
(١٠) التفسير الميسر:٣٧٢.
(١١) تفسير الطبري:٣٧٧/٩.

قال الطبري: يقول:" واحذروا سخط الذي أعطاكم من عنده ما تعلمون"[٢].
قوله تعالى:{أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ} [الشعراء:١٣٣]، أي:" أعطاكم الأنعام: من الإبل والبقر والغنم، وأعطاكم الأولاد"[٣].
قال الطبري: يقول:" أعانكم به من بين المواشي والبنين"[٤].
عن السدي: "«أنعام»، قال: الراعية"[٥].
قوله تعالى:{وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} [الشعراء:١٣٤]، أي:" وأعطاكم البساتين المثمرة، وفجَّر لكم الماء من العيون الجارية"[٦].
قال الطبري: يقول:" والبساتين والأنهار"[٧].
قال مقاتل:"{وجنات}، يقول: البساتين. {وعيون}، يعني: وأنهار جارية أعطاهم. هذا الخير كله، بعد ما أخبرهم عن قوم نوح بالغرق"[٨].
عن مجاهد، قوله: "{جنات}، قال: حوائط"[٩].
عن السدي، "{جنات}، قال: البساتين"[١٠].

القرآن
{إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥)} [الشعراء:١٣٥]
التفسير:
قال هود -عليه السَّلام- محذرًا لهم: إني أخاف إن أصررتم على ما أنتم عليه من التكذيب والظلم وكُفْر النِّعم، أن ينزل الله بكم عذابًا في يوم تعظم شدته من هول عذابه.
قال مقاتل:" فإن لم تؤمنوا فـ {إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم} أن ينزل بكم في الدنيا، يعني: بـ«العظيم» الشديد"[١١].
عن سعيد بن جبير، "{عظيم}، يعني: وافرا"[١٢].
القرآن
{قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦)} [الشعراء:١٣٦]
التفسير:
قالوا له: يستوي عندنا تذكيرك وتخويفك لنا وتركه، فلن نؤمن لك.
قال الطبري:" قالت عاد لنبيهم هود ﷺ: معتدل عندنا وعظك إيانا، وتركك الوعظ، فلن نؤمن لك ولن نصدقك على ما جئتنا به"[١٣].
قال السمعاني:" الوعظ: كلام يلين القلب بذكر الأمر والنهي والوعد والوعيد"[١٤].
قال الزمخشري:" فإن قلت: لو قيل أوعظت أو لم تعظ، كان أخصر. والمعنى واحد.

---
(١) التفسير الميسر:٣٧٢.
(٢) تفسير الطبري:٣٧٧/١٩.
(٣) التفسير الميسر:٣٧٢.
(٤) تفسير الطبري:٣٧٧/١٩.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٨٢٢):ص٢٧٩٦/٩.
(٦) التفسير الميسر:٣٧٢.
(٧) تفسير الطبري:٣٧٧/١٩.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٤/٣.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٨٢٣):ص٢٧٩٦/٩.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٨٢٤):ص٢٧٩٦/٩.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٤/٣.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٨٢٥):ص٢٧٩٦/٩.
(١٣) تفسير الطبري:٣٧٧/١٩.
(١٤) تفسير السمعاني:٦٠/٤.

قلت: ليس المعنى بواحد وبينهما فرق، لأن المراد: سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ، أم لم تكن أصلا من أهله ومباشريه، فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه، من قولك: أم لم تعظ"[١].

قال محمد بن إسحاق:" بعث الله إليهم هودا يعني إلى عاد فأمرهم أن يوحدوا الله عز وجل، ولا يجعلوا معه إلها غيره، وأن يكفوا، عن ظلم الناس لم يأمرهم فيما يذكر والله أعلم غير ذلك فأبوا عليه وكذبوا وقالوا من أشد منا قوة واتبعه منهم إناس وهم يسير مكتتمون بإيمانهم وكان من آمن به وصدقه رجل من عاد يقال له يزيد بن سعد ابن غفير وكان يكتم إيمانه فلما عتوا على الله وكذبوا نبيهم وأكثروا في الأرض الفساد،{قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ} [هود : ٥٣]"[٢].

القرآن

{إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (١٣٨)} [الشعراء:١٣٧-١٣٨]

التفسير:

وقالوا: ما هذا الذي نحن عليه إلا دين الأولين وعاداتهم، وما نحن بمعذبين على ما نفعل مما حَذَّرْتنا منه من العذاب.

قوله تعالى:{إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ} [الشعراء: ١٣٧]، أي:" وقالوا: ما هذا الذي نحن عليه إلا دين الأولين وعاداتهم"[٣].

قال الطبري:معناه: " إن هذا إلا عادة الأوّلين ودينهم"[٤].

وفي قوله تعالى:{إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ} [الشعراء: ١٣٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : معناه: ما هذا إلا دين الأولين وعادتهم وأخلاقهم. قاله ابن عباس[٥]، ويحيى بن سلام[٦]، سلام[٦]، وبه قال الطبري[٧].

قال يحيى:" دين الأولين، يعنون ما هم عليه من شرك"[٨].

قال الطبري:" لأنهم إنما عوتبوا على البنيان الذي كانوا يتخذونه، وبطشهم بالناس بطش الجبابرة، وقلة شكرهم ربهم فيما أنعم عليهم، فأجابوا نبيّهم بأنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك، احتذاء منهم سنة من قبلهم من الأمم، واقتفاء منهم آثارهم، فقالوا: ما هذا الذي نفعله إلا خلق الأوّلين، يعنون بالخلق: عادة الأوّلين. ويزيد ذلك بيانا وتصحيحا لما اخترنا من القراءة والتأويل، قولهم: {وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} لأنهم لو كانوا لا يقرُّون بأن لهم ربا يقدر على تعذيبهم، ما قالوا: {وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} بل كانوا يقولون: إن هذا الذي جئتنا به يا هود إلا خلق الأوّلين، وما لنا من معذب يعذبنا، ولكنهم كانوا مقرين بالصانع، ويعبدون الآلهة، على نحو ما كان مشركو العرب يعبدونها، ويقولون إنها تقربنا إلى الله زلفى، فلذلك قالوا لهود وهم منكرون نبوته: {سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ} ثم قالوا له: ما هذا الذي نفعله إلا عادة من قبلنا وأخلاقهم، وما الله معذبنا عليه. كما أخبرنا تعالى ذكره عن الأمم الخالية قبلنا، أنهم كانوا يقولون لرسلهم: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ}"[٩].

---

(١) الكشاف:٣/٣٢٧.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٨٢٦):ص٩/٢٧٩٦.
(٣) التفسير الميسر:٣٧٣.
(٤) تفسير الطبري:١٩/٣٧٩.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٩/٣٧٨.
(٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٢/٥١٦.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٩/٣٧٩.
(٨) تفسير يحيى بن سلام:٢/٥١٦.
(٩) تفسير الطبري:١٩/٣٧٩.

الثاني : ما هذا إلا كذب الأولين وأساطيرهم. قاله ابن عباس أيضا[١]، ومجاهد[٢]، وابن زيد[٣].
زيد[٣].

قال ابن قتيبة:" أراد: اختلاقهم وكذبهم. يقال: خلقت الحديث واختلقته؛ إذا افتعلته"[٤].

قال الفراء:" لأن العرب يقولون: هذه أحاديث الخلق، يريدون: المختلقة"[٥].

قال ابن زيد:" إن هذا إلا أمر الأولين وأساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا"[٦].

وقال عبدالله بن مسعود:" يقول: إن هذا إلا اختلاق الأولين"[٧]. وروي عن علقمة مثل ذلك[٨].

وروي عن عبد الله، أنه كان يقرأ :«إن هذا إلا خلق الأولين»، ويقول شيء اختلقوه"[٩].
اختلقوه"[٩].

الثالث : عادة الأولين ، قاله الكسائي[١٠]، والفراء[١١].

قال الفراء:" أي: وراثة أبيك عن أول"[١٢].

وعن محمد بن يزيد، قال: "«خلق الأولين»: مذهبهم، وما جرى عليه أمرهم"[١٣].

قال النحاس:" والقولان متقاربان[١٤] من هذا الحديث عن النبي ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا»[١٥]، أي: أحسنهم مذهبا وعادة وما يجري عليه الأمر في طاعة الله جل وعز، ولا يجوز أن يكون من كان حسن الخلق فاجرا فاضلا، ولا أن يكون أكمل إيمانا من السيئ الخلق الذي ليس بفاجر"[١٦].

الرابع : يعني: أن الأولين قبلنا كانوا يموتون فلا يبعثون ولا يحاسبون ، وهذا معنى قول قتادة[١٧].

قال قتادة:" يقول: هكذا خلقة الأولين، وهكذا كانوا يحيون ويموتون"[١٨].

قال الزجاج:" أي: خلقنا كما خلق من كان قبلنا، نحيا كما حيوا، ونموت كما ماتوا ولا نبعث، لأنهم أنكروا البعث"[١٩].

قال الزمخشري:" من قرأ: «خلق الأولين» بالفتح، فمعناه: أن ما جئت به اختلاق الأولين وتخرصهم، كما قالوا: أساطير الأولين. أو ما خلقنا هذا إلا خلق القرون الخالية، نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا، ولا بعث ولا حساب. ومن قرأ: «خلق»، بضمتين، وبواحدة، فمعناه. ما هذا

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٣٧٨/١٩.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٣٧٨/١٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٣٧٨/١٩.
(٤) غريب القرآن:٣١٩.
(٥)كتاب فيه لغات القرآن:١١٠.
(٦) أخرجه الطبري:٣٧٨/١٩.
(٧) أخرجه الطبري:٣٧٨/١٩.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٣٧٨/١٩.
(٩) أخرجه الطبري:٣٧٨/١٩.
(١٠) انظر: كتاب فيه لغات القرآن، للفراء:١١٠.
(١١) انظر: معاني القرآن: ٢٨١/٢.
(١٢) معاني القرآن: ٢٨١/٢.
(١٣) رواه عنه النحاس في إعراب القرآن:١٢٨/٣.
(١٤) أي: قول الفراء:«عادة الاولين»، وقول محمد بن يزيد«مذهبهم».
(١٥)أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٢٥٠، وأبو داود في سننه (٤٦٨٢) ، والدارمي في سننه ٢/ ٣٢٣، والحاكم في المستدرك ١/ ٣، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ٢٤٨ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ٣٥٥.
(١٦) إعراب القرآن:١٢٨/٣.
(١٧) انظر: تفسير الطبري:٣٧٨/١٩.
(١٨) أخرجه الطبري:٣٧٨/١٩.
(١٩) معاني القرآن:٩٧/٤.

الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم، كانوا يدينونه ويعتقدونه، ونحن بهم مقتدون. أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الإعادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر أو ما هذا الذي جئت به من الكذب إلا عادة الأولين، كانوا يلفقون مثله ويسطرونه"(١).

قوله تعالى:{وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} [الشعراء: ١٣٨]، أي:" وما نحن بمعذبين على ما نفعل مما حَذَّرْتنا منه من العذاب"(٢).

قال يحيى:" أي: لا نبعث ولا نعذب"(٣).

قال السمعاني:" قالوا هذا إنكار لما وعدهم هود من العذاب"(٤).

القرآن

{فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٤٠)} [الشعراء:١٣٩-١٤٠]

التفسير:

فاستمَرُّوا على تكذيبه، فأهلكهم الله بريح باردة شديدة. إن في ذلك الإهلاك لَعبرة لمن بعدهم، وما كان أكثر الذين سمعوا قصتهم مؤمنين بك. وإن ربك لهو العزيز الغالب على ما يريده من إهلاك المكذبين، الرحيم بالمؤمنين.

قوله تعالى:{فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ} [الشعراء:١٣٩]، أي:" فاستمَرُّوا على تكذيبه، فأهلكهم الله"(٥).

قال الطبري:يقول:" فكذّبت عاد رسول ربهم هودا، فأهلكنا عادا بتكذيبهم رسولنا"(٦).

قال ابن كثير:" أي : فاستمروا على تكذيب نبي الله هود ومخالفته وعناده ، فأهلكهم الله ، وقد بيَّن سبب إهلاكه إياهم في غير موضع من القرآن بأنه أرسل عليهم ريحًا صرصرًا عاتية ، أي : ريحًا شديدة الهبوب ذات برد شديد جدًا ، فكان إهلاكهم من جنسهم ، فإنهم كانوا أعتى شيء وأجبره ، فسلط الله عليهم ما هو أعتى منهم وأشد قوة ، كما قال : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ} [الفجر : ٦ ، ٧] وهم عاد الأولى ، كما قال : { وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأولَى } [النجم : ٥٠] ، وهم من نسل إرم بن سام بن نوح. { ذَاتِ الْعِمَادِ } أي : الذين كانوا يسكنون العمد. ومن زعم أن "إرم" مدينة ، فإنما أخذ ذلك من الإسرائيليات من كلام كعب ووهب ، وليس لذلك أصل أصيل. ولهذا قال : { الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ } [الفجر : ٨] ، أي : لم يخلق مثل هذه القبيلة في قوتهم وشدتهم وجبروتهم ، ولو كان المراد بذلك مدينة لقال : التي لم يبن مثلها في البلاد ، وقال : { فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ } [فصلت : ١٥]. وقد قَدَّمنا أن الله تعالى لم يرسل عليهم من الريح إلا بمقدار أنف الثور ، عتت على الخزنة ، فأذن الله لها في ذلك ، وسلكت وحصبت بلادهم ، فحصبت كل شيء لهم ، كما قال تعالى : { تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلا مَسَاكِنُهُمْ }الآية [الأحقاف : ٢٥] ، وقال تعالى : { وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا } [الحاقة : ٦ ، ٧] ، أي : كاملة { فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ } [الحاقة : ٧] ، أي : بقوا أبدانًا بلا رؤوس ؛ وذلك أن الريح كانت تأتي الرجل منهم فتقتلعه وترفعه في الهواء ، ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخ دماغه ، وتكسر رأسه ، وتلقيه ، كأنهم أعجاز نخل منقعر. وقد كانوا

---

(١) الكشاف:٣٢٧/٣.
(٢) التفسير الميسر:٣٧٣.
(٣) تفسير يحيى بن سلام:٥١٦/٢.
(٤) تفسير السمعاني:٦١/٤.
(٥) التفسير الميسر:٣٧٣.
(٦) تفسير الطبري:٣٧٩/١٩.

تحصنوا في الجبال والكهوف والمغارات ، وحفروا لهم في الأرض إلى أنصافهم ، فلم يغن عنهم ذلك من أمر الله شيئا"[1].

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً} [الشعراء:١٣٩]، أي:" إن في ذلك الإهلاك لَعبرة لمن بعدهم"[2].

قال الطبري:يقول:" إن في إهلاكنا عادا بتكذيبها رسولها، لعبرة وموعظة لقومك يا محمد، المكذّبيك فيما أتيتهم به من عند ربك"[3].

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} [الشعراء:١٣٩]، أي:" وما كان أكثر الذين سمعوا قصتهم مؤمنين بك"[4].

قال الطبري: " يقول: وما كان أكثر من أهلكنا بالذين يؤمنون في سابق علم الله"[5].

قوله تعالى:{وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [الشعراء:١٣٩]، أي:" وإن ربك لهو العزيز الغالب على ما يريده من إهلاك المكذبين، الرحيم بالمؤمنين"[6].

قال الطبري: يقول: " {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ} في انتقامه من أعدائه، {الرَّحِيمُ} بالمؤمنين به"[7].

فوائد الآيات:[١٣٢-١٤٠]:

١- تنويع أسلوب الدعوة وتذكير الجاحدين بما هو محسوس لديهم مرأي لهم.
٢- التخويف من عذاب الله والتحذير من عاقبة عصيانه من أساليب الدعوة.
٣- بيان سنة الناس في التقليد وإتباع آبائهم وإن كانوا ضلالاً جاهلين.
٤- تقرير التوحيد والنبوة والبعث إذ هو المقصود من هذا القصص.

القرآن

{كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١)} [الشعراء: ١٤١]

التفسير:

كذَّبت قبيلة ثمود أخاهم صالحًا في رسالته ودعوته إلى توحيد الله، فكانوا بهذا مكذِّبين لجميع الرسل؛ لأنهم جميعًا يدعون إلى توحيد الله.

قال الطبري: يقول:" كذّبت ثمود رسل الله"[8].

قال مقاتل:" يعني: صالحا وحده"[9].

قال السعدي:" كذبوا صالحا عليه السلام، الذي جاء بالتوحيد، الذي دعت إليه المرسلون، فكان تكذيبهم له تكذيبا للجميع"[10].

قال ابن كثير:" وهذا إخبار من الله ، عز وجل ، عن عبده ورسوله صالح ، عليه السلام : أنه بعثه إلى قوم ثمود ، وكانوا عربًا يسكنون مدينة الحجْر ، التي بين وادي القُرَى وبلاد الشام ، ومساكنهم معروفة مشهورة... وقد كانوا بعد عاد وقبل الخليل ، عليه السلام"[11].

القرآن

---

(١) تفسير ابن كثير:٦/١٥٤-١٥٥.
(٢) التفسير الميسر:٣٧٣.
(٣) تفسير الطبري:١٩/٣٧٩.
(٤) التفسير الميسر:٣٧٣.
(٥) تفسير الطبري:١٩/٣٧٩.
(٦) التفسير الميسر:٣٧٣.
(٧) تفسير الطبري:١٩/٣٧٩.
(٨) تفسير الطبري:١٩/٣٨٠.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٢٧٥.
(١٠) تفسير السعدي:٥٩٦.
(١١) تفسير ابن كثير:٦/١٥٥.

{إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥)} [الشعراء: ١٤٢-١٤٥]

التفسير:

إذ قال لهم أخوهم صالح: ألا تخشون عقاب الله، فتُفرِدونه بالعبادة؟ إني مرسَل من الله إليكم، حفيظ على هذه الرسالة كما تلقيتها عن الله، فاحذروا عقابه تعالى، وامتثلوا ما دعوتكم إليه. وما أطلب منكم على نصحي وإرشادي لكم أي جزاء، ما جزائي إلا على رب العالمين.

قوله تعالى:{إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ} [الشعراء: ١٤٢]، أي:" إذ قال لهم أخوهم صالح: ألا تخشون عقاب الله، فتُفرِدونه بالعبادة؟"(١).

قال الطبري: يقول:" إذ دعاهم أخوهم صالح إلى الله، فقال لهم: ألا تتقون عقاب الله يا قوم على معصيتكم إياه، وخلافكم أمره، بطاعتكم أمر المفسدين في أرض الله"(٢).

قال السعدي:" {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ} في النسب، برفق ولين: {أَلا تَتَّقُونَ} الله تعالى، وتدعون الشرك والمعاصي"(٣).

قال مقاتل:" {إذ قال لهم أخوهم} صالح فى النسب وليس بأخيهم فى الدين، {ألا تتقون}، يعني: ألا تخشون الله- عز وجل-"(٤).

قوله تعالى:{إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} [الشعراء: ١٤٣]، أي:" إني مرسَل من الله إليكم، حفيظ على هذه الرسالة كما تلقيتها عن الله"(٥).

قال الطبري: يقول:" {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ} من الله أرسلني إليكم بتحذيركم عقوبته على خلافكم أمره {أَمِينٌ} على رسالته التي أرسلها معي إليكم"(٦).

قال السعدي:أي:" {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ} من الله ربكم، أرسلني إليكم، لطفا بكم ورحمة، فتلقوا رحمته بالقبول، وقابلوها بالإذعان، {أَمِينٌ} تعرفون ذلك مني، وذلك يوجب عليكم أن تؤمنوا بي، وبما جئت به"(٧).

قوله تعالى:{فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} [الشعراء: ١٤٤]، أي:" فاحذروا عقابه تعالى، وامتثلوا ما دعوتكم إليه"(٨).

قال الطبري: يقول:" {فَاتَّقُوا اللَّهَ} أيها القوم، واحذروا عقابه {وأطيعون} في تحذيري إياكم، وأمر ربكم باتباع طاعته"(٩).

قال ابن كثير:" دعاهم نبيهم صالح إلى الله ، عز وجل ، أن يعبدوه وحده لا شريك له ، وأن يطيعوه فيما بلغهم من الرسالة ، فأبوا عليه وكذبوه وخالفوه"(١٠).

قوله تعالى:{وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ} [الشعراء: ١٤٥]، أي:" وما أطلب منكم على نصحي وإرشادي لكم أي جزاء"(١١).

قال الطبري: يقول:" يقول: وما أسألكم على نصحي إياكم، وإنذاركم من جزاء ولا ثواب"(١٢).

---

(١) التفسير الميسر:٣٧٣.
(٢) تفسير الطبري:٣٨٠/١٩.
(٣) تفسير السعدي:٥٩٦.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٥/٣.
(٥) التفسير الميسر:٣٧٣.
(٦) تفسير الطبري:٣٨٠/١٩.
(٧) تفسير السعدي:٥٩٦.
(٨) التفسير الميسر:٣٧٣.
(٩) تفسير الطبري:٣٨٠/١٩.
(١٠) تفسير ابن كثير:١٥٥/٦.
(١١) التفسير الميسر:٣٧٣.
(١٢) تفسير الطبري:٣٨٠/١٩.

قال ابن كثير:" أخبرهم أنه لا يبتغي بدعوتهم أجرا منهم"(١).
قال السعدي:" فتقولون: يمنعنا من اتباعك، أنك تريد أخذ أموالنا"(٢).
قوله تعالى:{إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: ١٤٥]، أي:" ما جزائي إلا على رب العالمين"(٣).
قال الطبري: " يقول: إن جزائي وثوابي إلا على ربّ جميع ما في السموات، وما في الأرض، وما بينهما من خلق"(٤).
قال ابن كثير:" إنما يطلب ثواب ذلك من الله ، عز وجل"(٥).
قال السعدي:" أي: لا أطلب الثواب إلا منه"(٦).

القرآن

{أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩)} [الشعراء: ١٤٦-١٤٩]

التفسير:
أيترككم ربكم فيما أنتم فيه من النعيم مستقرين في هذه الدنيا آمنين من العذاب والزوال والموت؟ في حدائق مثمرة وعيون جارية وزروع كثيرة ونخل ثمرها يانع لين نضيج، وتنحتون من الجبال بيوتًا ماهرين بنحتها، أَشِرين بَطِرين.
قوله تعالى:{أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ} [الشعراء: ١٤٦]، أي:" أيترككم ربكم فيما أنتم فيه من النعيم مستقرين في هذه الدنيا آمنين من العذاب والزوال والموت؟"(٧).
قال الطبري: " يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود: أيترككم يا قوم ربكم في هذه الدنيا آمنين، لا تخافون شيئا؟"(٨).
قال ابن كثير:" يقول لهم واعظًا لهم ومحذرًا إياهم نقم الله أن تحل بهم ، ومذكرًا بأنعم الله عليهم فيما رزقهم من الأرزاق الدارّة ، وجعلهم في أمن من المحذورات "(٩).
قال المراغي:" أي: لا نظنوا أنكم تتركون فى دياركم آمنين"(١٠).
قوله تعالى:{فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} [الشعراء: ١٤٧]، أي:" في حدائق مثمرة وعيون جارية"(١١).
قال الطبري: " يقول: في بساتين وعيون ماء"(١٢).
قال المراغي:" متمتعين بالجنات والعيون"(١٣).
قال ابن كثير:" أنبت لهم من الجنات، وأنبع لهم من العيون الجاريات "(١٤).
قوله تعالى:{وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ} [الشعراء: ١٤٨]، أي:" وزروع كثيرة ونخل ثمرها يانع لين نضيج"(١).

---

(١) تفسير ابن كثير:١٥٥/٦.
(٢) تفسير السعدي:٥٩٦.
(٣) التفسير الميسر:٣٧٣.
(٤) تفسير الطبري:٣٨٠/١٩.
(٥) تفسير ابن كثير:١٥٥/٦.
(٦) تفسير السعدي:٥٩٦.
(٧) التفسير الميسر:٣٧٣.
(٨) تفسير الطبري:٣٨٠/١٩.
(٩) تفسير ابن كثير:١٥٥/٦.
(١٠) تفسير المراغي:٩١/١٩.
(١١) التفسير الميسر:٣٧٣.
(١٢) تفسير الطبري:٣٨٠/١٩.
(١٣) تفسير المراغي:٩١/١٩.
(١٤) تفسير ابن كثير:١٥٥/٦.

قال المراغي: ومتمتعين" بالزروع والثمار اليانعة"[٢].

قال ابن كثير:" وأخرج لهم من الزروع والثمرات"[٣].

قال الطبري: " يعني بالطلع: الكُفُرَّى"[٤].

قال السعدي:" أي: أتحسبون أنكم تتركون في هذه الخيرات والنعم سدى تتنعمون وتتمتعون كما تتمتع الأنعام وتتركون سدى لا تؤمرون ولا تنهون وتستعينون بهذه النعم على معاصي الله"[٥].

قال الزمخشري:" خصّ النخل بإفراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر، تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها، وأن يريد بالجنات: غيرها من الشجر، لأن اللفظ يصلح لذلك، ثم يعطف عليها النخل"[٦].

وفي قوله تعالى:{وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ} [الشعراء: ١٤٨]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه الرطب اللين ، قاله عكرمة[٧]، وقتادة[٨].

الثاني : أنه المذنب من الرطب ، قاله ابن جبير[٩]، وأبو علاء[١٠]، وأبو ميسرة[١١]، ويزيد بن راشد[١٢].

الثالث : أنه الذي ليس فيه نوى ، قاله الحسن[١٣].

الرابع : أنه المتهشم المتفتت إذا مس تفتّت ، قاله مجاهد[١٤]، وابن جريج[١٥].

وقال مجاهد:" الطلعة إذا مسستها تناثرت"[١٦].

الخامس : المتلاصق بعضه ببعض ، قاله أبو صخر[١٧] .

السادس : أنه الراكب طلعها بعضه على بعض من الكثرة، قاله الضحاك[١٨]، ومقاتل[١٩].

قال الضحاك:" إذا كثر حمل النخلة فركب بعضها بعضا، حتى نقص بعضها بعضا، فهو حينئذ هضيم"[٢٠].

قال أبو عبيدة:" أي: قد ضمّ بعضه بعضا"[٢١].

وقال أبو صخر:" ما رأيت طلع النخل حين ينشق عنه الكم فترى الطلع قد لصق بعضه ببعض فهو الهضيم"[٢٢].

---

(١) التفسير الميسر:٣٧٣.
(٢) تفسير المراغي:٩١/١٩.
(٣) تفسير ابن كثير:١٥٥/٦.
(٤) تفسير الطبري:٣٨٠/١٩.
(٥) تفسير السعدي:٥٩٦.
(٦) الكشاف:٣٢٨/٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٣٨١/١٩.
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٨٠١/٩. بدون سند.
(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٨٠١/٩. بدون سند.
(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٨٤٧):ص٢٨٠١/٩.
(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٨٠١/٩. بدون سند.
(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٨٠١/٩. بدون سند.
(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٨٤٨):ص٢٨٠١/٩.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٣٨١/١٩.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٣٨١/١٩.
(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٨٤٩):ص٢٨٠١/٩.
(١٧) انظر: النكت والعيون:١٨٣/٤.
(١٨) انظر: تفسير الطبري:٣٨١/١٩.
(١٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٥/٣.
(٢٠) أخرجه الطبري:٣٨١/١٩.
(٢١) مجاز القرآن:٨٨/٢.
(٢٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٨٥١):ص٢٨٠١/٩.

قال الزجاج:" الهضيم -في اللغة-: الضامر الداخل بعضه في بعض ولا شيء في الطلع أبلغ من هذا"[١].

السابع : اليانع النضيج ، قاله ابن عباس[٢].

الثامن : أنه المكتنز قبل أن ينشق عنه القشر ، حكاه ابن شجرة[٣]، قال الشاعر[٤]:

كأن حمولة تجلى عليه ... هضيم ما يحس له شقوقُ

قال ابن قتيبة:" الهضيم: الطلع قبل أن تنشق عنه القشور وتنفتح. يريد: أنه منضم مكتنز. ومنه قيل: أهضم الكشحين، إذا كان منضمهما"[٥].

التاسع : أنه الرخو ، قال الحسن[٦].

وروي عن ابن عباس، قال:"إذا رطب واسترخى"[٧]. وروي عن أبي صالح نحو هذا[٨].

العاشر : أنه الطلع حين يتفرق ويخضر ، قاله الضحاك أيضا[٩].

الحادي عشر: أنه اللطيف ، قاله الكلبي[١٠].

الثاني عشر: ان الهضيم هو الهاضم المريء. أفاده الماوردي[١١].

وكان الحسن البصري يقول: في وعظه: "ابن آدم، تأكل كذا وكذا ثم تقول: يا جارية، هاتي الهاضوم، إنه يهضم دينك لا طعامك"[١٢].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: الهضيم: هو المتكسر من لينه ورطوبته، وذلك من قولهم: هضم فلان حقه: إذا انتقصه وتحيفه، فكذلك الهضم في الطلع، إنما هو التنقص منه من رطوبته ولينه إما بمسّ الأيدي، وإما بركوب بعضه بعضا، وأصله مفعول صرف إلى: «فعيل»"[١٣].

قوله تعالى:{وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ} [الشعراء: ١٤٩]، أي:" وتنحتون من الجبال بيوتًا ماهرين بنحتها، أَشِرين بَطِرين"[١٤].

قال السعدي:" أي: بلغت بكم الفراهة والحذق إلى أن اتخذتم بيوتا من الجبال الصم الصلاب"[١٥].

قال السدي:" كانوا ينقبون في الجبال البيوت"[١٦].

وفي قوله تعالى:{فَارِهِينَ} [الشعراء: ١٤٩]، قرائتان:

القراءة الأولى: «فَرِهِينَ»، بغير الألف. قرأ بها: أبو عمرو ، وابن كثير ، ونافع[١٧]. وفي تفسيرها ستة أوجه :

---

(١) معاني القرآن:٩٦/٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري:٣٨٠/١٩.

(٣) انظر: النكت والعيون:١٨٣/٤، وتفسير القرطبي:١٢٨/١٣. ورواية الماوردي في المطبوع:«المتنكر» بدلا بدلا من«المكتنز».

(٤) البيت غير منسوب في النكت والعيون:١٨٣/٤، وتفسير القرطبي:١٢٨/١٣.

(٥) غريب القرآن:٣١٩.

(٦) انظر: النكت والعيون:١٨٣/٤.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٤٥):ص٢٨٠١/٩.

(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٨٠١/٩. بدون سند.

(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٨٥٠):ص٢٨٠١/٩.

(١٠) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢١٢٣):ص٤٦٤/٢، والنكت والعيون:١٨٣/٤.

(١١) انظر: النكت والعيون:١٨٣/٤.

(١٢) نقلا عن تفسير السمعانيك٦١/٤.

(١٣) تفسير الطبري:٣٨١/١٩.

(١٤) التفسير الميسر:٣٧٣.

(١٥) تفسير السعدي:٥٩٦.

(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٨٥٥):ص٢٨٠٢/٩.

(١٧) انظر: السبعة في القراءات:٤٧٢.

أحدها : شرهين ، قاله مجاهد[١]، وشهر بن حوشب[٢].
الثاني : معجبين بصنيعكم، قاله قتادة[٣]، وخصيف[٤].
الثالث : فرحين ، حكاه ابن شجرة[٥].
الرابع : بطرين أشرين ، قاله ابن عباس[٦].
الخامس: أقوياء، والفره: القويّ. قاله ابن زيد[٧].
السادس: متخيرين ، قاله الكلبي[٨]. ومنه قول الشاعر[٩]:
إلى فره يماجدُ كلَّ أمْرٍ ... قصدت له لأختبر الطّباعَ

القراءة الثانية: {فَارِهِينَ}، بالألف. وهي قراءةة الباقين[١٠]، وفي تفسيرها خمسة أوجه :
أحدها : معناه: كيّسين. قاله الضحاك[١١].

وقال الزمخشري:" الفراهة: الكيس والنشاط. ومنه: خيل فرهة، استعير لامتثال الأمر، وارتسامه طاعة الآمر المطاع. أو جعل الأمر مطاعا على المجاز الحكمي، والمراد الآمر. ومنه قولهم: لك على إمرة مطاعة"[١٢].

الثاني : حاذقين، مأخوذ من: فراهة الصنعة ، وهو قول ابن عباس[١٣]، وأبي صالح[١٤]، ومعاوية بن قرة[١٥].

قال مقاتل:" يعني: حاذقين بنحتها"[١٦].

قال الزجاج:" معنى {فارهين}: حاذقين"[١٧].

قال ابن قتيبة:" {فارهين}: أشرين بطرين. ويقال: الهاء فيه مبدلة من حاء، أي: فرحين. و«الفرح» قد يكون: السرور، ويكون: الأشر. ومنه قول الله عز وجل: {إن الله لا يحب الفرحين}[القصص: ٧٦]، أي: الأشرين"[١٨].

الثالث : قادرين ، قاله ابن بحر[١٩].
الرابع : آمنين ، قاله قتادة[٢٠].
الخامس: أنه جمع: فاره، والفاره المرح ، قاله أبو عبيدة[٢١]، وأنشد لعدي بن الرقاع الغنوي[٢٢]:
لا أسْتَكِينُ إذا ما أَزْمَةٌ أزَمَتْ ... وَلَنْ تَرَانِي بِخَيْرٍ فارِهَ اللبب

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٣٨٣/١٩.
(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٨٠٢/٩. بدون سند.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٣٨٣/١٩.
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٨٠٣/٩. بدون سند.
(٥) انظر: النكت والعيون:١٨٤/٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٣٨٣/١٩.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٣٨٣/١٩.
(٨) انظر: النكت والعيون:١٨٣/٤.
(٩) البيت غير منسوب في النكت والعيون:١٨٣/٤، وتفسير القرطبي:١٢٩/١٣.
(١٠) انظر: السبعة في القراءات:٤٧٢.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٣٨٢/١٩.
(١٢) الكشاف:٣٢٨/٣.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٨٥٦):ص٢٨٠٢/٩.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٣٨٢/١٩، وتفسيرابن أبي حاتم:٢٨٠٢/٩.
(١٥) انظر: تفسيرابن أبي حاتم:٢٨٠٢/٩.
(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٥/٣.
(١٧) معاني القرآن:٩٦/٤.
(١٨) غريب القرآن:٣١٩.
(١٩) انظر: النكت والعيون:١٨٤/٤.
(٢٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٨٦١):ص٢٨٠٣/٩.
(٢١) انظر: مجاز القران:٨٩/٢.
(٢٢) انظر: اللسان (فره)، ومجاز القرآن: ٨٩/٢، وتفسيرا لطبري:٣٨٣/١٩، وفيه:"فاره الطلب".

أي: من اللبب.
قال الطبري:" معنى قراءة من قرأ {فارهين}: حاذقين بنحتها، متخيرين لمواضع نحتها، كيسين، من الفراهة. ومعنى قراءة من قرأ «فَرِهِينَ»: مرحين أشرين. وقد يجوز أن يكون معنى فاره وفره واحدا، فيكون فاره مبنيا على بنائه، وأصله من فعل يفعل، ويكون فره صفة، كما يقال: فلان حاذق بهذا الأمر وحذق"(١).
قال ابن كثير:" كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشرًا وبطرًا وعبثًا ، من غير حاجة إلى سكناها ، وكانوا حاذقين متقنين لنحتها ونقشها ، كما هو المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم"(٢).

القرآن
{فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢)} [الشعراء: ١٥٠-١٥٢]
التفسير:
فخافوا عقوبة الله، واقبلوا نصحي، ولا تنقادوا لأمر المسرفين على أنفسهم المتمادين في معصية الله الذين دأبوا على الإفساد في الأرض إفسادًا لا إصلاح فيه.
قوله تعالى:{فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} [الشعراء: ١٥٠]، أي:" فخافوا عقوبة الله، واقبلوا نصحي"(٣).
قال ابن كثير:" أي : أقبلوا على عَمَل ما يعود نفُعه عليكم في الدنيا والآخرة ، من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم لتوحدوه وتعبدوه وتسبحوه بكرة وأصيلا "(٤).
قوله تعالى:{وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ} [الشعراء: ١٥١]، أي:" ولا تنقادوا لأمر المسرفين على أنفسهم"(٥).
قال السعدي:" أي: الذين تجاوزوا الحد"(٦).
قوله تعالى:{الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ} [الشعراء: ١٥٢]، أي:" الذين عادتهم الفساد في الأرض لا الإصلاح"(٧).
قال مقاتل:" يقول: الذين يعصون في الأرض ولا يطيعون الله- عز وجل- فيما أمرهم به"(٨).
وقال مقاتل:" يعني: التسعة الذين عقروا الناقة"(٩).
قال الطبري:" وهم الرهط التسعة الذين كانوا يفسدون في الأرض، ولا يصلحون من ثمود الذين وصفهم الله جلّ ثناؤه بقوله: {وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ}، يقول: الذين يسعون في أرض الله بمعاصيه، ولا يصلحون، يقول: ولا يصلحون أنفسهم بالعمل بطاعة الله"(١٠).
قال ابن كثير:" يعني : رؤساءهم وكبراءهم ، الدعاة لهم إلى الشرك والكفر ، ومخالفة الحق"(١١).

---

(١) تفسير الطبري:٣٨٣/١٩.
(٢) تفسير ابن كثير:١٥٦/٦.
(٣) التفسير الميسر:٣٧٣.
(٤) تفسير ابن كثير:١٥٦/٦.
(٥) التفسير الميسر:٣٧٣.
(٦) تفسير السعدي:٥٩٦.
(٧) صفوة التفاسير:٣٥٨/٢.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٥/٣.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٥/٣.
(١٠) تفسيير الطبري:٣٨٤/١٩.
(١١) تفسير ابن كثير:١٥٦/٦.

قال السعدي:" أي: الذين وصفهم ودأبهم الإفساد في الأرض بعمل المعاصي والدعوة إليها إفسادا لا إصلاح فيه وهذا أضر ما يكون لأنه شر محض وكأن أناسا عندهم مستعدون لمعارضة نبيهم موضعون في الدعوة لسبيل الغي فنهاهم صالح عن الاغترار بهم ولعلهم الذين قال الله فيهم {وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ}"(١).

وعن قتادة :"{أمر المسرفين}، أي: المشركين"(٢).

قال الزمخشري:" فإن قلت: ما فائدة قوله: {ولا يصلحون}؟ قلت: فائدته أن فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح، كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح"(٣).

عن محمد بن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدثه:" أنهم نظروا إلى الهضبة حين دعا الله صالح عليه السلام بما دعا به تمخض بالناقة تمخض النتوج بولدها فتحركت الهضبة، ثم انتفضت فانصدعت، عن ناقة كما وصفوا جوفاء وبراء نتوجا ما بين جنبيها مالا يعلمه إلا الله عظما، فآمن به جندع بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم، ورباب بن صمعان بن جلهس وكان كاهنهم، فكانوا من أشراف ثمود فردوا ثمود وأشرافها، عن الإسلام والدخول فيما دعاهم إليه صالح من الرحمة والنجاة، وكان لجندع ابن عم له يقال له: شهاب ابن خلف بن محلاة بن لبيد ابن جواس، فأراد أن يسلم فنهاه أولئك الرهط، عن ذلك فأطاعهم وكان من أشراف ثمود وأفاضلها"(٤).

فوائد الآيات:[١٤١-١٥٢]:

١- دعوة الرسل واحدة ولذا التكذيب برسول يعتبر تكذيباً بكل الرسل.
٢- الأمانة شعار كل الرسل والدعاة الصادقين الصالحين في كل الأمم والعصور.
٣- مشروعية التذكير بالنعم ليذكر المنعم فيُحب ويطاع.
٤- التحذير من طاعة المسرفين في الذنوب والمعاصي لوخامة عاقبة طاعتهم.
٥- تقرير أن الفساد في الأرض يكون بارتكاب المعاصي فيها.

القرآن

{قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٥٤)} [الشعراء: ١٥٣-١٥٤]

التفسير:

قالت ثمود لنبيها صالح: ما أنت إلا من الذين سُحروا سِحْرًا كثيرًا، حتى غلب السحر على عقلك. ما أنت إلا فرد مماثل لنا في البشرية من بني آدم، فكيف تتميز علينا بالرسالة؟ فأت بحجة واضحة تدل على ثبوت رسالتك، إن كنت صادقًا في دعواك أن الله أرسلك إلينا.

قوله تعالى:{قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ} [الشعراء: ١٥٤]، أي:" قالت ثمود لنبيها صالح: ما أنت إلا من الذين سُحروا سِحْرًا كثيرًا، حتى غلب السحر على عقلك"(٥).

وفي قوله تعالى:{قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ} [الشعراء: ١٥٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : من المسحورين ، قاله مجاهد(٦)، وقتادة-في رواية-(٧).

واختاره ابن كثير، وقال:" الأظهر في هذا قول مجاهد وقتادة : أنهم يقولون : إنما أنت في قولك هذا مسحور لا عقل لك"(١).

---

(١) تفسير السعدي:٥٩٦.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٦٣):ص٢٨٠٣/٩.
(٣) الكشاف:٣٢٨/٣.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٦٤):ص٢٨٠٣/٩.
(٥) التفسير الميسر:٣٧٣.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٣٨٥/١٩.
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٨٠٤/٩. بدون سند.

الثاني : من السكرانين ، قاله قتادة[٢].
الثالث : من المخلوقين ، قاله ابن عباس[٣].
الرابع : من المخدوعين ، قاله سهل بن عبد الله[٤].
الخامس : أن المسحر: الذي ليس له شيء ولا يملك ، وهو المقل ، أي لست بملك فيبقى ، وهذا معنى قول الكلبي[٥].
السادس : ممن له سحر، أي: رقية ، حكاه ابن عيسى[٦].
السابع : ممن يأكل ويشرب ، حكاه ابن شجرة[٧]، وبه قال الفراء[٨]، وأبو عبيدة[٩]، وابن قتيبة[١٠]، ومنه قول لبيد[١١]:

فَإِنْ تَسْأَلِينا فِيمَ نَحْنُ فإنَّنا ... عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الأنامِ المُسَحَّر

أي: المعلل بالطعام والشراب ، قال امرؤ القيس[١٢]:

أرَانا مُوضِعِينَ لأَمْرِ غَيْبٍ ... ونُسْحَرُ بالطَّعامِ وبالشَّرَابِ

قال الفراء:" المسحر: المجوف، كأنه- والله أعلم- من قولك: «انتفخ سحرك»، أي: أنك تأكل الطعام والشراب وتسحر به وتعلل"[١٣].

وقال أبو عبيدة:" كل من أكل من إنس أو دابة فهو مسحّر وذلك أن له سحرا يقرى يجمع ما أكل فيه"[١٤].

قال الطبري:" والصواب أن معناه: إنما أنت من المخلوقين الذين يعللون بالطعام والشراب مثلنا، ولست ربا ولا ملكا فنطيعك، ونعلم أنك صادق فيما تقول. والمسحر: المفعل من السحرة، وهو الذي له سحرة"[١٥].

قوله تعالى:{مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا} [الشعراء: ١٥٤]، أي:" ما أنت إلا فرد مماثل لنا في البشرية من بني آدم"[١٦].

---

(١) النكت والعيون:١٥٦/٦.
(٢) انظر: النكت والعيون:١٨٤/٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٣٨٥/١٩.
(٤) انظر: النكت والعيون:١٨٤/٤.
(٥) انظر: النكت والعيون:١٨٤/٤.
(٦) انظر: النكت والعيون:١٨٤/٤.
(٧) انظر: النكت والعيون:١٨٤/٤.
(٨) انظر: معاني القرآن:٢٨٢/٢.
(٩) انظر: مجاز القرن:٨٩/٢.
(١٠) انظر: غريب القرآن:٢٥٦.
(١١)معاني القرآن" للفراء ٢/ ٢٨٢، ولم ينسب البيت. وأنشده أبو عبيدة ٢/ ٨٩، ونسبه للبيد بن ربيعة. وذكره السمرقندي، في تفسيره ٢/ ٤٨١، من إنشاد ابن عباس. وذكره الثعلبي ٨/ ١١٥، من إنشاد الكلبي. وأنشده الأنباري، ونسبه للبيد، الزاهر في معاني كلمات الناس ١/ ٢٠٦، والبيت من قصيدة للبيد يذكر فيها مَنْ فقد من قومه، ومن سادات العرب، ولتأمل في سطوة الموت، وضعف الإنسان إزاءه. "ديوان لبيد": ٧١.
والبيت منسوب لأمية بن أبي الصلت. كما ورد في (الحيوان) للجاحظ: ٥/ ٢٢٩. و (البيان والتبيين) : ١/ ١٩٨.
(١٢)ديوانه" ص ٤٣، وورد في: "البيان والتبيين" ١/ ١٩٨ و"الغريب" لا بن قتيبة ١/ ٢٥٦، و"جمهرة اللغة" ١/ ٥١١، و"تهذيب اللغة" (سحر) ٢/ ١٦٤١، "الصحاح" (سحر) ٢/ ٦٧٩، و"المحكم" (سحر) ٣/ ١٣٢، و"تفسير ابن عطية" ٩/ ١٠٢، و"ابن الجوزي" ٦/ ٤٢، و"اللسان" (سحر) ٤/ ١٩٥٢، وفي بعض المصادر (لِحَتْمِ) بدل = (لأمر)، قال ابن بري: (مُوضِعِين): سائرين مسرعين، و (لأمر غيب): يريد الموت، وأنه قد غُيِّب عنا وقتُه، ونحن نُلْهَى عنه بالطعام والشراب؛ فكأنَّما نُخدع.
(١٣) معاني القرآن:٢٨٢/٢.
(١٤) مجاز القرآن:٨٩/٢.
(١٥) تفسير الطبري:٣٨٦/١٩.
(١٦) التفسير الميسر:٣٧٣.

قال الطبري: أي:" تأكل ما نأكل، وتشرب ما نشرب، ولست بربّ ولا ملك، فعلام نتبعك؟ "(١).

قال ابن كثير:" يعني : فكيف أوحي إليك دوننا ؟ كما قالوا في الآية الأخرى : { أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الأشِرُ } [القمر : ٢٥ ، ٢٦]"(٢).

قوله تعالى:{فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [الشعراء: ١٥٤]، أي:" فأت بحجة واضحة تدل على ثبوت رسالتك، إن كنت صادقًا في دعواك أن الله أرسلك إلينا"(٣).

قال الطبري: أي:" فإن كنت صادقا في قيلك، وأن الله أرسلك إلينا {فَأْتِ بِآيَةٍ}، يعني: بدلالة وحجة على أنك محقّ فيما تقول، إن كنت ممن صدقنا في دعواه أن الله أرسله إلينا"(٤).

قال ابن كثير:" ثم إنهم اقترحوا عليه آية يأتيهم بها ، ليعلموا صدقه بما جاءهم به من ربهم فطلبوا منه - وقد اجتمع ملؤهم - أن يخرج لهم الآن من هذه الصخرة - وأشاروا إلى صخرة عندهم - ناقة عُشَراء من صفتها كذا وكذا. فعند ذلك أخذ عليهم نبي الله صالح العهود والمواثيق ، لئن أجابهم إلى ما سألوا لَيُؤمنَنَ به ، وليصدقنه، وليتبعنه ، فأنعموا بذلك"(٥).

عن ابن عباس: أن صالحا النبيّ ﷺ بعثه الله إلى قومه، فآمنوا به واتبعوه، فمات صالح، فرجعوا عن الإسلام، فأتاهم صالح، فقال لهم: أنا صالح، قالوا: إن كنت صادقا فأتنا بآية، فأتاهم بالناقة، فكذبوه وعقروها، فعذّبهم الله"(٦).

القرآن

{قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (١٥٥) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥٦)} [الشعراء: ١٥٥-١٥٦]

التفسير:

قال لهم صالح -وقد أتاهم بناقة أخرجها الله له من الصخرة-: هذه ناقة الله لها نصيب من الماء في يوم معلوم، ولكم نصيب منه في يوم آخر. ليس لكم أن تشربوا في اليوم الذي هو نصيبها، ولا هي تشرب في اليوم الذي هو نصيبكم، ولا تنالوها بشيء مما يسوءها كضَرْبٍ أو قتل أو نحو ذلك، فيهلككم الله بعذابِ يومٍ تعظم شدته؛ بسبب ما يقع فيه من الهول والشدة.

قوله تعالى:{قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ} [الشعراء: ١٥٥]، أي:" قال لهم صالح -وقد أتاهم بناقة أخرجها الله له من الصخرة-: هذه ناقة الله"(٧).

قال الطبري:" قال صالح لثمود لما سألوه آية يعلمون بها صدقه، فأتاهم بناقة أخرجها من صخرة أو هضبة: هذه ناقة يا قوم"(٨).

قال ابن كثير:" فقام نبي الله صالح ، عليه السلام ، فصلى ، ثم دعا الله ، عز وجل ، أن يجيبهم إلى سؤالهم ، فانفطرت تلك الصخرة التي أشاروا إليها عن ناقة عُشَراء ، على الصفة التي وصفوها. فآمن بعضهم وكفر أكثرهم"(٩).

قوله تعالى:{لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ} [الشعراء: ١٥٥]، أي:" لها نصيب من الماء في يوم معلوم، ولكم نصيب منه في يوم آخر"(١).

---

(١) تفسير الطبري:٣٨٦/١٩.
(٢) تفسير ابن كثير:١٥٧/٦.
(٣) التفسير الميسر:٣٧٣.
(٤) تفسير الطبري:٣٨٦/١٩.
(٥) تفسير ابن كثير:١٥٧/٦.
(٦) اخرجه الطبري:٣٨٦/١٩.
(٧) التفسير الميسر:٣٧٣.
(٨) تفسير الطبري:٣٨٦/١٩.
(٩) تفسير ابن كثير:١٥٧/٦.

قال الطبري: أي:" لها شرب ولكم مثله شرب يوم آخر معلوم، ما لكم من الشرب، ليس لكم في يوم وردها أن تشربوا من شربها شيئا، ولا لها أن تشرب في يومكم مما لكم شيئا. ويعني بالشرب: الحظّ والنصيب من الماء، يقول: لها حظّ من الماء، ولكم مثله"(٢).

قال ابن كثير:" يعني : ترد ماءكم يوما ، ويوما تردونه أنتم "(٣).

قوله تعالى:{وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ} [الشعراء: ١٥٦]، أي:" ولا تنالوها بشيء مما يسوءها كضَرْبٍ أو قتل أو نحو ذلك"(٤).

قال الطبري:" يقول: لا تمسوها بما يؤذيها من عقر وقتل ونحو ذلك"(٥).

قال ابن كثير:" فحذرهم نقمة الله إن أصابوها بسوء ، فمكثت الناقة بين أظهرهم حينًا من الدهر ترد الماء ، وتأكل الورق والمرعى. وينتفعون بلبنها ، يحتلبون منها ما يكفيهم شربًا وريًا "(٦).

عن ابن جُرَيج، قوله: "{وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ}: لا تعقروها"(٧).

قوله تعالى:{فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الشعراء: ١٥٦]، أي:" فيهلككم الله بعذابِ يومٍ تعظم شدته؛ بسبب ما يقع فيه من الهول والشدة"(٨).

قال الطبري:" يقول: فيحل بكم من الله عذاب يوم عظيم عذابه"(٩).

القرآن

{فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (١٥٧)} [الشعراء: ١٥٧]

التفسير:

فنحروا الناقة، فأصبحوا متحسرين على ما فعلوا لَمَّا أيقنوا بالعذاب، فلم ينفعهم ندمهم.

قوله تعالى:{فَعَقَرُوهَا} [الشعراء: ١٥٧]، أي:" فنحروا الناقة"(١٠).

قال الطبري: يقول:" فخالفت ثمود أمر نبيها صالح ﷺ، فعقروا الناقة التي قال لهم صالح: لا تمسوها بسوء"(١١).

قال ابن كثير:" فلما طال عليهم الأمد وحضر شقاؤهم ، تمالؤوا على قتلها وعقرها"(١٢).

عن عبد الله بن زمعة قال: "سمعت رسول الله ﷺ يذكر الناقة والذي عقرها، فقال: {إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا}(١٣) انبعث لها رجل عارم عزيز في رهطه منيع، مثل أبي زمعة"(١٤).

قال عبد الله بن أبي الهذيل: "لما عقرت الناقة صعد بكرها فوق جبل، فرغا فما سمعه شيء إلا همد"(١٥).

---

(١) التفسير الميسر:٣٧٣.
(٢) تفسير الطبري:٣٨٦/١٩.
(٣) تفسير ابن كثير:١٥٧/٦.
(٤) التفسير الميسر:٣٧٣.
(٥) تفسير الطبري:٣٨٧/١٩.
(٦) تفسير ابن كثير:١٥٧/٦.
(٧) أخرجه الطبري:٣٨٧/١٩.
(٨) التفسير الميسر:٣٧٣.
(٩) تفسير الطبري:٣٨٧/١٩.
(١٠) التفسير الميسر:٣٧٣.
(١١) تفسير الطبري:٣٨٧/١٩.
(١٢) تفسير ابن كثير:١٥٧/٦.
(١٣)[الشمس : ١٢].
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٧٥):ص٢٨٠٥/٩.
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٧٦):ص٢٨٠٥/٩.

عن قتادة: أن ثمود لما عقروا الناقة تغامزوا وقالوا: عليكم الفصل فصعد القارة جبل كان حتى إذا كان يوما استقبل القبلة وقال: يا رب: أمتي، يا رب: أمتي، يا رب: أمتي، قال: فأرسلت عليهم الصيحة عند ذلك"[١]. وروي عن الحسن نحو ذلك[٢].

قال محمد بن إسحاق: "فرصدوا الناقة حتى صدرت، عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل الصخرة على طريقها، وكمن لها مصدع في أصل أخرى، فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها، قال: فشد يعني قدار على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها ثم طعن في لبتها فنحرها وانطلق. حتى أتى جبلا منيفا ثم أتى صخرة في رأس الجبل فرغا ثم لاذ بها وأتاهم صالح فلما رأى الناقة قد عقرت بكا ثم قال: انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله ونقمته"[٣].

قوله تعالى:{فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ} [الشعراء: ١٥٧]، أي:" فأصبحوا متحسرين على ما فعلوا لَمَّا أيقنوا بالعذاب، فلم ينفعهم ندمهم"[٤].

قال الطبري: " فلم ينفعهم ندمهم"[٥].

قال الزمخشري:" فإن قلت: لم أخذهم العذاب وقد ندموا؟ قلت: لم يكن ندمهم ندم تائبين، ولكن ندم خائفين أن يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا، كمن يرى في بعض الأمور رأيا فاسدا ويبنى عليه، ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعى[٦]، أو ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة، وذلك عند معاينة العذاب. وقال الله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات ... الآية. وقيل: كانت ندامتهم على ترك الولد، وهو بعيد"[٧].

القرآن

{فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨)} [الشعراء: ١٥٨]

التفسير:

فنزل بهم عذاب الله الذي توعدهم به صالح عليه السلام، فأهلكهم. إن في إهلاك ثمود لَعبرة لمن اعتبر بهذا المصير، وما كان أكثرهم مؤمنين.

قوله تعالى:{فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ} [الشعراء: ١٥٨]، أي:" فنزل بهم عذاب الله الذي توعدهم به صالح عليه السلام، فأهلكهم"[٨].

قال الطبري: " وأخذهم عذاب الله الذي كان صالح توعدهم به فأهلكهم"[٩].

قال ابن كثير:" زُلزلت أرضهم زلزالا شديدًا ، وجاءتهم صيحة عظيمة اقتلعت القلوب عن محالها ، وأتاهم من الأمر ما لم يكونوا يحتسبون ، فأصبحوا في ديارهم جاثمين"[١٠].

قال الزمخشري:" اللام في {العذاب}: إشارة إلى عذاب يوم عظيم"[١١].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٧٧):ص٢٨٠٥/٩.
(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٨٠٦/٩. بدون سند.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٧٨):ص٢٨٠٦/٩.
(٤) التفسير الميسر:٣٧٣.
(٥) تفسير الطبري:٣٨٧/١٩.
(٦)الكسع: حي من اليمن. والكسعي: رجل منهم ربى تبعة حتى أخذ منها قوسا فرمي عنها الوحش ليلا وظن أنه أنه أخطأ، فكسر القوس، فلما أصبح رأى ما أصابه من الصيد فندم، وضرب به المثل من قال:
ندمت ندامة الكسعي لما ... رأت عيناه ما صنعت يداه
كذا في الصحاح.
(٧) الكشاف:٣٢٩/٣.
(٨) التفسير الميسر:٣٧٣.
(٩) تفسير الطبري:٣٨٧/١٩.
(١٠) تفسير ابن كثير:١٥٧/٦.[بتصرف بسيط]
(١١) الكشاف:٣٢٩/٣.

عن جابر، عن رسول الله- ﷺ- قال: "فعتوا، عن أمر ربهم يعني قوم صالح فعقروها فوعدهم الله أن يمتعوا في دارهم ثلاثة أيام فكان أمر الله وعد غير مكذوب فجاءتهم الصيحة فأهلك الذين كانوا منه تحت مشارق الأرض ومغاربها، إلا رجل كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله. فقيل يا رسول الله: من هو؟ فقال: أبو رغال. قال: ومن أبو رغال؟ قال: أبو ثقيف"(١).

قال عطاء:" لما قتل قوم صالح الناقة قال لهم صالح: إن العذاب آتيكم قالوا له: وما علامة ذلك؟ قال: أن تصبح وجوهكم أول يوم محمرة، وفي اليوم الثاني مصفرة، وفي اليوم الثالث مسودة، فلما أصبحوا أول يوم جعل بعضهم ينظر في وجوه بعض فيقول يا فلان: ما لوجهك أحمر؟ فيقول الآخر يا فلان: ما لوجهك أحمر؟ فلما كان اليوم، الثاني: اصفرت وجوههم فجعل بعضهم يلقى بعضا ويقول يا فلان: ما لوجهك أسود؟ حتى أيقنوا بالعذاب، تحنطوا، وتكفنوا وأقاموا في بيتهم، قال: فصاح بهم جبريل صيحة فذهبت أرواحهم. قال عيسى: بلغني أن حنوطهم كان المر لأنه يبقى"(٢).

قال: محمد بن إسحاق:" فأتاهم صالح فلما رأى الناقة قد عقرت بكى وقال: انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله ونقمته قال وهم يهزئون به: ومتى ذلك يا صالح؟ وما آية ذلك؟ وكانوا يسمون الأيام فيهم الأحد: أول والاثنين: أهون والثلاثاء: دبار والأربعاء: جبار والخميس: مؤنس والجمعة: العروبة: والسبت: شيار وكانوا عقروا الناقة يوم الأربعاء، فقال لهم صالح حين قالوا ذلك: تصبحون غداة مؤنس يوم الخميس وجوهكم مصفرة، وتصبحون يوم العروبة يعني يوم الجمعة وجوهكم محمرة، ثم تصبحون يوم شيار يعني يوم السبت وجوهكم مسودة، ثم يصبحكم العذاب في أول يوم يعني يوم الأحد"(٣).

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً} [الشعراء: ١٥٨]، أي:" إن في إهلاك ثمود لَعبرة لمن اعتبر بهذا المصير"(٤).

قال الطبري: " يقول: إنّ في إهلاك ثمود بما فعلت من عقرها ناقة الله وخلافها أمر نبي الله صالح لعبرة لمن اعتبر به يا محمد من قومك"(٥).

عن أبي الدرداء:" إن عادا ملئوا ما بين عدن إلى عمان خيلا ورجالا وسواما فعصوا الله فأهلكهم، فمن يشتري تراثهم بنعلي هاتين؟ ألا إن ثمودا ملئوا ما بين الشجر والحجر خيلا ورجالا وسواما عصوا الله فأهلكهم فمن يشتري مني تراثهم بنعلي هاتين؟ ثم يقول لنفسه: فلا أحد"(٦).

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ١٥٨]، أي:" وما كان أكثر من أهلكنا بالذين يؤمنون في سابق علمنا"(٧).

قال الطبري: " يقول: ولن يؤمن أكثرهم في سابق علم الله"(٨).

القرآن

{وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٥٩)} [الشعراء: ١٥٩]

التفسير:

وإن ربك لهو العزيز القاهر المنتقم من أعدائه المكذبين، الرحيم بمن آمن من خلقه.

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٨٧٩):ص٢٨٠٦/٩.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٨٨٠):ص٢٨٠٦/٩-٢٨٠٧.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٨٨١):ص٢٨٠٧/٩.
(٤) التفسير الميسر:٣٧٣.
(٥) تفسير الطبري:٣٨٧/١٩.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٨٢):ص٢٨٠٧/٩.
(٧) تفسير المراغي:٨٨/١٩.
(٨) تفسير الطبري:٣٨٧/١٩.

قال الطبري: " {وَإِنَّ رَبَّكَ} يا محمد، {لَهُوَ الْعَزِيزُ} في انتقامه من أعدائه، {الرَّحِيمُ} بمن آمن به من خلقه"(١).

قال المراغي:" أي:" وإن ربك لهو الشديد فى انتقامه من أعدائه، {الرحيم} بأوليائه المؤمنين إن تابوا وأصلحوا"(٢).

فوائد الآيات:[١٥٣-١٥٩]:

١- تقرير أن السحر من عمل الناس وأنه معلوم لهم معمول به منذ القدم.

٢- سنة الناس في المطالبة بالآيات عند دعوتهم إلى الدين الحق.

٣- وجود الآيات لا يستلزم بالضرورة إيمان المطالبين بل أكثرهم لا يؤمنون.

٤- الندم من التوبة ولكن لا ينفع ندم ولا توبة عند معاينة العذاب أو أماراته.

القرآن

{كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠)} [الشعراء:١٦٠]

التفسير:

كَذَّبت قوم لوط برسالته، فكانوا بهذا مكذبين لسائر رسل الله؛ لأن ما جاؤوا به من التوحيد وأصول الشرائع واحد.

قال مقاتل:" كذبوا لوطا وحده ولوط ابن حراز بن آزر، فسارة أخت لوط- عليه السلام-"(٣).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ} من أرسله الله إليهم من الرسل"(٤).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله لوط ، عليه السلام ، وهو : لوط بن هاران بن آزر ، وهو ابن أخي إبراهيم الخليل ، وكان الله تعالى قد بعثه إلى أمة عظيمة في حياة إبراهيم ، وكانوا يسكنون "سدوم" وأعمالها التي أهلكها الله بها ، وجعل مكانها بحيرة منتنة خبيثة ، وهي مشهورة ببلاد الغور ، متاخمة لجبال البيت المقدس ، بينها وبين بلاد الكَرَك والشَّوبَك"(٥).

عن قتادة:" قرية لوط حين رفعها جبريل عليه الصلاة والسلام وفيها أربعمائة ألف فسمع أهل السماء نباح الكلاب وأصوات الديكة، ثم قلب أسفلها أعلاها"(٦).

القرآن

{إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) } [الشعراء:١٦١-١٦٤]

التفسير:

إذ قال لهم أخوهم لوط: ألا تخشون عذاب الله؟ إني رسول من ربكم، أمين على تبليغ رسالته إليكم، فاحذروا عقاب الله على تكذيبكم رسوله، واتبعوني فيما دعوتكم إليه، وما أسألكم على دعوتي لهدايتكم أيَّ أجر، ما أجري إلا علي رب العالمين."(٧).

قوله تعالى:{إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ} [الشعراء: ١٦١]، أي:" إذ قال لهم أخوهم لوط: ألا تخشون عذاب الله؟"(٨).

---

(١) تفسير الطبري:٣٨٧/١٩.
(٢) تفسير المراغي:٨٨/١٩.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٧/٣.
(٤) تفسير الطبري:٣٨٧/١٩.
(٥) تفسير ابن كثير:١٥٧/٦.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٨٣):ص٢٨٠٧/٩-٢٨٠٨.
(٧) التفسير الميسر:٣٧٤.
(٨) التفسير الميسر:٣٧٤.

قال مقاتل:" يعني: ألا تخشون الله- عز وجل-"[1].
قال يحيى:" {ألا تتقون}، يعني: ألا تخشون الله، يأمرهم أن يتقوا الله، [ولوط] أخوهم في النسب، وليس بأخيهم في الدين"[2].
قوله تعالى:{إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} [الشعراء: ١٦٢]، أي:" إني رسول من ربكم، أمين على تبليغ رسالته إليكم"[3].
قال الطبري:" {أَمِينٌ} على وحيه، وتبليغ رسالته"[4].
قال يحيى:" {أَمِينٌ} على ما جئتكم به"[5].
قوله تعالى:{فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} [الشعراء: ١٦٣]، أي:" فاحذروا عقاب الله على تكذيبكم رسوله، واتبعوني فيما دعوتكم إليه"[6].
قال الطبري:يقول:" {فَاتَّقُوا اللَّهَ} في أنفسكم، أن يحلّ بكم عقابه على تكذيبكم رسوله {وأطيعون} فيما دعوتكم إليه أهدكم سبيل الرشاد"[7].
قال مقاتل: "{وأطيعون}، فيما آمركم به من النصيحة "[8].
قال ابن كثير:" دعاهم إلى الله ، عز وجل ، أن يعبدوه وحده لا شريك له ، وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه الله إليهم "[9].
عن عطاء قوله: "{وأطيعون}، قال: طاعة الرسول: اتباع الكتاب والسنة"[10].
قوله تعالى:{وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ} [الشعراء: ١٦٤]، أي:" وما أسألكم على دعوتي لهدايتكم أيَّ أجر "[11].
قال مقاتل:" يعني: ما أسألكم على الإيمان من جعل"[12].
قال الطبري:" يقول: وما أسألكم على نصيحتي لكم ودعايتكم إلى ربي جزاء ولا ثوابا"[13].
قوله تعالى:{إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: ١٦٤]، أي:" ما أجري إلا على رب العالمين"[14].
قال الطبري:" يقول: ما جزائي على دعايتكم إلى الله، وعلى نصحي لكم وتبليغ رسالات الله إليكم، إلا على ربّ العالمين"[15].
قال الشعراوي:" فغالبية الموكب الرسالي يأتي على ألسنتهم الكلام عن الأجر: {وَمَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ}، فكأن الرسل عليهم السلام يقولون للبشر الذين ارسلوا إليهم: لو أنكم فطنتم إلى حقيقة الأمر لكان من الواجب أن يكون لنا أجر على ما نقدمه لكم من منفعة، لكنَّا لا نريد منكم أنتم أجراً، إنما سنأخذ أجرنا من ربِّ العالمين؛ لأن المنفعة التي نقدمها لكم لا يستطيع بشر أن يقوِّمها، وإنما القادر على تقييمها هو واضع المنهج سبحانه ومُنزِله على رسله. وها هو

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٧/٣.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٥١٩/٢-٥٢٠. [بتصرف : تقديم وتاخير ليستقيم المعنى]
(٣) التفسير الميسر:٣٧٤.
(٤) تفسير الطبري:٣٨٧/١٩.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٥٢٠/٢.
(٦) التفسير الميسر:٣٧٤.
(٧) تفسير الطبري:٣٨٧/١٩-٣٨٨.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٧/٣.
(٩) تفسير ابن كثير:١٥٧/٦.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٨٤):ص٢٨٠٨/٩.
(١١) التفسير الميسر:٣٧٤.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٧/٣.
(١٣) تفسير الطبري:٣٨٨/١٩.
(١٤) التفسير الميسر:٣٧٤.
(١٥) تفسير الطبري:٣٨٨/١٩.

القرآن الكريم يأتي على لسان رسول الله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقول: {قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ المودة فِي القربى} [الشورى: ٢٣]"[١].

القرآن
{أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦)} [الشعراء: ١٦٥-١٦٦]

التفسير:
أتنكحون الذكور مِن بني آدم، وتتركون ما خلق الله لاستمتاعكم وتناسلكم مِن أزواجكم؟ بل أنتم قوم -بهذه المعصية- متجاوزون ما أباحه الله لكم من الحلال إلى الحرام.

قوله تعالى:{أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: ١٦٦]، أي:" أتنكحون الذكور مِن بني آدم"[٢].

قال الطبري:يعني به:" أتنكحون الذكران من بني آدم في أدبارهم"[٣].

قال يحيى:" ما جعل لكم ربكم من فروج نسائكم، وهذا على الاستفهام، أي: قد فعلتم"[٤]. فعلتم"[٤].

قال ابن عثيمين:" وهذا الإستفهام للتوبيخ والإنكار، ولم يقل: "أتأتون الذكران منكم"، بل قال: {من العالمين}؛ إشارة إلى أنهم - والعياذ بالله - لا يتحاشون من أحد"[٥].

قال ابن كثير:" نهاهم عن معصية الله ، وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم ، مما لم يسبقهم الخلائق إلى فعله ، من إتيان الذكْران دون الإناث"[٦].

قال القرطبي:" كانوا ينكحونهم في أدبارهم وكانوا يفعلون ذلك بالغرباء"[٧].

قال البيضاوي:يقول:" أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم، أو أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الإناث فيهم كأنهن قد أعوزنكم، فالمراد ب العالمين على الأول كل من ينكح وعلى الثاني الناس"[٨].

قال الزمخشري:" أراد بالعالمين: الناس، أى: أتأتون من بين أولاد آدم عليه السلام- على فرط كثرتهم وتفاوت أجناسهم وغلبة إناثهم على ذكورهم في الكثرة- ذكر انهم، كأن الإناث قد أعوزتكم، أو أتأتون أنتم- من بين من عداكم من العالمين- الذكران، يعنى أنكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة. و«العالمون» على هذا القول: كل ما ينكح من الحيوان"[٩].

قال وهب بن منبه:" كان أهل سدوم الذين فيهم لوط قوم سوء قد استغنوا، عن النساء بالرجال"[١٠].

قوله تعالى:{وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ} [الشعراء: ١٦٦]، أي:" وتتركون ما خلق الله لاستمتاعكم وتناسلكم مِن أزواجكم؟"[١١].

قال الطبري:" يقول: وتدعون الذي خلق لكم ربكم من أزواجكم من فروجهنّ، فأحله لكم"[١٢].

---

(١) تفسير الشعراوي:١٠/٦١٠٥-٦١٠٦.
(٢) التفسير الميسر:٣٧٤.
(٣) تفسير الطبري:١٩/٣٨٨.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:٢/٥٢٠.
(٥) تفسير العثيمين-الشعراء:٢٥٩.
(٦) تفسير ابن كثير:٦/١٥٧.
(٧) تفسير القرطبي:١٣/١٣٢.
(٨) تفسير البيضاوي:٤/١٤٧.
(٩) الكشاف:٣/٣٢٩.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٨٨٥):ص٩/٢٨٠٨.
(١١) التفسير الميسر:٣٧٤.
(١٢) تفسير الطبري:١٩/٣٨٨.

قال القرطبي:" يعني: فروج النساء، فإن الله خلقها للنكاح"(١).

قال مجاهد:" تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال وأدبار النساء"(٢).

عن مجاهد:" {ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم}، يعني: القبل"(٣).

قال الزمخشري:" {من أزواجكم}، يصلح أن يكون تبيينا لما خلق، وأن يكون للتبعيض، ويراد بما خلق: العضو المباح منهن"(٤).

وفي قراءة ابن مسعود: « وَتَذَرُونَ ما أصْلَحَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أزْوَاجِكُمْ»(٥)، قال الزمخشري:"وكأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم"(٦).

قوله تعالى:{بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ} [الشعراء: ١٦٦]، أي:" بل أنتم قوم -بهذه المعصية- متجاوزون ما أباحه الله لكم من الحلال إلى الحرام"(٧).

قال القرطبي:" أي: متجاوزون لحدود الله"(٨).

قال الطبري:" يقول: بل أنتم قوم تتجاوزون ما أباح لكم ربكم، وأحله لكم من الفروج إلى ما حرّم عليكم منها"(٩).

قال البيضاوي:أي:" متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات، أو مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذاك، أو أحقاء بأن توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة"(١٠).

قال الزمخشري:" العادي: المتعدى في ظلمه، المتجاوز فيه الحد، ومعناه: أترتكبون هذه المعصية على عظمها، بل أنتم قوم عادون في جميع المعاصي، فهذا من جملة ذاك، أو بل أنتم قوم أحقاء بأن توصفوا بالعدوان، حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة"(١١).

عن ابن جُرَيج: "{بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ}، قال: قوم معتدون"(١٢).

قال الزجاج:" {عادون}: ظالمون غاية الظلم"(١٣).

فوائد الآيات:[١٦٠-١٦٦]:

١- جواز إطلاق أخوة الوطن دون الدين والنسب.

٢- الأمانة من مستلزمات الرسالة، إذ كل رسول يقول {إني لكم رسول أمين} .

٣- سبيل نجاة الفرد والجماعة في تقوى الله تعالى وطاعة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤- وجوب إنكار المنكر وتقبيحه على فاعله لعله يرعوي.

٥-أكبر فاحشة وقعت في الأرض هي فاحشة اللواط. والعياذ بالله تعالى.

القرآن

{قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧)} [الشعراء: ١٦٧]

التفسير:

---

(١) تفسير القرطبي:١٣٢/١٣.

(٢) أخرجه الطبري:٣٨٨/١٩.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٨٨٧):ص٢٨٠٨/٩.

(٤) الكشاف:٣٢٩/٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري:٣٨٨/١٩.

(٦) الكشاف:٣٢٩/٣.

(٧) التفسير الميسر:٣٧٤.

(٨) تفسير القرطبي:١٣٢/١٣.

(٩) تفسير الطبري:٣٨٨/١٩.

(١٠) تفسير البيضاوي:١٤٧/٤.

(١١) الكشاف:٣٢٩/٣.

(١٢) أخرجه الطبري:٣٨٨/١٩.

(١٣) معاني القرآن:٩٩/٤.

قال قوم لوط: لئن لم تترك يا لوط نَهْيَنا عن إتيان الذكور وتقبيح فعله، لتكونن من المطرودين من بلادنا.

قوله تعالى:{قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَالُوطُ} [الشعراء: ١٦٧]، أي:" قال قوم لوط: لئن لم تترك يا لوط نَهْيَنا عن إتيان الذكور وتقبيح فعله"(١).

قال الطبري: أي:" عن نهينا عن إتيان الذكران"(٢).

قال ابن كثير:" لما نهاهم نبي الله عن إتيانهم الفواحش ، وغشيانهم الذكور ، وأرشدهم إلى إتيان نسائهم اللاتي خلقهن الله لهم - ما كان جواب قومه له إلا قالوا : { لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ } يعنونَ : عما جئتنا به"(٣).

قوله تعالى:{لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ} [الشعراء: ١٦٧]، أي:" لتكونن من المطرودين من بلادنا"(٤).

قال مقاتل:يعني: " من القرية"(٥).

قال يحيى:" أي: نقتلك، فنخرجك منها قتيلا"(٦).

قال الطبري: أي:" من بين أظهرنا وبلدنا"(٧).

قال ابن كثير:" أي : ننفيك من بين أظهرنا ، كما قال تعالى : { وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ } [الأعراف : ٨٢]"(٨).

القرآن

{قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٨)} [الشعراء: ١٦٧]

التفسير:

قال لوط لهم: إني لِعملكم الذي تعملونه من إتيان الذكور، لَمن المبغضين له بغضًا شديدًا.

قال مقاتل:" {إني لعملكم}، يعني: إتيان الرجال، {من القالين}، يعني: الماقتين"(٩).

قال يحيى:" من المبغضين"(١٠).

قال الطبري: " يقول لهم لوط: إني لعملكم الذي تعملونه من إتيان الذكران في أدبارهم من القالين، يعني من المبغضين، المنكرين فعله"(١١).

قال ابن كثير:" فلما رأى أنَّهم لا يرتدعون عما هم فيه وأنهم مستمرون على ضلالتهم ، تبرأ منهم فقال : { قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ}، أي : الُمبغضين ، لا أحبه ولا أرضى به ؛ فأنا بريء منكم "(١٢).

قال ابن فورك:" القالي: المبغض"(١٣).

قال ابن قتيبة:" أي: من المبغضين. يقال: قليت الرجل، أي أبغضته"(١٤).

قال الزجاج:" القالي: التارك للشيء الكاره له غاية الكراهة"(١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٧٤.
(٢) تفسير الطبري:٣٨٨/١٩-٣٨٩.
(٣) تفسير ابن كثير:١٥٨/٦.
(٤) التفسير الميسر:٣٧٤.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٧/٣.
(٦) تفسير يحيى بن سلام:٥٢٠/٢.
(٧) تفسير الطبري:٣٨٩/١٩.
(٨) تفسير ابن كثير:١٥٨/٦.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٧/٣.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٥٢٠/٢.
(١١) تفسير الطبري:٣٨٩/١٩.
(١٢) تفسير ابن كثير:١٥٨/٦.
(١٣) تفسير ابن فورك:٢٦١/١.
(١٤) غريب القرآن:٣٢٠.

القرآن

{رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩)} [الشعراء: ١٦٧]

التفسير:

ثم دعا لوط ربه حينما يئس من استجابتهم له قائلا ربِّ أنقذني وأنقذ أهلي مما يعمله قومي مِن هذه المعصية القبيحة، ومِن عقوبتك التي ستصيبهم.

قال ابن كثير:" ثم دعا الله عليهم قال : { رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ }"[٢].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: فاستغاث لوط حين توعده قومه بالإخراج من بلدهم إن هو لم ينته عن نهيهم عن ركوب الفاحشة، فقال: {رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي} من عقوبتك إياهم على ما يعملون من إتيان الذكران"[٣].

قال مقاتل:" {مما يعملون}، من الخبائث"[٤].

القرآن

{فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١)} [الشعراء: ١٧٠-١٧١]

التفسير:

فنجيناه وأهل بيته والمستجيبين لدعوته أجمعين إلا عجوزًا من أهله، وهي امرأته، لم تشاركهم في الإيمان، فكانت من الباقين في العذاب والهلاك.

قال مقاتل:" ثم استثنى فقال: {إلا عجوزا في الغابرين}، يعني: الباقين في العذاب يعني امرأته"[٥].

قال الزجاج: {الغابرين}: " جاء في التفسير: في الباقين في العذاب، و«الغابر» في اللغة: الباقي"[٦].

قال الطبري: يقول:" {فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ} من عقوبتنا التي عاقبنا بها قوم لوط {أَجْمَعِينَ إِلا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ}، يعني: في الباقين، لطول مرور السنين عليها، فصارت هرمة، فإنها أهلكت من بين أهل لوط، لأنها كانت تدلّ قومها على الأضياف. وقد قيل: إنما قيل من الغابرين لأنها لم تهلك مع قومها في قريتهم، وأنها إنما أصابها الحجر بعد ما خرجت عن قريتهم مع لوط وابنتيه، فكانت من الغابرين بعد قومها، ثم أهلكها الله بما أمطر على بقايا قوم لوط من الحجارة"[٧].

قال يحيى:" {ثم دمرنا الآخرين} قوم لوط وامرأته معهم، وكانت منافقة، تظهر للوط الإيمان وهي على الشرك"[٨].

قال ابن كثير:" {إلا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ } ، وهي امرأته ، وكانت عجوز سوء بقيت فهلكت مع مَنْ بقي من قومها ، وذلك كما أخبر الله تعالى عنهم في "سورة الأعراف" و"هود" ، وكذا في "الحِجْر" حين أمره الله أن يسري بأهله إلا امرأته ، وأنهم لا يلتفتون إذا سمعوا الصيحة حين تنزل على قومه ، فصبروا لأمر الله واستمروا ، وأنزل الله على أولئك العذاب الذي عمّ جميعهم"[٩].

---

(١) معاني القرآن:٩٩/٤.
(٢) تفسير ابن كثير:١٥٨/٦.
(٣) تفسير الطبري:٣٨٩/١٩.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٧/٣.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٧/٣.
(٦) معاني القرآن:٩٩/٤.
(٧) تفسير الطبري:٣٨٩/١٩.
(٨) تفسير يحيى بن سلام:٥٢٠/٢.
(٩) تفسير ابن كثير:١٥٨/٦.

قال يحيى:" أهله: أمته المؤمنون"[(١)].
قال ابن فورك:" وقيل: أهله أمته المؤمنون به. وقيل بناته"[(٢)].

القرآن
{ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٣)} [الشعراء: ١٧٢-١٧٣]
التفسير:
ثم أهلكنا مَن عداهم من الكفرة أشدَّ إهلاك، وأنزلنا عليهم حجارة من السماء كالمطر أهلكتهم، فقَبُحَ مطرُ من أنذرهم رسلهم ولم يستجيبوا لهم؛ فقد أُنزل بهم أشدُّ أنواع الهلاك والتدمير.
قوله تعالى:{ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ} [الشعراء: ١٧٣]، أي:" ثم أهلكنا مَن عداهم من الكفرة أشدَّ إهلاك"[(٣)].
قال مقاتل:" يعني: أهلكنا الآخرين بالخسف والحصب"[(٤)].
قال الطبري: يقول:" ثم أهلكنا الآخرين من قوم لوط بالتدمير"[(٥)].
قال ابن فورك:" التدمير: الإهلاك بأهول الأمور"[(٦)].
قوله تعالى:{وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا} [الشعراء: ١٧٣]، أي:" وأنزلنا عليهم حجارة من السماء كالمطر أهلكتهم"[(٧)].
قال الطبري: " وذلك إرسال الله عليهم حجارة من سجيل من السماء"[(٨)].
قال ابن كثير:" أمطر عليهم حجارة من سجيل منضود"[(٩)].
قوله تعالى:{فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ} [الشعراء: ١٧٣]، أي:" فقَبُحَ مطرُ من أنذرهم رسلهم ولم يستجيبوا لهم؛ فقد أُنزل بهم أشدُّ أنواع الهلاك والتدمير"[(١٠)].
قال الطبري: " يقول: فبئس ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم نبيهم فكذّبوه"[(١١)].
قال مقاتل:" يعني: فبئس {مطر المنذرين}، يعني: الذين أنذروا بالعذاب. خسف الله بقرى قوم لوط وأرسل الحجارة على من كان خارجا من القرية"[(١٢)].
قال يحيى:" أي: فبئس مطر المنذرين أنذرهم لوط فلم يقبلوا. أصاب قريتهم الخسف، وأصابت الحجارة من كان خارجا من القرية وأهل السفر منهم، وأصاب العجوز حجر فقتلها"[(١٣)].

القرآن
{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤)} [الشعراء: ١٧٤]
التفسير:

---
(١) تفسير يحيى بن سلام:٥٢٠/٢.
(٢) تفسير ابن فورك:٢٦١/١.
(٣) التفسير الميسر:٣٧٤.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٧/٣.
(٥) تفسير الطبري:٣٨٩/١٩.
(٦) تفسير ابن فورك:٢٦١/١.
(٧) التفسير الميسر:٣٧٤.
(٨) تفسير الطبري:٣٨٩/١٩.
(٩) تفسير ابن كثير:١٥٨/٦.
(١٠) التفسير الميسر:٣٧٤.
(١١) تفسير الطبري:٣٨٩/١٩.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٧/٣.
(١٣) تفسير يحيى بن سلام:٥٢٠/٢.

إن في ذلك العقاب الذي نزل بقوم لوط لَعبرة وموعظة، يتعظ بها المكذبون. وما كان أكثرهم مؤمنين.

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً} [الشعراء: ١٧٤]، أي:" إن في ذلك العقاب الذي نزل بقوم لوط لَعبرة وموعظة، يتعظ بها المكذبون"(١).

قال مقاتل:" إن في هلاكهم بالخسف والحصب لعبرة لهذه الأمة"(٢).

قال الطبري: " إن في إهلاكنا قوم لوط الهلاك الذي وصفنا بتكذيبهم رسولنا، لعبرة وموعظة لقومك يا محمد، يتعظون بها في تكذيبهم إياك، وردهم عليك ما جئتهم به من عند ربك من الحق"(٣).

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ١٧٤]، أي:" وما كان أكثر من أهلكنا بالذين يؤمنون فى سابق علمنا"(٤).

قال الطبري:أي: " في سابق علم الله"(٥).

قال مقاتل:" لو كان أكثرهم مؤمنين لم يعذبوا في الدنيا"(٦).

عن سعيد بن جبير، "{وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ}، :يعنى: مصدقين"(٧).

القرآن

{وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥)} [الشعراء: ١٧٥]

التفسير:

وإن ربك لهو العزيز الغالب الذي يقهر المكذبين، الرحيم بعباده المؤمنين.

قال مقاتل:" {العزيز} في نقمته. {الرحيم} بالمؤمنين"(٨).

عن محمد بن إسحاق: "{العزيز}، قال: العزيز في نصرته ممن كفر به إذا شاء"(٩).

عن سعيد، قوله: "{الرحيم}، يعني: رحيما بهم بعد التوبة"(١٠).

قال ابن جريج: "كل شيء في الشعراء من قوله «العزيز الرحيم»، فهو ما أهلك ممن مضى من الأمم، يقول: عزيز، حين انتقم من أعدائه، رحيم بالمؤمنين، حين أنجاهم مما أهلك به أعداءه"(١١).

فوائد الآيات:[١٦٧-١٧٥]:

١- التهديد بالنفي سنة بشرية قديمة.
٢- وجوب بغض الشر والفساد في أي صورة من صورهما.
٣- استجابة دعوة المظلوم لاسيما إن كان من الصالحين.
٤- توقع العذاب إذا انتشر الشر وعظم الظلم والفساد.
٥- الآيات مهما كانت عظيمة لا تستلزم الإيمان والطاعة.
٦- من لم يسبق له الإيمان لا يؤمن ولو جلب عليه كل آية.
٧- مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته.

---

(١) التفسير الميسر:٣٧٤.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٧/٣-٢٧٨.
(٣) تفسير الطبري:٣٨٩/١٩.
(٤) تفسير المراغي:٨٨/١٩.
(٥) تفسير الطبري:٣٨٩/١٩.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٨/٣.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٤١):ص٢٧٥١/٨.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٨/٣.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٤٣):ص٢٧٥١/٨.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٥٤٤):ص٢٧٥١/٨.
(١١) أخرجه الطبري:٣٣٦/١٩.

القرآن
{كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠)} [الشعراء: ١٧٦-١٨٠]

التفسير:

كذَّب أصحاب الأرض ذات الشجر الملتف رسولهم شعيبًا في رسالته، فكانوا بهذا مكذِّبين لجميع الرسالات. إذ قال لهم شعيب: ألا تخشون عقاب الله على شرككم ومعاصيكم؟ إني مرسَل إليكم مِنَ الله لهدايتكم، حفيظ على ما أوحى الله به إليَّ من الرسالة، فخافوا عقاب الله، واتبعوا ما دعوتكم إليه مِن هداية الله؛ لترشدوا، وما أطلب منكم على دعائي لكم إلى الإيمان بالله أيَّ جزاء، ما جزائي إلا على رب العالمين.

قوله تعالى:{كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: ١٧٦]، أي:" كذَّب أصحاب الأرض ذات الشجر الملتف رسولهم شعيبًا في رسالته، فكانوا بهذا مكذِّبين لجميع الرسالات"[١].
الرسالات"[١].

قال السعدي:" أصحاب الأيكة: أي: البساتين الملتفة أشجارها، وهم أصحاب مدين، فكذبوا نبيهم شعيبا، الذي جاء بما جاء به المرسلون"[٢].

قال الطبري:" الأيكة: الشجر الملتفّ، وهي واحدة الأيك، وكل شجر ملتفّ فهو عند العرب أيكة؛ ومنه قول نابغة بني ذبيان[٣]:

تَجْلُو بِقادِمَتَيْ حَمَامَةِ أيْكَةٍ ... بَرَدًا أُسِفّ لِثاتُهُ بالإثْمِدِ

وأصحاب الأيكة: هم أهل مدين فيما ذُكر"[٤].

قال الزجاج:" الأيكة الشجر الملتف"[٥].

قال ابن كثير:" أصحاب الأيكة : هم أهل مدين على الصحيح. وكان نبي الله شعيب من أنفسهم ، وإنما لم يقل هنا أخوهم شعيب ؛ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة ، وهي شجرة. وقيل : شجر ملتف كالغَيضة ، كانوا يعبدونها"[٦].

عن ابن عباس، قوله: "{كَذَّبَ أَصْحَابُ الأيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ}، يقول: أصحاب الغيضة"[٧].

عن ابن عباس، قوله: "{كَذَّبَ أَصْحَابُ الأيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ}، قال: أهل مدين، والأيكة: الملتف من الشجر"[٨].

قال ابن عباس:" الأيكة: مجمع الشجر"[٩].

قال ابن زيد:" الأيكة: الشجر، بعث الله شعيبا إلى قومه من أهل مدين، وإلى أهل البادية، قال: وهم أصحاب ليكة، وليكة والأيكة: واحد"[١٠].

قال الضحاك:" هم قوم شعيب"[١١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٧٤.
(٢) تفسير السعدي:٥٩٦.
(٣)البيت للنابغة الذبياني زياد بن معاوية (مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ص ١٨٥) ١٨٥) قال شارحه: تجلو: تكشف. والقوادم: الريش المقدم في جناح الطائر. ويكون شديد السواد. شبه سواد شفتيها بالقوادم؛ وشبه بياض ثغرها ببياض البرد. واللثاث: مغارز الأسنان، ومن عاداتهم أن يذروا عليها الإثمد، ليبين بياض الأسنان.
(٤) تفسير الطبري:٣٩٠/١٩.
(٥) معاني القرآن:٩٧/٤.
(٦) تفسير ابن كثير:١٥٨/٦.
(٧) أخرجه الطبري:٣٩٠/١٩.
(٨) أخرجه الطبري:٣٩٠/١٩.
(٩) أخرجه الطبري:٣٩٠/١٩.
(١٠) أخرجه الطبري:٣٩٠/١٩.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٨٩٦):ص٢٨١٠/٩.

قال قتادة:" أصحاب الأيكة أصحاب شجر وهم قوم شعيب"[١].

قال قتادة:" ذكر لنا أنهم كانوا أهل غيضة، وكان عامة شجرهم هذا الروم، وكان رسولهم فيما بلغنا شعيب أرسل إليهم وإلى أهل مدين، أرسل إلى أمتين من الناس وعذبتا بعذابين شتى، أما أهل مدين: فأخذتهم الصيحة، وأما أصحاب الأيكة فكانوا أهل شجر متكاوس"[٢].

قال محمد بن إسحاق: "كان من قصة شعيب وخبره وخبر قومه ما ذكر الله في القرآن وكانوا أهل بخس الناس في مكاييلهم وموازينهم، مع كفرهم بالله وتكذيبهم نبيهم"[٣].

وأكثر القراء - على إثبات الألف واللام في :«الأيكة»، وكذلك يقرأ أبو عمرو وأكثر القراء، وقرأ أهل المدينة أصحاب ليكة مفتوحة اللام، فإذا وقف - على أصحاب، قال ليكة المرسلين[٤].

قوله تعالى:{إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ} [الشعراء: ١٧٧]، أي:" إذ قال لهم شعيب: ألا تخشون عقاب الله على شرككم ومعاصيكم؟"[٥].

قال الطبري:يقول:" قال لهم شعيب: ألا تتقون عقاب الله على معصيتكم ربكم؟"[٦].

قال السعدي:أي:" {أَلا تَتَّقُونَ} الله تعالى، فتتركون ما يسخطه ويغضبه، من الكفر والمعاصي"[٧].

عن الربيع، قال: "إن شعيبا أخا مدين أرسل أيضا إلى أصحاب الأيكة وهم كانوا قوم من أهل عمور يتبعون الرعاء والكلأ في زمانه، فإذا يبس الغور رجعوا إلى الغيضة التي كانوا يتقيضون وهي أجمة فيها عين سائحة، وإن شعيبا أنذرهم فكذبوه"[٨].

قال ابن كثير:" لم يقل : «إذ قال لهم أخوهم شعيب»، وإنما قال : { إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ } ، فقطع نسبة الأخوة بينهم ؛ للمعنى الذي نسبوا إليه ، وإن كان أخاهم نسبا. ومن الناس مَنْ لم يتفطن لهذه النكتة ، فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين ، فزعم أن شعيبًا عليه السلام ، بعثه الله إلى أمتين ، ومنهم مَنْ قال : ثلاث أمم"[٩].

عن خَصِيف ، عن عِكْرِمة قالا:" ما بعث الله نبيًا مرتين إلا شعيبًا ، مرة إلى مدين فأخذهم الله بالصيحة ، ومرة إلى أصحاب الأيكة فأخذهم الله بعذاب يوم الظُّلَّةِ"[١٠].

وعن قتادة في قوله تعالى : "{ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ }.[ق : ١٢] قوم شعيب ، وقوله : { وَأَصْحَابُ الأيْكَةِ }. [ق : ١٤] قوم شعيب"[١١].

قال إسحاق بن بشر : "وقال غير جُوَيْبِر : أصحاب الأيكة ومدين هما واحد"[١٢].

وروي عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : "إن قوم مدين وأصحاب الأيكة أمتان ، بعث الله إليهما شعيبًا النبي ، عليه السلام"[١٣].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٠١):ص٢٨١١/٩.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٠٢):ص٢٨١١/٩.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٨٩٧):ص٢٨١٠/٩.
(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج:٩٧/٤.
(٥) التفسير الميسر:٣٧٤.
(٦) تفسير الطبري:٣٩٠/١٩-٣٩١.
(٧) تفسير السعدي:٥٩٦.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٠٣):ص٢٨١١/٩.
(٩) تفسير ابن كثير:١٥٨/٦-١٥٩.
(١٠) تفسير ابن كثير:١٥٩/٦.
(١١) تفسير ابن كثير:١٥٩/٦.
(١٢) تفسير ابن كثير:١٥٩/٦.
(١٣)انظر : مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٣٠٩/١٠)، وتفسير ابن كثير:١٥٩/٦. قال ابن كثير:" وهذا غريب ، وفي رفعه نظر ، والأشبه أن يكون موقوفا".

قال ابن كثير:" والصحيح أنهم أمة واحدة ، وصفوا في كل مقام بشيء ؛ ولهذا وعظ هؤلاء وأمرهم بوفاء المكيال والميزان ، كما في قصة مدين سواء بسواء، فدل ذلك على أنهم أمة واحدة"(١).

قوله تعالى:{إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} [الشعراء: ١٧٨]، أي:" إني مرسَل إليكم مِنَ الله لهدايتكم، حفيظ على ما أوحى الله به إليَّ من الرسالة"(٢).

قال الطبري:أي:" {أَمِينٌ} على وحيه"(٣).

قال السعدي:" يترتب على ذلك، أن تتقوا الله وتطيعون"(٤).

قوله تعالى:{فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} [الشعراء: ١٧٩]، أي:" فخافوا عقاب الله، واتبعوا ما دعوتكم إليه مِن هداية الله؛ لترشدوا"(٥).

قال الطبري:يقول:" {فاتقوا} عقاب {الله} على خلافكم أمره، {وأطيعون} ترشدوا"(٦).

قوله تعالى:{وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ} [الشعراء: ١٨٠]، أي:" وما أطلب منكم على دعائي لكم إلى الإيمان بالله أيَّ جزاء"(٧).

قال الطبري:" يقول: {وَمَا أَسْأَلُكُمْ} على نصحي لكم من جزاء وثواب"(٨).

قوله تعالى:{إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: ١٨٠]، أي:" ما جزائي إلا على رب العالمين"(٩).

قال الطبري: يقول: "{ما جزائي وثوابي على ذلك {إلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِين}"(١٠).

القرآن

{أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣)} [الشعراء: ١٨١-١٨٣]

التفسير:

قال لهم شعيب -وقد كانوا يُنْقِصون الكيل والميزان-: أتمُّوا الكيل للناس وافيًا لهم، ولا تكونوا ممن يُنْقِصون الناس حقوقهم، وَزِنوا بالميزان العدل المستقيم، ولا تنقصوا الناس شيئًا مِن حقوقهم في كيل أو وزن أو غير ذلك، ولا تكثروا في الأرض الفساد، بالشرك والقتل والنهب وتخويف الناس وارتكاب المعاصي.

قوله تعالى:{أَوْفُوا الْكَيْلَ} [الشعراء: ١٨٣]، أي:" قال لهم شعيب -وقد كانوا يُنْقِصون الكيل والميزان-: أتمُّوا الكيل للناس وافيًا لهم"(١١).

قال الطبري: " يقول: أوفوا الناس حقوقهم من الكيل"(١٢).

قال ابن كثير:" يأمرهم تعالى بإيفاء المكيال والميزان، وينهاهم عن التطفيف فيهما"(١٣).

قال السعدي:" وكانوا - مع شركهم - يبخسون المكاييل والموازين، فلذلك قال لهم: {أَوْفُوا الْكَيْلَ} أي: أتموه وأكملوه"(١).

---

(١) تفسير ابن كثير:١٥٩/٦.
(٢) التفسير الميسر:٣٧٤.
(٣) تفسير الطبري:٣٩١/١٩.
(٤) تفسير السعدي:٥٩٦.
(٥) التفسير الميسر:٣٧٤.
(٦) تفسير الطبري:٣٩١/١٩.
(٧) التفسير الميسر:٣٧٤.
(٨) تفسير الطبري:٣٩١/١٩.
(٩) التفسير الميسر:٣٧٤.
(١٠) تفسير الطبري:٣٩١/١٩.
(١١) التفسير الميسر:٣٧٤.
(١٢) تفسير الطبري:٣٩١/١٩.
(١٣) تفسير ابن كثير:١٦٠/٦.

قال سعيد بن المسيب:" إذا كنت بأرض يوفون المكيال والميزان فلا تعجل بالخروج منها، وإذا كنت بأرض لا يوفون المكيال والميزان فعجل بالخروج منها"[٢].

قوله تعالى:{وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ} [الشعراء: ١٨٣]، أي:" ولا تكونوا ممن يُنْقِصون الناس حقوقهم"[٣].

قال الطبري: " يقول: ولا تكونوا ممن نقصهم حقوقهم"[٤].

قال ابن كثير:" أي : إذا دفعتم إلى الناس فكملوا الكيل لهم ، ولا تخسروا الكيل فتعطوه ناقصا ، وتأخذوه - إذا كان لكم - تامًا وافيًا ، ولكن خذوا كما تعطون ، وأعطوا كما تأخذون"[٥].

قال السعدي:" {الْمُخْسِرِينَ}: الذين ينقصون الناس أموالهم ويسلبونها ببخس المكيال والميزان"[٦].

قال خلف بن حوشب: "هلك قوم شعيب من شعيرة إلى شعيرة كانوا يأخذون بالرزينة ويعطون بالخفيفة"[٧].

قوله تعالى:{وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ} [الشعراء: ١٨٣]، أي:" وَزِنوا بالميزان العدل المستقيم"[٨].

قال الطبري:يقول: " وزنوا بالميزان {الْمُسْتَقِيمِ} الذي لا بخس فيه على من وزنتم له"[٩].

قال السعدي:" أي: بالميزان العادل، الذي لا يميل"[١٠].

وفي قوله تعالى:{وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ} [الشعراء: ١٨٣]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه القَبَّان، قاله الحسن[١١].

الثاني : الحديد ، رواه ابن المبارك عن الحسن[١٢].

الثالث : أنه المعيار ، قاله الضحاك[١٣].

الرابع : أنه الميزان ، قاله الأخفش والكلبي[١٤]، واختاره ابن كثير[١٥].

الخامس : أنه العدل بالرومية. قاله مجاهد[١٦].

وقال قتادة:" القسطاس: العدل"[١٧].

قوله تعالى:{وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ} [الشعراء: ١٨٣]، أي:" ولا تنقصوا الناس شيئًا مِن حقوقهم في كيل أو وزن أو غير ذلك"[١٨].

قال الطبري: " يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم في الكيل والوزن"[١٩].

---

(١) تفسير السعدي:٥٩٦.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٩٠٤):ص٢٨١١/٩.
(٣) التفسير الميسر:٣٧٤.
(٤) تفسير الطبري:٣٩١/١٩.
(٥) تفسير ابن كثير:١٦٠/٦.
(٦) تفسير السعدي:٥٩٦.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٩٠٥):ص٢٨١١/٩.
(٨) التفسير الميسر:٣٧٤.
(٩) تفسير الطبري:٣٩١/١٩.
(١٠) تفسير السعدي:٥٩٦.
(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٩٠٨):ص٢٨١٢/٩.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٩٠٩):ص٢٨١٢/٩.
(١٣) انظر: النكت والعيون:١٨٥/٤.
(١٤) انظر: النكت والعيون:١٨٥/٤.
(١٥) انظر: تفسير ابن كثير:١٦٠/٦.
(١٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٥٩٠٦):ص٢٨١٢/٩.
(١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٩٠٧):ص٢٨١٢/٩.
(١٨) التفسير الميسر:٣٧٤.
(١٩) تفسير الطبري:٣٩١/١٩.

قال ابن كثير:" أي : تَنْقُصوهم أموالهم"(١).
قال ابن عباس:" لا تظلموا الناس أشياءهم"(٢). وروي عن قتادة والسدى ونحو ذلك(٣).
ذلك(٣).
قال ابن زيد:" لا تنقصوهم، يسمي له شيئا ويعطيه غير ذلك"(٤).
قوله تعالى:{وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [الشعراء: ١٨٣]، أي:" ولا تكثروا في الأرض الفساد، بالشرك والقتل والنهب وتخويف الناس وارتكاب المعاصي"(٥).
قال الطبري: " يقول: ولا تكثروا في الأرض الفساد"(٦).
قال ابن كثير:" يعني : قطع الطريق ، كما في الآية الأخرى : { وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ } [الأعراف : ٨٦]"(٧).
قال ابن عباس:" يقول: لا تسعوا في الأرض"(٨).
قال قتادة: يقول: لا تسيروا في الأرض"(٩).
قال أبو مالك:" يقول: لا تمشوا بالمعاصي"(١٠).

القرآن
{وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (١٨٤)} [الشعراء: ١٨٤]
التفسير:
واحذروا عقوبة الله الذي خلقكم وخلق الأمم المتقدمة عليكم.
قال الطبري: يقول:" {واتقوا} أيها القوم عقاب ربكم {الَّذِي خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ الْجِبِلَّةَ الأوَّلِينَ}، يعني بالجبلة: الخلق الأوّلين"(١١).
قال السعدي:" أي: الخليقة الأولين، فكما انفرد بخلقكم، وخلق من قبلكم من غير مشارك له في ذلك، فأفردوه بالعبادة والتوحيد، وكما أنعم عليكم بالإيجاد والإمداد بالنعم، فقابلوه بشكره"(١٢).
قال ابن كثير:" يخوفهم بأس الله الذي خلقهم وخلق آباءهم الأوائل ، كما قال موسى ، عليه السلام : { رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأوَّلِينَ } [الصافات : ١٢٦]"(١٣).
عن السدي، "{الذي خلقكم}: وخلق الذين من قبلكم"(١٤).
عن ابن عباس: قوله: "{وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأوَّلِينَ}، يقول: خلق الأوّلين"(١٥).
عن مجاهد، قوله: "{وَالْجِبِلَّةَ الأوَّلِينَ}، قال: الخليقة"(١٦).
عن ابن زيد: قوله: "{وَالْجِبِلَّةَ الأوَّلِين}، قال: الخلق الأوّلين، الجبلة: الخلق"(١).

---

(١) تفسير ابن كثير:٦/١٦٠.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩١٠):ص٩/٢٨١٢.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٩/٢٨١٢. بدون سند.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩١١):ص٩/٢٨١٢.
(٥) التفسير الميسر:٣٧٤.
(٦) تفسير الطبري:١٩/٣٩١.
(٧) تفسير ابن كثير:٦/١٦٠.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩١٢):ص٩/٢٨١٢.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩١٣):ص٩/٢٨١٢.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩١٤):ص٩/٢٨١٣.
(١١) تفسير الطبري:١٩/٣٩١.
(١٢) تفسير السعدي:٥٩٧
(١٣) تفسير ابن كثير:٦/١٦٠.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩١٥):ص٩/٢٨١٣.
(١٥) أخرجه الطبري:١٩/٣٩٢.
(١٦) أخرجه الطبري:١٩/٣٩٢.

فوائد الآيات:[١٧٦-١٨٤]:
١- الأمر بالتقوى فريضة كل داع إلى الله تعالى وسنة الدعاة والهداة إذ طاعة الله واجبة.
٢- لا يصح لداع إلى الله أن يطلب أجره ممن يدعوهم فإن ذلك ينفرهم.
٣- وجوب توفية الكيل والوزن وحرمة التطفيف فيهما.
٤- حرمة بخس الناس حقوقهم ونقصها بأي حال من الأحوال.
٥- حرمة الفساد في الأرض بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب.

القرآن
{قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧)} [الشعراء: ١٨٥-١٨٧]
التفسير:
قالوا: إنما أنت -يا شعيب- مِنَ الذين أصابهم السحر إصابة شديدة، فذهب بعقولهم، وما أنت إلا واحد مثلنا في البشرية، فكيف تختص دوننا بالرسالة؟ وإن أكبر ظننا أنك من الكاذبين فيما تدَّعيه من الرسالة. فإن كنت صادقًا في دعوى النبوة، فادع الله أن يسقط علينا قطع عذاب من السماء تستأصلنا.

قوله تعالى:{قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ} [الشعراء: ١٨٥]، أي:" قالوا: إنما أنت -يا شعيب- مِنَ الذين أصابهم السحر إصابة شديدة، فذهب بعقولهم"(٢).

قال الطبري:" يقول: قالوا: إنما أنت يا شعيب معلل تعلل بالطعام والشراب، كما نعلل بهما، ولست ملَكا"(٣).

قال النسفي:" المسحر: الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة وأنه بشر"(٤).

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن جواب قومه له بمثل ما أجابت به ثمود لرسولها - تشابهت قلوبهم - حيث قالوا : { إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ } يعنون : من المسحورين"(٥).

قوله تعالى:{وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا} [الشعراء: ١٨٧]، أي:" وما أنت إلا واحد مثلنا في البشرية، فكيف تختص دوننا بالرسالة؟"(٦).

قال الطبري: أي:" تأكل وتشرب"(٧).

قال النسفي:" إدخال الواو هنا ليفيد معنيين كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وتركها في قصة ثمود ليفيد معنى واحدا وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم"(٨).

قوله تعالى:{وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ} [الشعراء: ١٨٦]، أي:" وإن أكبر ظننا أنك من الكاذبين فيما تدَّعيه من الرسالة"(٩).

قال الطبري:" يقول: وما نحسبك فيما تخبرنا وتدعونا إليه، إلا ممن يكذب فيما يقول"(١٠).

---
(١) أخرجه الطبري:٣٩٢/١٩.
(٢) التفسير الميسر:٣٧٥.
(٣) تفسير الطبري:٣٩٢/١٩.
(٤) تفسير النسفي:٥٧٦/٢.
(٥) تفسير ابن كثير:١٦٠/٦.
(٦) التفسير الميسر:٣٧٥.
(٧) تفسير الطبري:٣٩٢/١٩.
(٨) تفسير النسفي:٥٨٠/٢.
(٩) التفسير الميسر:٣٧٥.
(١٠) تفسير الطبري:٣٩٢/١٩.

قال ابن كثير:" أي : تتعمد الكذب فيما تقوله ، لا أن الله أرسلك إلينا "[١].

قوله تعالى:{فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [الشعراء: ١٨٧]، أي:" فإن كنت صادقًا في دعوى النبوة، فادع الله أن يسقط علينا قطع عذاب من السماء تستأصلنا"[٢].

قال الطبري: يقول: "فإن كنت صادقا فيما تقول بأنك رسول الله كما تزعم (فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ}، يعني: قطعا من السماء، وهي جمع: كِسفة"[٣].

قال القرطبي:" أي جانبا من السماء وقطعة منه، فننظر إليه، كما قال:{وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم}. وقيل: أرادوا أنزل علينا العذاب. وهو مبالغة في التكذيب"[٤].

قال ابن كثير:" وهذا شبيه بما قالت قريش فيما أخبر الله عنهم في قوله تعالى : { وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعًا } ، إلى أن قالوا : { أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلا } [الإسراء : ٩٠ - ٩٢]. وقوله : { وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } [الأنفال : ٣٢] ، وهكذا قال هؤلاء الكفرة الجهلة : { فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ }"[٥].

قال الزمخشري:" وما كان طلبهم ذلك إلا لتصميمهم على الجحود والتكذيب. ولو كان فيهم أدنى ميل إلى التصديق لما أخطروه ببالهم فضلا أن يطلبوه. والمعنى: إن كنت صادقا أنك نبى، فادع الله أن يسقط علينا كسفا من السماء"[٦].

عن ابن عباس، قوله: "{كسفا}، يقول: قِطَعا"[٧].

وقال الضحاك:" جانبا من السماء"[٨].

وقال ابن زيد:" ناحية من السماء، عذاب ذلك الكسف"[٩].

وقال السدي:" عذابا من السماء"[١٠].

القرآن

{قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨)} [الشعراء: ١٨٨]

التفسير:

قال لهم شعيب: ربي أعلم بما تعملونه مِنَ الشرك والمعاصي، وبما تستوجبونه من العقاب.

قال البغوي:" أي: من نقصان الكيل والوزن، وهو مجازيكم بأعمالكم، وليس العذاب إلي وما علي إلا الدعوة"[١١].

قال الطبري: " قال شعيب لقومه: {رَبِّي أَعْلَمُ} بأعمالهم هو بها محيط، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم بها جزاءكم"[١٢].

قال السمعاني:" يعني: هو عالم بأعمالكم، فإن أراد أن يبقيكم، وإن أراد أن يهلككم أهلككم"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير:١٦٠/٦.
(٢) التفسير الميسر:٣٧٥.
(٣) تفسير الطبري:٣٩٢/١٩.
(٤) تفسير القرطبي:١٣٦/١٣.
(٥) تفسير ابن كثير:١٦٠/٦.
(٦) الكشاف:٣٣٣/٣.
(٧) أخرجه الطبري:٣٩٣/١٩.
(٨) أخرجه الطبري:٣٩٣/١٩.
(٩) أخرجه الطبري:٣٩٣/١٩.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٢٤):ص٢٨١٤/٩.
(١١) تفسير البغوي:١٢٨/٦.
(١٢) تفسير الطبري:٣٩٢/١٩.

قال ابن كثير:" يقول : الله أعلم بكم ، فإن كنتم تستحقون ذلك جازاكم به غير ظالم لكم ، وكذلك وقع بهم كما سألوا ، جزاءً وفاقًا"(٢).

قال الزمخشري:" يريد: أن الله أعلم بأعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب، فإن أراد أن يعاقبكم بإسقاط كسف من السماء فعل، وإن أراد عقابا آخر فإليه الحكم والمشيئة"(٣).

قال مالك:" كان شعيب خطيب الأنبياء"(٤).

القرآن

{فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩)} [الشعراء: ١٨٩]

التفسير:

فاستمَرُّوا على تكذيبه، فأصابهم الحر الشديد، وصاروا يبحثون عن ملاذ يستظلون به، فأظلتهم سحابة، وجدوا لها بردًا ونسيمًا، فلما اجتمعوا تحتها، التهبت عليهم نارًا فأحرقتهم، فكان هلاكهم جميعًا في يوم شديد الهول.

قوله تعالى:{فَكَذَّبُوهُ} [الشعراء: ١٨٩]، أي:" فكذبوا شعيباً"(٥).

قال الطبري:" يقول: فكذّبه قومه"(٦).

قوله تعالى:{فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ} [الشعراء: ١٨٩]، أي:" فأخذهم ذلك العذاب الرهيب عذاب يوم الظلة، وهي سحابة أظلتهم بعد حر شديد أصابهم فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا"(٧).

قال الطبري:" يعني بالظلة: سحابة ظللتهم، فلما تتاموا تحتها التهبت عليهم نارا، وأحرقتهم"(٨).

قال الزجاج:" الظلة: سحابة أظلتهم، فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها مما نالهم من حر ذلك اليوم ثم أطبقت عليهم فكان من أعظم يوم في الدنيا عذابا"(٩).

قال الزمخشري:" فأخذهم الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة إن أرادوا بالسماء السحاب، وإن أرادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم. يروى أنه حبس عنهم الريح سبعا، وسلط عليهم الومد(١٠) فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب، فاضطروا إلى أن خرجوا إلى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما، فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا"(١١).

قال ابن كثير:" وهذا من جنس ما سألوا ، من إسقاط الكسف عليهم ، فإن الله ، سبحانه وتعالى ، جعل عقوبتهم أن أصابهم حر شديد جدا مدة سبعة أيام لا يَكُنُّهم منه شيء ، ثم أقبلت إليهم سحابة أظلتهم ، فجعلوا ينطلقون إليها يستظلون بظلها من الحر ، فلما اجتمعوا كلهم تحتها أرسل الله تعالى عليهم منها شررًا من نار ، ولهبا ووهجًا عظيمًا ، ورجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحة عظيمة أزهقت أرواحهم.. وقد ذكر الله تعالى صفة إهلاكهم في ثلاثة مواطن (٢) كل موطن بصفة تناسب ذلك السياق ، ففي الأعراف ذكر أنهم أخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ؛ وذلك لأنهم قالوا : { لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ

---

(١) تفسير السمعاني:٦٥/٤.
(٢) تفسير ابن كثير:١٦٠/٦.
(٣) الكشاف:٣٣٣/٣.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٢٥):ص٢٨١٤/٩.
(٥) صفوة التفاسير:٣٦٠/٢.
(٦) تفسير الطبري:٣٩٣/١٩.
(٧) تفسير الجلالين:٤٩١، وصفوة التفاسير:٣٦٠/٢
(٨) تفسير الطبري:٣٩٣/١٩.
(٩) معاني القرآن:٩٨/٤.
(١٠)الومد: شدة حر الليل، كما في الصحاح.
(١١) الكشاف:٣٣٣/٣.

فِي مِلَّتِنَا } [الأعراف : ٨٨] ، فأرجفوا بنبي الله ومن اتبعه ، فأخذتهم الرجفة. وفي سورة هود قال : { وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ } [هود : ٩٤] ؛ وذلك لأنهم استهزؤوا بنبي الله في قولهم : { أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ } [هود : ٨٧]. قالوا ذلك على سبيل التهكم والازدراء ، فناسب أن تأتيهم صيحة تسكتهم ، فقال : { وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ } وهاهنا قالوا : { فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } على وجه التعنت والعناد ، فناسب أن يحق عليهم ما استبعدوا وقوعه "(١).

عن مجاهد، قوله: "{يَوْمُ الظُّلَّةِ}، قال: إظلال العذاب إياهم"(٢).

عن الضحاك، قوله: "{فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ}، قوم شعيب، حبس الله عنهم الظل والريح، فأصابهم حرّ شديد، ثم بعث الله لهم سحابة فيها العذاب، فلما رأوا السحابة انطلقوا يؤمونها، زعموا يستظلون، فاضطرمت عليهم نارا فأهلكتهم"(٣).

قال زيد بن معاوية:" أصابهم حرّ أقلقهم في بيوتهم، فنشأت لهم سحابة كهيئة الظلة، فابتدروها، فلما تناموا تحتها أخذتهم الرجفة"(٤).

قال جعفر:" كانوا يحفرون الأسراب ليتبردوا فيها، فإذا دخلوها وجدوها أشد حرا من الظاهر، وكانت الظلة سحابة"(٥).

قال قتادة: "بعث شُعيب إلى أمتين: إلى قومه أهل مدين، وإلى أصحاب الأيكة. وكانت الأيكة من شجر ملتف؛ فلما أراد الله أن يعذّبهم، بعث الله عليهم حرّا شديدا، ورفع لهم العذاب كأنه سحابة؛ فلما دنت منهم خرجوا إليها رجاء بردها، فلما كانوا تحتها مطرت عليهم نارا. قال: فذلك قوله: {فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ}"(٦).

قال ابن جُرَيج: "لما أنزل الله عليهم أوّل العذاب، أخذهم منه حر شديد، فرفع الله لهم غمامة، فخرج إليها طائفة منهم ليستظلوا بها، فأصابهم منها روح وبرد وريح طيبة، فصبّ الله عليهم من فوقهم من تلك الغمامة عذابا، فذلك قوله: {عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ}"(٧).

قال ابن عباس:" بعث الله عليهم ومدة وحرّا شديدا، فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا البيوت، فدخل عليهم أجواف البيوت، فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا من البيوت هرابا إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة، فأظلتهم من الشمس، فوجدوا لها بردا ولذة، فنادى بعضهم بعضا، حتى إذا اجتمعوا تحتها، أرسلها الله عليهم نارا. قال عبد الله بن عباس: فذلك عذاب يوم الظلة، {إنه كان عذاب يوم عظيم}"(٨).

قال ابن زيد :"بعث الله إليهم ظلة من سحاب، وبعث إلى الشمس فأحرقت ما على وجه الأرض، فخرجوا كلهم إلى تلك الظلة، حتى إذا اجتمعوا كلهم، كشف الله عنهم الظلة، وأحمى عليهم الشمس، فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلى"(٩).

عن معمر بن راشد، قال: "حدثني رجل من أصحابنا، عن بعض العلماء قال: كانوا عطلوا حدّا، فوسع الله عليهم في الرزق، ثم عطلوا حدّا، فوسع الله عليهم في الرزق، ثم عطلوا حدّا، فوسع الله عليهم في الرزق، فجعلوا كلما عطلوا حدّا وسع الله عليهم في الرزق، حتى إذا أراد إهلاكهم سلط الله عليهم حرّا لا يستطيعون أن يتقارّوا، ولا ينفعهم ظل ولا ماء، حتى ذهب

---

(١) تفسير ابن كثير:٦/١٦٠-١٦١.
(٢)أخرجه الطبري:١٩/٣٩٤.
(٣)أخرجه الطبري:١٩/٣٩٥.
(٤) أخرجه الطبري:١٩/٣٩٣.
(٥) أخرجه الطبري:١٩/٣٩٣.
(٦) أخرجه الطبري:١٩/٣٩٣.
(٧) أخرجه الطبري:١٩/٣٩٤.
(٨) أخرجه الطبري:١٩/٣٩٤.
(٩) أخرجه الطبري:١٩/٣٩٥.

ذاهب منهم، فاستظلّ تحت ظلة، فوجد روحا، فنادى أصحابه: هلموا إلى الروح، فذهبوا إليه سراعا، حتى إذا اجتمعوا ألهبها الله عليهم نارا، فذلك عذاب يوم الظلة"[١].

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الشعراء: ١٨٩]، أي:" كان هلاكهم جميعًا في يوم شديد الهول"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن عذاب يوم الظلة كان عذاب يوم لقوم شُعيب عظيم"[٣].

القرآن

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٩٠)} [الشعراء: ١٩٠]

التفسير:

إن في ذلك العقاب الذي نزل بهم، لَدلالة واضحة على قدرة الله في مؤاخذة المكذبين، وعبرة لمن يعتبر، وما كان أكثرهم مؤمنين متعظين بذلك.

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً} [الشعراء: ١٩٠]، أي:" إن في ذلك العقاب الذي نزل بهم، لَدلالة واضحة على قدرة الله في مؤاخذة المكذبين، وعبرة لمن يعتبر"[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن في تعذيبنا قوم شعيب عذاب يوم الظلة، بتكذيبهم نبيهم شعيبا، لآية لقومك يا محمد، وعبرة لمن اعتبر، إن اعتبروا أن سنتنا فيهم بتكذيبهم إياك، سنتنا في أصحاب الأيكة"[٥].

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ١٩٠]، أي:" وما كان أكثرهم مؤمنين متعظين بذلك"[٦].

قال الطبري:أي:" في سابق علمنا فيهم"[٧].

قال القرطبي:" قيل: آمن بشعيب من الفئتين تسعمائة نفر"[٨].

القرآن

{وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٩١)} [الشعراء: ١٩١]

التفسير:

وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز في نقمته ممن انتقم منه من أعدائه، الرحيم بعباده الموحدين.

قال الطبري: يقول:" {وَإِنَّ رَبَّكَ} يا محمد {لَهُوَ الْعَزِيزُ} فى نقمته ممن انتقم منه من أعدائه (الرَّحِيمُ) بمن تاب من خلقه، وأناب إلى طاعته"[٩].

قال ابن كثير:"أي : العزيز في انتقامه من الكافرين ، الرحيم بعباده المؤمنين"[١٠].

قال الزمخشري:" فإن قلت: كيف كرر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر؟

قلت: كل قصة منها كتنزيل برأسه، وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها، فكانت كل واحدة منها تدلى بحق في أن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها، وأن تختتم بما اختتمت به، ولأن في

---

(١) أخرجه الطبري:٣٩٤/١٩.
(٢) التفسير الميسر:٣٧٥.
(٣) تفسير الطبري:٣٩٥/١٩.
(٤) التفسير الميسر:٣٧٥.
(٥) تفسير الطبري:٣٩٥/١٩.
(٦) التفسير الميسر:٣٧٥.
(٧) تفسير الطبري:٣٩٥/١٩.
(٨) تفسير القرطبي:١٣٧/١٣.
(٩) تفسير الطبري:٣٩٥/١٩.
(١٠) تفسيرابن كثير:١٦٢/٦.

التكرير تقريرا للمعاني في الأنفس، وتثبيتا لها في الصدور. ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها، وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب وأرسخ في الفهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان، ولأن هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الإنصات للحق، وقلوب غلف عن تدبره، فكوثرت بالوعظ والتذكير، وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذنا، أو يفتق ذهنا، أو يصقل عقلا طال عهده بالصقل، أو يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدأ"(١).

فوائد الآيات:[١٨٥-١٩١]:

١- هذا آخر سبع قصص ذكرت بإيجاز تسلية للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتهديداً للمشركين المكذبين.

٢- دعوة الرسل واحدة وأسلوبهم يكاد يكون واحداً: الأمر بتقوى الله وطاعة رسوله.

٣- سنة تعلل الناس بأن الرسول لا ينبغي أن يكون بشراً فلذا هم لا يؤمنون.

٤- المطالبة بالآيات تكاد تكون سنة مطردة، وقل من يؤمن عليها.

٥- تقرير التوحيد والنبوة والبعث وهي ثمرة كل قصة تقص في هذا القرآن العظيم.

القرآن

{وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥)} [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]

التفسير:

وإن هذا القرآن الذي ذُكِرَتْ فيه هذه القصص الصادقة، لَمنزَّل مِن خالق الخلق، ومالك الأمر كله، نزل به جبريل الأمين، فتلاه عليك - أيها الرسول - حتى وعيته بقلبك حفظًا وفهمًا؛ لتكون مِن رسل الله الذين يخوِّفون قومهم عقاب الله، فتنذر بهذا التنزيل الإنس والجن أجمعين. نزل به جبريل عليك بلغة عربية واضحة المعنى، ظاهرة الدلالة، فيما يحتاجون إليه في إصلاح شؤون دينهم ودنياهم.

سبب النزول:

قال مقاتل:" وذلك أنه لما قال كفار مكة: إن محمدا- ﷺ- يتعلم القرآن من أبي فكيهة ويجيء به الري، وهو شيطان، فيلقيه على لسان محمد - ﷺ- فأكذبهم الله- تعالى- فقال- عز وجل-: {وإنه لتنزيل رب العالمين}، يعني: القرآن"(٢).

قوله تعالى:{وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء:١٩٢]، أي:" وإن هذا القرآن الذي ذُكِرَتْ فيه هذه القصص الصادقة، لَمنزَّل مِن خالق الخلق، ومالك الأمر كله"(٣).

قال يحيى:" يعني: القرآن"(٤).

عن قتادة، قوله: "{لَتَنزيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} قال: هذا القرآن"(٥).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وإنّ هذا القرآن {لَتَنزيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، والهاء في قوله {وإنه} كناية الذكر الذي فى قوله: {وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ}"(٦).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ، صلوات الله وسلامه عليه : {وإنه} أي : القرآن الذي تقدم ذكره في أول السورة في قوله : {وَمَا

---

(١) الكشاف: ٣٣٤/٣.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٠/٣.

(٣) التفسير الميسر:٣٧٥.

(٤) تفسير يحيى بن سلام:٥٢٣/٢.

(٥) أخرجه الطبري:٣٩٥/١٩-٣٩٦.

(٦) تفسير الطبري:٣٩٥/١٩.

يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ} الآية، { لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ } أي : أنزله الله عليك وأوحاه إليك"(١).

قوله تعالى:{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} [الشعراء: ١٩٣-١٩٤]، أي:" نزل به جبريل الأمين"(٢).

قال مقاتل:" يعني: جبريل- عليه السلام- «أمين» فيما استودعه الله- عز وجل- من الرسالة إلى الأنبياء- عليهم السلام-"(٣).

قال ابن كثير:" وهو جبريل ، عليه السلام ، قاله غير واحد من السلف.. وهذا ما لا نزاع فيه "(٤).

قال السمعاني:" والروح الأمين هو جبريل - عليه السلام - وسمي [جبريل] أمينا؛ لأنه أمين الله على وحيه، وفي بعض الآثار: أنه يرفع سبعين ألف حجاب، ويدخل بغير استئذان، فهو معنى الأمين"(٥).

عن ابن عباس، قوله: "{نزلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ}، قال: جبريل"(٦). وروي عن قتادة، والضحاك، وابن جريج مثل ذلك(٧).

عن الحسن: "نزل بثقلها الروح الأمين يقول: نزل الله جبريل عليه السلام"(٨).

قال مجاهد:" من كلمه الروح الأمين لم تأكله الأرض"(٩).

قوله تعالى:{عَلَى قَلْبِكَ} [الشعراء: ١٩٤]، أي:" فتلاه عليك - أيها الرسول - حتى وعيته بقلبك حفظًا وفهمًا"(١٠).

قال الطبري:" يقول: نزل به الروح الأمين فتلاه عليك يا محمد، حتى وعيته بقلبك"(١١).

قال ابن كثير:" أي : نزل به ملك كريم أمين ، ذو مكانة عند الله ، مطاع في الملأ الأعلى ، { عَلَى قَلْبِكَ } يا محمد ، سالمًا من الدنس والزيادة والنقص "(١٢).

وقال مقاتل:" ليثبت به قلبك يا محمد"(١٣).

قال السمعاني:" أي: المخوفين"(١٤).

قوله تعالى:{لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ} [الشعراء: ١٩٤]، أي:" لتكون مِن رسل الله الذين يخوِّفون قومهم عقاب الله، فتنذر بهذا التنزيل الإنس والجن أجمعين"(١٥).

قال السمعاني:" ذكر القلب هاهنا؛ لأنه كان إذا قرئ عليه وعاه قلبه"(١٦).

قال الطبري:" يقول: لتكون من رسل الله الذين كانوا ينذرون من أرسلوا إليه من قومهم، فتنذر بهذا التنزيل قومك المكذّبين بآيات الله"(١٧).

---

(١) تفسير ابن كثير:١٦٢/٦.
(٢) التفسير الميسر:٣٧٥.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٠/٣.
(٤) تفسير ابن كثير:١٦٢/٦.
(٥) تفسير السمعاني:٦٦/٤.
(٦) أخرجه الطبري:٣٩٦/١٩.
(٧) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٩٤٣):ص٢٨١٧/٩.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٩٤٤):ص٢٨١٨/٩.
(١٠) التفسير الميسر:٣٧٥.
(١١) تفسير الطبري:٣٩٦/١٩.
(١٢) تفسير ابن كثير:١٦٢/٦.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٠/٣.
(١٤) تفسير السمعاني:٦٦/٤.
(١٥) التفسير الميسر:٣٧٥.
(١٦) تفسير السمعاني:٦٦/٤.
(١٧) تفسير الطبري:٣٩٦/١٩.

قال ابن كثير:" أي : لتنذر به بأس الله ونقمته على من خالفه وكذبه ، وتبشر به المؤمنين المتبعين له "(١).

قال ابن شهاب: "قد بين الله لنا في كتابه أنه يرسل جبريل إلى محمد نبينا ﷺ فقال الله عز وجل: من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله وذكر الله الروح الأمين- فقال: وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين يعني جبريل عليه السلام"(٢).

عن ابن شهاب وسئل، عن الوحي؟ فقال: "من الوحي ما يرسل الله به من يشاء من ملائكته فيوحونه في قلوب من شاء من رسله فقد بين الله في كتابه أنه كان يرسل جبريل إلى محمد ﷺ، فقال الله عز وجل: {وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين}"(٣).

قوله تعالى:{بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء: ١٩٥]، أي:" نزل به جبريل عليك بلغة عربية واضحة المعنى، ظاهرة الدلالة، فيما يحتاجون إليه في إصلاح شؤون دينهم ودنياهم"(٤).

قال مقاتل:" ليفقهوا ما فيه لقوله إنما يعلمه أبو فكيهة، وكان أبو فكيهة أعجميا"(٥).

قال ابن كثير:" أي : هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أنزلناه بلسانك العربي الفصيح الكامل الشامل ، ليكون بَيِّنًا واضحًا ظاهرًا ، قاطعًا للعذر ، مقيمًا للحجة ، دليلا إلى المحجة "(٦).

قال الطبري:" يقول: لتنذر قومك بلسان عربي مبين، يبين لمن سمعه أنه عربي، وبلسان العرب نزل، وإنما ذكر تعالى ذكره أنه نزل هذا القرآن بلسان عربي مبين في هذا الموضع، إعلاما منه مشركي قريش أنه أنزله كذلك، لئلا يقولوا إنه نزل بغير لساننا، فنحن إنما نعرض عنه ولا نسمعه، لأنا لا نفهمه، وإنما هذا تقريع لهم، وذلك أنه تعالى ذكره قال: {وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ}. ثم قال: لم يعرضوا عنه لأنهم لا يفهمون معانيه، بل يفهمونها، لأنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين بلسانهم العربيّ، ولكنهم أعرضوا عنه تكذيبا به واستكبارا {فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}، كما أتى هذه الأمم التي قصصنا نبأها في هذه السورة حين كذّبت رسلها أنباء ما كانوا به يكذّبون"(٧).

قال الشافعي -رحمه الله-: "والقرآن يدل على أن ليس في كتاب الله شيء إلا بلسان العرب، قال الله - عز وجل: {وإنه لتنزيل رب العالمين (١٩٢) نزل به الروح الأمين (١٩٣) على قلبك لتكون من المنذرين (١٩٤) بلسان عربي مبين (١٩٥)}، فأقام حجته: بأن كتابه عربي"(٨).

عن ابن بريدة، {بلسان عربي}، قال: بلسان جرهم"(٩).

قال مجاهد:" نزل القرآن بلسان قريش وبه كلامهم"(١٠).

عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبيه قال: "بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه في يوم دجن، إذ قال لهم رسول الله ﷺ: كيف ترون بواسقها؟ قالوا: ما أحسنها وأشد تراكمها! قال: فكيف ترون قواعدها؟ قالوا: ما أحسنها وأشد تمكنها! قال: كيف ترون جريها؟ قالوا: ما أحسنه

---

(١) تفسير ابن كثير:١٦٢/٦.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٩٤٥):ص٢٨١٨/٩.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٩٤٦):ص٢٨١٨/٩.
(٤) التفسير الميسر:٣٧٥.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٠/٣.
(٦) تفسير ابن كثير:١٦٢/٦.
(٧) تفسير الطبري:٣٩٦/١٩-٣٩٧.
(٨) تفسير الإمام الشافعي:١١٦٣/٣.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٤٧):ص٢٨١٨/٩.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٤٨):ص٢٨١٨/٩.

وأشد سواده! قال: فكيف ترون رحاها استدارة؟ قالوا: ما أحسنها وأشد استدارتها! قال: كيف ترون بقها أوميض، أم خفق، أم يشق شقا؟ قالوا: بل يشق شقا قال: الحياة الحياة إن شاء الله- قال: فقال رجل يا رسول الله: بأبي وأمي ما أفصحك؟ ما رأيت الذي هو أعرف منك؟ قال: فقال: حق لي وإنما نزل القرآن بلساني والله يقول: {بلسان عربي مبين}"(١).

قال سفيان الثوري:" لم ينزل وحي إلا بالعربية ثم ترجم كل نبي لقومه، واللسان يوم القيامة بالسريانية فمن تكلم بالعربية دخل الجنة"(٢).

القرآن

{وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (١٩٦)} [الشعراء: ١٩٦]

التفسير:

وإنَّ ذِكْرَ هذا القرآن لَمثبتٌ في كتب الأنبياء السابقين، قد بَشَّرَتْ به وصَدَّقَتْه.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن لفي زبر الأوّلين: يعني في كتب الأوّلين، وخرج مخرج العموم ومعناه الخصوص، وإنما هو: وإن هذا القرآن لفي بعض زبر الأوّلين؛ يعني: أن ذكره وخبره في بعض ما نزل من الكتب على بعض رسله"(٣).

قال ابن كثير:" يقول تعالى : وإنَّ ذِكْر هذا القرآن والتنويه به لموجود في كتب الأولين المأثورة عن أنبيائهم ، الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه ، كما أخذ الله عليهم الميثاق بذلك ، حتى قام آخرهم خطيبًا في ملئه بالبشارة بأحمد : { وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ } [الصف : ٦] ، والزبر هاهنا هي الكتب وهي جمع زَبُور، وكذلك الزبور ، وهو كتاب داود. وقال تعالى : { وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ} [القمر : ٥٢] أي : مكتوب عليهم في صحف الملائكة"(٤).

قال السمعاني:أي:" أن ذكر محمد في زبر الأولين أي: في كتب الأولين، وقيل: ذكر إنزال القرآن في زبر الأولين، وقد قالوا: إن كليهما وارد"(٥).

عن قتادة، قوله: "{وإنه لفي زبر الأولين}، أي:" في كتب الأولين"(٦). وروي عن السدي مثله(٧).

عن ابن زيد، قوله:"{لفي زبر الأولين}، قال: يقول التي أنزلها على الأولين"(٨).

القرآن

{أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٧)} [الشعراء: ١٩٧]

نالتفسير:

أو لم يَكْفِ هؤلاء -في الدلالة على أنك رسول الله، وأن القرآن حق- عِلْمُ علماء بني إسرائيل صحة ذلك، ومَن آمن منهم كعبد الله بن سلام؟

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أولم يكن لهؤلاء المعرضين عما يأتيك يا محمد من ذكر ربك، دلالةٌ على أنك رسول رب العالمين، أن يعلم حقيقة ذلك وصحته علماء بني إسرائيل.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٩٤٩):ص٢٨١٨/٩-٢٨١٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٩٥٠):ص٢٨١٩/٩.

(٣) تفسير الطبري:٣٩٧/١٩.

(٤) تفسير ابن كثير:١٦٣/٦.

(٥) تفسير السمعاني:٦٦/٤.[بتصرف]

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٥١):ص٢٨١٩/٩.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٨١٩/٩. بدون سند.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٥٢):ص٢٨١٩/٩.

وقيل: عني بعلماء بني إسرائيل في هذا الموضع: عبد الله بن سلام ومن أشبهه ممن كان قد آمن برسول الله ﷺ من بني إسرائيل في عصره"[١].

قال ابن كثير:" أي : أو ليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك : أن العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها ؟ والمراد : العدول منهم ، الذين يعترفون بما في أيديهم من صفة محمد ﷺ ومبعثه وأمته ، كما أخبر بذلك مَنْ آمن منهم كعبد الله بن سلام ، وسلمان الفارسي ، عَمَّنْ أدركه منهم ومَنْ شاكلهم. وقال الله تعالى : { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإنْجِيلِ } الآية [الأعراف : ١٥٧]"[٢].

عن مبشر بن عبيد القرشي قراءة: "{أولم يكن لهم آية}، يقول: أو لم يكن لهم القرآن آية"[٣].

قال قتادة:" أولم يكن للنبي آية، علامة أن علماء بني إسرائيل كانوا يعلمون أنهم كانوا يجدونه مكتوبا عندهم؟"[٤].

قال قتادة:" يعني: بذلك اليهود والنصارى أنهم يجدون محمدا- ﷺ- مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل أنه رسول الله ﷺ"[٥].

قال قتادة:" كانوا: يعلمون أنهم يجدونه مكتوبا عندهم"[٦].

عن مجاهد قوله: "{عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ}، قال: عبد الله بن سلام وغيره من علمائهم"[٧].
علمائهم"[٧].

عن ابن جُرَيج: "{أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً} قال محمد: {أَنْ يَعْلَمَهُ}، قال: يعرفه، {عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ}، قال ابن جُرَيج، قال مجاهد: علماء بني إسرائيل: عبد الله بن سلام، وغيره من علمائهم"[٨].

قال ابن عباس:" كان عبد الله بن سلام من علماء بنى إسرائيل، وكان من خيارهم، فآمن بكتاب محمد ﷺ، فقال لهم الله: أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل وخيارهم"[٩].

وعن عطية، "{أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل}، قال: كانوا خمسة أسد، وأسيد، وابن يامين، وثعلبة، وعبد الله بن سلام"[١٠].

وفي مصحف ابن مسعود: «أو ليس لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل»[١١].

القرآن

{وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (١٩٩) كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٢٠١)} [الشعراء: ١٩٨-٢٠١]

التفسير:

ولو نَزَّلنا القرآن على بعض الذين لا يتكلمون بالعربية، فقرأه على كفار قريش قراءة عربية صحيحة، لكفروا به أيضًا، وانتحلوا لجحودهم عذرًا. كذلك أدخلنا في قلوب المجرمين جحود

---

(١) تفسير الطبري:٣٩٧/١٩.
(٢) تفسير ابن كثير:١٦٣/٦.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٩٥٣):ص٢٨١٩/٩.
(٤) أخرجه الطبري:٣٩٨/١٩.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٩٥٧):ص٢٨٢٠/٩.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٩٥٨):ص٢٨٢٠/٩.
(٧) أخرجه الطبري:٣٩٨/١٩.
(٨) أخرجه الطبري:٣٩٨/١٩.
(٩) أخرجه الطبري:٣٩٧/١٩-٣٩٨.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٩٥٦):ص٢٨٢٠/٩.
(١١) انظر: تفسير السمعاني:٦٧/٤.

القرآن، وصار متمكنًا فيها؛ وذلك بسبب ظلمهم وإجرامهم، فلا سبيل إلى أن يتغيروا عمَّا هم عليه من إنكار القرآن، حتى يعاينوا العذاب الشديد الذي وُعِدوا به.

قوله تعالى:{وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ} [الشعراء: ٢٠١]، أي:" لو نزلنا هذا القرآن بنظمه الرائق المعجز على بعض الأعجمين الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية"[١].

قال الطبري:يقول: " ولو نزلنا هذا القرآن على بعض البهائم التي لا تنطق"[٢].

قال ابن كثير:" ثم قال تعالى مخبرًا عن شدة كفر قريش وعنادهم لهذا القرآن ؛ أنه لو أنزله على رجل من الأعاجم ، مِمَّنْ لا يدري من العربية كلمة ، وأنزل عليه هذا الكتاب ببيانه وفصاحته ، لا يؤمنون به ؛ ولهذا قال : { وَلَوْ نزلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأعْجَمِينَ. فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ } ، كما أخبر عنهم في الآية الأخرى : { وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ. لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ } [الحجر : ١٤ ، ١٥] وقال تعالى : { وَلَوْ أَنَّنَا نزلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } [الأنعام : ١١١] ، وقال : { إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ. وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الألِيمَ } [يونس : ٩٦ ، ٩٧]"[٣].

قال الزجاج:" «الأعجمين»: جمع أعجم، والأنثى عجماء، والأعجم الذي لا يفصح، وكذلك الأعجمي، فأما العجمي فالذي من جنس العجم، أفصح أو لم يفصح"[٤].

قال السمعاني:" الفرق بين العجمي والأعجمي، أن العجمي هو الذي ينسب إلى العجم وإن كان فصيحا، والأعجمي هو الذي لا يفصح بالعربية وإن كان عربيا"[٥].

عن محمد بن أبي موسى، قال: "كنت واقفا إلى جنب عبد الله بن مطيع بعرفة، فتلا هذه الآية: {وَلَوْ نزلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ}، قال: لو نزل على بعيري هذا فتكلم به ما آمنوا به {لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ} حتى يفقهه عربيّ وعجميّ، لو فعلنا ذلك"[٦].

وفي رواية أخرى:" كان عبد الله بن مطيع واقفا بعرفة، فقرأ هذه الآية: {وَلَوْ نزلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ} قال: فقال: جملي هذا أعجم، فلو أُنزل على هذا ما كانوا به مؤمنين"[٧].

عن محمد بن أبي موسى قال: "سئل عبد الله بن مطيع، عن قول الله: {ولو نزلناه على بعض الأعجمين}، قال يحيى: وكان النبي ﷺ: يسمي البهائم العجم، أو من العجم"[٨].

عن مجاهد: " {لو نزلناه على بعض الأعجمين}، قال: دواب العجم"[٩].

قال قتادة:" يقول: لو نزلنا هذا القرآن على بعض الأعجمين لكانت العرب أضر الناس فيه لا يفهمونه ولا يدرون ما هو"[١٠].

وعن قتادة، قوله : "{وَلَوْ نزلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأعْجَمِينَ}،:قال: لو نزله الله أعجميا كانوا أخسر الناس به، لأنهم لا يعرفون بالعجمية"[١١].

قال الطبري:" وهذا الذي ذكرناه عن قتادة قول لا وجه له، لأنه وجَّه الكلام أن معناه: ولو أنزلناه أعجميا، وإنما التنزيل {وَلَوْ نزلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأعْجَمِينَ}، يعني: ولو نزلنا هذا

---

(١) صفوة التافسير:٣٦٢/٢.
(٢) تفسير الطبري:٣٩٨/١٩.
(٣) تفسير ابن كثير:١٦٣/٦.
(٤) معاني القرآن:١٠٢/٤.
(٥) تفسير السمعاني:٦٧/٤.
(٦) أخرجه الطبري:٣٩٩/١٩.
(٧) أخرجه الطبري:٣٩٩/١٩.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٦١):ص٢٨٢٠/٩.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٩٦٣):ص٢٨٢١/٩.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٦٢):ص٢٨٢٠/٩.
(١١) أخرجه الطبري:٤٠٠/١٩.

القرآن العربي علي بهيمة من العجم أو بعض ما لا يفصح، ولم يقل: ولو نزلناه أعجميا. فيكون تأويل الكلام ما قاله"(١).

قوله تعالى:{فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ٢٠١]، أي:" فقرأه على كفار مكة قراءة صحيحة فصيحة، وانضم إعجاز القرآن إلى إعجاز المقروء ما آمنوا بالقرآن لفرط عنادهم واستكبارهم"(٢).

قال الطبري:" يقول: فقرأ هذا القرآن على كفار قومك يا محمد الذين حتمت عليهم أن لا يؤمنوا ذلك الأعجم ما كانوا به مؤمنين. يقول: لم يكونوا ليؤمنوا به، لما قد جرى لهم في سابق علمي من الشقاء، وهذا تسلية من الله نبيه محمدا ﷺ عن قومه، لئلا يشتد وجدُه بإدبارهم عنه، وإعراضهم عن الاستماع لهذا القرآن، لأنه كان ﷺ شديدا حرصه على قبولهم منه، والدخول فيما دعاهم إليه، حتى عاتبه ربه على شدّة حرصه على ذلك منهم، فقال له: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} ثم قال مؤيسه من إيمانهم وأنهم هالكون ببعض مثلاته، كما هلك بعض الأمم الذين قص عليهم قصصهم في هذه السورة. ولو نزلناه على بعض الأعجمين يا محمد لا عليك، فإنك رجل منهم، ويقولون لك: ما أنت إلا بشر مثلنا، وهلا نزل به ملك، فقرأ ذلك الأعجم عليهم هذا القرآن، ولم يكن لهم علة يدفعون بها أنه حق، وأنه تنزيل من عندي، ما كانوا به مصدقين، فخفض من حرصك على إيمانهم به"(٣).

قال مجاهد:" {فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين} لا يؤمنون كما لا يؤمن دواب العجم، لو قرئ عليهم ما كانوا به مؤمنين"(٤).

عن مجاهد: "{فقرأه عليهم} محمد ﷺ"(٥).

عن الأوزاعي، قال: "سمعت في قول الله: {ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين}، لأنه لو أنزله على بعض الأعجمين ما كانوا ليؤمنوا به وهم يجدونه في زبر الأولين أنه يبعث بلسان عربي"(٦).

قوله تعالى:{كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ} [الشعراء: ٢٠٠]، أي:" كذلك أدخلنا القرآن في قلوب المجرمين، فسمعوا به وفهموه، وعرفوا فصاحته وبلاغته، وتحققوا من إعجازه ثم لم يؤمنوا به وجحدوه"(٧).

قال الطبري:" كأنه قال: كذلك أدخلنا في قلوب المجرمين ترك الإيمان بهذا القرآن"(٨).

قال ابن كثير:" يقول تعالى : كذلك سلكنا التكذيب والكفر والجحود والعناد ، أي : أدخلناه في قلوب المجرمين "(٩).

قال الزجاج:" أي: سلكنا تكذيبهم به في قلوبهم، جعل الله - عز وجل - مجازاتهم أن طبع على قلوبهم وسلك فيها الشرك"(١٠).

عن ابن جُرَيج، قوله: "{كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ}، قال: الكفر {فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ}"(١١).

عن الحسن، في هذه الآية: {كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ}، قال: خلقناه"(١٢).

---

(١) تفسير الطبري:٤٠٠/١٩.
(٢) صفوة التافسير:٣٦٢/٢.
(٣) تفسير الطبري:٤٠٠/١٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٦٤):ص٢٨٢١/٩.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٦٤):ص٢٨٢١/٩.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٦٦):ص٢٨٢١/٩.
(٧) صفوة التافسير:٣٦٢/٢.
(٨) تفسير الطبري:٤٠٠/١٩.
(٩) تفسير ابن كثير:١٦٤/٦.
(١٠) معاني القرآن:١٠٢/٤.
(١١) أخرجه الطبري:٤٠١/١٩.
(١٢) أخرجه الطبري:٤٠١/١٩.

عن حميد، قال: "سألت الحسن في بيت أبي خليفة، عن قوله" {كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ}، قال: الشرك سلكه في قلوبهم"[1].

عن سعيد بن جبير في قوله: "{كذلك}، يعني: هكذا"[2].

عن قتادة، "{كذلك سلكناه}، قال: جعلناه"[3].

عن أنس بن مالك في قوله: {كذلك سلكناه في قلوب المجرمين}، قال: الشرك"[4].

وروي عن الحسن، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم مثل ذلك[5].

وقال أنس بن مالك:"سلكه في قلوب المشركين"[6].

عن ابن عباس، "{المجرمين}: الكفار"[7].

عن موسى بن عبد العزيز، قال: "سألت الحكم بن أبان قلت له قوله: {كذلك سلكناه في قلوب المجرمين}، قال: حدثني عكرمة قال: القسوة"[8].

قوله تعالى:{لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} [الشعراء: ٢٠١]، أي:" لا يصدّقون بالقرآن مع ظهور إعجازه حتى يشاهدوا عذاب الله المؤلم فيؤمنوا حيث لا ينفع الإيمان"[9].

قال الطبري:" يقول: فعلنا ذلك؛ بهم لئلا يصدّقوا بهذا القرآن، حتى يروا العذاب الأليم في عاجل الدنيا، كما رأت ذلك الأمم الذين قص الله قصصهم في هذه السورة"[10].

قال السمعاني:" {لا يؤمنون به}، أي: بالقرآن، {حتى يروا العذاب الأليم} أي: عند نزول البأس"[11].

قال ابن كثير:" {لا يُؤْمِنُونَ بِهِ}، أي : بالحق {حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الألِيمَ}، أي : حيث لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولهم اللعنة ولهم سوء الدار "[12].

قال الزجاج:" أخبر عز وجل أنه لما سلك في قلوبهم الشرك منعهم من الإيمان"[13].

عن قتادة، "{لا يؤمنون به}، قال: إذا كذبوا سلك الله في قلوبهم ألا يؤمنوا به"[14].

قال السدي:" يقول: لا يؤمنون بما جاء به محمد ﷺ"[15].

قال ابن زيد:" هي كما قال: هو أضلهم ومنعهم الإيمان"[16].

فوائد الآيات:[١٩٢-٢٠١]:

١- تقرير معتقد الوحي الإلهي والنبوة المحمدية.

٢- بيان أن جبريل هو الذي كان ينزل بالوحي القرآني على النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- تقرير النبوة المحمدية وأن محمداً من المنذرين.

٤- بيان أن القرآن مذكور في الكتب١ السابقة بشهادة علماء هل الكتاب.

٥- إذا تراكمت آثار الذنوب والجرائم على النفس حجبتها عن التوبة ومنعتها من الإيمان.

---

(١) أخرجه الطبري:٤٠١/١٩.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٦٧):ص٢٨٢١/٩.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٦٨):ص٢٨٢١/٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٨٩):ص٢٨٢١/٩.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٨٢١/٩. بدون سند.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٩١):ص٢٨٢٢/٩.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٩٢):ص٢٨٢٢/٩.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٩٠):ص٢٨٢٢/٩.
(٩) صفوة التافسير:٣٦٢/٢.
(١٠) تفسير الطبري:٤٠١/١٩.
(١١) تفسير السمعاني:٦٧/٤.
(١٢) تفسير ابن كثير:١٦٤/٦.
(١٣) معاني القرآن:١٠٢/٤.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٩٣):ص٢٨٢٢/٩.
(١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٩٤):ص٢٨٢٢/٩.
(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٩٥):ص٢٨٢٢/٩.

القرآن

{فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٢٠٢) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (٢٠٣)} [الشعراء: ٢٠٢-٢٠٣]

التفسير:

فينزل بهم العذاب فجأة، وهم لا يعلمون قبل ذلك بمجيئه، فيقولون عند مفاجأتهم به تحسُّرًا على ما فاتهم من الإيمان: هل نحن مُمْهَلون مُؤخَّرون؛ لنتوب إلى الله مِن شركنا، ونستدرك ما فاتنا؟

قوله تعالى:{فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [الشعراء: ٢٠٢]، أي:" فينزل بهم العذاب فجأة، وهم لا يعلمون قبل ذلك بمجيئه"(١).

قال السمعاني:" أي: فجأة، وهم لا يعلمون"(٢).

قال ابن كثير:" أي : عذاب الله بغتة "(٣).

قال الزجاج:" معنى «بغتة»: فجاءة"(٤).

قوله تعالى:{فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ} [الشعراء: ٢٠٣]، أي:" فيقولون عند مفاجأتهم به تحسُّرًا على ما فاتهم من الإيمان: هل نحن مُمْهَلون مُؤخَّرون؛ لنتوب إلى الله مِن شركنا، ونستدرك ما فاتنا؟"(٥).

قال السمعاني:" أي: مؤخرون"(٦).

قال ابن كثير:" أي : يتمنون حين يشاهدون العذاب أن لو أنظروا قليلا ليعملوا [من فزعهم بطاعة الله ، كما قال تعالى : { وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ } [إبراهيم : ٤٤] ، فكل ظالم وفاجر وكافر إذا شاهد عقوبته ، ندم ندمًا شديدًا هذا فرعون لما دعا عليه الكليم بقوله : { رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأهُ زِينَةً وَأَمْوَالا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الألِيمَ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ} [يونس : ٨٨ ، ٨٩] ، فأثرت هذه الدعوة في فرعون ، فما آمن حتى رأى العذاب الأليم ، { حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } [يونس : ٩٠ ، ٩١] ، وقال : { فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا } [غافر : ٨٤ ، ٨٥] الآية"(٧).

القرآن

{أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤)} [الشعراء: ٢٠٤]

التفسير:

أَغَرَّ هؤلاء إمهالي، فيستعجلون نزول العذاب عليهم من السماء؟

سبب النزول:

قال مقاتل:" فلما أوعدهم النبي- ﷺ- العذاب، قالوا فمتى هذا العذاب تكذيبا به، يقول الله- عز وجل- :{أفبعذابنا يستعجلون}"(٨).

---

(١) التفسير الميسر:٣٧٥.
(٢) تفسير السمعاني:٦٧/٤.
(٣) تفسير ابن كثير:١٦٤/٦.
(٤) معاني القرآن:١٠٢/٤.
(٥) التفسير الميسر:٣٧٥.
(٦) تفسير السمعاني:٦٧/٤.
(٧) تفسير ابن كثير:١٦٤/٦.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٠/٣.

قال يحيى:" قال الله: {أفبعذابنا يستعجلون} على الاستفهام، أي: قد استعجلوا به لقولهم: {ائتنا بعذاب الله} [العنكبوت: ٢٩] وذلك منهم استهزاء وتكذيب بأنه لا يأتيهم العذاب"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أفبعذابنا هؤلاء المشركون يستعجلون بقولهم: لن نؤمن لك حتى {تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا}"(٢).

قال ابن كثير:" إنكار عليهم ، وتهديد لهم ؛ فإنهم كانوا يقولون للرسول تكذيبًا واستبعادًا: {ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ} [العنكبوت : ٢٩] ، كما قال تعالى : { وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ } الآية.[العنكبوت : ٥٣]"(٣).

القرآن
{أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦)} [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٦]

التفسير:
أفعلمت - أيها الرسول - إن مَتَّعناهم بالحياة سنين طويلة بتأخير آجالهم، ثم نزل بهم العذاب الموعود؟

قوله تعالى:{أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ} [الشعراء: ٢٠٦]، أي:" أفعلمت - أيها الرسول - إن مَتَّعناهم بالحياة سنين طويلة بتأخير آجالهم"(٤).

قال مقاتل:أي:" في الدنيا"(٥).

قال عكرمة:" مثل عمر الدنيا"(٦).

قال ابن كثير:"أي : لو أخرناهم وأنظرناهم، وأملينا لهم برهة من الزمان وحينًا من الدهر وإن طال "(٧).

قوله تعالى:{ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ} [الشعراء: ٢٠٦]، أي:" ثم نزل بهم العذاب الموعود؟"(٨).

قال الطبري:يقول:" ثم جاءهم العذاب الذي كانوا يوعدون على كفرهم بآياتنا، وتكذيبهم رسولنا"(٩).

قال ابن كثير:" ثم جاءهم أمر الله ، أي شيء يجدي عنهم ما كانوا فيه من النعم ، {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا } [النازعات : ٤٦] ، وقال تعالى : { يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ } [البقرة : ٩٦]"(١٠).

وفي الحديث الصحيح : "يؤتى بالكافر فيغمس في النار غمسة، ثم يقال له : هل رأيت خيرًا قط ؟ هل رأيت نعيمًا قط ؟ فيقول : لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤسًا كان في الدنيا ، فيصبغ في الجنة صبغة ، ثم يقال له : هل رأيت بؤسًا قط ؟ فيقول : لا والله يا رب"(١١). قال ابن كثير:"أي : ما كأن شيئًا كان"(١٢).

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٥٢٥/٢.
(٢) تفسير الطبري:٤٠٢/١٩.
(٣) تفسير ابن كثير:١٦٤/٦.
(٤) التفسير الميسر:٣٧٥.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٨٠/٣.
(٦) أخرجه يحيى بن سلام:٥٢٥/٢.
(٧) تفسير ابن كثير:١٦٤/٦.
(٨) التفسير الميسر:٣٧٥.
(٩) تفسير الطبري:٤٠٣/١٩.
(١٠) تفسير ابن كثير:١٦٤/٦.
(١١)رواه أحمد في مسنده (٢٠٣/٣) من حديث أنس بن مالك ، رضي الله عنه.
(١٢) تفسير ابن كثير:١٦٥/٦.

عن أبي جهضم قال: "أري نبي الله ﷺ كأنه متحير فسألوه، عن ذلك؟ فقال: ولم، ورأيت عدوي يلون أمتي بعدي فنزلت بعد ذلك: {أفرأيت إن متعناهم سنين. ثم جاءهم ما كانوا يوعدون. ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون}، فطابت نفسه"(١).

عن يزيد بن حازم قال: سمعت سليمان بن عبد الملك يخطب كل جمعة لا يدع أن يقول إنما أهل الدنيا فيها على وجل لم يمض بهم نية، ولا تطمئن بهم دار حتى يأتي أمر الله، وهم على ذلك وكذلك لا يبقى نعيمها، ولا تؤمن فجعاتها، ولا يبقى شيء سر أهلها، ثم يتلو: {أفرأيت إن متعناهم سنين. ثم جاءهم ما كانوا يوعدون. ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون}"(٢).

القرآن

{مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (٢٠٧)} [الشعراء: ٢٠٧]

التفسير:

ما أغنى عنهم تمتعهم بطول العمر، وطيب العيش، إذا لم يتوبوا من شركهم؟ فعذاب الله واقع بهم عاجلا أم آجلا.

قال الطبري:" يقول: أي شيء أغنى عنهم التأخير الذي أخرنا في آجالهم، والمتاع الذي متعناهم به من الحياة، إذ لم يتوبوا من شركهم، هل زادهم تمتيعنا إياهم ذلك إلا خبالا؟، وهل نفعهم شيئا؟، بل ضرهم بازديادهم من الآثام، واكتسابهم من الإجرام ما لو لم يمتعوا لم يكتسبوه"(٣).

قال ابن زيد، في قوله: "{أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ} إلى قوله {مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ}، قال: هؤلاء أهل الكفر"(٤).

قال أبو زيد فيض بن إسحاق: "سألت الفضيل بن عياض، عن قول الله عز وجل: {أفرأيت إن متعناهم سنين. ثم جاءهم ما كانوا يوعدون. ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون}، قال: قراءتها تفسيرها"(٥).

القرآن

{وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٠٩)} [الشعراء: ٢٠٨-٢٠٩]

التفسير:

وما أهلكنا مِن قرية من القرى في الأمم جميعًا، إلا بعد أن نرسل إليهم رسلا ينذرونهم، تذكرة لهم وتنبيهًا على ما فيه نجاتهم، وما كنا ظالمين فنعذب أمة قبل أن نرسل إليها رسولا.

قوله تعالى:{وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ} [الشعراء: ٢٠٨]، أي:" وما أهلكنا مِن قرية من القرى في الأمم جميعًا، إلا بعد أن نرسل إليهم رسلا ينذرونهم"(٦).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ} من هذه القرى التي وصفت في هذه السور إلا بعد إرسالنا إليهم رسلا ينذرونهم بأسنا على كفرهم وسخطنا عليهم"(٧).

قال ابن كثير:" ثم قال الله تعالى مخبرًا عن عدله في خلقه : أنَّه ما أهلك أمة من الأمم إلا بعد الإعذار إليهم ، والإنذار لهم وبعثة الرسل إليهم وقيام الحجج عليهم ؛ ولهذا قال : { وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلا لَهَا مُنْذِرُونَ. ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ } كما قال تعالى : { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٩٧):ص٢٨٢٣/٩.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٩٩٨):ص٢٨٢٣/٩.

(٣) تفسير الطبري:٤٠٣/١٩.

(٤) اخرجه الطبري:٤٠٢/١٩.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٠٠):ص٢٨٢٣/٩.

(٦) التفسير الميسر:٣٧٦.

(٧) تفسير الطبري:٤٠٣/١٩.

نَبْعَثَ رَسُولا } [الإسراء : ١٥] ، وقال تعالى : { وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا [وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ } [القصص : ٥٩]"(١).

عن مجاهد: "{وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلا لَهَا مُنْذِرُونَ. ذِكْرَى}، قال: الرسل"(٢).

عن قتادة، قوله: "{وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون. ذكرى وما كنا ظالمين}، قال: ما كنا لنعذبهم إلا بعد البينة والحجة والعذر، حتى يرسل الرسل، وننزل الكتب تذكرة"(٣).

وقال قتادة:" ما أهلك الله من قرية إلا من بعد ما جاءتهم الرسل، والحجة، والبيان من الله، ولله الحجة على خلقه"(٤).

قوله تعالى:{ذِكْرَى} [الشعراء: ٢٠٩]، أي:" تذكرة لهم وتنبيهًا على ما فيه نجاتهم"(٥).

قال الطبري:" يقول: إلا لها منذرون ينذرونهم، تذكرة لهم وتنبيها لهم على ما فيه النجاة لهم من عذابنا"(٦).

قال مجاهد:" الذكرى: الرسل"(٧).

عن ابن جُرَيج: "{ذكرى}، قال: الرسل"(٨).

قوله تعالى:{وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ} [الشعراء: ٢٠٩]، أي:" وما كنا ظالمين فنعذب أمة قبل أن نرسل إليها رسولا"(٩).

قال الطبري:" يقول: وما كنا ظالميهم في تعذيبناهم وإهلاكهم، لأنا إنما أهلكناهم، إذ عتوا علينا، وكفروا نعمتنا، وعبدوا غيرنا بعد الإعذار عليهم والإنذار، ومتابعة الحجج عليهم بأن ذلك لا ينبغي أن يفعلوه، فأبوا إلا التمادي في الغيّ"(١٠).

القرآن

{وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (٢١٢)} [الشعراء: ٢١٠-٢١٢]

التفسير:

وما تَنَزَّلَتْ بالقرآن على محمد الشياطين -كما يزعم الكفرة- ولا يصح منهم ذلك، وما يستطيعونه؛ لأنهم عن استماع القرآن من السماء محجوبون مرجومون بالشهب.

قوله تعالى:{وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ} [الشعراء: ٢١٠]، أي:" وما تَنَزَّلَتْ بالقرآن على محمد الشياطين -كما يزعم الكفرة-"(١١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وما تنزلت بهذا القرآن الشياطين على محمد، ولكنه ينزل به الروح الأمين"(١٢).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن كتابه العزيز ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد : أنه نزل به الروح الأمين المؤيد من الله ، { وَمَا تَنزلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ }"(١٣).

---

(١) تفسير ابن كثير:١٦٥/٦.
(٢) أخرجه الطبري:٤٠٣/١٩.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٠٣):ص٢٨٢٤/٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٠١):ص٢٨٢٣/٩.
(٥) التفسير الميسر:٣٧٦.
(٦) تفسير الطبري:٤٠٣/١٩.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٠٠٢):ص٢٨٢٤/٩.
(٨) أخرجه الطبري:٤٠٣/١٩.
(٩) التفسير الميسر:٣٧٦.
(١٠) تفسير الطبري:٤٠٣/١٩.
(١١) التفسير الميسر:٣٧٦.
(١٢) تفسير الطبري:٤٠٣/١٩.
(١٣) تفسير ابن كثير:١٦٥/٦.

عن قتادة، قوله: "{وَمَا تَنزلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ}، قال: هذا القرآن"(١). وفي رواية:"بكتاب الله"(٢).

عن الحسن أنه كان يقرأ ذلك: «وَمَا تَنزلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونَ»، بالواو(٣) قال الطبري:" وذلك لحن، وينبغي أن يكون ذلك إن كان صحيحا عنه، أن يكون توهم أن ذلك نظير المسلمين والمؤمنين، وذلك بعيد من هذا"(٤).

قال الزجاج:" وقرأ الحسن :«الشياطون»، وهو غلط عند النحويين، ومخالفة عند القراء للمصحف، فليس يجوز في قراءة ولا عند النحويين، ولو كان يجوز في النحو، والمصحف على خلافه لم تجز عندي القراءة به"(٥).

قوله تعالى:{وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ} [الشعراء: ٢١١]، أي:" ولا يصح منهم ذلك، وما يستطيعونه"(٦).

قال الطبري:" يقول: وما ينبغي للشياطين أن ينزلوا به عليه، ولا يصلح لهم ذلك، وما يستطيعون أن يتنزلوا به، لأنهم لا يصلون إلى استماعه في المكان الذي هو به من السماء"(٧).

قال ابن كثير:"أي : ليس هو من بُغْيَتهم ولا من طلبتهم ؛ لأن من سجاياهم الفساد وإضلال العباد ، وهذا فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونور وهدى وبرهان عظيم ، فبينه وبين الشياطين منافاة عظيمة"(٨).

عن قتادة، قوله: "{وما ينبغي لهم} أن ينزلوا به، يعني بكتاب الله، {وما يستطيعون} يقول: لا يقدرون على ذلك ولا يستطيعونه"(٩).

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ} [الشعراء: ٢١٢]، أي:" لأنهم عن استماع القرآن من السماء محجوبون مرجومون بالشهب"(١٠).

قال الطبري:" يقول: إن الشياطين عن سمع القران من المكان الذي هو به من السماء لمعزولون، فكيف يستطيعون أن يتنزلوا به"(١١).

قال ابن كثير:" أي : ولو انبغى لهم لما استطاعوا ذلك ، قال الله تعالى : { لَوْ أَنزلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } [الحشر : ٢١]"(١٢).

قال الزجاج:" لما رموا بالنجوم منعوا من السمع"(١٣).

عن قتادة، قوله :"{إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ}، قال: عن سمع السماء"(١٤). وفي رواية:" عن سمع القرآن"(١٥).

قال ابن زيد:" زعموا أن الشياطين تنزلت به على محمد- ﷺ- فأخبرهم الله عز وجل: أنه لا تقدر على ذلك ولا تستطيعه، وما ينبغي لهم أن ينزلوا به وهو محجور عليهم، وقرأ قول الله: {وما ينبغي لهم وما يستطيعون. إنهم عن السمع لمعزولون}"(١).

---

(١) أخرجه الطبري:٤٠٤/١٩.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٠٤):ص٢٨٢٤/٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٤٠٤/١٩.
(٤) تفسير الطبري:٤٠٤/١٩.
(٥) معاني القرآن:١٠٣/٤.
(٦) التفسير الميسر:٣٧٦.
(٧) تفسير الطبري:٤٠٣/١٩.
(٨) تفسير ابن كثير:١٦٥/٦.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٠٥)، (١٦٠٠٦):ص٢٨٢٤/٩.
(١٠) التفسير الميسر:٣٧٦.
(١١) تفسير الطبري:٤٠٣/١٩-٤٠٤.
(١٢) تفسير ابن كثير:١٦٥/٦.
(١٣) معاني القرآن:١٠٣/٤.
(١٤) أخرجه الطبري:٤٠٤/١٩.
(١٥) أخرجه الطبري:٤٠٤/١٩.

فوائد الآيات:[٢٠٢-٢١٢]:
١- بيان أن المجرمين إذا شاهدوا العذاب تمنوا التوبة ولا يمكنون منها.
٢- بيان أن استعجال عذاب الله حمق ونزغ في الرأي وفساد في العقل.
٣- بيان أن طول العمر وسعة الرزق لا يغنيان عن صاحبها شيئاً من عذاب الله إذا نزل به.
٤- بيان سنة الله تعالى في أنه لا يهلك أمة إلا بعد الإنذار والبيان.
٥- إبطال مزاعم المشركين في أن القرآن من جنس ما يقوله الكهان، وأن الشياطين تتنزل به

القرآن
{فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (٢١٣)} [الشعراء: ٢١٣]
التفسير:
فلا تعبد مع الله معبودًا غيره، فينزل بك من العذاب ما نزل بهؤلاء الذين عبدوا مع الله غيره.
قوله تعالى:{فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} [الشعراء: ٢١٣]، أي:" فلا تعبد مع الله معبودًا غيره"[٢].
قال الطبري:" أي: لا تعبد معه معبودا غيره"[٣].
قال الصابوني:" الخطاب للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمراد غيره، أي: لا تعبد يا محمد مع الله معبوداً آخر"[٤].
قال السعدي:" ينهى تعالى رسوله أصلا وأمته أسوة له في ذلك، عن دعاء غير الله، من جميع المخلوقين"[٥].
قال ابن كثير:" يقول تعالى آمرًا بعبادته وحده لا شريك له"[٦].
قال يحيى بن سلام:" وقد عصمه الله من ذلك"[٧].
عن أبي مجلز قال: "كنت جالسا، عند عبد الله بن عمر، فسأله رجل، عن الشرك؟ قال: أن تجعل مع الله إلها آخر"[٨].
قوله تعالى:{فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ} [الشعراء: ٢١٣]، أي:" فينزل بك من العذاب ما نزل بهؤلاء الذين عبدوا مع الله غيره"[٩].
قال الطبري:" فينزل بك من العذاب ما نزل بهؤلاء الذين خالفوا أمرنا وعبدوا غيرنا"[١٠].
قال ابن كثير:أي:" أنّ مَنْ أشرك به عذبه"[١١].
قال السعدي:" وأن [دعاء غير الله] موجب للعذاب الدائم، والعقاب السرمدي، لكونه [ص:٥٩٩] شركا، {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ} والنهي عن الشيء، أمر بضده، فالنهي عن الشرك، أمر بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، محبة، وخوفا، ورجاء، وذلا وإنابة إليه في جميع الأوقات"[١٢].

---
(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٠٩):ص٩/٢٨٢٤-٢٨٢٥.
(٢) التفسير الميسر:٣٧٦.
(٣) تفسير الطبري:١٩/٤٠٤.
(٤) صفوة التفاسير:٢/٣٦٣.
(٥) تفسير السعدي:٥٩٨.
(٦) تفسير ابن كثير:٦/١٦٦.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٢/٥٢٧.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠١٠):ص٩/٢٨٢٥.
(٩) التفسير الميسر:٣٧٦.
(١٠) تفسير الطبري:١٩/٤٠٤.
(١١) تفسير ابن كثير:٦/١٦٦.
(١٢) تفسير السعدي:٥٩٨.

القرآن
{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤)} [الشعراء: ٢١٤]
التفسير:
وحذِّر - أيها الرسول - الأقرب فالأقرب مِن قومك، مِن عذابنا، أن ينزل بهم.

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: وأنذر عشيرتك من قومك الأقربين إليك قرابة، وحذّرهم من عذابنا أن ينزل بهم بكفرهم. وذُكر أن هذه الآية لما نزلت، بدأ ببني جده عبد المطلب وولده، فحذّرهم وأنذرهم"[١].

قال ابن كثير:" ثم قال تعالى آمرًا لرسوله ، صلوات الله وسلامه عليه أن ينذر عشيرته الأقربين ، أي : الأدنين إليه ، وأنه لا يُخَلِّص أحدًا منهم إلا إيمانهُ بربه عز وجل "[٢].

قال السعدي:" ولما أمره بما فيه كمال نفسه، أمره بتكميل غيره فقال: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} الذين هم أقرب الناس إليك، وأحقهم بإحسانك الديني والدنيوي، وهذا لا ينافي أمره بإنذار جميع الناس، كما إذا أمر الإنسان بعموم الإحسان، ثم قيل له " أحسن إلى قرابتك " فيكون هذا خصوصا دالا على التأكيد، وزيادة الحق، فامتثل ﷺ، هذا الأمر الإلهي، فدعا سائر بطون قريش، فعمم وخصص، وذكرهم ووعظهم، ولم يُبْق ﷺ من مقدوره شيئا، من نصحهم، وهدايتهم، إلا فعله، فاهتدى من اهتدى، وأعرض من أعرض"[٣].

قال الضحاك:" بدأ بأهل بيته وفصيلته"[٤].

قال ابن عباس:" أمر محمد أن ينذر قومه، ويبدأ بأهل بيته وفصيلته، قال: {وكذب به قومك وهو الحق}"[٥].

قال ابن عباس:"لما نزلت هذه الآية: {وأنذر عشيرتك الأقربين}، ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: "يا صباحاه! " فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ فقالوا: محمد، فاجتمعوا إليه، فقال: "يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف"، فاجتمعوا إليه، فقال: " أرأيتكم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ "قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"، فقال أبو لهب: تبا لك، ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام فنزلت هذه السورة: {تبت يدا أبي لهب} وقد تب، كذا قرأ الأعمش، إلى آخر السورة"[٦].

عن عائشة، قالت: "لما نزلت هذه الآية: {وأنذر عشيرتك الأقربين}، قال رسول الله ﷺ: «يا صفية بنت عبد المطلب، يا فاطمة بنت محمد يا بني عبد المطلب إني لا أملك لكم من الله شيئا، سلوني من مالي ما شئتم»"[٧].

عن أبي هريرة، قال: "قال رسول الله ﷺ حين أنزل عليه {وأنذر عشيرتك الأقربين} : «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، سليني ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا»"[٨].

القرآن
{وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥)} [الشعراء: ٢١٥]

---

(١) تفسير الطبري:٤٠٤/١٩.
(٢) تفسير ابن كثير:١٦٦/٦.
(٣) تفسير السعدي:٥٩٨.
(٤) أخرجه الطبري:٤١٠/١٩.
(٥) أخرجه الطبري:٤١٠/١٩.
(٦) أخرجه الطبري:٤٠٨/١٩.
(٧) أخرجه الطبري:٤٠٥/١٩.
(٨) أخرجه الطبري:٤٠٥/١٩.

التفسير:
وأَلِنْ جانبك وكلامك تواضعًا ورحمة لمن ظهر لك منه إجابة دعوتك.
سبب النزول:
قال ابن جريج:" لما نزلت هذه الآية[{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤]] بدأ بأهل بيته وفصيلته؛ قال: وشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله تعالى: {واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين}"[١].
قال الطبري:" يقول: وألن جانبك وكلامك {لمن اتبعك من المؤمنين}"[٢].
قال السعدي:أي:" بلين جانبك، ولطف خطابك لهم، وتوددك، وتحببك إليهم، وحسن خلقك والإحسان التام بهم، وقد فعل ﷺ، ذلك كما قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ} فهذه أخلاقه ﷺ، أكمل الأخلاق، التي يحصل بها من المصالح العظيمة، ودفع المضار، ما هو مشاهد، فهل يليق بمؤمن بالله ورسوله، ويدعي اتباعه والاقتداء به، أن يكون كلا على المسلمين، شرس الأخلاق، شديد الشكيمة عليهم، غليظ القلب، فظ القول، فظيعه؟ [و] إن رأى منهم معصية، أو سوء أدب، هجرهم، ومقتهم، وأبغضهم، لا لين عنده، ولا أدب لديه، ولا توفيق، قد حصل من هذه المعاملة، من المفاسد، وتعطيل المصالح ما حصل، ومع ذلك تجده محتقرا لمن اتصف بصفات الرسول الكريم، وقد رماه بالنفاق والمداهنة، وقد كمَّل نفسه ورفعها، وأعجب بعمله، فهل هذا إلا من جهله، وتزيين الشيطان وخدعه له"[٣].
قال ابن زيد:" يقول: لن لهم"[٤]. وفي رواية:" ذلل لهم"[٥].
عن سعيد بن جبير:" {واخفض}، يقول: اخضع"[٦].
قال ابن كثير:" وأمره أن يلين جانبه لمن اتبعه من عباد الله المؤمنين "[٧].

القرآن
{فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦)} [الشعراء: ٢١٦]
التفسير:
فإن خالفوا أمرك ولم يتبعوك، فتبرَّأ من أعمالهم، وما هم عليه من الشرك والضلال.
قوله تعالى:{فَإِنْ عَصَوْكَ} [الشعراء: ٢١٦]، أي:" فإن لم يطيعوك وخالفوا أمرك"[٨].
قال الطبري:" فإن عصتك يا محمد عشيرتك الأقربون الذين أمرتك بإنذارهم، وأبوا إلا الإقامة على عبادة الأوثان، والإشراك بالرحمن"[٩].
قوله تعالى:{فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ} [الشعراء: ٢١٦]، أي:" فتبرأ منهم ومن أعمالهم"[١٠].
قال الطبري:" فقل لهم: {إني بريء مما تعملون} من عبادة الأصنام ومعصية بارئ الأنام"[١١].

---

(١) أخرجه الطبري:٤١١/١٩.
(٢) تفسير الطبري:٤١١/١٩.
(٣) تفسير السعدي:٥٩٨.
(٤) أخرجه الطبري:٤١١/١٩.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠١٧):ص٢٨٢٧/٩.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠١٦):ص٢٨٢٧/٩.
(٧) تفسير ابن كثير:١٦٦/٦.
(٨) صفوة التفاسير:٣٦٤/٢.
(٩) تفسير الطبري:٤١١/١٩.
(١٠) صفوة التفاسير:٣٦٤/٢.
(١١) تفسير الطبري:٤١١/١٩.

قال ابن كثير:" ومن عصاه من خلق الله كائنًا مَنْ كان فليتبرأ منه ؛ ولهذا قال : {. فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ }. وهذه النِّذارة الخاصة لا تنافي العامة ، بل هي فرد من أجزائها ، كما قال : { لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ } [يس : ٦] ، وقال : { لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا } [الشورى : ٧] ، وقال : { وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ } [الأنعام : ٥١] ، وقال : { لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا } [مريم : ٩٧] ، وقال : { لأنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } [الأنعام : ١٩] ، كما قال : { وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ } [هود : ١٧]"(١).

قال السعدي:أي:" {فَإِنْ عَصَوْكَ} في أمر من الأمور، فلا تتبرأ منهم، ولا تترك معاملتهم، بخفض الجناح، ولين الجانب، بل تبرأ من عملهم، فعظهم عليه وانصحهم، وابذل قدرتك في ردهم عنه، وتوبتهم منه، وهذا لدفع احتراز وهم من يتوهم، أن قوله {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ} للمؤمنين، يقتضي الرضاء بجميع ما يصدر منهم، ما داموا مؤمنين، فدفع هذا بهذا والله أعلم"(٢).

قال أبو حيان:" ولما كان الإنذار يترتب عليه إما الطاعة وإما العصيان، جاء التقسيم عليهما، فكأن المعنى: أن من اتبعك مؤمنا، فتواضع له فلذلك جاء قسيمه: فإن عصوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم"(٣).

القرآن

{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٢٠)} [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠]

التفسير:

وفَوِّضْ أمرك إلى الله العزيز الذي لا يغالَب ولا يُقْهَر، الرحيم الذي لا يخذل أولياءه، وهو الذي يراك حين تقوم للصلاة وحدك في جوف الليل، ويرى تقلُّبك مع الساجدين في صلاتهم معك قائمًا وراكعًا وساجدًا وجالسًا، إنه -سبحانه- هو السميع لتلاوتك وذكرك، العليم بنيتك وعملك.

قوله تعالى:{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ } [الشعراء: ٢١٧]، أي:" وفَوِّضْ أمرك إلى الله العزيز الذي لا يغالَب ولا يُقْهَر، الرحيم الذي لا يخذل أولياءه"(٤).

قال الطبري:يقول:" {وتوكل على العزيز} فى نقمته من أعدائه. {الرحيم} بمن أناب إليه وتاب من معاصيه"(٥).

قال ابن كثير:" أي : في جميع أمورك ؛ فإنه مؤيدك وناصرك وحافظك ومظفرك ومُعْلٍ كلمتك"(٦).

قال محمد بن إسحاق:" يعني: {وتوكل على العزيز الرحيم}، أي: ارض به من العباد"(٧).

قال الزمخشري:" {وتوكل على الله} يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم، وتوكل على العزيز الرحيم على الذي يقهر أعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته"(٨).

و«التوكل»: "تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره. وقالوا: المتوكل من إن دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله، فعلى هذا إذا وقع الإنسان

(١) تفسير ابن كثير:١٦٦/٦.
(٢) تفسير السعدي:٥٩٨.
(٣) البحر المحيط:١٩٧/٨.
(٤) التفسير الميسر:٣٧٦.
(٥) تفسير الطبري:٤١١/١٩.
(٦) تفسير ابن كثير:١٧١/٦.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٠١٩):ص٢٨٢٧/٩.
(٨) الكشاف:٣٤١/٣.

في محنة ثم سأل غيره خلاصه، لم يخرج من حد التوكل، لأنه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله"(١).

قال السعدي:" أعظم مساعد للعبد على القيام بما أمر به، الاعتماد على ربه، والاستعانة بمولاه على توفيقه للقيام بالمأمور، فلذلك أمر الله تعالى بالتوكل عليه فقال: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ} والتوكل هو اعتماد القلب على الله تعالى، في جلب المنافع، ودفع المضار، مع ثقته به، وحسن ظنه بحصول مطلوبه، فإنه عزيز رحيم، بعزته يقدر على إيصال الخير، ودفع الشر عن عبده، وبرحمته به، يفعل ذلك"(٢).

وفي مصاحف أهل المدينة والشام: «فتوكل»، وبه قرأ نافع وابن عامر، وله محملان في العطف: أن يعطف على« فقل». أو« فلا تدع»(٣).

قوله تعالى:{الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ} [الشعراء: ٢١٧]، أي:" وهو الذي يراك حين تقوم للصلاة وحدك في جوف الليل"(٤).

قال الطبري:" يقول: الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك"(٥).

قال ابن كثير:" أي : هو معتن بك ، كما قال تعالى : { وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا } [الطور : ٤٨]"(٦).

قال الزمخشري:" ثم أتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من أسباب الرحمة: وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد، وتقلبه في تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه، ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون، ويستبطن سر أمرهم، وكيف يعبدون الله، وكيف يعملون لآخرتهم، كما يحكى أنه حين نسخ فرض قيام الليل، طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات، فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة"(٧).

عن مجاهد، قوله: "{الذي يراك حين تقوم}، قال: أينما كنت"(٨).

عن الحسن:" {الذي يراك حين تقوم}، قال: حين تقوم إذا صليت وحدك"(٩).

وقال الضحاك:" حين تقوم من فراشك، أو من مجلسك"(١٠).

وعن عكرمة، قال: "{الذي يراك حين تقوم} معهم وتقعد"(١١).

قال قتادة:" يقول: الذي يراك قائما، وجالسا وعلى حالاتك"(١٢).

وعن الحسن، "{الذي يراك حين تقوم}، حين تخلو بها"(١٣).

قوله تعالى:{وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ} [الشعراء: ٢١٧]، أي:" ويرى تقلُّبك مع الساجدين في صلاتهم معك قائمًا وراكعًا وساجدًا وجالسًا"(١٤).

وفي قوله تعالى:{وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ} [الشعراء: ٢١٧]، وجوه من التفسير:

---

(١) الكشاف:٣٤١/٣.
(٢) تفسير السعدي:٥٩٩.
(٣) انظر: الكشاف:٣٤١/٣.
(٤) التفسير الميسر:٣٧٦.
(٥) تفسير الطبري:٤١١/١٩.
(٦) تفسير ابن كثير:١٧١/٦.
(٧) الكشاف:٣٤١/٣.
(٨) أخرجه الطبري:٤١١/١٩.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٢٢):ص٢٨٢٨/٩.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٢٣):ص٢٨٢٨/٩.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٢٤):ص٢٨٢٨/٩.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٢٥):ص٢٨٢٨/٩.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٢٧):ص٢٨٢٨/٩.
(١٤) التفسير الميسر:٣٧٦.

أحدها: معناه: ويرى تقلبك في صلاتك حين تقوم، ثم تركع، وحين تسجد. قاله ابن عباس[١]، وعكرمة[٢].
الثاني: معناه: ويرى تقلبك في المصلين، وإبصارك منهم من هو خلفك، كما تبصر من هو بين يديك منهم. وهذا قول مجاهد[٣]، وقتادة[٤]، وابن زيد[٥].
قال مجاهد:" كان يرى من خلفه، كما يرى من قدامه"[٦].
ويشهد لهذا ما صح في الحديث : "سَوّوا صفوفكم ؛ فإني أراكم من وراء ظهري"[٧].
الثالث: أي: تصرفك معهم في الجلوس والقيام والقعود. قاله ابن عباس أيضا[٨].
قال ابن عباس:" يراك وأنت مع الساجدين تقلب وتقوم وتقعد معهم"[٩].
قال الزمخشري:" المراد بالساجدين: المصلون، وتقلبه في الساجدين: تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذا أمهم.. ويحتمل أنه: لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية أمور الدين"[١٠].
الرابع: المعنى: ويرى تصرفك في الناس. وهذا قول الحسن[١١].
الخامس: معناه: وتصرفك في أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك تفعله، و«الساجدون» في قول قائل هذا القول: الأنبياء. وهذا قول سعيد[١٢].
السادس: يعني: تقلبه من صلب نبي إلى صلب نبي ، حتى أخرجه نبيا. وهذا قول ابن عباس[١٣].
وقال ابن عباس:" ما زال النبي- ﷺ- يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه"[١٤].
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بتأويله قول من قال تأويله: ويرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك، حين تقوم معهم وتركع وتسجد، لأن ذلك هو الظاهر من معناه. فأما قول من وجهه إلى أن معناه: وتقلبك في الناس، فإنه قول بعيد من المفهوم بظاهر التلاوة، وإن كان له وجه، لأنه وإن كان لا شيء إلا وظله يسجد لله، فإنه ليس المفهوم من قول القائل: فلان مع الساجدين، أو في الساجدين، أنه مع الناس أو فيهم، بل المفهوم بذلك أنه مع قوم سجود، السجود المعروف، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأغلب أولى من توجيهه إلى الأنكر، وكذلك أيضا في قول من قال: معناه: تتقلب في أبصار الساجدين، وإن كان له وجه، فليس ذلك الظاهر من معانيه. فتأويل الكلام إذن: وتوكل على العزيز الرحيم، الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك، ويرى تقلبك في المؤتمين بك فيها بين قيام وركوع وسجود وجلوس"[١٥].
قال السعدي:" نبهه على الاستعانة باستحضار قرب الله، والنزول في منزل الإحسان فقال: {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ} أي: يراك في هذه العبادة العظيمة، التي هي الصلاة، وقت قيامك، وتقلبك راكعا وساجدا خصها بالذكر، لفضلها وشرفها، ولأن من استحضر

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٤١١/١٩.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٤١٢/١٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٤١٢/١٩.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٤١٢/١٩.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٤١٢/١٩-٤١٣.
(٦) أخرجه الطبري:٤١٣/١٩.
(٧)رواه البخاري في صحيحه برقم (٧٢٣).
(٨) انظر: تفسير الطبري:٤١٣/١٩.
(٩) أخرجه الطبري:٤١٣/١٩.
(١٠) الكشاف:٣٤١/٣-٣٤٢.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٤١٣/١٩.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٤١٣/١٩.
(١٣) رزاه ابن ابي حاتم(١٦٠٢٨):ص٢٨٢٨/٩، والبزار كما في تفسير ابن كثير:١٧١/٦.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٢٩):ص٢٨٢٨/٩.
(١٥) تفسير الطبري:٤١٣/١٩.

فيها قرب ربه، خشع وذل، وأكملها، وبتكميلها، يكمل سائر عمله، ويستعين بها على جميع أموره"[١].

وقرئ: «ويقلبك»[٢].

قوله تعالى:{إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الشعراء: ٢١٧]، أي:" إنه -سبحانه- هو السميع لتلاوتك وذكرك، العليم بنيتك وعملك"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن ربك هو السميع تلاوتك يا محمد، وذكرك في صلاتك ما تتلو وتذكر، العليم بما تعمل فيها ويعمل فيها من يتقلب فيها معك مؤتما بك، يقول: فرتل فيها القرآن، وأقم حدودها، فإنك بمرأى من ربك ومسمع"[٤].

قال الزمخشري:" إنه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله"[٥].

قال ابن كثير:" أي : السميع لأقوال عباده ، العليم بحركاتهم وسكناتهم ، كما قال تعالى : { وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ } الآية. [يونس : ٦١]"[٦].

عن مقاتل بن حيان، قوله: "{إنه هو السميع العليم}: يعلم نجواهم ويسمع كلامهم، ثم ينبئهم يوم القيامة بكل شيء نطقوا به سيئ أو حسن"[٧].

قال السعدي:" {إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ} لسائر الأصوات على اختلافها وتشتتها وتنوعها، {الْعَلِيمُ} الذي أحاط بالظواهر والبواطن، والغيب والشهادة. فاستحضار العبد رؤية الله له في جميع أحواله، وسمعه لكل ما ينطق به، وعلمه بما ينطوي عليه قلبه، من الهم، والعزم، والنيات، مما يعينه على منزلة الإحسان"[٨].

فوائد الآيات:[٢١٣-٢٢٠]:

١- تقرير التوحيد، وحرمة دعاء غير الله تعالى من سائر مخلوقاته لأنه الشرك الحرام.

٢- من مات يدعو غير الله فهو معذب لا محالة مع المعذبين.

٣- تقرير قاعدة البدء بالأقارب في كل شيء لأنهم ألصق بقريبهم من غيرهم.

٤- مشروعية لين الجانب والتواضع للمؤمنين لاسيما الحديثو عهد بالإسلام.

٥- وجوب البراءة من الشرك وأهله.

٦- وجوب التوكل على الله والقيام بما أوجبه الله تعالى.

٧- فضل قيام الليل وصلاة الجماعة لما يحصل للعب من معية الله تعالى.

القرآن

{هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣)} [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣]

التفسير:

هل أخبركم -أيها الناس- على مَن تنزَّل الشياطين؟ تتنزل على كل كذَّاب كثير الآثام من الكهنة، يَسْتَرِقُ الشياطين السمع، يتخطفونه من الملأ الأعلى، فيلقونه إلى الكهان، ومَن جرى مجراهم مِنَ الفسقة، وأكثر هؤلاء كاذبون، يَصْدُق أحدهم في كلمة، فيزيد فيها أكثر مِن مائة كذبة.

---

(١) تفسير السعدي:٥٩٩.
(٢) انظر: الكشاف:٣٤٢/٣.
(٣) التفسير الميسر:٣٧٦.
(٤) تفسير الطبري:٤١٣/١٩.
(٥) الكشاف:٣٤٢/٣.
(٦) تفسير ابن كثير:١٧١/٦.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٣٨):ص٢٨٣٠/٩.
(٨) تفسير السعدي:٥٩٩.

قوله تعالى:{هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ} [الشعراء: ٢٢١] ، أي:" هل أخبركم -أيها الناس- على مَن تنزَّل الشياطين؟"(١).

قال السعدي:" هذا جواب لمن قال من مكذبي الرسول: إن محمدا ينزل عليه شيطان. وقول من قال: إنه شاعر فقال: {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ} أي: أخبركم الخبر الحقيقي الذي لا شك فيه ولا شبهة، على من تنزل الشياطين، أي: بصفة الأشخاص، الذين تنزل عليهم الشياطين"(٢).

قوله تعالى:{تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ} [الشعراء: ٢٢٢] ، أي:" تتنزل على كل كذَّاب كثير الآثام من الكهنة"(٣).

قال الطبري:" {أفاك}، يعني: كذاب بهات. {أثيم}، يعني: آثم"(٤).

قال السعدي:" أي: كذاب، كثير القول للزور، والإفك بالباطل، {أَثِيمٍ} في فعله، كثير المعاصي، هذا الذي تنزل عليه الشياطين، وتناسب حاله حالهم"(٥).

عن مجاهد، قوله: "{كل أفاك أثيم}، قال: كل كذاب من الناس"(٦).

قال قتادة:" هم الكهنة تسترق الجن السمع، ثم يأتون به إلى أوليائهم من الإنس"(٧).

عن سعيد بن وهب، قال: "كنت عند عبد الله بن الزبير، فقيل له: إن المختار يزعم أنه يوحى إليه، فقال: صدق، ثم تلا: {هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم}"(٨).

قوله تعالى:{يُلْقُونَ السَّمْعَ} [الشعراء: ٢٢٣]، أي:" تُلقي الشياطين ما استرقوه من السمع إلى أوليائهم الكهنة "(٩).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: يلقي الشياطين السمع، وهو ما يسمعون مما استرقوا سمعه من حين حدث من السماء، إلى {كل أفاك أثيم} من أوليائهم من بني آدم"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : يسترقون السمع من السماء ، فيسمعون الكلمة من علم الغيب ، فيزيدون معها مائة كذبة ، ثم يلقونها إلى أوليائهم من الإنس فيتحدثون بها ، فيصدقهم الناس في كل ما قالوه ، بسبب صدقهم في تلك الكلمة التي سمعت من السماء"(١١).

عن مجاهد، قوله: "{يلقون السمع}، قال: الشياطين ما سمعته ألقته على كل أفاك كذاب"(١٢).

قوله تعالى:{وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ} [الشعراء: ٢٢٣]، أي:" وأكثر الشياطين يكذبون فيما يوحون به إليهم"(١٣).

قال الطبري:" يقول: وأكثر من تنزل عليه الشياطين كاذبون فيما يقولون ويخبرون"(١٤).

قال السعدي:" أي: أكثر ما يلقون إليه كذب فيصدق واحدة، ويكذب معها مائة، فيختلط الحق بالباطل، ويضمحل الحق بسبب قلته، وعدم علمه. فهذه صفة الأشخاص الذين تنزل عليهم

---

(١) التفسير الميسر:٣٧٦.
(٢) تفسير السعدي:٥٩٩.
(٣) التفسير الميسر:٣٧٦.
(٤) تفسير الطبري:٤١٤/١٩.
(٥) تفسير السعدي:٥٩٩.
(٦) أخرجه الطبري:٤١٤/١٩.
(٧) أخرجه الطبري:٤١٤/١٩.
(٨) أخرجه الطبري:٤١٤/١٩.
(٩) تصفوة التفاسير:٣٦٤/٢.
(١٠) تفسير الطبري:٤١٤/١٩.
(١١) تفسير ابن كثير:١٧٢/٦.
(١٢) أخرجه الطبري:٤١٤/١٩.
(١٣) تصفوة التفاسير:٣٦٤/٢.
(١٤) تفسير الطبري:٤١٥/١٩.

الشياطين، وهذه صفة وحيهم له. وأما محمد ﷺ، فحاله مباينة لهذه الأحوال أعظم مباينة، لأنه الصادق الأمين، البار الراشد، الذي جمع بين بر القلب، وصدق اللهجة، ونزاهة الأفعال من المحرم. والوحي الذي ينزل عليه من عند الله، ينزل محروسا محفوظا، مشتملا على الصدق العظيم، الذي لا شك فيه ولا ريب، فهل يستوي - يا أهل العقول - هذا وأولئك؟ وهل يشتبهان، إلا على مجنون، لا يميز، ولا يفرق بين الأشياء؟"[١].

عن الزهري، قوله: "{وأكثرهم كاذبون}، قال: الشيطان يسترق السمع فيجيء بكلمة حق فيقذفها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة"[٢].

قال قتادة:" كانت الشياطين يستمعون إلى السماء فينزلون فيخبرون به الكهنة، فكانت الكهنة يحدثون به الناس، ويخلطون به كذبا كثيرا فأما ما كان من سمع السماء فتصير حقا، وأما ما خلطوا به من الكذب فيصير كذبا"[٣].

قالت عائشة-رضي الله عنها-:" الشياطين تسترق السمع، فتجيء بكلمة حق فيقذفها في أذن وليه؛ قال: ويزيد فيها أكثر من مائة كذبة"[٤].

قال محمد بن كعب:" والله ما لأحد من أهل الأرض في السماء نجم، ولكنهم يتبعون ويتخذون النجوم علة فهو كما أخبرنا الله: {إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب}، قال: {على من تنزل الشياطين} إلى قوله: {وأكثرهم كاذبون}"[٥].

القرآن

{وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦)} [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٦]

التفسير:

والشعراء يقوم شعرهم على الباطل والكذب، ويجاريهم الضالون الزائغون مِن أمثالهم. ألم تر - أيها النبي - أنهم يذهبون كالهائم على وجهه، يخوضون في كل فن مِن فنون الكذب والزور وتمزيق الأعراض والطعن في الأنساب وتجريح النساء العفائف، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، يبالغون في مدح أهل الباطل، وينتقصون أهل الحق؟

سبب النزول:

عن ابن عباس، قوله: "{والشعراء يتبعهم الغاوون} ... إلى آخر الآية، قال: كان رجلان على عهد رسول الله ﷺ: أحدهما من الأنصار، والآخر من قوم آخرين، وأنهما تهاجيا، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه، وهم السفهاء، فقال الله: {والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون}"[٦].

قوله تعالى:{وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [الشعراء: ٢٢٤]، أي:" والشعراء يقوم شعرهم على الباطل والكذب، ويجاريهم الضالون الزائغون مِن أمثالهم"[٧].

قال الطبري: يقول: " والشعراء يتبعهم أهل الغي لا أهل الرشاد والهدى"[٨].

واختلف أهل التفسير في الذين وصفوا بالغي في هذا الموضع، على أقوال:

أحدها : أنهم الشياطين ، قاله مجاهد[٩]، وقتادة[١].

---

(١) تفسير السعدي:٥٩٩.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٤٦):ص٢٨٣١/٩.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٤٥):ص٢٨٣٠/٩-٢٨٣١.
(٤) أخرجه الطبري:٤١٥/١٩.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٤٧):ص٢٨٣١/٩.
(٦) أخرجه الطبري:٤١٦/١٩.
(٧) التفسير الميسر:٣٧٦.
(٨) تفسير الطبري:٤١٥/١٩.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٤١٦/١٩.

وقال عكرمة:" عصاة الجن"[٢].
الثاني : أنهم ضلال الجن والإنس. قاله ابن عباس-في رواية علي بن ابي طلحة-[٣].
الثالث: أنهم المشركون ، قاله ابن عباس-في رواية ضحاك[٤]، وابن زيد[٥].
قال ابن عباس:" المشركون، منهم الذين كانوا يهجون النبي- ﷺ- وأصحابه- رضي الله، عنهم-"[٦].
وقال ابن عباس:" غواة الجن"[٧].
وقال عكرمة:" عصاة الجن"[٨].
الرابع : السفهاء ، قاله ابن عباس-في رواية-[٩]، والضحاك[١٠]، وعكرمة[١١].
قال الضحاك:" كان رجلان على عهد رسول الله ﷺ: أحدهما من الأنصار، والآخر من قوم آخرين، تهاجيا، مع كل واحد منهما غواة من قومه، وهم السفهاء"[١٢].
قال عكرمة:" تهاجى شاعران في الجاهلية فكان مع كل واحد منهما فئة من الناس قال الله عز وجل: والشعراء يتبعهم الغاوون فهم ذينك الشاعران"[١٣].
الخامس : الرواة ، قاله ابن عباس[١٤].
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال فيه ما قال الله جل ثناؤه: إن شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس، ومردة الشياطين، وعصاة الجن، وذلك أن الله عم بقوله: {والشعراء يتبعهم الغاوون} فلم يخصص بذلك بعض الغواة دون بعض، فذلك على جميع أصناف الغواة التي دخلت في عموم الآية"[١٥].
قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ} [الشعراء: ٢٢٥]، أي:" ألم تر - أيها النبي - أنهم يذهبون كالهائم على وجهه، يخوضون في كل فن مِن فنون الكذب والزور وتمزيق الأعراض والطعن في الأنساب وتجريح النساء العفائف"[١٦].
قال الطبري: يقول:" ألم تر يا محمد أنهم، - يعني الشعراء - في كل واد يذهبون، كالهائم على وجهه على غير قصد، بل جائرا على الحق، وطريق، الرشاد، وقصد السبيل. وإنما هذا مثل ضربه الله لهم في افتنانهم في الوجوه التي يفتنون فيها بغير حق، فيمدحون بالباطل قوما ويهجون آخرين كذلك بالكذب والزور"[١٧].
قال ابن عباس:" يقول: في كل لغو يخوضون"[١٨]. وفي رواية:" في كل فن من الكلام يأخذون"[١٩].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٤١٦/١٩.
(٢) اخرجه الطبري:٤١٦/١٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٤١٦/١٩-٤١٧.
(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٦٠٤٨):ص٢٨٣١/٩.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٤١٧/١٩.
(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٤٨):ص٢٨٣١/٩.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٥٠):ص٢٨٣١/٩.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٥١):ص٢٨٣١/٩.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٤١٦/١٩.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٤١٦/١٩.
(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٦٠٥٤):ص٢٨٣٢/٩.
(١٢) اخرجه الطبري:٤١٦/١٩.
(١٣) اخرجه ابن أبي حاتم(١٦٠٥٤):ص٢٨٣٢/٩.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٤١٥/١٩.
(١٥)تفسير الطبري:٤١٧/١٩ .
(١٦) التفسير الميسر:٣٧٦.
(١٧)تفسير الطبري:٤١٧/١٩ .
(١٨) أخرجه الطبري:٤١٧/١٩.
(١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٠٥٩):ص٢٨٣٣/٩.

قال مجاهد:" في كل فن يفتنون"(١).

عن مجاهد، قوله: "{ألم تر أنهم في كل واد} قال: فن {يهيمون}، قال: يقولون"(٢).

قال قتادة:" يمدحون قوما بباطل، ويشتمون قوما بباطل"(٣).

قال الحسن:" قد والله رأينا أوديتهم التي يهيمون فيها مرة في شتيمة فلان. ومرة في مديحة فلان"(٤).

قوله تعالى:{وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ} [الشعراء: ٢٢٦]، أي:" وأنهم يقولون ما لا يفعلون، يبالغون في مدح أهل الباطل، وينتقصون أهل الحق"(٥).

قال الطبري:" يقول: وأن أكثر قيلهم باطل وكذب"(٦).

قال السعدي:" أي: هذا وصف الشعراء، أنهم تخالف أقوالهم أفعالهم، فإذا سمعت الشاعر يتغزل بالغزل الرقيق، قلت: هذا أشد الناس غراما، وقلبه فارغ من ذاك، وإذا سمعته يمدح أو يذم، قلت: هذا صدق، وهو كذب، وتارة يتمدح بأفعال لم يفعلها، وتروك لم يتركها، وكرم لم يحم حول ساحته، وشجاعة يعلو بها على الفرسان، وتراه أجبن من كل جبان، هذا وصفهم. فانظر، هل يطابق حالة الرسول محمد ﷺ، الراشد البار، الذي يتبعه كل راشد ومهتد، الذي قد استقام على الهدى، وجانب الردى، ولم تتناقض أفعاله ولم تخالف أقواله أفعاله؟ الذي لا يأمر إلا بالخير، ولا ينهى إلا عن الشر، ولا أخبر بشيء إلا صدق، ولا أمر بشيء إلا كان أول الفاعلين له، ولا نهى عن شيء إلا كان أول التاركين له. فهل تناسب حاله، حالة الشعراء، أو يقاربهم؟ أم هو مخالف لهم من جميع الوجوه؟ فصلوات الله وسلامه على هذا الرسول الأكمل، والهمام الأفضل، أبد الآبدين، ودهر الداهرين، الذي ليس بشاعر، ولا ساحر، ولا مجنون، ولا يليق به إلا كل كمال"(٧).

عن ابن عباس، قوله:"{وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ}، يقول: أكثر قولهم يكذبون، وعني بذلك شعراء المشركين"(٨).

قال ابن كثير:" وهذا الذي قاله ابن عباس ، رضي الله عنه ، هو الواقع في نفس الأمر ؛ فإن الشعراء يتَبَجَّحون بأقوال وأفعال لم تصدر منهم ولا عنهم ، فيتكثرون بما ليس لهم ؛ ولهذا اختلف العلماء ، رحمهم الله ، فيما إذا اعترف الشاعر في شعره بما يوجب حَدًّا : هل يقام عليه بهذا الاعتراف أم لا لأنهم يقولون ما لا يفعلون ؟ على قولين. وقد ذكر محمد بن إسحاق ، ومحمد بن سعد في الطبقات ، والزبير بن بَكَّار في كتاب الفكاهة : أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، استعمل النعمان بن عدي بن نَضْلَة على "ميسان" - من أرض البصرة - وكان يقول الشعر ، فقال :

ألا هَل أتَى الحَسْنَاءَ أنّ حَليلَها... بِمَيْسَانَ ، يُسقَى في زُجاج وَحَنْتَم

إذَا شئْتُ غَنَّتْني دَهاقينُ قَرْيَة... وَرَقَّاصَةٌ تَجذُو على كل مَنْسم

فإنْ كُنتَ نَدْمانِي فَبالأكْبر اسْقني... وَلا تَسْقني بالأصْغَر المُتَثَلم

لَعَل أميرَ المؤمنينَ يَسُوءه... تَنَادُمُنا بالجَوْسَق المُتَهَدَم

فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين قال : أي والله ، إنه ليسوءني ذلك ، ومن لقيه فليخبره أني قد عزلته. وكتب إليه : بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ { حم. تَنزيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ

---

(١) أخرجه الطبري:٤١٧/١٩.

(٢) أخرجه الطبري:٤١٧/١٩.

(٣) أخرجه الطبري:٤١٧/١٩.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٦١):ص٢٨٣٣/٩.

(٥) التفسير الميسر:٣٧٦.

(٦) تفسير الطبري:٤١٧/١٩.

(٧) تفسير السعدي:٥٩٩.

(٨) اخرجه الطبري:٤١٧/١٩.

التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ } [غافر : ١ - ٣] أما بعد فقد بلغني قولك :

لَعَلَّ أمير المُؤمنينَ يَسُوُءه... تَنَادُمُنَا بالجَوْسق المُتَهَدّم

وايم الله ، إنه ليسوءني وقد عزلتك. فلما قدم على عمر بَكَّتَه بهذا الشعر ، فقال : والله - يا أمير المؤمنين - ما شربتها قَطّ ، وما ذاك الشعر إلا شيء طَفَح على لساني. فقال عمر : أظن ذلك ، ولكن والله لا تعمل لي على عمل أبدًا ، وقد قُلتَ ما قلتَ[١].

فلم يُذكر أنه حَدّه على الشراب ، وقد ضمنه شعره ؛ لأنهم يقولون ما لا يفعلون ، ولكنه ذمَّه عمر ، رضي الله عنه ، ولامه على ذلك وعزله به. ولهذا جاء في الحديث : "لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا ، يَرِيه خير له من أن يمتلئ شعرًا" [٢].

والمراد من هذا : أن الرسول ﷺ الذي أنزل عليه القرآن ليس بكاهن ولا بشاعر ؛ لأن حاله مناف لحالهم من وجوه ظاهرة ، كما قال تعالى : { وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ } [يس : ٦٩] وقال تعالى : { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلا مَا تُؤْمِنُونَ. وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ. تَنزيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الحاقة : ٤٠ - ٤٣] ، وهكذا قال هاهنا : { وَإِنَّهُ لَتَنزيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نزلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } إلى أن قال : { وَمَا تَنزلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ. وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ. إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ } إلى أن قال : { هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنزلُ الشَّيَاطِينُ. تَنزلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ. يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ. وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ. وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ }"[٣].

قال ابن زيد:" قال رجل لأبي: يا أبا أسامة، أرأيت قول الله جل ثناؤه: {والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون}، فقال له أبي: إنما هذا لشعراء المشركين، وليس شعراء المؤمنين، ألا ترى أنه يقول: {إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات} ... إلخ. فقال: فرجت عني يا أبا أسامة؛ فرج الله عنك"[٤].

القرآن

{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧)} [الشعراء: ٢٢٧]

التفسير:

استثنى الله من الشعراءِ الشعراءَ الذين اهتدَوْا بالإيمان وعملوا الصالحات، وأكثروا مِن ذِكْر الله فقالوا الشعر في توحيد الله -سبحانه- والثناء عليه جلَّ ذكره، والدفاع عن رسوله محمد ﷺ، وتكلموا بالحكمة والموعظة والآداب الحسنة، وانتصروا للإسلام، يهجون مَن يهجوه أو يهجو رسوله، ردًّا على الشعراء الكافرين. وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي، وظلموا غيرهم بغمط حقوقهم، أو الاعتداء عليهم، أو بالتُّهم الباطلة، أي مرجع من مراجع الشر والهلاك يرجعون إليه؟ إنَّه منقلب سوء، نسأل الله السلامة والعافية.

سبب النزول:

قال عطاء بن يسار: "نزلت {والشعراء يتبعهم الغاوون} إلى آخر السورة في حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك"[٥].

عن أبي الحسن البراد قال: "لما أنزلت هذه الآية: {والشعراء يتبعهم الغاوون}، قال: جاء عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت قالوا: يا رسول الله: والله لقد أنزل الله هذه

---

(١)الأبيات في السيرة النبوية لابن هشام (٢٦٦/٢) والطبقات الكبرى لابن سعد (١٤٠/٤).

(٢)رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٢٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) تفسير ابن كثير:١٧٤/٦-١٧٥.

(٤) اخرجه الطبري:٤١٨/١٩.

(٥) أخرجه الطبري:٤١٨/١٩.

الآية وهو يعلم أنا شعراء هلكنا، قال: فأنزل الله: {إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات}، فدعاهم رسول الله ﷺ فتلى عليهم: {إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات}: أنتم {وذكروا الله كثيرا}: أنتم ، {وانتصروا من بعد ما ظلموا}: أنتم "(١).

قال ابن كثير:" هذه السورة مكية ، فكيف يكون سبب نزول هذه الآية في شعراء الأنصار ؟ في ذلك نظر ، ولم يتقدم إلا مرسلات لا يعتمد عليها ، والله أعلم ، ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم ، حتى يدخل فيه مَنْ كان متلبسًا من شعراء الجاهلية بذم الإسلام وأهله ، ثم تاب وأناب ، ورجع وأقلع ، وعمل صالحًا ، وذكر الله كثيرًا في مقابلة ما تقدم من الكلام السيئ ، فإن الحسنات يذهبن السيئات ، وامتدح الإسلام وأهله في مقابلة ما كذب بذمه ، كما قال عبد الله بن الزبَعْرَى حين أسلم :

يَا رَسُولَ المَليك ، إنّ لسَاني... رَاتقٌ مَا فَتَقْتُ إذْ أنا بُورُ

إذْ أجَاري الشَّيْطانَ في سَنن الغَيْ... يِ وَمَن مَالَ مَيْلَه مَثْبُورٌ

وكذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، كان من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن عمه ، وأكثرهم له هجوًا ، فلما أسلم لم يكن أحد أحب إليه من رسول الله ﷺ ، وكان يمدح رسول الله ﷺ بعدما كان يهجوه ، ويتولاه بعدما كان قد عاداه. وهكذا روى مسلم في صحيحه"(٢).

عن ابن عباس : أن أبا سفيان صخر بن حرب لما أسلم قال : يا رسول الله ، ثلاث أعطنيهن قال : "نعم". قال : معاوية تجعله كاتبا بين يديك. قال : "نعم". قال : وتُؤمرني حتى أقاتل الكفار ، كما كنت أقاتل المسلمين. قال : "نعم". وذكر الثلاثة"(٣).

قوله تعالى:{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [الشعراء: ٢٢٧]، أي:" إلا الذين صدقوا بالله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحة"(٤).

قال الطبري:" وهذا استثناء من قوله {والشعراء يتبعهم الغاوون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات}. وذكر أن هذا الاستثناء نزل في شعراء رسول الله ﷺ، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ثم هو لكل من كان بالصفة التي وصفه الله بها"(٥).

عن أبي الحسن سالم البراد مولى تميم الداري، قال: "لما نزلت: {والشعراء يتبعهم الغاوون}، قال: جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم يبكون، فقالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء، فتلا النبي صلى الله عليه وسلم: {إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون}"(٦).

عن عكرمة وطاوس، قالا:" قال: {والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون}، فنسخ من ذلك واستثنى، قال: {إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات} ... الآية"(٧).

قال ابن عباس:" ثم استثنى المؤمنين منهم، يعني: الشعراء، فقال: {إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات}"(٨).

عن قتادة: "{إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا}، قال: هم الأنصار الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ"(١).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٧٧):ص٢٨٣٥/٩.
(٢) تفسير ابن كثير:١٧٦/٦.
(٣)صحيح مسلم برقم (٢٥٠١).
(٤) التفسيرالمنير للزحيلي:٢٤٥/١٩.
(٥) تفسير الطبري:٤١٨/١٩.
(٦) أخرجه الطبري:٤١٨/١٩.
(٧) أخرجه الطبري:٤١٨/١٩.
(٨) أخرجه الطبري:٤١٨/١٩-٤١٩.

قوله تعالى:{وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا} [الشعراء: ٢٢٧]، أي:" وأكثروا مِن ذِكْر الله"[٢].

قال الزحيلي: وذكروا الله كثيرا في كلامهم أو شعرهم"[٣].

قال الصابوني:" أي: لم يشغلهم الشعرُ عن ذكر الله ولم يجعلوه همَّهم وديدنهم"[٤].

عن أبي الحسن البراد مولى بني نوفل، "أن حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة أتيا رسول الله- ﷺ- حين نزلت: {والشعراء يتبعهم الغاوون}. {ألم تر أنهم في كل واد يهيمون}. {وأنهم يقولون ما لا يفعلون}. {إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات}، قال: أنتم {وذكروا الله كثيرا}: قال: أنتم"[٥].

قال مجاهد:" لا يكون العبد من الذاكرين لله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا"[٦].

وفي قوله تعالى:{وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا} [الشعراء: ٢٢٧]، وجهان:

أحدهما: معناه: وذكروا الله كثيرا في كلامهم. قاله ابن عباس[٧].

الثاني: ذكروا الله في شعرهم. قاله ابن زيد[٨].

قال ابن كثير:" كلاهما صحيح مُكَفِّر لما سبق"[٩].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وصف هؤلاء الذين استثناهم من شعراء المؤمنين بذكر الله كثيرا، ولم يخص ذكرهم الله على حال دون حال في كتابه، ولا على لسان رسوله، فصفتهم أنهم يذكرون الله كثيرا في كل أحوالهم"[١٠].

قوله تعالى:{وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا} [الشعراء: ٢٢٧]، أي:" وانتصروا للإسلام من بعد ما ظلمهم الغير"[١١].

قال الطبري:" يقول: وانتصروا ممن هجاهم من شعراء المشركين ظلما بشعرهم وهجائهم إياهم، وإجابتهم عما هجوهم به"[١٢].

قال الزحيلي:" ودافعوا عن النبي ودينه وقاوموا الشرك وأهله"[١٣].

قال أبو الليث:" يعني: انتصر شعراء المسلمين من شعراء الكافرين، فكافؤوهم والبادئ أظلم. ويقال: انتصروا من أهل مكة من بعد ما أخرجوا، لأن الحرب تكون بالسيف وباللسان، فأذن القتال بالشعر، كما أذن بالسيف، إذ فيه قهرهم"[١٤].

عن ابن عباس: "{وانتصروا من بعد ما ظلموا}، قال: يردون على الكفار الذين كانوا يهجون المؤمنين"[١٥].

وعن مجاهد، قوله: "{وانتصروا من بعد ما ظلموا}، قال: عبد الله بن رواحة وأصحابه"[١٦].

---

(١) أخرجه الطبري:٤١٩/١٩.
(٢) التفسير الميسر:٣٧٦.
(٣) التفسير المنير:٢٤٥/١٩.
(٤) صفوة التفاسير:٣٦٤/٢.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٧٤):ص٢٨٣٥/٩.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٧٥):ص٢٨٣٥/٩.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٤١٩/١٩.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٤١٩/١٩.
(٩) تفسير ابن كثير:١٧٦/٦.
(١٠) تفسير الطبري:٤١٩/١٩.
(١١) التفسير الميسر:٣٧٦، وأوضح التفاسير:٤٧٥/١
(١٢) تفسير الطبري:٤١٩/١٩.
(١٣) التفسير المنير:٢٤٥/١٩.
(١٤) بحر العلوم:٥٧١/٢.
(١٥) أخرجه الطبري:٤٢٠/١٩.
(١٦) اخرجه الطبري:٤٢٠/١٩.

قال قتادة:" هي في بعض القراءة: «وانتصروا بمثل ما ظلموا»، قال: أنزلت هذه الآية في رهط من الأنصار كانوا يهاجون عن نبي الله ﷺ، منهم: كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة"[١].

وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال لحسان : "اهجهم - أو قال : هاجهم - وجبريل معك"[٢].

وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه أنه قال للنبي ﷺ : "إن الله ، عز وجل ، قد أنزل في الشعّر ما أنزل ، فقال : «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده ، لكأن ما ترمونهم به نَضْح النبْل»"[٣].

قال السعدي:" ولما وصف الشعراء بما وصفهم به، استثنى منهم من آمن بالله ورسوله، وعمل صالحا، وأكثر من ذكر الله، وانتصر من أعدائه المشركين من بعد ما ظلموهم، فصار شعرهم من أعمالهم الصالحة، وآثار إيمانهم، لاشتماله على مدح أهل الإيمان، والانتصار من أهل الشرك والكفر، والذب عن دين الله، وتبيين العلوم النافعة، والحث على الأخلاق الفاضلة"[٤].

قوله تعالى:{وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} [الشعراء: ٢٢٧]، أي:" وسيعلم الظالمون والمعادون لدعوة الله ومعهم الشعراء الغاوون أيَّ مرجع يرجعون إليه؟ وأي مصير يصيرون إليه؟"[٥].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله من أهل مكة، أي مرجع يرجعون إليه، وأي معاد يعودون إليه بعد مماتهم، فإنهم يصيرون إلى نار لا يطفأ سعيرها، ولا يسكن لهبها"[٦].

قال الصابوني:" فإنَّ مرجعهم إلى العقاب وهو شرُّ مرجع، ومصيرهم إلى النار وهو أقبح مصير"[٧].

قال السعدي:" ينقلبون إلى موقف وحساب، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، إلا أحصاها، ولا حقا إلا استوفاه"[٨].

قال ابن كثير: هو كما قال تعالى : { يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ } [غافر : ٥٢] وفي الصحيح : أن رسول الله ﷺ قال : «إياكم والظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»[٩]"[١٠].

قال ابن كثير:" قيل : المراد بهم أهل مكة. وقيل : الذين ظلموا من المشركين. والصحيح أن هذه الآية عامة في كل ظالم"[١١].

قال ابن زيد:" وسيعلم الذين ظلموا من المشركين أي منقلب ينقلبون"[١٢].

قال قتادة:" وسيعلم الذين ظلموا من الشعراء وغيرهم أي منقلب ينقلبون"[١].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٨٠):ص٢٨٣٦/٩.

(٢)صحيح البخاري برقم (٦١٥٣) وصحيح مسلم برقم (٢٤٨٦) من حديث البراء بن عازب ، رضي الله عنه. عنه.

(٣)المسند (٣٨٧/٦).

(٤) تفسير السعدي:٥٩٩.

(٥) صفوة التفاسير:٣٦٥/٢.

(٦) تفسير الطبري:٤٢٠/١٩.

(٧) صفوة التفاسير:٣٦٥/٢.

(٨) تفسير السعدي:٥٩٩.

(٩)صحيح مسلم برقم (٢٥٧٨) من حديث جابر ، رضي الله عنه ، ولفظه : "اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة".

(١٠) تفسير ابن كثير:١٧٦/٦.

(١١) تفسير ابن كثير:١٧٧/٦.

(١٢) أخرجه الطبري:٤٢١/١٩.

عن أبي الحسن سالم البراد مولى تميم الداري: "{وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون}، يعني: أهل مكة"(٢).

عن صفوان بن محرز، "أنه كان إذا قرأ هذه الآية فبكى، -بكى حتى أقول : قد اندق قَضِيب زَوره - { وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ }"(٣).

عن إياس بن أبي تميمة قال: "حضرت الحسن ومر عليه بجنازة نصراني، فقال الحسن: {وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون}"(٤).

عن عائشة قالت: كتب أبى وصية سطرين بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هذا ما أوصى به أبو بكر بن أبي قحافة، عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر ويتقي الفاجر ويصدق الكاذب أني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب، فإن يعدل فذاك ظني به ورجائي فيه، وإن يجور يبدل فلا أعلم، {وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون}"(٥).

عن ابن وهب أنبأ أبو شريح الإسكندراني، عن بعض المشيخة، "أنهم كانوا بأرض الروم، فبينا هم لیلة على نار يشتوون عليها أو يصطلون، إذا بركبان قد أقبلوا فقاموا إليهم فإذا فضالة بن عبيد فيهم فأنزلوا فجلس معهم قال: وصاحب لنا قائم يصلي، قال: حتى مر بهذه الآية: {وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون}، فقال فضالة بن عبيد: هم الذين يخربون البيت"(٦).

فوائد الآيات:[٢٢١-٢٢٧]:

١- إبطال فرية المشركين من أن القرآن من جنس ما يقوله الكهان.

٢- إبطال أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كاهن وشاعر.

٣- بيان أن الشياطين تتحد مع ذوي الأرواح الخبيثة بالإفك والآثام.

٤- بيان أن الشعراء المبطلين أتباعهم في كل زمان ومكان الغاوون الضالون.

٥- جواز نظم الشعر وقوله في تقرير علم أو تسجيل حكمة، أو انتصار للإسلام والمسلمين بالرد على من يهجوا الإسلام والمسلمين.

٦- التحذير من عاقبة الظلم فإنها وخيمة.

«آخر تفسير سورة (الشعراء)، والحمد لله وحده»

---

(١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٨٣):ص٢٨٣٦/٩.

(٢) أخرجه الطبري:٤٢١/١٩.

(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٨١):ص٢٨٣٦/٩.

(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٨٢):ص٢٨٣٦/٩.

(٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٨٤):ص٢٨٣٦/٩-٢٨٣٧.

(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٨٥):ص٢٨٣٧/٩.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة «النمل»

سورة «النمل»: هي السورة «السابعة والعشرون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة: «الشعراء»(١)، عدد آياتها خمس وتسعون فى عد الحجاز، وأربع فى عد الشام، والبصرة، وثلاث فى عد الكوفة، كلماتها ألف ومائة وتسع وأربعون. وحروفها أربعة آلاف وسبعمائة وتسع وتسعون(٢).

والآيات المختلف فيها : {وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ} [النمل : ٣٣]، {مِنْ قَوَارِير} [النمل : ٤٤]، مجموع فواصل آياتها «من»(٣).

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة النمل»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة النمل»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وكتب السنة، وسميت بذلك؛ لاشتمالها على مناظرة النمل سليمان فى قوله: {حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [النمل : ١٨].

قال المهايمي: "سميت سورة النمل لاشتمالها على مقالتها، الدالة على علم الحيوان بنزاهة الأنبياء وأتباعهم، عن ارتكاب المكاره عمدًا. وهو مما يوجب الثقة بهم، وهو من أعظم مقاصد القرآن"(٤).

- **ثانيا:- اسماؤها الإجتهادية:**

١- سورة سليمان

سماها بذلك أبو بكر بن مجاهد(٥)، وذكرها السيوطي في«الإتقان»(٦) و«معترك الأقران»(٧)، كما ذكرها الالوسي(٨) وابن عاشور(٩)، في تفسيرهما.

وأما تسميتها: «سورة سليمان»؛ فلأن ما ذكر فيها من ملك سليمان مفصلًا لم يذكر مثله في غيرها.

روي عن عكرمة، قال: "قال ابن عباس: كل سلطان في القرآن حجة ونزع الآية التي في سورة سليمان {أو ليأتيني بسلطان} قال: وأي سلطان كان للهدهد"(١٠).

وروي عن أحمد بن يحيى، عن القعنبي، قال: قيل لمالك بن أنس: كيف قرأتم في سورة سليمان: {ما لى لا أرى الهدهد} [النمل:٢٠]، مرسلة الياء، وقرأتم في سورة يس: {وما لى لا أعبد} [يس: ٢٢] منتصبة الياء؟ قال: فذكر مالك كلاما، ثم قال: لا تدخل على كلام ربّنا لم وكيف، وإنما هو سماع وتلقين، أصاغر عن أكابر، والسّلام "(١١).

٢- سورة الهدهد

وتسمى بـ«سورة الهدهد»، ذكرهاا ابن العربي في أحكام القرآن(١٢).

---

(١) انظر: الكشاف:٣٤٦/٣، وبيان المعاني، عبد القادر بن ملّا حويش:٣٠٨/٢.
(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٤٨.
(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٤) تفسير المهايمي: ٢/ ٩٩.
(٥) انظر: السبعة في القراءات: ٤٧٨.
(٦) انظر: الغتقان في علوم القرآن:١٩٤/١.
(٧) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن:١٩٨/٣.
(٨) انظر: روح المعاني:١٥١/١٠.
(٩) انظر: التحرير والتنوير:٣١/١٥.
(١٠) اخرجه السيوطي في الدر المنثور:٣٥٠/٦، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير.
(١١) جامع البيان في القراءات السبع(١٤٨):ص١٤٩/١-١٥٠.
(١٢) انظر: احكام القرآن:١٤٤٨/٣.

وسبب تسميتها بذلك، ان لفظ الهدهد لم يذكر في سورة من القرآن غيرها.

٣- **سورة طس**

سماها بها السخاوي[١]، وذلك لأنها السورة الوحيدة التي انفردت بافتتاحها بالحروف المقطعة«طس» دون غيرها من سور القرآن الكريم.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

نزلت سورة النمل بمكة. وهذا قول ابن عباس[٢]، وابن الزبير[٣].

نص على ذلك كثير من المفسرين ولم يقع خلاف في مكيتها[٤]، وحكى الفيروزآبادي الإجماع على ذلك[٥].

- **مناسبة سورة«النمل» مع سورة «الشعراء»:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

١- إنها كالتتمة لها، إذ جاء فيها زيادة على ما تقدم من قصص الأنبياء قصص داود وسليمان.

٢- إن فيها تفصيلا وبسطا لبعض القصص السالفة كقصص لوط وموسى عليهما السلام.

٣- إن كلتيهما قد اشتمل على نعت القرآن وأنه منزل من عند الله.

٤- تسلية رسوله ﷺ على ما يلقاه من أذى قومه وعنتهم، وإصرارهم على الكفر به، والإعراض عنه[٦].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

فيما ياتي أهم محاور السورة الكريمة:

١- إن مقصود السورة الرئيس -كسائر السور المكية- هو العقيدة: الإيمان بالله، وعبادته وحده، والإيمان بالآخرة، وما فيها من ثواب وعقاب. والإيمان بالوحي، وأن الغيب كله لله، لا يعلمه سواه. والإيمان بأن الله هو الخالق الرازق واهب النعم، وتوجيه القلب إلى شكر أنعم الله على البشر. والإيمان بأن الحول والقوة كلها لله، وأن لا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم يأتي القصص لتثبيت هذه المعاني، وتصوير عاقبة المكذبين بها، وعاقبة المؤمنين.

٢- إبراز صفة العلم في جو السورة، إذ تظللها في سياقها كله من المطلع إلى الختام، ويمضي سياق السورة كله في هذا الظل؛ علم الله المطلق بالظاهر والباطن، وعلمه بالغيب خاصة. وآياته الكونية التي يكشفها للناس.

٣- ومن مقصود السورة وصف القرآن الكريم بالكفاية لهداية الخلق أجمعين، بالفصل بين الصراط المستقيم، وطريق الحائرين، والجمع لأصول الدين، لإحاطة علم منزله بالخفي والمبين، وبشارة المؤمنين، ونذارة الكافرين بيوم اجتماع الأولين والآخرين، وكل ذلك يرجع إلى العلم المستلزم للحكمة.

٤- ومن مقاصدها أيضاً: الاعتبار بملك أعظم ملك أوتيه نبي، وهو مُلك داود، وملك سليمان عليهما السلام، وما بلغه من العلم بأحوال الطير، وما بلغ إليه ملكه من عظمة الحضارة.

٥- ومنها: الإشارة إلى ملك عظيم من العرب، وهو ملك سبأ، وفي ذلك إيماء إلى أن نبوة محمد ﷺ رسالة تقارنها سياسة الأمة، ثم يعقبها ملك، وهو خلافة النبي ﷺ.

---

(١) انظر: جمال القرآء:٣٧/١.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣٤٠/٦، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣٤٠/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) انظر: تفسير القرطبي" ١٣/ ١٥٤، ووالبحر المحيط في التفسير: ٧/ ٥١.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:٣٤٨/١.

(٦) انظر: تفسير المراغي:١١٨/١٩.

٦- ومنها: محاجة المشركين في بطلان دينهم وتزييف آلهتهم وإبطال أخبار كهانهم وعرافيهم، وسدنة آلهتهم. وإثبات البعث وما يتقدمه من أهوال القيامة وأشراطها.
٧- ومنها: موادعة المشركين وإنباؤهم بأن شأن الرسول ﷺ الاستمرار على إبلاغ القرآن، وإنذارهم بأن آيات الصدق سيشاهدونها، والله مطلع على أعمالهم.
٨- ومنها: بيان فضله سبحانه على عباده بإجابة دعوة المضطر إذا دعاه، وكشفه السوء عنه، وجعل الإنسان خليفة في الأرض. وتذكيره سبحانه عباده بهدايته لهم في ظلمات البر والبحر، وإرساله الرياح مبشرات بين يدي رحمته.
٩- ومنها: تذكيره سبحانه بذاته العلية؛ إذ يبدأ الخلق ثم يعيده، وبرزقه سبحانه وتعالى من السماء والأرض.
١٠- ومنها: تنبيهه سبحانه عباده أنه لا يعلم من في السماء والأرض الغيب غيره، وأن أكثر العباد غافلون عن الحقائق الإيمانية التي جاءتهم بها الرسل، وعن الحقائق الكونية التي بثها سبحانه في هذا الكون، وأنهم يتداركون جهلهم عندما يبعثون، ويعلمون ما لم يكونوا علموه من قبل بالعِيان، لا بالأفهام.
١١- ومنها: أمره سبحانه وتعالى عباده أن يسيروا في الأرض؛ ليعلموا مكانهم فيها، والعبر من أهلها، إذ طغوا، وأكثروا فيها الفساد.
١٢- ومنها: تذكير العباد بعلامة من علامات قيام الساعة، وهي خروج دابة من الأرض، التي تُظْهِر حقيقة المؤمن من الكافر .
١٣- ومنها: بيانه سبحانه بالإشارة الواضحة حال الناس يوم الحشر، يوم الهول العظيم يوم البعث، وحالهم يوم الحساب والثواب والعقاب، وحالهم وهم يقدمون على العذاب .
١٤- ويأتي ختام السورة بأمر العباد بعبادة الله وحده، الذي بيده الأمر كله، والأمر بحمده سبحانه على ما أعطاهم من نعم لا تُعدُّ ولا تحصى، وإنذار العباد بأنه سبحانه سيريهم آياته القاهرة والباهرة، فيعرفونها، ويومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً، وأنه سبحانه وتعالى ليس بغافل عما يعمل عباده، بل يعلم كل صغيرة وكبيرة، فيجازي كلاً بما عمل، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر[(١)].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ طس سليمان كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وكذب به، وهود وشعيب وصالح وإبراهيم، ويخرج من قبره وهو ينادي: لا إله إلا الله» [(٢)].

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) انظر: إسلام ويب. [موقع الكتروني].
(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:١٨٨/٧، والواحدي في التفسير الوسيط(٦٨٣):ص٣٦٨/٣، وانظر: فضائل القرآن للمستغفري(١١٩٤):ص٧٨١/٢.
مرَّ الكلام عليه وأنه حديث موضوع.
وحكم عليه بالوضع الزيلعي، في تخريجه لأحاديث الكشاف ٢/ ٤٦٩، والمناوي في: "الفتح السماوي في تخريج أحاديث البيضاوي" ٢/ ٨٨٥.

القرآن

{طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (١)} [النمل : ١]

التفسير:

{طس}: سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

هذه آيات القرآن وهي آيات الكتاب العزيز بينة المعنى، واضحة الدلالة، على ما فيه من العلوم والحكم والشرائع. فالقرآن هو الكتاب، جمع الله له بين الاسمين.

قوله تعالى: {طس} [النمل : ١]، الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن وقد تقدم الكلام عليها.

عن ابن عباس، قوله: "{طس}، قسم أقسمه الله هو من أسماء الله"[١].

قال شعبة: "سألت، عن قوله: {طس}، قال: ابن عباس: هو اسم الله الأعظم"[٢].

قال قتادة:" اسم من أسماء القرآن أقسم به ربك"[٣].

عن محمد بن كعب: "{طس}، قال: الطاء من الطول، والسين من القدوس"[٤].

قال السدي: "هذه حروف من الهجاء من الأسماء المقطعة"[٥].

وروي عن مجاهد: "أنه هجاء مقطوع"[٦].

عن أبي بكر الهذلي قال: "لقد رأيت الحسن البصري قصر عن التفسير حين قدم عكرمة البصرة، فأتيت الحسن يوما في منزله فوجدته يصلي، فقعدت مع ابنه حتى قضى صلاته، فلما قضاها أتيته فقلت: يا أبا سعيد، قول الله عز وجل في كتابه: {طس}، قال: فواتح افتتح الله بها كتابه أو القرآن"[٧].

قوله تعالى: {تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ} [النمل : ١]، أي:" هذه الآيات المنزَّلة عليك يا محمد هي آياتُ القرآن"[٨].

قال ابن كثير:" أي : هذه آيات { الْقُرْآنِ} "[٩].

قال الطبري:أي:" إن هذه الآيات التي أنزلتها إليك يا محمد لآيات القرآن"[١٠].

عن قتادة، قوله: "{آيات القرآن}، قال: الكتب التي خلت، قبل القرآن"[١١].

عن أبي مالك، قوله: "{تلك}، يعني: هذه"[١٢].

قوله تعالى: {وَكِتَابٍ مُبِينٍ} [النمل : ١]، أي:" وهي آيات الكتاب العزيز بينة المعنى، واضحة الدلالة، على ما فيه من العلوم والحكم والشرائع"[١٣].

قال ابن كثير:" أي : بين واضح"[١٤].

---

(١) أخرجه الطبري:٤٢٢/١٩.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٨٧):ص٢٨٣٨/٩.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٠٩٠):ص٢٨٣٨/٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٨٨):ص٢٨٣٨/٩.
(٥) تفسير ابن ابي حاتم:٢٨٣٨/٩.
(٦) تفسير ابن ابي حاتم:٢٨٣٨/٩.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٨٩):ص٢٨٣٩/٩.
(٨) صفوة التفاسير:٣٦٨/٢.
(٩) تفسير ابن كثير:١٧٨/٦.
(١٠) تفسير الطبري:٤٢٢/١٩.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٩٣):ص٢٨٣٩/٩.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٩١):ص٢٨٣٨/٩.
(١٣) التفسير الميسر:٣٧٧.
(١٤) تفسير ابن كثير:١٧٨/٦.

قال الطبري: " يقول: يبين لمن تدبره، وفكر فيه بفهم أنه من عند الله، أنزله إليك، لم تتخرصه أنت ولم تتقوله، ولا أحد سواك من خلق الله، لأنه لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثله، ولو تظاهر عليه الجن والإنس"(١).

القرآن

{هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣)} [النمل: ٢-٣]

التفسير:

وهي آيات ترشد إلى طريق الفوز في الدنيا والآخرة، وتبشر بحسن الثواب للمؤمنين الذين صَدَّقوا بها، واهتدَوْا بهديها، الذين يقيمون الصلوات الخمس كاملة الأركان، مستوفية الشروط، ويؤدون الزكاة المفروضة لمستحقيها، وهم يوقنون بالحياة الآخرة، وما فيها مِن ثواب وعقاب.

قوله تعالى:{هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [النمل: ٢]، أي:" تلك آيات القرآن الهادي للمؤمنين إلى صراطٍ مستقيم، والمبشر لهم جنات النعيم"(٢).

قال الطبري:" يقول: هذه آيات القرآن بيان من الله بين به طريق الحق وسبيل السلام وبشارة لمن آمن به، وصدق بما أنزل فيه بالفوز العظيم في المعاد"(٣).

قال ابن كثير:" أي : إنما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لِمَنْ آمن به واتبعه وصدقه ، وعمل بما فيه"(٤).

عن الشعبي، قوله: "{هدى}، قال: من الضلالة"(٥).

عن قتادة، "يعني: {هدى وبشرى للمؤمنين}، أي والله إنه لمبين، هداه، وبركته ورشده"(٦).

عن سعيد بن جبير، قوله "{للمؤمنين}، يعني: للمصدقين"(٧).

قال الصابوني:" خصَّ المؤمنين بالذكر لانتفاعهم به"(٨).

قوله تعالى:{الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} [النمل: ٣]، أي:" الذين يقيمون الصلوات الخمس كاملة الأركان، مستوفية الشروط"(٩).

قال الطبري:" يقول: هو هدى وبشرى لمن آمن بها، وأقام الصلاة المفروضة بحدودها"(١٠).

قال ابن كثير:" وأقام الصلاة المكتوبة "(١١).

قال ابن عباس:" أي: يقيمون الصلاة بفرضها"(١٢).

قال مقاتل بن حيان:" إقامتها: المحافظة على مواقيتها، وإسباغ الطهور فيها، وتمام ركوعها وسجودها، وتلاوة القرآن فيها، والتشهد، والصلاة على النبي ﷺ، فهذا إقامتها"(١٣).

---

(١) تفسير الطبري:٤٢٢/١٩.
(٢) صفوة التفاسير:٣٦٩/٢.
(٣) تفسير الطبري:٤٢٢/١٩.
(٤) تفسير ابن كثير:١٧٨/٦.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٠٩٤):ص٢٨٣٩/٩.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٩٥):ص٢٨٣٩/٩.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٠٩٦):ص٢٨٣٩/٩.
(٨) صفوة التفاسير:٣٦٩/٢.
(٩) التفسير الميسر:٣٧٧.
(١٠) تفسير الطبري:٤٢٢/١٩.
(١١) تفسير ابن كثير:١٧٨/٦.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٠٩٧):ص٢٨٣٩/٩.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٠٩٨):ص٢٨٣٩/٩.

قوله تعالى:{وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} [النمل: ٣]، أي:" ويؤدون الزكاة المفروضة لمستحقيها"(١).
لمستحقيها"(١).

قال الطبري:" يقول: ويؤدون الزكاة المفروضة. وقيل: معناه: ويطهرون أجسادهم من دنس المعاصي"(٢).

قال ابن كثير:" وآتى الزكاة المفروضة"(٣).

عن ابن عباس، قوله: "{ويؤتون الزكاة}، قال: ما يوجب الزكاة، مائتين فصاعدا"(٤).

قال مقاتل بن حيان:" أمرهم أن يؤتوا الزكاة، ويدفعونها إلى النبي ﷺ"(٥).

وقال الحارث العكلي:" يعني قوله: {ويؤتون الزكاة}: صدقة الفطر"(٦).

وقال ابن عباس:" يعني: بالزكاة: طاعة الله والإخلاص"(٧).

قوله تعالى:{وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} [النمل: ٣]، أي:" وهم يوقنون بالحياة الآخرة، وما فيها مِن ثواب وعقاب"(٨).

قال الطبري:" يقول: وهم مع إقامتهم الصلاة، وإيتائهم الزكاة الواجبة، بالمعاد إلى الله بعد الممات يوقنون، فيذلون في طاعة الله، رجاء جزيل ثوابه، وخوف عظيم عقابه، وليسوا كالذين يكذبون بالبعث، ولا يبالون، أحسنوا أم أساءوا، وأطاعوا أم عصوا، لأنهم إن أحسنوا لم يرجوا ثوابا، وإن أساءوا لم يخافوا عقابا"(٩).

قال ابن كثير:أي: " وآمن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت ، والجزاء على الأعمال ، خيرها وشرها ، والجنة والنار ، كما قال تعالى : { قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ } [فصلت : ٤٤]. وقال : { لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا } [مريم : ٩٧]"(١٠).

عن ابن عباس، "{وهم بالآخرة هم يوقنون}، بالغيب والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان. أي: ليس هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان قبلك ويكفرون بما جاءك من ربك"(١١).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (٥)} [النمل: ٤-٥]

التفسير:

إن الذين لا يُصَدِّقون بالدار الآخرة، ولا يعملون لها حسَّنَّا لهم أعمالهم السيئة، فرأوها حسنة، فهم يترددون فيها متحيِّرين. أولئك الذين لهم العذاب السيِّئ في الدنيا قتلا وأَسْرًا وذُلا وهزيمةً، وهم في الآخرة أشد الناس خسرانًا.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} [النمل: ٤]، أي:" إن الذين لا يُصَدِّقون بالدار الآخرة، ولا يعملون لها"(١٢).

---

(١) التفسير الميسر:٣٧٧.
(٢) تفسير الطبري:٤٢٢/١٩-٤٢٣.
(٣) تفسير ابن كثير:١٧٨/٦.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٠٠):ص٢٨٤٠/٩.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٠٢):ص٢٨٤٠/٩.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٠١):ص٢٨٤٠/٩.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٠٩٩):ص٢٨٤٠/٩.
(٨) التفسير الميسر:٣٧٧.
(٩) تفسير الطبري:٤٢٣/١٩.
(١٠) تفسير ابن كثير:١٧٨/٦.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٠٣):ص٢٨٤٠/٩.
(١٢) التفسير الميسر:٣٧٧.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن الذين لا يصدقون بالدار الآخرة، وقيام الساعة، وبالمعاد إلى الله بعد الممات والثواب والعقاب"(١).

قال ابن كثير:" أي : يكذبون بها ، ويستبعدون وقوعها"(٢).

قال قتادة:" لا يقرون بها ولا يؤمنون بها"(٣).

قوله تعالى:{زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ} [النمل: ٤]، أي:" حسَّنَّا لهم أعمالهم السيئة، فرأوها حسنة"(٤).

قال الطبري:" يقول: حببنا إليهم قبيح أعمالهم، وسهلنا ذلك عليهم"(٥).

قال ابن كثير:" أي : حَسَّنَّا لهم ما هم فيه "(٦).

قوله تعالى:{فَهُمْ يَعْمَهُونَ} [النمل: ٤]، أي:" فهم يترددون فيها متحيِّرين"(٧).

قال الطبري:" يقول: فهم في ضلال أعمالهم القبيحة التي زيناها لهم يترددون حيارى يحسبون أنهم يحسنون"(٨).

قال ابن كثير:أي:" ومددنا لهم في غَيهم فهم يَتيهون في ضلالهم. وكان هذا جزاء على ما كذبوا به من الدار الآخرة ، كما قال تعالى : { وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } [الأنعام : ١١٠]"(٩).

عن ابن عباس، قوله: "{يعمهون}، قال: في كفرهم يترددون"(١٠).

قوله تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ} [النمل: ٥]، أي:" أولئك الذين لهم العذاب السيِّئ في الدنيا قتلا وأَسْرًا وذُلا وهزيمةً"(١١).

قال ابن كثير:" أي : في الدنيا والآخرة "(١٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة لهم سوء العذاب في الدنيا، وهم الذين قتلوا ببدر من مشركي قريش"(١٣).

عن سعيد بن جبير، قوله:"{أولئك}، يعني: الذين ذكر الله في هذه الآية"(١٤).

قوله تعالى:{وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ} [النمل: ٥]، أي:" وهم في الآخرة أشد الناس خسرانًا"(١٥).

قال الطبري:" يقول: وهم يوم القيامة هم الأوضعون تجارة والأوكسوها باشترائهم الضلالة بالهدى {فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين}"(١٦).

قال ابن كثير:" أي : ليس يخسر أنفسهم وأموالهم سواهم من أهل المحشر "(١٧).

---

(١) تفسير الطبري:٤٢٣/١٩.
(٢) تفسير ابن كثير:١٧٨/٦.
(٣) أخره ابن ابي حاتم(١٦١٠٥):ص٢٨٤١/٩.
(٤) التفسير الميسر:٣٧٧.
(٥) تفسير الطبري:٤٢٣/١٩.
(٦) تفسير ابن كثير:١٧٨/٦.
(٧) التفسير الميسر:٣٧٧.
(٨) تفسير الطبري:٤٢٣/١٩.
(٩) تفسير ابن كثير:١٧٨/٦.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٠٦):ص٢٨٤١/٩.
(١١) التفسير الميسر:٣٧٧.
(١٢) تفسير ابن كثير:١٧٨/٦.
(١٣) تفسير الطبري:٤٢٣/١٩.
(١٤) أخرده ابن ابي حاتم(١٦١٠٧):ص٢٨٤١/٩.
(١٥) التفسير الميسر:٣٧٧.
(١٦) تفسير الطبري:٤٢٣/١٩.
(١٧) تفسير ابن كثير:١٧٨/٦.

عن ابي خميصة عبيد الله بن قيس، قال: "سمعت علي بن أبي طالب يقول: يعني في هذه الآية {الأخسرون}: انهم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في السواري"[١].

فوائد الآيات:[١-٥]:

١- بيان إعجاز القرآن إذ آياته مؤلفة من مثل طس، وحم وعجز العرب عن تأليف مثله.

٢- بيان كون القرآن، هدى وبشرى للمؤمنين الملتزمين بمتطلبات الإيمان.

٣- إنكار البعث والدار الآخرة يجعل صاحبه شر الخليقة وأسوأ حالا من الكلاب والخنازير.

٤- وجوب قتال الملاحدة وأخذهم أسراً وقتلاً حتى يؤمنوا بالله ولقائه لأنهم خطر على أنفسهم وعلى البشرية سواء.

القرآن

{وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦)} [النمل: ٦]

التفسير:

وإنك -أيها الرسول- لتتلقى القرآن من عند الله، الحكيم في خلقه وتدبيره الذي أحاط بكل شيء علمًا.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وإنك يا محمد لتحفظ القرآن وتعلمه من عند حكيم بتدبير خلقه، عليم بأنباء خلقه ومصالحهم، والكائن من أمورهم، والماضي من أخبارهم، والحادث منها"[٢].

قال الزجاج:" أي: يلقى إليك القرآن وحيا من عند الله أنزله بعلمه وحكمته"[٣].

قال ابن كثير:" أي : { وَإِنَّكَ } يا محمد - قال قتادة : { لَتُلَقَّى } أي : لتأخذ. { الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ } أي : من عند حكيم عليم ، أي : حكيم في أوامره ونواهيه ، عليم بالأمور جليلها وحقيرها ، فخبره هو الصدق المحض ، وحكمه هو العدل التام ، كما قال تعالى : { وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} [الأنعام : ١١٥]"[٤].

عن قتادة، قوله: "{وإنك لتلقى القرآن}، قال: لتأخذ القرآن، {من لدن}، أي: من عنده"[٥].
عنده"[٥].

عن السدي، قوله: "{وإنك لتلقى القرآن}، يقول: يلقى عليك الوحي"[٦].

عن عمرو بن دينار قال: أتيناه يوما فقال: ائتوني فتلقوا مني، يعني قال الله عز وجل: وإنك لتلقى القرآن"[٧].

عن محمد بن جعفر بن الزبير قوله: "{حكيم}، قال: حكيم في عذره وحجته إلى عباده"[٨].
عباده"[٨].

القرآن

{إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧)} [النمل: ٧]

التفسير:

---

(١) أخرده ابن ابي حاتم(١٦١٠٨):ص٢٨٤١/٩.

(٢) تفسير الطبري:٤٢٦/١٩.

(٣) معاني القرآن:١٠٨/٤.

(٤) تفسير ابن كثير:١٧٨/٦.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٠٩)، (١٦١١٢):ص٢٨٤١/٩، ٢٨٤٢.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١١١):ص٢٨٤٢/٩.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١١٠):ص٢٨٤١/٩.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١١٣):ص٩/ ٢٨٤٢.

اذكر قصة موسى حين قال لأهله في مسيره من «مدين» إلى «مصر» : إني أبصَرْتُ نارًا سآتيكم منها بخبر يدلنا على الطريق، أو آتيكم بشعلة نار؛ كي تستدفئوا بها من البرد.

قوله تعالى:{إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا} [النمل: ٧]، أي:" اذكر قصة موسى حين قال لأهله في مسيره من «مدين» إلى «مصر» : إني أبصَرْتُ نارًا"[١].

قال الطبري: {وإذ} من صلة {عليم}. ومعنى الكلام: {عليم} حين قال موسى {لأهله} وهو في مسيره من مدين إلى مصر، وقد آذاهم برد ليلهم لما أصلد زنده. {إني آنست نارا}، أي: أبصرت نارا أو أحسستها، فامكثوا مكانكم"[٢].

قال الزجاج:" المعنى: اذكر إذ قال موسى لأهله، أي اذكر قصة موسى. ومعنى {آنست نارا}: رأيت نارا"[٣].

قال ابن كثير:" يقول تعالى لرسوله ﷺ مذكرًا له ما كان من أمر موسى ، كيف اصطفاه الله وكلمه ، وناجاه وأعطاه من الآيات العظيمة الباهرة ، والأدلة القاهرة ، وابتعثه إلى فرعون وملئه ، فجحدوا بها وكفروا واستكبروا عن اتباعه والانقياد له ، فقال تعالى : { إِذْ قَالَ مُوسَى لأهْلِهِ } أي : اذكر حين سار موسى بأهله ، فأضل الطريق ، وذلك في ليل وظلام ، فآنس من جانب الطور نارًا ، أي : رأى نارًا تأجج وتضطرم ، فقال { لأهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا}"[٤].

قال ابن عباس: "كان في الشتاء، ورُفعت لهم نار، فلما رآها ظنّ أنها نار، وكانت من نور الله :{قَالَ لأهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا}"[٥].

قال ابن عباس: "كان موسى رجلا غيورا، لا يحب الرفقة لئلا ترى امرأته، فأخطأ الطريق في ليلة مظلمة، فرأى نارا من بعيد"[٦].

عن قتادة، قوله: "{إني آنست نارا}، إني أحسست نارا، سار في الله حين سار وهو شاب"[٧].

عن جعفر بن أبي المغيرة، قوله: "{إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا}، قال: تركهم أربعين سنة في المكان الذي نودي به، ومضى لأمر الله حتى قضى ما أمر به"[٨].

قوله تعالى:{سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ} [النمل: ٧]، أي:" سآتيكم منها بخبر يدلنا على الطريق"[٩].

قال الطبري:" يعني: من النار"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : عن الطريق"[١١].

قال ابن عباس:" فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله، فضل الطريق، وكان في الشتاء ورفعت له نار فلما رآها ظن أنها نار، وكانت من نور الله، {قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس}، فإن لم أجد خبرا أتيتكم بشهاب قبس"[١٢].

قوله تعالى:{أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} [النمل: ٧]، أي:" أو آتيكم بشعلة نار؛ كي تستدفئوا بها من البرد"[١٣].

---

(١) التفسير الميسر:٣٧٧.
(٢) تفسير الطبري:٤٢٦/١٩-٤٢٧.
(٣) معاني القرآن:١٠٨/٤.
(٤) تفسير ابن كثير:١٧٩/٦.
(٥) أخرجه الطبري:٢٧٥/١٨-٢٧٦.
(٦) التفسير الوسيط:٢٠١/٣.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١١٥):ص٢٨٤٢/٩.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١١٤):ص٢٨٤٢/٩.
(٩) التفسير الميسر:٣٧٧.
(١٠) تفسير الطبري:٤٢٧/١٩.
(١١) تفسير ابن كثير:١٧٩/٦.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١١٨):ص٢٨٤٣/٩.
(١٣) التفسير الميسر:٣٧٧.

قال الطبري:" أو آتيكم بشعلة نار أقتبسها منها كي تصطلوا بها من البرد"(١).

قال ابن كثير:" {لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ } أي : تتدفؤون به، وكان كما قال ، فإنه رجع منها بخبر عظيم ، واقتبس منها نورًا عظيمًا"(٢).

قال الزجاج:"وكل أبيض ذي نور فهو شهاب"(٣).

قال ابن عباس:" كانوا أضلوا عن الطريق، فقال: لعلي أجد من يدلني على الطريق، أو آتيكم بقبس لعلكم تصطلون"(٤).

عن السدي، "{لعلكم تصطلون}، قال: من البرد"(٥).

عن عمرو بن ميمون، قال: "{لعلكم تصطلون}، قال: تجدون البرد"(٦).

يقرأ :{ بِشِهَابٍ قَبَسٍ} بالتنوين وبالإضافة، فمن نون جعل «قبس» من صفة «شهاب»(٧).

القرآن

{فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨) يَامُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (١٠) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢)} [النمل: ٨-١٢]

التفسير:

فلما جاء موسى النارَ ناداه الله وأخبره أن هذا مكانٌ قدَّسه الله وباركه فجعله موضعًا لتكليم موسى وإرساله، وأن الله بارك مَن في النار ومَن حولها مِنَ الملائكة، وتنزيهًا لله رب الخلائق عما لا يليق به. يا موسى إنه أنا الله المستحق للعبادة وحدي، العزيز الغالب في انتقامي من أعدائي، الحكيم في تدبير خلقي. وألق عصاك فألقاها فصارت حية، فلما رآها تتحرك في خفة تَحَرُّكَ الحية السريعة ولَّى هاربًا ولم يرجع إليها، فطمأنه الله بقوله: يا موسى لا تَخَفْ، إني لا يخاف لديَّ من أرسلتهم برسالتي، لكن مَن تجاوز الحدَّ بذنب، ثم تاب فبدَّل حُسْن التوبة بعد قبح الذنب، فإني غفور له رحيم به، فلا ييئس أحدٌ من رحمة الله ومغفرته. وأدخل يدك في فتحة قميصك المفتوحة إلى الصدر تخرج بيضاء كالثلج من غير بَرَص في جملة تسع معجزات، وهي مع اليد: العصا، والسنون، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم؛ لتأييدك في رسالتك إلى فرعون وقومه، إنهم كانوا قومًا خارجين عن أمر الله كافرين به.

قوله تعالى:{فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا} [النمل : ٨]، أي:" فلما وصل إلى مكان النار نودي من جانب الطور بأن بوركتَ يا موسى وبورك من حولك وهم الملائكة"(٨).

قال الطبري:" يقول: فلما جاء موسى النار التي آنسها:{ نودي أن بورك من في النار ومن حولها}"(٩).

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٤٢٧-٤٢٨.

(٢) تفسير ابن كثير:٦/١٧٩.

(٣) معاني القرآن:٤/١٠٨.

(٤) أخرجه الطبري:١٨/٢٧٧.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٢٠):ص٩/٢٨٤٣.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٢١):ص٩/٢٨٤٣.

(٧) انظر: معاني القرآن:٤/١٠٨.

(٨) صفوة التفاسير:٢/٣٦٩.

(٩) تفسير الطبري:١٩/٤٢٨.

قال ابن كثير:" أي : فلما أتاها رأى منظرًا هائلا عظيمًا ، حيث انتهى إليها ، والنار تضطرم في شجرة خضراء ، لا تزداد النار إلا توقدًا ، ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة ، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء "(١).

عن ابن عباس، قوله: "{نودي أن بورك من في النار}، يقول: قدس"(٢).

واختلف أهل التفسير في المعني بقوله: {مَنْ فِي النَّارِ} [النمل : ٨]، على وجوه:

احدها: أنه عنى ﷻ بذلك نفسه، وهو الذي كان في النار، وكانت النار نوره تعالى ذكره. قاله ابن عباس(٣)، والحسن(٤)، وسعيد بن جبير(٥)، وقتادة(٦).

قال ابن عباس:" يعني نفسه؛ قال: كان نور رب العالمين في الشجرة"(٧).

قال سعيد بن جبير:" ناداه وهو في النار"(٨).

قال الحسن:" هو النور"(٩).

قال قتادة:" نور الله بورك"(١٠).

الثاني: معنى ذلك: بوركت النار. قاله مجاهد(١١).

وفي مصحف أُبي بن كعب: «بُورِكَتِ النَّارُ وَمَن حَوْلَهَا»(١٢).

الثالث: : أنهم الملائكة ، قاله السدي(١٣).

الرابع: بورك النور الذي في النار ، قاله ابن عيسى(١٤).

وفي قوله {وَمَنْ حَوْلَهَا} [النمل : ٨]، ثلاثة وجوه :

أحدها : يعني: الملائكة ، قاله ابن عباس(١٥)، والحسن(١٦)، وسعيد بن جبير(١٧)، وقتادة(١٨).

الثاني : موسى ، قالها أبو صخر(١٩).

قال أبو صخر:" فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها قال: إن موسى ﷺ كان على شاطئ الوادي يرعى غنمه، فلما رأت الغنم النار نفرت فقام موسى فصاح بها فاجتمعت، ثم نفرت الثانية، ثم قام فصاح بها فاجتمعت، ثم نفرت، الثالثة، فلما قام أبصر النار فسار إليها فلما أتاها نودي أن بورك من في النار ومن حولها قال: إنها لم تكن نار ولكنه كان نور الله عز وجل وهو الذي كان في ذلك النور، وإنما كان ذلك النور منه وموسى حوله"(٢٠).

الثالث: هو موسى والملائكة. قاله محمد بن كعب(٢١).

---

(١) تفسير ابن كثير:١٧٩/٦.
(٢) أخرجه الطبري:٤٢٨/١٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٤٢٨/١٩.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٤٢٨/١٩.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٤٢٨/١٩.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٤٢٨/١٩.
(٧) اخرجه الطبري:٤٢٨/١٩.
(٨) اخرجه الطبري:٤٢٨/١٩.
(٩) اخرجه الطبري:٤٢٨/١٩.
(١٠) اخرجه الطبري:٤٢٨/١٩.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٤٢٨/١٩.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٣٢):ص٢٨٤٦/٩.
(١٣) انظر: النكت والعوين:١٩٥/٤.
(١٤) انظر: النكت والعوين:١٩٥/٤.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٤٢٩/١٩.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:٤٢٩/١٩.
(١٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٨٤٧/٩. بدون سند.
(١٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٨٤٧/٩. بدون سند.
(١٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٦١٣٣):ص٢٨٤٦/٩.
(٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٣٣):ص٢٨٤٦/٩.
(٢١) انظر: تفسير الطبري:٤٢٩/١٩.

قال وهب:" لما رأى موسى النار انطلق يسير حتى وقف منها قريبا، فإذا هو بنار عظيمة تفور من فرع شجرة خضراء شديدة الخضرة، يقال لها العليق، لا تزداد فيما يرى إلا عظما وتضرما، ولا تزداد الشجرة على شدة الحريق إلا خضرة وحسنا، فوقف فنظر لا يدري على ما يضع أمرها إلا أنه قد ظن أنها شجرة تحترق، أوقد إليها موقد فنالها فاحترقت، وإنه إنما يمنع النار شدة خضرتها، وكثر مائها، وكثافة ورقها، وعظم جذعها، فوضع أمرها على هذا، فوقف وهو يطمع أن يسقط منها شيء فيقتبسه، فلما طال عليه ذلك أهوى إليها بضعث في يده وهو يريد أن يقتبس من لهبها، فلما فعل ذلك موسى مالت نحوه كأنها تريده فاستأخر عنها وهاب، ثم عاد فطاف بها فلم تزل تطمعه ويطمع بها ثم لم يكن شيء بأوشك من خمودها، فاشتد عند ذلك عجبه وفكر موسى في أمرها فقال: هي نار ممتنعة لا يقتبس منها ولكنها تتضرم في جوف شجرة فلا تحرفها هم خمودها على قدر عظمتها في أوشك من طرفة عين، فلما رأى ذلك قال: إن لهذه لشأنا ثم وضع أمرها على أنها مأمورة أو مصنوعة لا يدري من أمرها ولا بما أمرت ولا من صنعها ولا لم صنعت فوقف متحيرا، لا يدري أيرجع لم يقيم، فبينا هو على ذلك إذ رمى بطرفه نحو فرعها فإذا أشد ما كان خضرة، وإذا بخضرة ساطعة في السماء ينظر إليها تغشى الظلام ثم لم تزل الخضرة تنور وتسفر وتبياض حتى صارت نورا ساطعا عمودا ما بين السماء والأرض على مثل شعاع الشمس تلي دونه الأبصار كلما نظر إليه تكاد تخطف بصره، فعند ذلك اشتد خوفه وحزنه، فرد يده على عينيه، ولصق بالأرض، وسمع الحسن والوجس، إلا أنه سمع حينئذ شيئا لم يسمع السامعون بمثله عظما فلما بلغ موسى الكرب، واشتد عليه الهول، وكاد أن يخالط في عقله من شدة الخوف بما يسمع ويرى نودي من الشجرة فقيل: يا موسى، فأجاب سريعا وما يدري من دعاه وما كان سرعة إجابته إلا استبشارا بالأنس فقال: لبيك مرارا إني لأسمع صوتك وأحس وجسك ولا أرى مكانك فأين أنت قال: فوقك، فلما سمع هذا موسى علم أنه لا ينبغي ذلك إلا لربه فأيقن، به فقال: كذلك أنت يا إلهي فكلامك أسمع أم رسولك، قال: بل أنا الذي أكلمك، فادن مني فجمع موسى يديه في العثار ثم تحامل حتى استقل قائما فرعدت فرائصه حتى اختلفت واضطربت رجلاه وانقطع لسانه وانكسر قلبه ولم يبق منه عظم يحمل آخر فهو بمنزلة الميت إلا أن روح الحياة تجري فيه، ثم زحف على ذلك وهو مرعوب حتى وقف قريبا من الشجرة التي نودي منها. وذكر الحديث بطوله"(١).

عن أبي عبيدة، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: "قال رسول الله ﷺ: إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل بالنهار، وعمل النهار بالليل، زاد المسعودي وحجابه النار لو كشفها حرقت سحابة وجهه كل شيء أدركه بصره، ثم قرأ أبو عبيدة: {أن بورك من في النار ومن حولها}"(٢).

قوله تعالى:{وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [النمل : ٨]، أي:" وتنزيهًا لله رب الخلائق عما لا يليق به"(٣).

قال الطبري:" يقول: وتنزيها لله رب العالمين، مما يصفه به الظالمون"(٤).

قال الزجاج:" معناه: تنزيه الله تبارك وتعالى عن السوء، كذلك جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وكذا فسره أهل اللغة"(٥).

قال ابن كثير:" أي : الذي يفعل ما يشاء ولا يشبه شيئا من مخلوقاته ، ولا يحيط به شيء من مصنوعاته ، وهو العلي العظيم ، المباين لجميع المخلوقات ، ولا يكتنفه الأرض والسموات ، بل هو الأحد الصمد ، المنزه عن مماثلة المحدثات "(٦).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٢٢):ص٢٨٤٣/٩-٢٨٤٤.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٢٣):ص٢٨٤٥/٩.
(٣) التفسير الميسر:٣٧٧.
(٤) تفسير الطبري:٤٣٠/١٩.
(٥) معاني القرآن:١٠٩/٤.
(٦) تفسير ابن كثير:١٨٠/٦.

قال السدي:" فلما سمع موسى النداء فزع، فقال: {سبحان الله رب العالمين}، نودي: يا موسى إني أنا الله رب العالمين"[1].

قوله تعالى:{يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [النمل : ٩] يا موسى إنه أنا الله المستحق للعبادة وحدي، العزيز الغالب في انتقامي من أعدائي، الحكيم في تدبير خلقي"[2].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله لموسى: {إنه أنا الله العزيز} في نقمته من أعدائه. {الحكيم} في تدبيره في خلقه"[3].

قال ابن كثير:" أعلمه أن الذي يخاطبه ويناجيه هو ربه الله العزيز ، الذي عز كل شيء وقهره وغلبه ، الحكيم في أفعاله وأقواله "[4].

عن أبي بكر الثقفي قال: "أتى موسى الشجرة ليلا وهي خضراء والنار تتردد فيها فذهب يتناول النار، فمالت عنه فذعر وفزع، فنودي من شاطئ الواد الأيمن، قال: عن يمين الشجرة، يا موسى فاستأنس بالصوت، فقال: أين أنت، أين أنت قبل الصوت، قال: أنا فوقك، قال: ربي. قال: نعم"[5].

قوله تعالى:{وَأَلْقِ عَصَاكَ} [النمل : ١٠]، أي:" ونودي أن ألق عصاك"[6].

قال ابن كثير:" ثم أمره أن يلقي عصاه من يده ؛ ليظهر له دليلا واضحا على أنه الفاعل المختار ، القادر على كل شيء "[7].

قال وهب:" فقال له الرب عز وجل، ألقها يا موسى. فظن موسى أنه يقول: ارفضها. فألقاها على وجه الرفض"[8].

قال ابن عباس:" كان اسم عصا موسى: ماشا"[9].

قال سعيد بن جبير:" كانت عصا موسى عليه السلام من عوسج"[10].

قال ابن عباس:" تلك العصا أعطاه إياها ملك من الملائكة لما أن توجه إلى مدين، فكانت تضيء له الليل، ويضرب بها الأرض فيخرج له نباته، ويهش بها على غنمه ورق الشجر"[11].

قوله تعالى:{فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ} [النمل : ١٠]، أي:" فلما رآها تتحرك في خفة تَحَرُّكَ الحية السريعة"[12].

قال الطبري:" في الكلام محذوف ترك ذكره، استغناء بما ذكر عما حذف، وهو فألقاها فصارت حية تهتز {فلما رآها تهتز كأنها جان}، يقول: كأنها حية عظيمة، والجان: جنس من الحيات معروف"[13].

قال الزجاج:" أي: تتحرك كما يتحرك الجان حركة خفيفة، وكانت في صورة الثعبان، وهو؛ العظيم من الحيات"[14].

قال ابن كثير:" فلما ألقى موسى تلك العصا من يده انقلبت في الحال حَيَّةً عظيمة هائلة في غاية الكبر ، وسرعة الحركة مع ذلك ؛ ولهذا قال : { فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ } والجان :

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٣٨):ص٢٨٤٧/٩.
(٢) التفسير الميسر:٣٧٧.
(٣) تفسير الطبري:٤٣٠/١٩.
(٤) تفسير ابن كثير:١٨٠/٦.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٣٩):ص٢٨٤٧/٩.
(٦) صفوة التفاسير:٣٧٠/٢.
(٧) تفسير ابن كثير:١٨٠/٦.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٤٠):ص٢٨٤٧/٩.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٤٢):ص٢٨٤٨/٩.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٤٣):ص٢٨٤٨/٩.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٤١):ص٢٨٤٧/٩.
(١٢) التفسير الميسر:٣٧٧.
(١٣) تفسير الطبري:٤٣٠/١٩-٤٣١.
(١٤) معاني القرآن:١٠٩/٤.

ضرب من الحيات ، أسرعه حركة ، وأكثره اضطرابا - وفي الحديث نَهْيٌ عن قتل جِنَّان البيوت[١]"[٢].

قال ابن جريج: {وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان}، قال: حين تحولت حية تسعى"[٣].

قوله تعالى:{وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ} [النمل : ١٠]، أي:" ولَّى موسى هاربًا ولم يرجع إليها"[٤].

قال الطبري:" ولى موسى هاربا خوفا منها ولم يرجع"[٥].

قال ابن كثير:" فلما عاين موسى ذلك { وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ } أي : لم يلتفت من شدة فرقه"[٦].

قال الزجاج:" جاء في التفسير {لم يعقب}: لم يلتفت، وجاء أيضا: لم يرجع. وأهل اللغة يقولون: لم يرجع، يقال: قد عقب فلان. إذا رجع يقاتل بعد أن ولى. قال لبيد[٧]:

حتى تهجر في الرواح وهاجه. . . طلب المعقب حقه المظلوم"[٨].

عن مجاهد، قوله:"{ولم يعقب}، قال: لم يرجع"[٩].

قال قتادة:" لم يلتفت"[١٠].

قال السدي:" لم ينتظر"[١١].

عن ابن زيد:" {ولم يعقب}، قال: لم يرجع. {ياموسى} قال: لما ألقى العصا صارت حية، فرعب منها وجزع، فقال الله: {إني لا يخاف لدي المرسلون} قال: فلم يرعو لذلك، قال: فقال الله له: {أقبل ولا تخف إنك من الآمنين} قال: فلم يقف أيضا على شيء من هذا حتى قال: {سنعيدها سيرتها الأولى}، قال: فالتفت فإذا هي عصا كما كانت، فرجع فأخذها، ثم قوي بعد ذلك حتى صار يرسلها على فرعون ويأخذها"[١٢].

قوله تعالى:{يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ} [النمل : ١٠]، أي:" يا موسى لا تَخَفْ، إني لا يخاف لديَّ من أرسلتهم برسالتي"[١٣].

قال الطبري:" فناداه ربه: يا موسى لا تخف من هذه الحية، إني لا يخاف لدي المرسلون. يقول: إني لا يخاف عندي رسلي وأنبيائي الذين أختصهم بالنبوة"[١٤].

قال ابن كثير:" أي : لا تخف مما ترى ، فإني أريد أن أصطَفيك رسولا وأجعلك نبيًا وجيهًا "[١٥].

قال الزجاج:" معناه: لا يخاف عندي المرسلون"[١٦].

---

(١)صحيح البخاري برقم (٣٢٩٨) من حديث ابن عمر ، رضي الله عنهما.
(٢) تفسير ابن كثير:١٨٠/٦.
(٣) أخرجه الطبري:٤٣٠/١٩.
(٤) التفسير الميسر:٣٧٧.
(٥) تفسير الطبري:٤٣٠/١٩-٤٣١.
(٦) تفسير ابن كثير:١٨٠/٦.
(٧)ديوانه قصيدة رقم: ١٦، بيت ٢٦، واللسان (عقب) ، وتفسير الطبري:٣٨٥/١٦، وهو من أبيات في صفة حمار الوحش، وشرح البيت يطول، وخلاصته أن الحمار" تهجر من الرواح"، أي: عجل في الرواح إلى الماء، و" هاجه"، أي: حركه حب الماء، فعجل إليه عجلة طالب الحق يطلبه مرة بعد مرة، وهو" المعقب".
(٨) معاني القرآن:١٠٩/٤.
(٩) أخرجه الطبري:٤٣١/١٩.
(١٠) أخرجه الطبري:٤٣١/١٩.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٤٦):ص٢٨٤٨/٩.
(١٢) اخرجه الطبري:٤٣١/١٩.
(١٣) التفسير الميسر:٣٧٧.
(١٤) تفسير الطبري:٤٣١/١٩.
(١٥) تفسير ابن كثير:١٨٠/٦.
(١٦) معاني القرآن:١١٠/٤.

عن قتادة، قوله:"{لدي المرسلون}، أي: عندي المرسلون"[١].

قال وهب:" قال له ربه عز وجل: يا موسى ادنه، فلم يدنه، حتى شد ظهره بجذع الشجرة فاستقر وذهبت عنه الرعدة وجمع يديه في العصا، وخضع برأسه وعنقه، ثم قال له، إني قد أقمتك اليوم في مقام لا ينبغي لبشر بعدك أن يقوم مقامك، أدنيتك وقربتك، حتى سمعت كلامي"[٢].

قال وهب:" فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا ولم يعقب، فذهب حتى أمعن ورأى أنه قد أعجز الحية ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه، ثم نودي يا موسى: إلي ارجع حيث كنت، فرجع موسى وهو شديد الخوف ف قال: خذها بيمينك ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى"[٣].

قوله تعالى: {إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النمل : ١١]، أي:" لكن مَن تجاوز الحدَّ بذنب، ثم تاب فبدَّل حُسْن التوبة بعد قبح الذنب، فإني غفور له رحيم به"[٤].
به"[٤].

قال الطبري:" إلا من ظلم منهم، فعمل بغير الذي أذن له في العمل به.. فمن أتى ظلما من خلق الله، وركب مأثما، ثم بدل حسنا، يقول: ثم تاب من ظلمه ذلك وركوبه المأثم، {فإني غفور}، يقول: فإني ساتر على ذنبه وظلمه ذلك بعفوي عنه، وترك عقوبته عليه {رحيم} به أن أعاقبه بعد تبديله الحسن بضده"[٥].

قال الزجاج:" {إلا} استثناء ليس من الأول، والمعنى، والله أعلم، لكن من ظلم ثم تاب من المرسلين وغيرهم، وذلك قوله: {ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم}"[٦].

قال ابن كثير:" هذا استثناء منقطع ، وفيه بشارة عظيمة للبشر ، وذلك أن من كان على عمل شيء ثم أقلع عنه ، ورجع وأناب ، فإن الله يتوب عليه ، كما قال تعالى : { وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى } [طه : ٨٢] ، وقال تعالى : { وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا } [النساء : ١١٠] والآيات في هذا كثيرة جدًا"[٧].

قال الصابوني:" الاستثناء منقطع، أي: لكنْ من ظلم من سائر الناس لا من المرسلين فإنه يخاف إلا إذا تاب وبدَّل عمله السيء إلى العمل الحسن"[٨].

قال قتادة:" ثم عاد الله، عز وجل بعائدته وبرحمته فقال: {ثم بدل حسنا بعد سوء}، أي: فعمل عملا صالحا بعد عمل سيئ. {فإني غفور رحيم}"[٩].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{غفور} لما كان منه قبل التوبة. {رحيم} لمن تاب"[١٠].

عن مجاهد، قوله: "{إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء} ثم تاب من بعد إساءته {فإني غفور رحيم}"[١١].

قال ابن جريج:" لا يخيف الله الأنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم، فإن أصابه أخافه حتى يأخذه منه"[١٢].

عن الحسن، قوله: "{يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم} قال: إني إنما أخفتك لقتلك النفس، وقال الحسن: كانت الأنبياء تذنب فتعاقب"[١].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٥٠):ص٢٨٤٩/٩.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٦٥):ص٢٨٥٢/٩.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٤٨):ص٢٨٤٩/٩.
(٤) التفسير الميسر:٣٧٧.
(٥) تفسير الطبري:٤٣١/١٩، ٤٣٤.
(٦) معاني القرآن:١١٠/٤.
(٧) تفسير ابن كثير:١٨٠/٦.
(٨) صفوة التفاسير:٣٧٠/٢.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٥٢):ص٢٨٤٩/٩-٢٨٥٠.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٥٣):ص٢٨٥٠/٩.
(١١) أخرجه الطبري:٤٣٤/١٩.
(١٢) أخرجه الطبري:٤٣١/١٩-٤٣٢.

قوله تعالى:{وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ} [النمل : ١٢]، أي:" وأدخل يدك في فتحة قميصك المفتوحة إلى الصدر تخرج بيضاء كالثلج من غير بَرَص"(٢).

قال ابن كثير:" هذه آية أخرى ، ودليل باهر على قدرة الله الفاعل المختار ، وصِدْق من جعل له معجزة ، وذلك أن الله - تعالى - أمره أن يُدخل يده في جيب دِرْعِه ، فإذا أدخلها وأخرجها خَرجت بيضاء ساطعة ، كأنها قطعة قمر ، لها لمعان يتلألأ كالبرق الخاطف"(٣).

عن ابن عباس ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، قوله :"{تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ}، قال: من غير برص"(٤).

قال ابن عباس:" فأدخلها ثم أخرجها بيضاء من غير سوء، كأنها فرو"(٥).

قال الحسن:" أخرجها الله من غير سوء، من غير برص، فعلم موسى أنه لقي ربه"(٦).

قال الطبري:" ذكر أنه تعالى ذكره أمره أن يدخل كفه في جيبه؛ وإنما أمره بإدخاله في جيبه، لأن الذي كان عليه يومئذ مدرعة من صوف. قال بعضهم: لم يكن لها كم. وقال بعضهم: كان كمها إلى بعض يده"(٧).

عن مجاهد: "{وأدخل يدك في جيبك}، قال: الكف فقط في جيبك، قال: كانت مدرعة إلى بعض يده، ولو كان لها كم أمره أن يدخل يده في كمه"(٨).

عن ابن مسعود: "إن موسى أتى فرعون حين أتاه في ذر مانقة، يعني جبة صوف"(٩).

قوله تعالى:{فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ} [النمل : ١٢]، أي:" هاتان المعجزتان «العصا واليد» ضمن تسعِ معجزاتٍ أيدتك بها وجعلتُها برهاناً على صدقك لتذهب بها إلى فرعون وقومه"(١٠).

قال الفراء:" معناه: افعل هذا فهي آية في تسع"(١١).

قال ابن قتيبة:" أي: هذه الآية مع تسع آيات"(١٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء، فهي آية في تسع آيات مرسل أنت بهن إلى فرعون"(١٣).

قال ابن كثير:" أي : هاتان ثنتان من تسع آيات أؤيدك بهن ، وأجعلهن برهانا لك إلى فرعون وقومه.. وهذه هي الآيات التسع التي قال الله تعالى : { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ } [الإسراء : ١٠١]"(١٤).

عن ابن زيد قوله: "{تسع آيات إلى فرعون وقومه}، قال: هي التي ذكر الله في القرآن: العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والطوفان، والدم، والحجر، والطمس الذي أصاب آل فرعون في أموالهم"(١٥).

---

(١) أخرجه الطبري:٤٣٢/١٩.
(٢) التفسير الميسر:٣٧٧.
(٣) تفسير ابن كثير:١٨٠/٦.
(٤) أخرجه عنهم الطبري:٢٩٧/١٨-٢٩٨.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٥٨):ص٢٨٥٠/٩.
(٦) أخرجه الطبري:٢٩٨/١٨.
(٧) تفسير الطبري:٤٣٤/١٩.
(٨) أخرجه الطبري:٤٣٤/١٩.
(٩) أخرجه الطبري:٤٣٤/١٩.
(١٠) صفوة التفاسير:٣٧٠/٢.
(١١) معاني القرآن:٢٨٨/٢.
(١٢) غريب القرآن:٣٢٣.
(١٣) تفسير الطبري:٤٣٥/١٩.
(١٤) تفسير ابن كثير:١٨٠/٦.
(١٥) أخرجه الطبري:٤٣٥/١٩.

عن ابن عباس، "{تسع آيات}، قال: يده وعصاه ولسانه والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات"(١).

عن ابن عباس قوله: "{في تسع آيات}، قال: هو الطوفان، والجراد، والقمل والضفادع، والدم، والعصا، واليد، ونقص من الثمرات والسنين"(٢). وروي عن عبيد بن عمير والشعبي، وعكرمة، وأبي صالح، والسدي، ومحمد بن كعب مثل ذلك(٣).

عن محمد بن كعب القرظي، قال:" سألني عمر بن عبد العزيز، عن التسع آيات التي أراهن الله فرعون فقلت: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وعصاه ويده والطمسة والبحر"(٤).

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} [النمل : ١٢]، أي:" إنهم كانوا قومًا خارجين عن أمر الله كافرين به"(٥).

قال الطبري:" يقول: إن فرعون وقومه من القبط كانوا قوما فاسقين، يعني كافرين بالله"(٦).

قال سعيد بن جبير:" يعني: عاصين"(٧).

فوائد الآيات:[٦-١٢]:

١- تقرير النبوة المحمدية.

٢- مشروعية السفر بالأهل والولد وجواز خطأ الطريق حتى على الأنبياء والأذكياء.

٣- قيومية الرجل على النساء والأطفال.

٤- تجلي الرب تعالى لموسى في البعقة المباركة ومناجاته وتدريبه على العصا والسلاح الذي يقاوم به فرعون وملأه فيما بعد.

٥- الظلم يسبب الخوف والعقوبة إلا من تاب منه وأصلح فإن الله غفور رحيم.

٦- آية اليد هي إحدى الآيات التسع التي أوتي موسى عليه السلام دليلا على وجود الآيات التي كان الله تعالى يؤيد بها رسله فمن أنكرها فقد كفر.

القرآن

{فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٣)} [النمل: ١٣]

فلما جاءتهم هذه المعجزات ظاهرة بيِّنة يبصر بها مَن نظر إليها حقيقةَ ما دلت عليه، قالوا: هذا سحرٌ واضحٌ بيِّن.

قوله تعالى:{فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً} [النمل: ١٣]، أي:" فلما جاءتهم هذه المعجزات ظاهرة بيِّنة يبصر بها مَن نظر إليها حقيقةَ ما دلت عليه"(٨).

قال مقاتل:" يعني: مبينة معاينة يرونها"(٩).

قال الأخفش:" أي: إنها تبصرهم حتى أبصروا"(١٠).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٦٣):ص٢٨٥١/٩.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٦٢):ص٢٨٥١/٩.
(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٨٥١/٩.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٦٤):ص٢٨٥١/٩-٢٨٥٢.
(٥) التفسير الميسر:٣٧٧.
(٦) تفسير الطبري:٤٣٥/١٩.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٦٦):ص٢٨٥٢/٩.
(٨) التفسير الميسر:٣٧٧.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٨/٣.
(١٠) معاني القرآن:٤٦٤/٢.

قال ابن كثير:" أي : بينة واضحة ظاهرة"(١).

قال الطبري: يقول:" فلما جاءت فرعون أدلتنا وحججنا، على حقيقة ما دعاهم إليه موسى وصحته- وهي الآيات التسع التي ذكرناها قبل- {مبصرة}، يقول: يبصر بها من نظر إليها ورآها حقيقة ما دلت عليه"(٢).

قال الزجاج:" أي: واضحة، ويجوز: مُبْصَرةً، ومعناها: مُبَيَّنَة تُبْصَرُ وَتُرى"(٣).

عن قتادة، قوله: "{فلما جاءتهم آياتنا مبصرة}، أي: بينة"(٤).

عن ابن جريج: "{فلما جاءتهم آياتنا مبصرة}، قال: بينة"(٥).

قوله تعالى:{قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ} [النمل: ١٣]، أي:" قالوا: هذا سحرٌ واضحٌ بيّن"(٦).

قال الطبري:" يقول: قال فرعون وقومه: هذا الذي جاءنا به موسى سحر مبين، يقول: يبين للناظرين له أنه سحر"(٧).

قال ابن إسحاق:" أي: ما ساحر أسحر منك"(٨).

قال ابن كثير:" وأرادوا معارضته بسحرهم فغلبوا هنالك {وانقلبوا صاغرين }"(٩).

القرآن

{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤)} [النمل: ١٤]

وكذَّبوا بالمعجزات التسع الواضحة الدلالة على صدق موسى في نبوته وصدق دعوته، وأنكروا بألسنتهم أن تكون من عند الله، وقد استيقنوها في قلوبهم اعتداءً على الحق وتكبرًا على الاعتراف به، فانظر -أيها الرسول- كيف كان مصير الذين كفروا بآيات الله وأفسدوا في الأرض، إذ أغرقهم الله في البحر؟ وفي ذلك عبرة لمن يعتبر.

قوله تعالى:{وَجَحَدُوا بِهَا} [النمل: ١٤]، أي:" وكذَّبوا بالمعجزات التسع الواضحة الدلالة على صدق موسى في نبوته وصدق دعوته، وأنكروا بألسنتهم أن تكون من عند الله"(١٠).

قال مقاتل:" يعني: بالآيات، يعني: بعد المعرفة، فيها تقديم"(١١).

قال الطبري:" يقول: وكذبوا بالآيات التسع أن تكون من عند الله"(١٢).

قال ابن كثير:" أي : في ظاهر أمرهم"(١٣).

قال ابن جريج:" الجحود: التكذيب بها"(١٤).

عن قتادة:" {وجحدوا بها}، قال: كذب بها القوم، قوله: {بها}، بآيات الله عز وجل، و«الجحود» لا يكون إلا من بعد معرفة"(١٥).

---

(١) تفسير ابن كثير:١٨٠/٦.
(٢) تفسير الطبري:٤٣٥/١٩.
(٣) معاني القرآن:١١١/٤.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٦٧):ص٢٨٥٢/٩.
(٥) أخرجه الطبري:٤٣٦/١٩.
(٦) التفسير الميسر:٣٧٧.
(٧) تفسير الطبري:٤٣٦/١٩.
(٨) اخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٦٨):ص٢٨٥٢/٩.
(٩) تفسير ابن كثير:١٨١/٦.
(١٠) التفسير الميسر:٣٧٨.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٨/٣.
(١٢) تفسير الطبري:٤٣٦/١٩.
(١٣) تفسير ابن كثير:١٨١/٦.
(١٤) أخرجه الطبري:٤٣٦/٩.
(١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٧٠)، (١٦١٦٩):ص٢٨٥٢/٩.

قوله تعالى:{وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ} [النمل: ١٤]، أي:" وقد أيقنوا بقلوبهم أنها من عند الله وليست من قبيل السحر"[١].

قال الطبري:" يقول: وأيقنتها قلوبهم، وعلموا يقينا أنها من عند الله، فعاندوا بعد تبينهم الحق، ومعرفتهم به"[٢].

قال ابن كثير:" أي : علموا في أنفسهم أنها حق من عند الله ، ولكن جَحَدوها وعاندوها وكابروها "[٣].

عن ابن عباس: "{واستيقنتها أنفسهم}، قال: يقينهم في قلوبهم"[٤].

قال قتادة:" جحدوا بها بعد ما استيقنتها أنفسهم أنها حق"[٥].

قال قتادة:" وقد أيقنتها أنفسهم، أن موسى رسول الله ﷺ"[٦].

قال ابن زيد: استيقنوا أن الآيات من الله حق، فلم جحدوا بها؟ قال: ظلما وعلوا"[٧].

قال مقاتل:" وإنما استيقنوا بالآيات أنها من الله لدعاء موسى ربه أن يكشف عنهم الرجز فكشفه عنهم وقد علموا ذلك"[٨].

قال السدي:" فتكبروا وقد استيقنتها أنفسهم، وهذا في التقديم والتأخير"[٩].

قوله تعالى:{ظُلْمًا وَعُلُوًّا} [النمل: ١٤]، أي:" جحدوا بها ظلماً من أنفسهم، واستكباراً عن اتباع الحق"[١٠].

قال ابن جريج:" تعظما واستكبارا"[١١].

قال عكرمة:" العلو في كتاب الله التجبر"[١٢].

قال الزجاج:" أي: ترفعا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى عليه السلام، فجحدوا بها وهم يعلمون أنها من عند الله"[١٣].

قال ابن كثير:" أي : ظلما من أنفسهم ، سَجِيَّة ملعونة، واستكبارًا عن اتباع الحق"[١٤].

قال الطبري:" يعني بالظلم: الاعتداء، والعلو: الكبر، كأنه قيل: اعتداء وتكبرا، ومعنى ذلك: وجحدوا بالآيات التسع ظلما وعلوا، واستيقنتها أنفسهم أنها من عند الله، فعاندوا الحق بعد وضوحه لهم، فهو من المؤخر الذي معناه التقديم"[١٥].

قوله تعالى:{فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} [النمل: ١٤]، أي:" فانظر أيها السامع وتدبر بعين الفكر والبصيرة ماذا كان مآلُ أمر الطاغين، من الإغراق في الدنيا، والإحراق في الآخرة؟"[١٦].

قال الطبري:" ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان عاقبة تكذيب هؤلاء الذين جحدوا آياتنا حين جاءتهم مبصرة، وماذا حل بهم من إفسادهم في الأرض

---

(١) صفوة التفاسير:٣٧٠/٢.
(٢) تفسير الطبري:٤٣٦/١٩.
(٣) تفسير ابن كثير:١٨١/٦.
(٤) أخرجه الطبري:٤٣٦/٩.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٧١):ص٢٨٥٣/٩.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٧٢):ص٢٨٥٣/٩.
(٧) أخرجه الطبري:٤٣٦/٩.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٨/٣.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٧٦):ص٢٨٥٣/٩.
(١٠) صفوة التفاسير:٣٧٠/٢.
(١١) أخرجه الطبري:٤٣٦/٩.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٧٤):ص٢٨٥٣/٩.
(١٣) معاني القرآن:١١١/٤.
(١٤) تفسير ابن كثير:١٨١/٦.
(١٥) تفسير الطبري:٤٣٦/١٩.
(١٦) صفوة التفاسير:٣٧٠/٢.

ومعصيتهم فيها ربهم، وأعقبهم ما فعلوا، فإن ذلك أخرجهم من جنات وعيون، وزروع ومقام كريم، إلى هلاك في العاجل بالغرق، وفي الآجل إلى عذاب دائم لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون. يقول: وكذلك يا محمد سنتي في الذين كذبوا بما جئتهم به من الآيات على حقيقة ما تدعوهم إليه من الحق من قومك"(١).

قال ابن كثير:" أي : انظر يا محمد كيف كان عاقبة كُفرهم، في إهلاك الله إياهم ، وإغراقهم عن آخرهم في صبيحة واحدة، وفحوى الخطاب يقول : احذروا أيها المكذبون بمحمد ، الجاحدون لما جاء به من ربه ، أن يصيبكم ما أصابهم بطريق الأولى والأحرى ؛ فإن محمدًا ، صلوات الله وسلامه عليه أشرف وأعظم من موسى ، وبرهانه أدل وأقوى من برهان موسى ، بما آتاه الله من الدلائل المقترنة بوجوده في نفسه وشمائله ، وما سبقه من البشارات من الأنبياء به ، وأخذ المواثيق له ، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام "(٢).

قال أبو العالية:" وكان فسادهم ذلك معصية الله، لأنه من عصى الله في الأرض، أو أمر بمعصية، فقد أفسد في الأرض، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة"(٣).

فوائد الآيتين:[١٣-١٤]:

١- التنديد بالفسق واستحقاق أهله العذاب في الدارين.

٢- الكبر والعلو في الأرض صاحبهما يجحد الحق ولا يقر به وهو يعلم أنه حق.

٣- عاقبة الفساد في الأرض بالمعاصي سوءى، والعياذ بالله تعالى.

القرآن

{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥)} [النمل: ١٥]

التفسير:

ولقد آتينا داود وسليمان علمًا فعملا به، وقالا الحمد لله الذي فضَّلنا بهذا على كثير من عباده المؤمنين.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا} [النمل: ١٥]، أي:" ولقد آتينا داود وسليمان علمًا فعملا به"(٤).

قال مقاتل:" يعني: أعطينا داود وسليمان علما بالقضاء وبكلام الطير وبكلام الدواب"(٥).
الدواب"(٥).

قال الطبري:" وذلك علم كلام الطير والدواب، وغير ذلك مما خصهم الله بعلمه"(٦).

قال قتادة:" كان داود أعطي ثلاثا، سخرت له الجبال يسرت معه، وألين له الحديد، وعلم منطق الطير، علم موسى نبي الله عليه السلام، منطق الطير، وسخرت له الجن وكان ذلك مما ورث عنه لم تسخر له الجبال، ولم يلن له الحديد"(٧).

قوله تعالى:{وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ} [النمل: ١٥]، أي:" وقالا الحمد لله الذي فضَّلنا بهذا على كثير من عباده المؤمنين"(٨).

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٤٣٦-٤٣٧.
(٢) تفسير ابن كثير:٦/١٨١.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٧٧):ص٩/٢٨٥٣.
(٤) التفسير الميسر:٣٧٨.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٢٩٨.
(٦) تفسير الطبري:١٩/٤٣٧.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٨٠):ص٩/٢٨٥٤.
(٨) التفسير الميسر:٣٧٨.

قال الطبري:" وقال داود وسليمان: الحمد لله الذي فضلنا بما خصنا به من العلم الذي آتاناه، دون سائر خلقه من بني آدم في زماننا هذا على كثير من عباده المؤمنين به في دهرنا هذا"[١].

قال يحيى:" يعنيان: أهل زمانهم من المؤمنين"[٢].

قال مقاتل:" يعني: بالقضاء والنبوة والكتاب وكلام البهائم والملك الذي أعطاهما الله- عز وجل- وكان سليمان أعظم ملكا من داود وأفطن منه وكان داود أكثر تعبدا من سليمان"[٣].

عن بن يحيى أخبرني، أبي، عن جدي، قال: "كتب عمر بن عبد العزيز أن الله عز وجل، لم ينعم على عبد نعمة، فحمد الله عليها إلا كان حمده أفضل من نعمة لو كنت لا تعرف ذلك إلا في كتاب الله المنزل، قال الله جلا وعلا: {ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين}، وأي نعمة أفضل مما أوتى داود وسليمان"[٤].

القرآن

{وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦)} [النمل: ١٦]

وورث سليمان أباه داود في النبوة والعلم والملك، وقال سليمان لقومه: يا أيها الناس عُلِّمنا وفُهِّمنا كلام الطير، وأُعطينا مِن كل شيء تدعو إليه الحاجة، إن هذا الذي أعطانا الله تعالى إياه لهو الفضل الواضح الذي يُمَيِّزنا على مَن سوانا.

قوله تعالى:{وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ} [النمل: ١٦]، أي:" وورث سليمان أباه داود في النبوة والعلم والملك"[٥].

قال قتادة:" نبوته وملكه"[٦]. وفي رواية:" ورثه نبوته وملكه، وعلمه"[٧].

قال مقاتل:" يعني: ورث سليمان علم داود وملكه"[٨].

قال الربيع بن انس:" ورثه أن سخر له الشياطين والرياح إلى مما ورث مما أعطي أبوه"[٩].

قال الطبري: يقول:" {وورث سليمان} أباه {داود} العلم الذي كان آتاه الله في حياته، والملك الذي كان خصه به على سائر قومه، فجعله له بعد أبيه داود دون سائر ولد أبيه "[١٠].

قوله تعالى:{وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ} [النمل: ١٦]، أي:" وقال سليمان لقومه: يا أيها الناس عُلِّمنا وفُهِّمنا كلام الطير"[١١].

قال الطبري:" يقول: وقال سليمان لقومه: يا أيها الناس علمنا منطق الطير، يعني فهمنا كلامها؛ وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بني آدم إذ فهمه عنها"[١٢].

قال الأوزاعي: «الناس» عندنا أهل العلم"[١٣].

---

(١) تفسير الطبري:٤٣٧/١٩.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٥٣٦/٢.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٨/٣.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٨٢):ص٢٨٥٤/٩.
(٥) التفسير الميسر:٣٧٨.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٨٣):ص٢٨٥٤/٩.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٨٤):ص٢٨٥٤/٩.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٨/٣.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٨٥):ص٢٨٥٤/٩.
(١٠) تفسير الطبري:٤٣٧/١٩.
(١١) التفسير الميسر:٣٧٨.
(١٢) تفسير الطبري:٤٣٧/١٩.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٨٦):ص٢٨٥٥/٩.

عن قتادة، قوله: "{علمنا منطق الطير}، قال: النملة من الطير"[١].

قال محمد بن كعب:" بلغنا أن سليمان كان عسكره مائة فرسخ: خمسة وعشرون منها للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب؛ فيها ثلاث مائة صريحة، وسبع مائة سرية، فأمر الريح العاصف فرفعته، وأمر الرخاء فسيرته، فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض: إني قد أردت أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح فأخبرته"[٢].

قوله تعالى:{وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ} [النمل: ١٦]، أي:" وأُعطينا مِن كل شيء تدعو إليه الحاجة"[٣].

قال الطبري:" يقول: وأعطينا ووهب لنا من كل شيء من الخيرات"[٤].

قال السدي:" أوتوا من كل شيء كان في بلادهم"[٥].

قال أبو الدرداء: "كان داود يقضي بين البهائم يومان وبين الناس يوما، فجاءت بقرة فوضعت قرنها في حلقة الباب ثم تنغمت كما تنغم الوالدة على ولدها، وقالت: كنت شابة كانوا ينتجوني ويستعملوني ثم أن كبرت فأرادوا أن يذبحوني، ثم قال: داود، أحسنوا إليها ولا تذبحوها. ثم قرأ: {علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء}"[٦].

قوله تعالى:{إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ} [النمل: ١٦]، أي:" إن هذا الذي أعطانا الله تعالى إياه لهو الفضل الواضح الذي يُمَيِّزنا على مَن سوانا"[٧].

قال الطبري:" يقول: إن هذا الذي أوتينا من الخيرات لهو الفضل على جميع أهل دهرنا المبين، يقول: الذي يبين لمن تأمله وتدبره أنه فضل أعطيناه على من سوانا من الناس"[٨].

القرآن

{وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧)} [النمل: ١٧]

التفسير:

وجُمِع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير في مسيرة لهم، فهم على كثرتهم لم يكونوا مهمَلين، بل كان على كل جنس من يَرُدُّ أولهم على آخرهم؛ كي يقفوا جميعًا منتظمين.

قوله تعالى:{وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ} [النمل: ١٧]، أي:" وجُمِع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير في مسيرة لهم"[٩].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير في مسير لهم"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير يعني : ركب فيهم في أبهة وعظمة كبيرة في الإنس ، وكانوا هم الذين يلونه ، والجن وهم بعدهم يكونون في المنزلة ، والطير ومنزلتها فوق رأسه ، فإن كان حرًّا أظلته منه بأجنحتها"[١١].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٨٧):ص٢٨٥٥/٩.
(٢) أخرجه الطبري:٤٣٧/١٩-٤٣٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٧٨.
(٤) تفسير الطبري:٤٣٨/١٩.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٨٨):ص٢٨٥٥/٩.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٨٩):ص٢٨٥٥/٩.
(٧) التفسير الميسر:٣٧٨.
(٨) تفسير الطبري:٤٣٨/١٩.
(٩) التفسير الميسر:٣٧٨.
(١٠) تفسير الطبري:٤٣٨/١٩.
(١١) تفسيرابن كثير:١٨٣/٦.

عن ابن عباس: "أن سليمان كان يضع سريره، ثم يضع الكرسي، عن يمينه وشماله فيأذن للإنس، ثم يأذن للجن فيكونون خلف الإنس، ثم يأذن للشياطين فيكونون خلف الجن، ثم يرسل إلى الريح فتأتيه فتحملهم وتظله الطير فوقه وهو على سريره وكراسيه يسير بهم غدوة الراكب، إلى أن يشتهي المنزل شهرا، ثم تروح بهم مثل ذلك"(١).

قال سعيد بن جبير:" كان يوضع لسليمان ثلاثمائة ألف كرسي، فيجلس مؤمنو الإنس مما يليه ومؤمنو الجن من ورائهم، ثم يأمر الطير فتظله، ثم يأمر الريح فتحمله، قال سفيان: فيمرون على السنبلة فلا يحركونها"(٢).

قال وهب بن منبه:" ورث ليمان الملك وأحدث الله إليه النبوة، وسأله أن يهب له ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ففعل- تبارك وتعالى: فسخر له الإنس والجن والطير والريح، فكان إذا خرج من بيته إلى مجلسه وكان فيما يزعمون أبيض وسيما، وضيئا كثير الشعر، يلبس البياض من الثياب عكفت عليه الطير، وقام عليه الإنس والجن حتى يجلس على سريره، وكان امرأ غزاء قل ما يقعد، عن الغزو، ولا يسمع بملك في ناحية من الأرض إلا أتاه حتى يذله، كان فيما يزعمون إذا أراد الغزو، أمر بعسكره فضرب له من خشب، ثم نصب على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآبة الحرب كلها، حتى إذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى إذا أثقلت به أمرت الرخاء فقذفت به شهرا في روحته، وشهرا في غدوته إلى حيث أراد الله. يقول الله عز وجل: {فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب}، أي: حيث أراد قال :{ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر} قال: فذكر أن منزلا بناحية دجلة مكتوب فيها كتاب كتب بعض صحابة سليمان- عليه السلام إما من الجن وإما من الإنس، نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من إصطخر، فقلناه ونحن رائحون منه إن شاء الله، فبائتون الشام، وكان فيما بلغني لتمر بعسكره الريح الرخاء تهوي به إلى ما أراد، وأنها لتمر بالزرعة فما تحركها فكذلك كان نبي الله- ﷺ-"(٣).

قوله تعالى:{فَهُمْ يُوزَعُونَ} [النمل: ١٧]، أي:" فهم يُكَفُّون ويمنعون عن التقدم بين يديه"(٤).

وفي قوله تعالى:{فَهُمْ يُوزَعُونَ} [النمل: ١٧]، وجوه من التفسير:

أحدها: فهم يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا. قاله ابن عباس(٥)، ومجاهد(٦)، وقتادة(٧).

قال ابن عباس:" جعل على كل صنف من يرد أولاها على أخراها لئلا يتقدموا في المسير، كما تصنع الملوك"(٨).

قال مجاهد:" جعل على كل صنف وزعة يردون أوليها على آخريها لئلا يتقدموا في المسير كما تفعل الملوك اليوم"(٩).

قال قتادة:" يرد أولهم على آخرهم"(١٠). وفي رواية:" لكل صنف وزعة(١١) يرد أوليهم على أخراهم"(١٢).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٩١):ص٢٨٥٥/٩-٢٨٥٦.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٩٠):ص٢٨٥٥/٩.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٩٢):ص٢٨٥٦/٩.

(٤) صفوة التفاسير:٣٧١/٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري:٤٣٨/١٩.

(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٦١٩٣):ص٢٨٥٦/٩-٢٨٥٧.

(٧) انظر: تفسير الطبري:٤٣٨/١٩.

(٨) أخرجه الطبري:٤٣٨/١٩.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٩٧):ص٢٨٥٧/٩.

(١٠) أخرجه الطبري:٤٣٨/١٩.

(١١) وفي (١٦١٩٦):ص٢٨٥٧/٩:«وزعة ساقة».

(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٩٤):ص٢٨٥٧/٩.

قال ابن كثير:" أي : يكف أولهم على آخرهم ؛ لئلا يتقدم أحد عن منزلته التي هي مرتبة له"[١].

الثاني: ذلك فهم يساقون. وهذا قول ابن زيد[٢]، ومقاتل[٣].

قال مقاتل:" وكان سليمان استعمل عليهم جندا يرد الأول على الآخر حتى ينام الناس"[٤].

الثالث: فهم يتقدمون. وهذا قول الحسن[٥].

الرابع: يسجنون، حكاه الماوردي[٦]، وأنشد قول الشاعر[٧]:

لسان الفتى سبع عليه سداته ... وإلا يزع من غَرْبه فهو قاتله

وما الجهل إلا منطق متسرع ... سواءٌ عليه حق أمرٍ وباطله

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معناه: يرد أولهم على آخرهم؛ وذلك أن الوازع في كلام العرب هو الكاف، يقال منه: وزع فلان فلانا عن الظلم: إذا كفه عنه، كما قال الشاعر[٨]:

ألم يزع الهوى إذ لم يؤات ... بلى وسلوت عن ضلب الفتاة

وقال آخر[٩]:

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبَا ... وَقُلْتُ: أَلَمَّا تَصْحُ والشَّيْبُ وَازِعُ؟

وإنما قيل للذين يدفعون الناس عن الولاة والأمراء: وزعة: لكفهم إياهم عنه"[١٠].

القرآن

{حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)} [النمل: ١٨-١٩]

التفسير:

حتى إذا بلغوا وادي النمل قالت نملة: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يهلكنَّكم سليمان وجنوده، وهم لا يعلمون بذلك. فتبسم ضاحكًا من قول هذه النملة لفهمها واهتدائها إلى تحذير النمل، واستشعر نعمة الله عليه، فتوجَّه إليه داعيًا: ربِّ ألْهِمْني، ووفقني، أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ، وأن أعمل عملا صالحًا ترضاه مني، وأدخلني برحمتك في نعيم جنتك مع عبادك الصالحين الذين ارتضيت أعمالهم.

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ} [النمل: ١٨]، أي:" حتى إذا بلغوا وادي النمل"[١١].

قال الطبري:يقول:" حتى إذا أتى سليمان وجنوده على وادي النمل"[١].

---

(١) تفسيرابن كثير:١٨٣/٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري:٤٣٨/١٩.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٨/٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٩٨/٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري:٤٣٨/١٩.

(٦) انظر: النكت والعيون:١٩٩/٤.

(٧) لم اقف عليه، وهو من شواهد الماوردي في النكت والعيون:١٩٩/٤، انظر: باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن:١٠٥٥/٢.

(٨) لم اقف عليه، وهو من شواهد الطبري في التفسير:٤٣٩/١٩.

(٩)البيت للنابغة في "ديوانه" ص ٥٣، "الخزانة" ٣/ ١٥١، "الكامل" ١/ ١٨٥، "اللسان" (وزع) ٤/ ٤٨٢٥، السيوطي ٢٧٦، ٢٩٨، "مجاز القرآن" ٢/ ٩٣ "معاني القرآن" ١/ ٣٢٧، ٣/ ٢٤٥.

(١٠) تفسير الطبري:٤٣٩/١٩.

(١١) التفسير الميسر:٣٧٨.

قال ابن كثير:" أي : حتى إذا مر سليمان ، عليه السلام ، بمن معه من الجيوش والجنود على وادي النمل "[٢].
قال قتادة:" ذكر لنا أنه واد بأرض الشام"[٣].
عن الحسن : "أن اسم هذه النملة حرس ، وأنها من قبيلة يقال لهم : بنو الشيصان ، وأنها كانت عرجاء ، وكانت بقدر الذّيب"[٤].
قوله تعالى:{قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [النمل: ١٨]، أي:" قالت نملة: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يهلكنَّكم سليمان وجنوده، وهم لا يعلمون بذلك"[٥].
قال الطبري:يقول:" يقول: لا يكسرنكم ويقتلنكم سليمان وجنوده وهم لا يعلمون أنهم يحطمونكم"[٦].
قال ابن كثير:" أي : خافت على النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها ، فأمرتهم بالدخول إلى مساكنها ففهم ذلك سليمان ، عليه السلام ، منها "[٧].
قال نوف الحميري:"كان نمل سليمان مثل أمثال الذباب"[٨].
قال الشعبي:" النملة التي فقه سليمان كلامها كانت ذات جناحين"[٩].
وفقال الشعبي:" النملة من الطير ولولا ذلك لم يعرف سليمان ما تقول ذلك"[١٠].
قال سفيان:" لو أن سليمان بن داود لم يقبله بالذي ينبغي لساخت به الأرض خمسمائة قامة حين قالت النملة: {يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم}، قال: {فتبسم ضاحكا من قولها}، وقال: {رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي}"[١١].
عن أبي الصديق الناجي قال: "خرج سليمان بن داود يستسقي فإذا هو بنملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول: اللهم أنا خلق من خلقك لا غنى بنا، عن سقياك، وإلا تسقنا تهلكنا، فقال سليمان: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم"[١٢].
قوله تعالى:{فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا} [النمل: ١٩]، أي:" فتبسم ضاحكًا من قول هذه النملة لفهمها واهتدائها إلى تحذير النمل"[١٣].
قال الطبري:يقول:" فتبسم سليمان ضاحكا من قول النملة التي قالت ما قالت"[١٤].
عن الحكم بن عطية قال: "سألت محمد بن سيرين، عن التبسم في الصلاة؟ فقال: ما أراه إلا ضحكا، ثم قرأ: {فتبسم ضاحكا من قولها}"[١٥].
قوله تعالى:{وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ} [النمل: ١٩]، أي:وقال:" ربِّ ألْهِمْني، ووفقني، أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ"[١٦].

---

(١) تفسير الطبري:٤٣٩/١٩.
(٢) تفسير ابن كثير:١٨٣/٦.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٩٨):ص٢٨٥٧/٩.
(٤) رواه ابن عساكر كما في تفسير ابن كثير:١٨٣/٦.
(٥) التفسير الميسر:٣٧٨.
(٦) تفسير الطبري:٤٣٩/١٩.
(٧) تفسير ابن كثير:١٨٣/٦.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٠٢):ص٢٨٥٧/٩-٢٨٥٨.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦١٩٩):ص٢٨٥٧/٩.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٠١):ص٢٨٥٧/٩.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٠٤):ص٢٨٥٨/٩.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٠٣):ص٢٨٥٨/٩.
(١٣) التفسير الميسر:٣٧٨.
(١٤) تفسير الطبري:٤٤٠/١٩.
(١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٠٥):ص٢٨٥٨/٩.
(١٦) التفسير الميسر:٣٧٨.

قال ابن كثير:" أي : ألهمني أن أشكر نعمتك التي مننت بها علي ، من تعليمي منطق الطير والحيوان ، وعلى والدي بالإسلام لك ، والإيمان بك "[١].

قال الطبري:" يعني بقوله {أوزعني} ألهمني"[٢].

عن ابن عباس، قوله: "{قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك}، يقول: اجعلني"[٣].

عن قتادة: "{رب أوزعني أن أشكر}: ألهمني أن أشكر {نعمتك}"[٤]. وروي عن السدي مثله[٥].

قال ابن زيد:" في كلام العرب، تقول: أوزع فلان بفلان، يقول: حرض عليه. وقال ابن زيد: {أوزعني} ألهمني وحرضني على أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي"[٦].

عن ابن عمر، قال: "قال سفيان: لو أن ابن آدم داود لم يقبله بالذي ينبغي لساخت به الأرض خمسمائة قامة حين قالت النملة: {يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم} قال: {فتبسم ضاحكا من قولها}، وقال :{رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ} الآية. فقال له رجل حراث من الحراثين: لأنا بقدرتي أشكر لك منك، قال: فخر، عن فرسه ساجدا، وقال لولا أن يكون، قال ابن عمر: ثم تكلم سفيان بكلمة لم أفهمها. لقلت: انزع مني ما أعطيتني، قال: وكان يشغله ذكر الله، عن أن يتكلم"[٧].

قوله تعالى:{وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ} [النمل: ١٩]، أي: ووفقني" أن أعمل عملا صالحًا ترضاه مني"[٨].

قال الطبري:" يقول: وأوزعني أن أعمل بطاعتك وما ترضاه"[٩].

قال ابن كثير:" أي : عملا تحبه وترضاه "[١٠].

قوله تعالى:{وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} [النمل: ١٩]، أي:" وأدخلني برحمتك في نعيم جنتك مع عبادك الصالحين الذين ارتضيت أعمالهم"[١١].

قال الطبري:" يقول: وأدخلني برحمتك مع عبادك الصالحين، الذين اخترتهم لرسالتك وانتخبتهم لوحيك، يقول: أدخلني من الجنة مداخلهم"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : إذا توفيتني فألحقني بالصالحين من عبادك ، والرفيق الأعلى من أوليائك"[١٣].

عن ابن زيد، قوله:"{وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين}، قال: مع عبادك الصالحين الأنبياء والمؤمنين"[١٤].

فوائد الآيات:[١٥-١٩]:

١- وجوب الشكر على النعم.

٢- في الآية دليل على شرف العلم، وارتفاع أهله.

٣- وراثة سليمان لداوود لم تكن في المال لأن الأنبياء لا يورثون وإنما كانت في النبوة والملك.

---

(١) تفسير ابن كثير:١٨٣/٦.
(٢) تفسير الطبري:٤٤٠/١٩.
(٣) أخرجه الطبري:٤٤٠/١٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٠٧):ص٢٨٥٨/٩.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٢٨٥٨/١٩. بدون سند.
(٦) أخرجه الطبري:٤٤٠/١٩.
(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٠٩):ص٢٨٥٩/٩.
(٨) التفسير الميسر:٣٧٨.
(٩) تفسير الطبري:٤٤٠/١٩.
(١٠) تفسير ابن كثير:١٨٣/٦.
(١١) التفسير الميسر:٣٧٨.
(١٢) تفسير الطبري:٤٤٠/١٩.
(١٣) تفسير ابن كثير:١٨٣/٦.
(١٤) أخرجه الطبري:٤٤٠/١٩.

٤- آية تعليم الله تعالى سليمان منطق الطير وتسخير الجن والشياطين له.
٥- فضل النمل على كثير من المخلوقات ظهر في نصح النملة لأخواتها وشفقتها عليهن.
٦- ذكاء النمل وفطنته مما أضحك سليمان متعجبا منه.
٧- وجوب الشكر عند مشاهدة النعمة ورؤية الفضل من الله عز وجل.
٨- تقرير النبوة المحمدية إذ مثل هذا الحديث لا يتأتى له إلا بالوحي الإلهي.

القرآن

{وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١)} [النمل: ٢٠-٢١]

التفسير:

وتفقد سليمان حال الطير المسخرة له وحال ما غاب منها، وكان عنده هدهد متميز معروف فلم يجده، فقال: ما لي لا أرى الهدهد الذي أعهده؟ أسَتَره ساتر عني، أم أنه كان من الغائبين عني، فلم أره لغيبته؟ فلما ظهر أنه غائب قال: لأعذبنَّ هذا الهدهد عذابًا شديدًا لغيابه تأديبًا له، أو لأذبحنَّه عقوبة على ما فعل حيث أخلَّ بما سُخِّر له، أو ليأتيَنِّي بحجة ظاهرة، فيها عذر لغيبته.

قوله تعالى:{وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ} [النمل: ٢١]، أي:" وبحث سليمان وفتش عن جماعة الطير"[١].

قال أبو مجلز: "جلس ابن عباس إلى عبد الله بن سلام، فسأله عن الهدهد: لم تفقده سليمان من بين الطير فقال عبد الله بن سلام: إن سليمان نزل منزلة في مسير له، فلم يدر ما بعد الماء، فقال: من يعلم بعد الماء؟ قالوا: الهدهد، فذاك حين تفقده"[٢].

قال ابن عباس:" كان سليمان بن داود يوضع له ست مائة كرسي، ثم يجيء أشراف الإنس فيجلسون مما يليه، ثم تجيء أشراف الجن فيجلسون مما يلي الإنس قال: ثم يدعو الطير فتظلهم، ثم يدعو الريح فتحملهم، قال: فيسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر، قال: فبينا هو في مسيره إذ احتاج إلى الماء وهو في فلاة من الأرض، قال: فدعا الهدهد، فجاءه فنقر الأرض، فيصيب موضع الماء، قال: ثم تجيء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الإهاب، قال: ثم يستخرجون الماء. فقال له نافع بن الأزرق: قف يا وقاق، أرأيت قولك الهدهد يجيء فينقر الأرض، فيصيب الماء، كيف يبصر هذا، ولا يبصر الفخ يجيء حتى يقع في عنقه؟ قال: فقال له ابن عباس: ويحك إن القدر إذا جاء حال دون البصر"[٣].

وفي رواية، قال ابن عباس:" أتدرون كيف تفقد سليمان الهدهد، كان سليمان إذا كان في فلاة الأرض دعا الهدهد، فقال نافع بن الأزرق، يا ابن عباس، فإن الصبيان يأخذون الخيط فيدفنونه فيجيء الهدهد فيدخل رقبته فيه فيأخدونه فقال: ويحك يا نافع، ألم تعلم أنه إذا جاء القدر، ذهب الحذر"[٤].

قال ابن عباس:" تفقد الهدهد من أجل أنه كان يدله على الماء إذا ركب، وإن سليمان ركب ذات يوم فقال: أين الهدهد ليدلنا على الماء؟ فلم يجده؛ فمن أجل ذلك تفقده، فقال ابن عباس: إن الهدهد كان ينفعه الحذر ما لم يبلغه الأجل؛ فلما بلغ الأجل لم ينفعه الحذر، وحال القدر دون البصر"[٥].

وفي رواية عن يوسف بن ماهك: "أن ابن الأزرق يعني نافعا صاحب الأزارقة كان يأتي عبد الله بن عباس، فإذا أفتى ابن عباس فيرى هو أنه ليس بمستقيم، يقول له قف من أين

---

(١) صفوة التفاسير:٣٧٣/٢.
(٢) أخرجه الطبري:٤٤٠/١٩-٤٤١.
(٣) أخرجه الطبري:٤٤١/١٩.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢١١):ص٢٨٥٩/٩.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٤٢/٩.

أفتيت بكذا وكذا ومن أين كان؟ فيقول ابن عباس، أوقات من كذا، وكذا حتى ذكر يوما الهدهد فقال: قف كيف تزعم أن الهدهد يرى ماسفة الماء من تحت الأرض وقد يذر على الفخ التراب، فيصطاد؟ فقال ابن عباس، لولا أن يذهب هذا فيقول كذا وكذا فرددت عليه لم قال له شيئا، إن البصر ينفع ما لم يأت القدر، فإذا جاء القدر حال دون البصر، فقال ابن الأزرق: لا أجادلك بعدها في شيء من كتاب الله، أو قال في شيء"(١).

قال ابن زيد: "أول ما فقد سليمان الهدهد نزل بواد فسأل الإنس عن ماءه، فقالوا: ما نعلم له ماء، فإن يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالجن فدعا الجن فسألهم، فقالوا: ما نعلم له ماء وإن يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالطير، فدعا الطير فسألهم، فقالوا: ما نعلم له ماء، وإن يكن أحد من جنودك يعلمه فالهدهد، فلم يجده، قال: فذاك أول ما فقد الهدهد"(٢).

قال وهب بن منبه:" كان سليمان بن داود إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير، وقام له الجن والإنس حتى يجلس على سريره، حتى إذا كان ذات غداة في بعض زمانه غدا إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه، فتفقد الطير. وكان فيما يزعمون يأتيه نوبا من كل صنف من الطير طائر، فنظر فرأى من أصناف الطير كلها قد حضره إلا الهدهد، فقال: {ما لي لا أرى الهدهد}"(٣).

قال الطبري:" قال عبد الله: كان سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه ليستخبره عن بعد الماء في الوادي الذي نزل به في مسيره، وقال وهب بن منبه: كان تفقده إياه وسؤاله عنه لإخلاله بالنوبة التي كان ينوبها، والله أعلم بأي ذلك كان إذ لم يأتنا بأي ذلك كان تنزيل، ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح، فالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن سليمان أنه تفقد الطير، إما للنوبة التي كانت عليها وأخلت بها، وإما لحاجة كانت إليها عن بعد الماء"(٤).

قال ان كثير:"ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي عبد الله البَرْزيّ - من أهل "بَرْزَةَ" من غوطة دمشق ، وكان من الصالحين يصوم يوم الاثنين والخميس ، وكان أعور قد بلغ الثمانين - فروى ابن عساكر بسنده إلى أبي سليمان بن زيد : أنه سأله عن سبب عَوَره ، فامتنع عليه ، فألح عليه شهورًا ، فأخبره أن رجلين من أهل خراسان نزلا عنده جمعة في قرية برزة ، وسألاه عن وادٍ بها ، فأريتهما إياه ، فأخرجا مجامر وأوقدا فيها بخورًا كثيرًا ، حتى عجعج الوادي بالدخان ، فأخذا يَعْزمان والحيات تقبل من كل مكان إليهما ، فلا يلتفتان إلى شيء منها ، حتى أقبلت حية نحو الذراع ، وعيناها توقدان مثل الدينار. فاستبشرا بها عظيما ، وقالا الحمد لله الذي لم يُخَيب سفرنا من سنة ، وكسرا المجامر ، وأخذا الحية فأدخلا في عينها ميلا فاكتحلا به ، فسألتهما أن يكحلاني ، فأبيا ، فألححت عليهما وقلت : لا بد من ذلك ، وتوعدتهما بالدولة ، فكحلا عيني الواحدة اليمنى ، فحين وقع في عيني نظرت إلى الأرض تحتي مثل المرآة ، أنظر ما تحتها كما تُري المرآة ، ثم قالا لي : سر معنا قليلا فسرت معهما وهما يحدثان ، حتى إذا بعدت عن القرية ، أخذاني فكتفاني ، وأدخل أحدهما يده في عيني ففقأها ، ورمى بها ومضيا. فلم أزل كذلك ملقى مكتوفًا ، حتى مر بي نفر ففَكّ وَثَاقي. فهذا ما كان من خبر عيني"(٥).

قوله تعالى:{فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ} [النمل: ٢١]، أي:" لم لا أرى الهُدهد هاهنا؟"(٦).

قال وهب بن منبه:" أخطأه بصري في الطير"(٧).

قال الطبري:يعني: " أخطأه بصري فلا أراه وقد حضر"(١).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢١٣):ص٢٨٥٩/٩-٢٨٦٠.
(٢) أخرجه الطبري:٤٤١/١٩-٤٤٢.
(٣) أخرجه الطبري:٤٤١/١٩.
(٤) تفسير الطبري:٤٤٢/١٩.
(٥) تفسير ابن كثير:١٨٥/٦، وانظر الخبر في: تاريخ دمشق (١٣٠/١٩ "المخطوط")
(٦) صفوة التفاسير:٣٧٣/٢.
(٧) اخرجه الطبري:٤٤٢/١٩.

قال سفيان: كان سليمان إذا جلس صفت الطير على رأسه تظله من الشمس، وكان الهدهد فوقها كان يسير هذا المكان منه يعني المنكب الأيمن فوجد حر الشمس قد دخلت عليه من ذلك الموضع فرفع رأسه فتفقد الهدهد فسأل عنه: فقال: {ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين}"(٢).

قال الحسن:" اسم هدهد سليمان عليه السلام : عنبر"(٣).

قوله تعالى:{أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ} [النمل: ٢١]، أي:" أم أنه كان من الغائبين عني، فلم أره لغيبته؟"(٤).

قال وهب بن منبه:" أم غاب فلم يحضر؟"(٥).

قال الطبري:يعني: " أم هو غائب فيما غاب من سائر أجناس الخلق فلم يحضر؟"(٦).

قوله تعالى:{ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا} [النمل: ٢١]، أي:" لأعقبنه عقاباً أليماً"(٧).

قال الطبري: " يقول: فلما أخبر سليمان عن الهدهد أنه لم يحضر، وأنه غائب غير شاهد، أقسم {لأعذبنه عذابا شديدا} وكان تعذيبه الطير فيما ذكر عنه إذا عذبها أن ينتف ريشها"(٨).

عن ابن عباس، قوله: "{لأعذبنه عذابا شديدا}، قال: نتف ريشه"(٩).

وقال مجاهد:" نتفه وتشميسه"(١٠).

وقال مجاهد:" نتف ريش الهدهد كله، فلا يغفو سنة"(١١).

وقال يزيد بن رومان:" نتف جناحه"(١٢).

قال ابن زيد: قيل لبعض أهل العلم: هذا الذبح، فما العذاب الشديد؟ قال: نتف ريشه بتركه بضعة تنزو"(١٣).

وقال أبو الأسمر:" أن ينتف ريشه ويضربه بسوط"(١٤).

قال مجاهد:" إنما دفع الله عنه، يعني الهدهد ببره والدته"(١٥).

قوله تعالى:{أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ} [النمل: ٢١]، أي:" أو لأذبحنَّه عقوبة على ما فعل"(١٦).

قال الضحاك:" يقول: أو لأقتلنه"(١٧).

قوله تعالى:{أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ} [النمل: ٢١]، أي:" أو ليأتيني بحجة واضحة تبيّن عذره"(١٨).

قال الطبري:" يقول: أو ليأتيني بحجة تبين لسامعها صحتها وحقيقتها"(١٩).

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٤٤٢.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٢١):ص٩/٢٨٦١.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٢٢):ص٩/٢٨٦١.
(٤) التفسير الميسر:٣٧٨.
(٥) اخرجه الطبري:١٩/٤٤٢.
(٦) تفسير الطبري:١٩/٤٤٢.
(٧) صفوة التفاسير:٢/٣٧٣.
(٨) تفسير الطبري:١٩/٤٤٢.
(٩) أخرجه الطبري:١٩/٤٤٣.
(١٠) أخرجه الطبري:١٩/٤٤٣.
(١١) أخرجه الطبري:١٩/٤٤٣.
(١٢) أخرجه الطبري:١٩/٤٤٣.
(١٣) أخرجه الطبري:١٩/٤٤٣.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٢٨):ص٩/٢٨٦٢.
(١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٣٠):ص٩/٢٨٦٢.
(١٦) التفسير الميسر:٣٧٨.
(١٧) أخرجه الطبري:١٩/٤٤٤.
(١٨) صفوة التفاسير:٢/٣٧٣.
(١٩) تفسير الطبري:١٩/٤٤٤.

قال ابن عباس:" يقول: ببينة أعذره بها، وهو مثل قوله: {الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان}، يقول: بغير بينة"(١).

قال ابن عباس:" كل سلطان في القرآن فهو حجة"(٢).

قال عكرمة:" كل شيء في القرآن سلطان، فهو حجة"(٣).

قال عكرمة:" سمعت ابن عباس يقول: كل سلطان في القرآن فهو حجة، كان للهدهد سلطان"(٤).

عن ابن عباس: "{أو ليأتيني بسلطان مبين}، قال: خبر الحق، الصدق البين"(٥).

عن قتادة: "{أو ليأتيني بسلطان مبين}، قال: بعذر بين"(٦).

قال ابن زيد:" بعذر أعذره فيه"(٧).

قال وهب بن منبه:" أي: بحجة عذر له في غيبته"(٨).

قال الضحاك:" يقول: ببينة، وهو قول الله {الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان} بغير بينة"(٩).

قال سفيان :" وتفقد سليمان الهدهد، فقال: أين هو {لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه} الآية. فلما جاء الهدهد قيل له: ويحك ماذا قال فيك نبي الله- ﷺ-، قال: فما قال؟ قالوا: قال: {لأعذبنه عذابا شديدا}. قال: فهل استثنى؟ قالوا: نعم. {أو ليأتيني بسلطان مبين}، قال: فقد نجوت إذا"(١٠).

القرآن

{فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢)} [النمل: ٢٢]

التفسير:

فمكث الهدهد زمنًا غير بعيد ثم حضر فعاتبه سليمان على مغيبه وتخلُّفه، فقال له الهدهد: علمت ما لم تعلمه من الأمر على وجه الإحاطة، وجئتك من مدينة «سبأ» بـ «اليمن» بخبر خطير الشأن، وأنا على يقين منه.

قوله تعالى:{فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ} [النمل: ٢٢]، أي:" فأقام الهدهد زماناً يسيراً ثم جاء إلى سليمان"(١١).

قال الطبري:يقول: " فمكث سليمان غير طويل من حين سأل عن الهدهد، حتى جاء الهدهد"(١٢).

قال ابن كثير:" أي : غاب زمانًا يسيرًا ، ثم جاء"(١٣).

وقرئ:« فمكث» بضم الكاف(١٤).

---

(١) أخرجه الطبري:٤٤٤/١٩.
(٢) أخرجه الطبري:٤٤٤/١٩.
(٣) أخرجه الطبري:٤٤٤/١٩.
(٤) أخرجه الطبري:٤٤٤/١٩.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٣٥):ص٢٨٦٣/٩.
(٦) أخرجه الطبري:٤٤٤/١٩.
(٧) أخرجه الطبري:٤٤٥/١٩.
(٨) أخرجه الطبري:٤٤٤/١٩.
(٩) أخرجه الطبري:٤٤٤/١٩.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٣٤):ص٢٨٦٣/٩.
(١١) صفوة التفاسير:٣٧٣/٢.
(١٢) تفسير الطبري:٤٤٥/١٩.
(١٣) تفسير ابن كثير:١٨٦/٦.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٤٤٥/١٩.

قوله تعالى:{فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ} [النمل: ٢٢]، أي:" اطلعت على ما لم تطّلع عليه وعرفت ما لم تعرفه"[١].

قال الطبري: " يقول: فقال الهدهد حين سأله سليمان عن تخلفه وغيبته: أحطت بعلم ما لم تحط به أنت يا سليمان"[٢].

قال ابن كثير:" أي : اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك "[٣].

قال وهب بن منبه:" ثم جاء الهدهد، فقال له سليمان: ما خلفك عن نوبتك؟ قال: أحطت بما لم تحط به"[٤].

عن ابن زيد، قوله: "{أحطت بما لم تحط}، قال: ما لم تعلم"[٥].

قال سفيان:" يقول علمت ما لم تحط به وما لم تعلم به"[٦].

قال ابن عباس:" أطلعت على ما لم تطلع عليه"[٧].

قال قتادة:" أي: بلغت ما لم تبلغ أنت ولا جنودك"[٨].

قوله تعالى:{وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ} [النمل: ٢٢]، أي:" وجئتك من مدينة «سبأ» بـ «اليمن» بخبر خطير الشأن، وأنا على يقين منه"[٩].

قال الطبري: " يقول: وجئتك من سبإ بخبر يقين"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : بخبر صدق حق يقين. وسبأ : هم : حِمْير ، وهم ملوك اليمن"[١١].

عن ابن عباس وجئتك من سبإ بنبأ يقين قال الخبر الحق"[١٢].

قال وهب بن منبه:" أي: أدركت ملكا لم يبلغه ملكك"[١٣].

قال قتادة: "وسبأ بأرض اليمن يقال له مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام"[١٤].

قال السدي:" بعث إلى سبأ اثنا عشر نبيا فسمى تبع لكثرة من تبعه"[١٥].

قال ابن لهيعة: "يقولون: إن مأرب مدينة بلقيس لم يكن بينها وبين بيت المقدس إلا ميل، فلما غضب الله عليها بعدها فهي اليوم باليمن وهي التي ذكر الله في القرآن: {لقد كان لسبإ في مسكنهم آية} حتى بلغ ذلك :{جزيناهم بما كفروا}"[١٦].

القرآن

{إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣)} [النمل: ٢٣]

التفسير:

إني وجدت امرأةً تحكم أهل «سبأ» ، وأوتيت من كل شيء من أسباب الدنيا، ولها سرير عظيم القدر، تجلس عليه لإدارة ملكها.

---

(١) صفوة التفاسير:٣٧٣/٢.
(٢) تفسير الطبري:٤٤٥/١٩.
(٣) تفسير ابن كثير:١٨٦/٦.
(٤)أخرجه الطبري:٤٤٥/١٩ .
(٥)أخرجه الطبري:٤٤٥/١٩ .
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٣٨):ص٢٨٦٤/٩.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٣٧):ص٢٨٦٤/٩.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٣٩):ص٢٨٦٤/٩.
(٩) التفسير الميسر:٣٧٨.
(١٠) تفسير الطبري:٤٤٥/١٩.
(١١) تفسير ابن كثير:١٨٦/٦.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٤٦):ص٢٨٦٥/٩.
(١٣)أخرجه الطبري:٤٤٥/١٩ .
(١٤) أخرجه ابن ابن أبي حاتم(١٦٢٤٢):ص٢٨٦٤/٩.
(١٥) أخرجه ابن ابن أبي حاتم(١٦٢٤٣):ص٢٨٦٤/٩.
(١٦) أخرجه ابن ابن أبي حاتم(١٦٢٤١):ص٢٨٦٤/٩.

قوله تعالى:{إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ} [النمل: ٢٣]، أي:" إني وجدت امرأةً تحكم أهل «سبأ»"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى مخبرا عن قيل الهدهد لسليمان مخبرا بعذره في مغيبه عنه: {إني وجدت امرأة تملكهم}، يعني: تملك سبأ، وإنما صار هذا الخبر للهدهد عذرا وحجة عند سليمان، درأ به عنه ما كان أوعد به؛ لأن سليمان كان لا يرى أن في الأرض أحدا له مملكة معه، وكان مع ذلك ﷺ رجلا حبب إليه الجهاد والغزو، فلما دله الهدهد على ملك بموضع من الأرض هو لغيره، وقوم كفرة يعبدون غير الله، له في جهادهم وغزوهم الأجر الجزيل، والثواب العظيم في الآجل، وضم مملكة لغيره إلى ملكه، حقت للهدهد المعذرة، وصحت له الحجة في مغيبه عن سليمان"(٢).

عن الحسن :"{إني وجدت امرأة تملكهم}، وهي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ"(٣).

قال زهير بن محمد:" وهي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان، وأمها فارعة الجنية"(٤).

قال ابن جريج:" بلقيس بنت ذي شريح وأمها بلقته"(٥).

عن مجاهد أن ابن عباس قال: "لصاحبة سليمان ألف قيل، تحت كل قيل مائة ألف"(٦).

قال مجاهد:" كان تحت يدي ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيل، تحت كل قيل مائة ألف مقاتل"(٧).

قال قتادة:" بلغني أنها امرأة تدعى بلقيس أحسبه، قال بنت: شراحيل أحد أبويها من الجن مؤخر إحدى قدميها، مثل حافر الدابة وكانت في بيت مملكة"(٨).

عن قتادة في قوله : "{ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ } : كانت في بيت مملكة، وكان أولوا مشورتها ثلاثمائة واثني عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف من الرجال، وكانت بأرض يقال لها مأرب على ثلاثة أيام من صنعاء"(٩).

قال ابن كثير:"وهذا القول هو أقرب ، على أنه كثير على مملكة اليمن ، والله أعلم"(١٠).

قال الضحاك:" فأنكر سليمان أن يكون لأحد على الأرض سلطان غيره"(١١).

قوله تعالى:{وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ} [النمل: ٢٣]، أي:" وأوتيت من كل شيء من أسباب الدنيا"(١٢).

قال الطبري:" يقول: وأوتيت من كل شيء يؤتاه الملك في عاجل الدنيا مما يكون عندهم من العتاد والآلة"(١٣).

قال ابن كثير:" أي : من متاع الدنيا ما يحتاج إليه الملك المتمكن "(١٤).

قال الحسن:" يعني: من كل أمر الدنيا"(١٥).

---

(١) التفسير الميسر:٣٧٩.
(٢) تفسير الطبري:٤٤٦/١٩.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٤٨):ص٢٨٦٥/٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٥٠):ص٢٨٦٥/٩.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٥١):ص٢٨٦٥/٩.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٥٢):ص٢٨٦٦/٩.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٥٣):ص٢٨٦٦/٩.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٤٩):ص٢٨٦٥/٩.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٥٤):ص٢٨٦٦/٩.
(١٠) تفسير ابن كثير:١٨٦/٦.
(١١)أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٥٥):ص٢٨٦٦/٩ .
(١٢) التفسير الميسر:٣٧٩.
(١٣) تفسير الطبري:٤٤٦/١٩.
(١٤) تفسير ابن كثير:١٨٦/٦.
(١٥) أخرجه الطبري:٤٤٧/١٩.

قال سفيان:" من أنواع الدنيا"[1].
قال السدي:" من كل شيء في أرضها"[2].
قوله تعالى:{وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ} [النمل: ٢٣]، أي:" ولها سرير عظيم القدر، تجلس عليه لإدارة ملكها"[3].
قال الطبري:" يقول: ولها كرسي عظيم. وعني بالعظيم في هذا الموضع: العظيم في قدره، وعظم خطره، لا عظمه في الكبر والسعة"[4].
قال ابن كثير:" يعني : سرير تجلس عليه عظيم هائل مزخرف بالذهب ، وأنواع الجواهر واللآلئ .. قال علماء التاريخ : وكان هذا السرير في قصر عظيم مشيد رفيع البناء محكم ، كان فيه ثلاثمائة وستون طاقة من شرقه ومثلها من غربه، قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة ، وتغرب من مقابلتها ، فيسجدون لها صباحًا ومساءً"[5].
قال قتادة:"عرشها سريرها"[6]. وروي عن عطاء الخراساني والسدي مثل ذلك[7].
عن الحسن قوله: "{ولها عرش عظيم}، يعني: سرير عظيم"[8].
عن زيد بن أسلم، في قول الله: "{ولها عرش عظيم}، قال: المجلس"[9].
قال سفيان: "العرش: الكرسي"[10].
عن ابن عباس، قوله: "{ولها عرش عظيم}، قال: سرير كريم، قال: حسن الصنعة، وعرشها: سرير من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ"[11].
عطاء الخراساني في قوله: "{ولها عرش عظيم}، قال: العرش السرير، والعظيم حسن الصنعة غالي الثمن"[12].
عن عطاء: "{ولها عرش عظيم}، قال: خشبه الذهب، وقوائمه الجوهر"[13].
قال ابن إسحاق:" كانت تجلس عليه وكان من ذهب مفصص بالياقوت، والزبرجد، واللؤلؤ، فجعل في سبعة أبيات بعضها في بعض ثم أقفلت عليه الأبواب وكانت إنما تخدمها النساء معها ستمائة امرأة يخدمنها"[14].

القرآن
{وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤)} [النمل: ٢٤]
التفسير:
وجدتُها هي وقومها يعبدون الشمس معرضين عن عبادة الله، وحسَّن لهم الشيطان أعمالهم السيئة التي كانوا يعملونها، فصرفهم عن الإيمان بالله وتوحيده، فهم لا يهتدون إلى الله وتوحيده وعبادته وحده.

---
(١)أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٥٧):ص٢٨٦٦/٩ .
(٢)أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٥٦):ص٢٨٦٦/٩ .
(٣) التفسير الميسر:٣٧٩.
(٤) تفسير الطبري:٤٤٧/١٩.
(٥) تفسير ابن كثير:١٨٧/٦.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٥٨):ص٢٨٦٦/٩.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٨٦٦/٩. بدون سند.
(٨) أخرجه الطبري:٤٤٧/١٩.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٥٩):ص٢٨٦٦/٩-٢٨٦٧.
(١٠) اخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٦٠):ص٢٨٦٧/٩.
(١١) أخرجه الطبري:٤٤٧/١٩.
(١٢) اخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٦٢):ص٢٨٦٧/٩.
(١٣) اخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٦٣):ص٢٨٦٧/٩.
(١٤) اخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٦١):ص٢٨٦٧/٩.

قوله تعالى:{وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [النمل: ٢٤]، أي:" وجدتُها هي وقومها يعبدون الشمس معرضين عن عبادة الله"(١).

قال الطبري:" يقول: وجدت هذه المرأة ملكة سبأ، وقومها من سبأ، يسجدون للشمس فيعبدونها من دون الله"(٢).

قوله تعالى:{وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ} [النمل: ٢٤]، أي:" وحسَّن لهم الشيطان أعمالهم السيئة التي كانوا يعملونها"(٣).

قال الطبري:" يقول: وحسن لهم إبليس عبادتهم الشمس، وسجودهم لها من دون الله، وحبب ذلك إليهم"(٤).

قال ابن عباس:" وقد زين لهم إبليس أعمالهم"(٥).

قوله تعالى:{فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ} [النمل: ٢٤]، أي:" فصرفهم عن الإيمان بالله وتوحيده"(٦).

قال الطبري:" يقول: فمنعهم بتزيينه ذلك لهم أن يتبعوا الطريق المستقيم، وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه، ومعناه: فصدهم عن سبيل الحق"(٧).

قوله تعالى:{فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ} [النمل: ٢٤]، أي:" فهم لا يهتدون إلى الله وتوحيده وعبادته وحده"(٨).

قال الطبري:" يقول: فهم لما قد زين لهم الشيطان ما زين من السجود للشمس من دون الله والكفر به لا يهتدون لسبيل الحق ولا يسلكونه، ولكنهم في ضلالهم الذي هم فيه يترددون"(٩).
يترددون"(٩).

عن عكرمة، قوله: {لا يهتدون}، لا يعرفون"(١٠).

القرآن

{أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦)} [النمل: ٢٥-٢٦]

التفسير:

حسَّن لهم الشيطان ذلك؛ لئلا يسجدوا لله الذي يُخرج المخبوء المستور في السموات والأرض من المطر والنبات وغير ذلك، ويعلم ما تُسرُّون وما تظهرون. الله الذي لا معبود يستحق العبادة سواه، رب العرش العظيم الذي هو (١١) أعظم المخلوقات.

قوله تعالى:{أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [النمل: ٢٦]، أي:" حسَّن لهم الشيطان ذلك؛ لئلا يسجدوا لله الذي يُخرج المخبوء المستور في السموات والأرض من المطر والنبات وغير ذلك"(١٢).

قال ابن كثير:" معناه : { وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ أَلا يَسْجُدُوا لِلَّهِ }، أي : لا يعرفون سبيل الحق التي هي إخلاص السجود لله وحده دون ما خلق

---

(١) التفسير الميسر:٣٧٩.
(٢) تفسير الطبري:٤٤٧/١٩.
(٣) التفسير الميسر:٣٧٩.
(٤) تفسير الطبري:٤٤٧/١٩.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٦٦):ص٢٨٦٧/٩-٢٩٦٨.
(٦) التفسير الميسر:٣٧٩.
(٧) تفسير الطبري:٤٤٧/١٩.
(٨) التفسير الميسر:٣٧٩.
(٩) تفسير الطبري:٤٤٧/١٩.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٦٧):ص٢٩٦٨/٩.
(١١)قال مُعِدُّ الكتاب للشاملة: أي العرش.
(١٢) التفسير الميسر:٣٧٩.

من شيء من الكواكب وغيرها ، كما قال تعالى : { وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } [فصلت : ٣٧]"[١].

قال الطبري:" يعني بقوله: {يخرج الخبء} يخرج المخبوء في السموات والأرض من غيث في السماء، ونبات في الأرض ونحو ذلك"[٢].

قال ابن زيد:" خبء السماء والأرض ما جعل الله فيها من الأرزاق، والمطر من السماء، والنبات من الأرض، كانتا رتقا لا تمطر هذه، ولا تنبت هذه، ففتق السماء، وأنزل منها المطر، وأخرج النبات"[٣].

قال سعيد بن المسيب:" الخبء الماء"[٤].

عن مجاهد: "{يخرج الخبء في السماوات}، قال: الغيث"[٥].

عن مجاهد قوله: "{يخرج الخبء}: الغيب"[٦].

عن حكيم بن جابر، في قوله: "{ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض}، ويعلم كل خفية في السموات والأرض"[٧].

قال عكرمة:"الخبء السر"[٨].

عن معاذ بن عبد الله، قال: "رأيت ابن عباس على بغلة يسأل تبعا ابن امرأة كعب: هل سألت كعبا عن البذر تنبت الأرض العام لم يصب العام الآخر؟ قال: سمعت كعبا يقول: البذر ينزل من السماء ويخرج من الأرض، قال: صدقت"[٩].

وقرأ بعض القراء : "ألا يا اسجدوا لله" جعلها "ألا" الاستفتاحية ، و"يا" للنداء ، وحذف المنادى ، تقديره عنده : "ألا يا قوم ، اسجدوا لله"[١٠].

قوله تعالى:{وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} [النمل: ٢٦]، أي:" ويعلم ما تُسرُّون وما تظهرون"[١١].

قال ابن كثير:" أي : يعلم ما يخفيه العباد ، وما يعلنونه من الأقوال والأفعال. وهذا كقوله تعالى : { سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ } [الرعد : ١٠]"[١٢].

عن الحسن، "{يعلم ما تخفون وما تعلنون}، قال: في ظلمة الليل، وفي أجواف بيوتهم"[١٣].

قال ابن عباس:" يعلم ما عملوا بالليل والنهار"[١٤].

قوله تعالى:{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [النمل: ٢٦]، أي:" الله الذي لا معبود يستحق العبادة سواه"[١٥].

قال ابن كثير:" أي : هو المدعو الله ، وهو الذي لا إله إلا هو"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير:١٨٧/٦.
(٢) تفسير الطبري:٤٤٨/١٩.
(٣) أخرجه الطبري:٤٤٩/١٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٧٢):ص٢٨٦٨/٩.
(٥) أخرجه الطبري:٤٤٩/١٩.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٧٠):ص٢٨٦٨/٩.
(٧) أخرجه الطبري:٤٤٩/١٩.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٦٩):ص٢٨٦٨/٩.
(٩) أخرجه الطبري:٤٤٩/١٩.
(١٠) انظر: تفسير ابن كثير:١٨٧/٦.
(١١) التفسير الميسر:٣٧٩.
(١٢) تفسير ابن كثير:١٨٧/٦.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٧٥):ص٢٨٦٩/٩.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٧٤):ص٢٨٦٩/٩.
(١٥) التفسير الميسر:٣٧٩.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: الله الذي لا تصلح العبادة إلا له، لا إله إلا هو، لا معبود سواه تصلح له العبادة، فأخلصوا له العبادة، وأفردوه بالطاعة، ولا تشركوا به شيئا"[٢].

قال جابر بن زيد:" اسم الله الأعظم هو الله ألم تسمع أنه يقول: {هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم}"[٣].

قال محمد ابن إسحاق:"{الله لا إله إلا هو}، أي: ليس معه غيره شريك في أمره"[٤].

عن كعب قال: لا إله إلا الله، كلمة الإخلاص"[٥].

قوله تعالى:{رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} [النمل: ٢٦]، أي:" رب العرش العظيم الذي هو أعظم المخلوقات"[٦].

قال ابن كثير: أي : "رب العرش العظيم ، الذي ليس في المخلوقات أعظم منه"[٧].

قال الطبري:" يعني: مالك العرش العظيم الذي كل عرش، وإن عظم، فدونه، لا يشبهه عرش ملكة سبأ ولا غيره"[٨].

قال ابن زيد؛ في قوله: "{أحطت بما لم تحط به} إلى قوله: {لا إله إلا هو رب العرش العظيم}، هذا كله كلام الهدهد"[٩].

ولما كان الهدهد داعيا إلى الخير ، وعبادة الله وحده والسجود له ، نهي عن قتله ، كما في الحديث:«نهى رسول الله ﷺ عن قتل الصرد والضفدع والنملة والهدهد»[١٠].

فوائد الآيات:[٢٠-٢٦]:

١- مشروعية استعراض الجيوش وتفقد أحوال الرعية.

٢- مشروعية التعزير لمن خالف أمر السلطان بلا عذر شرعي.

٣- مشروعية اتخاذ طائرات الاستكشاف ودراسة جغرافية العالم.

٤- تحقيق قول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»[١١]. إذ لم يلبثوا أن غلب عليهم سليمان.

٥- بيان أن هناك من كانوا يعبدون الشمس إذ سجودهم لها عبادة.

٦- بيان أن الأحق بالعبادة هو الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم.

٧- مشروعية السجود لمن تلا هذه الآية أو استمع إلى تلاوتها: {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} .

القرآن

{قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨)} [النمل: ٢٧-٢٨]

---

(١) تفسير ابن كثير:١٨٨/٦.

(٢) تفسير الطبري:٤٤٩/١٩-٤٥٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٧٦):ص٢٨٦٩/٩.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٧٨):ص٢٨٦٩/٩.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٧٧):ص٢٨٦٩/٩.

(٦) التفسير الميسر:٣٧٩.

(٧) تفسير ابن كثير:١٨٨/٦.

(٨) تفسير الطبري:٤٥٠/١٩.

(٩) أخرجه الطبري:٤٥٠/١٩.

(١٠) مسند الإمام أحمد (٣٣٢/١) وسنن أبي داود برقم (٥٢٦٧) وسنن ابن ماجه برقم (٣٢٢٤)، من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما-. وهو بهذا اللفظ من حديث أبي هريرة في سنن ابن ماجه برقم (٣٢٢٣).

(١١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر: ١٣٦/٥، وكتاب الفتن: ٩٧/٨، والترمذي، كتاب الفتن: ٥٢٧/٤-٥٢٨ (٢٢٦٢) ، والنسائي/ باب النهي عن استعمال النساء في الحكم: ٢٢٧/٨، وأحمد: ٤٣/٥، ٥١.

التفسير:
قال سليمان للهدهد: سنتأمل فيما جئتنا به من الخبر أصدقت في ذلك أم كنت من الكاذبين فيه؟ اذهب بكتابي هذا إلى أهل «سبأ» فأعطهم إياه، ثم تنحَّ عنهم قريبًا منهم بحيث تسمع كلامهم، فتأمل ما يتردد بينهم من الكلام.

قوله تعالى:{قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [النمل: ٢٧]، أي:" قال سليمان للهدهد: سنتأمل فيما جئتنا به من الخبر أصدقت في ذلك أم كنت من الكاذبين فيه؟"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {قال} سليمان للهدهد: {سننظر} فيما اعتذرت به من العذر، واحتججت به من الحجة لغيبتك عنا، وفيما جئتنا به من الخير {أصدقت} في ذلك كله {أم كنت من الكاذبين} فيه"(٢).

قال الزمخشري:" {سننظر}: من النظر الذي هو التأمل والتصفح. وأراد: أصدقت أم كذبت، إلا أن كنت من الكاذبين أبلغ، لأنه إذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة، وإذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيم أخبر به فلم يوثق به"(٣).

قال السمعاني:" فيه دليل على أن الملوك يجب عليهم التثبت فيما يخبرون"(٤).

قوله تعالى:{اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ} [النمل: ٢٨]، أي:" اذهب بكتابي هذا إلى أهل «سبأ» فأعطهم إياه"(٥).

قال ابن عباس:" فانطلق بالكتاب، حتى إذا توسط عرشها ألقى الكتاب إليها"(٦).

قال الضحاك:" فمضى الهدهد بالكتاب حتى إذا حاذى بالملكة وهي على عرشها ألقى إليها بالكتاب"(٧).

قال مجاهد:" فكتب سليمان الكتاب، فأخذ بمنقاره فأتى بهوها فجعل يدور فيه. فقالت: ما رأيت حينا منذ رأيت هذا الطير في بهوي، فألقى الكتاب إليها فأخذته فإذا فيه: {إنه من سليمان وإنه بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين}"(٨).

قال قتادة:" ذكر لنا أنها امرأة من أهل اليمن كانت في بيت مملكة يقال لها بلقيس بنت شرحبيل، فهلك قومها فملكت، وأنها كانت إذا رقدت غلقت الأبواب وأوت إلى فراشها، أتاها الهدهد حتى دخل كوة بيتها فقذف الصحيفة على بطنها وبين ثدييها، فأخذت الصحيفة فقرأتها حتى إذا ارتفعت الشمس ولم تعلم ألقى الكتاب من الكوة فوقع عليها في مكانها الذي هي فيه، فأخذته وكانت امرأة لبيبة أديبة ببيت لملك لم يملك إلا لبقايا ملك من مضى، من أهلها قد سست وحسنت حتى أحكمها ذلك، وكانت ودينها ودين قومها فيما ذكر لي الزنديقية"(٩).

قوله تعالى:{ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ} [النمل: ٢٨]، أي:" ثم تنحَّ عنهم قريبًا منهم بحيث تسمع كلامهم، فتأمل ما يتردد بينهم من الكلام"(١٠).

قال الزمخشري:"{ تول عنهم}: تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه، ليكون ما يقولونه بمسمع منك. و{يرجعون}: من قوله تعالى :{يرجع بعضهم إلى بعض القول}، فيقال: دخل عليها من كوة فألقى الكتاب إليها وتوارى في الكوة.

---

(١) التفسير الميسر:٣٧٩.
(٢) تفسير الطبري:٤٥٠/١٩.
(٣) الكشاف:٣٦٣/٣.
(٤) تفسير السمعاني:٩١/٤.
(٥) التفسير الميسر:٣٧٩.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٨٥):ص٢٨٧٠/٩.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٨٦):ص٢٨٧٠/٩.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٨٤):ص٢٨٧٠/٩.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٨٨):ص٢٨٧٠/٩-٢٨٧١.
(١٠) التفسير الميسر:٣٧٩.

فإن قلت: لم قال: فألقه إليهم، على لفظ الجمع؟ قلت: لأنه قال: وجدتها وقومها يسجدون للشمس، فقال: فألقه إلى الذين هذا دينهم، اهتماما منه بأمر الدين، واشتغالا به عن غيره. وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك"[١].

عن ابن عباس، { ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ}، قال:" كن قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون"[٢].

عن زهير بن محمد، قوله: "{فألقه إليهم ثم تول عنهم}، يقول: تنح عنهم ناحية"[٣].

قال ابن زيد:" فأجابه سليمان، يعني أجاب الهدهد لما فرغ: {سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم}، وانظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم منصرفا إلي. وقال: وكانت لها كوة مستقبلة الشمس، ساعة تطلع الشمس تطلع فيها فتسجد لها، فجاء الهدهد حتى وقع فيها فسدها، واستبطأت الشمس، فقامت تنظر، فرمى بالصحيفة إليها من تحت جناحه، وطار حتى قامت تنظر الشمس"[٤].

قال الطبري:" فهذا القول من قول ابن زيد يدل على أن الهدهد تولى إلى سليمان راجعا بعد إلقائه الكتاب، وأن نظره إلى المرأة ما الذي ترجع وتفعل كان قبل إلقائه كتاب سليمان إليها"[٥].

عن وهب بن منبه، قوله: "{فألقه إليهم ثم تول عنهم}، أي: كن قريبا {فانظر ماذا يرجعون}"[٦].

قال الطبري:" وهذا القول أشبه بتأويل الآية؛ لأن مراجعة المرأة قومها، كانت بعد أن ألقي إليها الكتاب، ولم يكن الهدهد لينصرف وقد أمر بأن ينظر إلى مراجعة القوم بينهم ما يتراجعونه قبل أن يفعل ما أمره به سليمان"[٧].

قال السمعاني:" قالوا: فيه تقديم وتأخير ومعناه: ألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم، وقيل معناه: تول عنهم أي: تنح عنهم ثم أنظر ماذا يرجعون. قال بعضهم: علم الهدهد أدب الدخول على الملوك يعني: إذا دخل الداخل على الملك ينبغي أن لا يقف، بل يذهب في الحال ثم يرجع ويطلب الجواب"[٨].

القرآن

{قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩)} [النمل: ٢٩]

التفسير:

ذهب الهدهد وألقى الكتاب إلى الملكة فقرأته، فجمعت أشراف قومها، وسمعها تقول لهم: إني وصل إليَّ كتاب جليل المقدار من شخص عظيم الشأن.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فذهب الهدهد بكتاب سليمان إليها، فألقاه إليها فلما قرأته قالت لقومها: {يأيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم}..والملأ أشراف قومها"[٩].

قال ابن كثير:" وذلك أن سليمان ، عليه السلام ، كتب كتابًا إلى بلقيس وقومها. وأعطاه لذلك الهدهد فحمله ، قيل : في جناحه كما هي عادة الطير ، وقيل : بمنقاره. وذهب إلى بلادهم فجاء إلى قصر بلقيس ، إلى الخلوة التي كانت تختلي فيها بنفسها ، فألقاه إليها من كُوّة هنالك بين يديها ، ثم تولى ناحية أدبًا ورياسة ، فتحيرت مما رأت ، وهالها ذلك ، ثم عمدت إلى الكتاب

---

(١) الكشاف:٣٦٣/٣.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٨٩):ص٢٨٧١/٩.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٢٩٠):ص٢٨٧١/٩.
(٤) أخرجه الطبري:٤٥٠/١٩.
(٥) تفسير الطبري:٤٥٠/١٩.
(٦) أخرجه الطبري:٤٥١/١٩.
(٧) تفسير الطبري:٤٥١/١٩.
(٨) تفسير السمعاني:٩١/٤.
(٩) تفسير الطبري:٤٥١/١٩، ٤٥٢.

فأخذته ، ففتحت ختمه وقرأته ، فإذا فيه :{ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ}، فجمعت عند ذلك أمراءها ووزراءها وكبراء دولتها ومملكتها ، ثم قالت لهم : { يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ } تعني بكرمه : ما رأته من عجيب أمره ، كون طائر أتى به فألقاه إليها ، ثم تولى عنها أدبًا. وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك ، ولا سبيل لهم إلى ذلك ، ثم قرأته عليهم"(١).

قال وهب بن منبه:" كتب -يعني سليمان بن داود- مع الهدهد: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ من سليمان بن داود، إلى بلقيس بنت ذي سرح وقومها، أما بعد، فلا تعلو علي، وأتوني مسلمين، قال: فأخذ الهدهد الكتاب برجله، فانطلق به حتى أتاها، وكانت لها كوة في بيتها إذا طلعت الشمس نظرت إليها، فسجدت لها، فأتى الهدهد الكوة فسدها بجناحيه حتى ارتفعت الشمس ولم تعلم، ثم ألقى الكتاب من الكوة، فوقع عليها في مكانها الذي هي فيه، فأخذته"(٢).

قال قتادة: بلغني أنها امرأة يقال لها بلقيس، أحسبه قال: ابنة شراحيل، أحد أبويها من الجن، مؤخر أحد قدميها كحافر الدابة، وكانت في بيت مملكة، وكان أولو مشورتها ثلاث مائة واثني عشر كل رجل منهم على عشرة آلاف، وكانت بأرض يقال لها مأرب، من صنعاء على ثلاثة أيام؛ فلما جاء الهدهد بخبرها إلى سليمان بن داود، كتب الكتاب وبعث به مع الهدهد، فجاء الهدهد وقد غلقت الأبواب، وكانت تغلق أبوابها وتضع مفاتيحها تحت رأسها، فجاء الهدهد فدخل من كوة، فألقى الصحيفة عليها، فقرأتها، فإذا فيها: {إنه من سليمان وإنه بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين} وكذلك كانت تكتب الأنبياء لا تطنب، إنما تكتب جملا"(٣).

قال يزيد بن رومان:" قرأت سمعت كتابا ليس من كتب الملوك التي كانت قبلها، فبعثت إلى المقاولة من أهل اليمن"(٤).

قال السدي:" فانطلق الهدهد، فارتفع حتى تغيب في السماء حذاها، ثم أرسل الكتاب فوقع في حجرها، فلما رأته ظنت أنه من عند الله ودلت قبل أن تقرأه، فقالت: {إني ألقي إلي كتاب كريم}"(٥).

قال ابن عباس:" فلما ألقى الكتاب إليها سقط في خلدها أنه كتاب كريم أشفقت منه فقالت لملأها: {يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم}"(٦).

عن السدي، قوله: "{إني ألقي إلي كتاب كريم}، قال: مختوم"(٧).

قال زهير بن محمد: "ثم قالت: يا أيها الملأ، تريد قومها"(٨). قوله:"{إني ألقي إلي كتاب كريم}، أشفقت منه تريد مختوم، وكذلك الملوك تختم كتبها لا تجيز بينها كتابا إلا بخاتم"(٩).

وعن قتادة، قوله: "{إني ألقي إلي كتاب كريم}، قال: يقول حسن ما فيه"(١٠).

وحكي السمعاني:{ كتاب كريم}، أي:" كريم كاتبه ومرسله"(١١).

قال الزمخشري:" كريم حسن مضمونه وما فيه، أو وصفته بالكرم، لأنه من عند ملك كريم أو مختوم.

قال ﷺ: «كرم الكتاب ختمه»(١٢).

---

(١) تفسير ابن كثير:١٨٨/٦.
(٢) أخرجه الطبري:٤٥١/١٩.
(٣) أخرجه الطبري:٤٥٢/١٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٩٣):ص٢٨٧١/٩.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٩٦):ص٢٨٧٢/٩.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٩٧):ص٢٨٧٢/٩.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٩٨):ص٢٨٧٢/٩.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٩٢):ص٢٨٧١/٩.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٩٩):ص٢٨٧٢/٩.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٠٠):ص٢٨٧٢/٩.
(١١) تفسير السمعاني:٩٢/٤.
(١٢)أخرجه الطبراني في الأوسط من رواية محمد بن مروان. وهو السدى الصغير عن ابن جريج عن عطاء عن

وكان ﷺ يكتب إلى العجم، فقيل له: "إنهم لا يقبلون إلا كتابا عليه خاتم، فاصطنع خاتما"(١).
وعن ابن المقفع: "من كتب إلى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به"(٢).

القرآن
{إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١)} [النمل: ٣٠-٣١]
التفسير:
ثم بيَّنت ما فيه فقالت: إنه من سليمان، وإنه مفتتح بـ «بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ» ألا تتكبروا ولا تتعاظموا عما دعوتكم إليه، وأقْبِلوا إليَّ منقادين لله بالوحدانية والطاعة مسلمين له.
قوله تعالى:{ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [النمل: ٣٠]، أي:" إن هذا الكتاب مرسل من سليمان، وإنه مفتتح بـ «بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ»"(٣).
قال ابن كثير:" فعرفوا أنه من نبي الله سليمان ، وأنه لا قبَل لهم به. وهذا الكتاب في غاية البلاغة والوجازة والفصاحة ، فإنه حَصّل المعنى بأيسر عبارة وأحسنها ، قال العلماء : ولم يكتب أحد { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } قبل سليمان ، عليه السلام"(٤).
قال السدي:" فلما فتحته وجدته من سليمان، فقالت: هو من عند سليمان وفيه: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ"(٥).
قال يزيد بن رومان:" كتب معه :«بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ من سليمان بن داود إلى بلقيس بن ذي شرح وقومها»"(٦).
قال ابن عباس:" فانطلق بالكتاب حتى إذا توسط عرشها، ألقى الكتاب إليها فقرئ عليها فإذا فيه: {إنه من سليمان وإنه بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ}"(٧).
عن ميمون بن مهران،" أن النبي ﷺ كان يكتب: باسمك اللهم حتى نزلت :{إنه من سليمان وإنه بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ}، فقالت العرب: وما الرحمن الرحيم؟ فأنزل الله عز وجل: {قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى}"(٨).
عن ابن بريدة، عن أبيه قال: "كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فقال: إني أعلم آية لم تنزل على نبي قبلي بعد سليمان بن داود. قال: فقلت يا رسول الله أي آية قال: سأعلمكها قبل أن أخرج من المسجد. قال: فانتهى إلى الباب فأخرج إحدى قدميه. فقلت: نسي ثم التفت إلي فقال: {إنه من سليمان وإنه بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ}"(٩).
قال الشعبي:" كان أهل الجاهلية يكتبون باسمك اللهم فكتب النبي- ﷺ- ولم يسم الله فلما نزلت: {قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن}، كتب: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ. فكتبها النبي- ﷺ-"(١٠).
قال مجاهد:" لم يكن في كتاب سليمان إلى صاحبة سبأ إلا ما روي في القرآن: {إنه من سليمان وإنه بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ}"(١١).

ابن عباس. وأخرجه القضاعي في مسند البيهقي.
(١)متفق عليه من رواية قتادة عن أنس قال: أراد أن يكتب ... فذكره ، انظر: هامش: الكشاف:٣٦٣/٣.
(٢) الكشاف:٣٦٣/٣.
(٣) التفسير الميسر:٣٧٩، وصفوة التفاسير:٣٧٤/٢.
(٤) تفسير ابن كثير:١٨٨/٦.
(٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٠١):ص٢٨٧٢/٩.
(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٠٢):ص٢٨٧٢/٩-٢٨٧٣.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٩٤):ص٢٨٧٢/٩.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٠٣):ص٢٨٧٣/٩.
(٩) اخرجه ابن أبي حاتم(١٦٣٠٦):ص٢٨٧٣/٩.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٠٤):ص٢٨٧٣/٩.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٠٥):ص٢٨٧٣/٩.

قوله تعالى:{أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ} [النمل: ٣١]، أي:" ألا تتكبروا ولا تتعاظموا عما دعوتكم إليه"[١].

قال الطبري:معناه:" ألا تتكبروا ولا تتعاظموا عما دعوتكم إليه"[٢].

قال السدي:" يقول: لا تجرئوا عليّ"[٣].

عن قتادة قوله: "{ألا تعلوا علي}: ألا تخالفوا علي"[٤].

قال سفيان:" يقول: لا تأبوا علي"[٥].

قال زهير بن محمد:" يقول: لا تعصوني"[٦].

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قوله: "{ألا تعلوا}، قال: تمتنعوا من الذي دعوتكم إليه إن امتنعتم جاهدتكم قيل له: ألا تعلوا علي ألا تتكبروا علي، قال: نعم"[٧].

قوله تعالى:{وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ} [النمل: ٣١]، أي:" وأقْبِلوا إليَّ منقادين لله بالوحدانية والطاعة مسلمين له"[٨].

قال الطبري:" يقول: وأقبلوا إلي مذعنين لله بالوحدانية والطاعة"[٩].

عن ابن عباس: "{مسلمين}، يقول: موحدين"[١٠].

قال زهير بن محمد: "يقول: مخلصين"[١١].

قال سفيان:" طائعين"[١٢].

عن قتادة قوله: "{ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين}، قال: وكذلك كان يكتب الأنبياء جملا لا يسهبون، ولا يكثرون"[١٣].

قال ابن جريج:" لم يزد سليمان على ما قص الله في كتابه إنه وإنه"[١٤].

قال منصور:" كان يقال: كان سليمان بن داود أبلغ الناس في كتاب، وأقله إملاء ثم قرأ: {إنه من سليمان وإنه بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين}"[١٥].

فوائد الآيات:[٢٧-٣١]:

١- مشروعية الاختبار وإجراء التحقيق مع المتهم.

٢- مشروعية استخدام السلطان أفراد رعيته لكفاية المستخدم.

٣- مشروعية إرسال العيون للتعرف على أحوال العدو وما يدور عنده.

٤- مشروعية كتابة بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ في الرسائل والكتب الهامة ذات البال لدلالتها على توحيد الله تعالى وأنه رحمن رحيم، وأن الكاتب يكتب بإذن الله تعالى له بذلك.

القرآن

---

(١) التفسير الميسر:٣٧٩، وصفوة التفاسير:٣٧٤/٢.
(٢) تفسير الطبري:٤٥٣/١٩.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٠٨):ص٢٨٧٤/٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٠٧):ص٢٨٧٤/٩.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٠٩):ص٢٨٧٤/٩.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣١٠):ص٢٨٧٤/٩.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣١١):ص٢٨٧٤/٩.
(٨) التفسير الميسر:٣٧٩، وصفوة التفاسير:٣٧٤/٢.
(٩) تفسير الطبري:٤٥٣/١٩.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣١٢):ص٢٨٧٤/٩.
(١١)أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣١٣):ص٢٨٧٤/٩ .
(١٢)أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣١٢):ص٢٨٧٤/٩. هكذا الترقيم بالمطبوع!
(١٣)أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣١٣):ص٢٨٧٤/٩. هكذا الترقيم بالمطبوع!
(١٤) أخرجه الطبري:٤٥٢/١٩.
(١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣١٤):ص٢٨٧٤/٩.

{قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢)} [النمل: ٣٢]
التفسير:
قالت: يا أيها الأشراف أشيروا عليَّ في هذا الأمر، ما كنت لأفصل في أمر إلا بمحضركم ومشورتكم.

قوله تعالى:{قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي} [النمل: ٣٢]، أي:" قالت: يا أيها الأشراف أشيروا عليَّ في هذا الأمر"[١].

قال الطبري:" تقول: أشيروا علي في أمري الذي قد حضرني من أمر صاحب هذا الكتاب الذي ألقي إلي، فجعلت المشورة فتيا"[٢].

قال الزجاج:" أي: بينوا لي ما أعمل، و«الملأ»: وجوه القوم، الذين هم ملاء بما يحتاج إليه"[٣].

قال مقاتل:" {يا أيها الملأ}، يعنى: الأشراف، وهم: ثلاثمائة وثلاثة عشر قائدا مع كل قائد مائة ألف وهم أهل مشورتها"[٤].

عن زهير بن محمد، قوله: "{أفتوني في أمري}، تقول: أشيروا برأيكم"[٥].

قال ابن عباس:" فجمعت رؤوس مملكتها فشاورتهم فقالت إنه ألقي إلي كتاب كريم لأنها شاورتهم في أمرها فأجمع رأيهم ورأيها على أن يغزوه"[٦].

قوله تعالى:{مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ} [النمل: ٣٢]، أي:" ما كنت لأفصل في أمر إلا بمحضركم ومشورتكم"[٧].

قال مقاتل:" تقول: ما كنت قاضية أمرا حتى تحضرون"[٨].

قال الطبري:" تقول: ما كنت قاضية أمرا في ذلك حتى تشهدون، فأشاوركم فيه"[٩].

عن زهير بن محمد، قوله: "{ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون}، تريد حتى تشيرون"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : حتى تحضرون وتشيرون"[١١].

قال ابن زيد: دعت قومها تشاورهم: {ياأيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون}، يقول في الكلام: ما كنت لأقطع أمرا دونك ولا كنت لأقضي أمرا، فلذلك قالت: {ما كنت قاطعة أمرا}، بمعنى: قاضية"[١٢].

القرآن
{قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣)} [النمل: ٣٣]
التفسير:
قالوا مجيبين لها: نحن أصحاب قوة في العدد والعُدَّة وأصحاب النجدة والشجاعة في شدة الحرب، والأمر موكول إليكِ، وأنتِ صاحبة الرأي، فتأملي ماذا تأمريننا به؟ فنحن سامعون لأمرك مطيعون لك.

---

(١) التفسير الميسر:٣٧٩.
(٢) تفسير الطبري:٤٥٣/١٩.
(٣) معاني القرآن:١١٨/٤.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٣/٣.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣١٦):ص٢٨٧٥/٩.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣١٥):ص٢٨٧٥/٩.
(٧) التفسير الميسر:٣٧٩.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٤/٣.
(٩) تفسير الطبري:٤٥٣/١٩.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣١٧):ص٢٨٧٥/٩.
(١١) تفسير ابن كثير:١٨٩/٦.
(١٢) أخرجه الطبري:٤٥٣/١٩.

قوله تعالى:{قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ} [النمل: ٣٣]، أي:" قالوا مجيبين لها: نحن أصحاب قوة في العدد والعُدَّة"(١).

قال الطبري:" قال الملأ من قوم ملكة سبأ، إذ شاورتهم في أمرها وأمر سليمان: نحن ذوو القوة على القتال"(٢).

قال مقاتل:" يعني: عدة كثيرة في الرجال"(٣).

قال زهير بن محمد:" قالوا: نحن اثنا عشر ألف ملك مع كل ملك اثنا عشر ألف مستلم في السلاح"(٤).

قال ابن عباس:" فاجمع رأيهم ورأيها على أن تغزوه فخرجت وتركت سريرها في بيوت بعضها في أثر بعض"(٥).

قوله تعالى:{وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ} [النمل: ٣٣]، أي:" وأصحاب النجدة والشجاعة في شدة الحرب"(٦).

قال الطبري:" ونحن ذوو البأس الشديد في الحرب"(٧).

قال مقاتل:" يعني: الشجاعة"(٨).

قال ابن كثير:" أي : مَنوا إليها بعَدَدهم وعددهم وقوتهم "(٩).

قال ابن زيد:" عرضوا لها القتال، يقاتلون لها"(١٠).

قال مجاهد:" كان مع ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيول(١١) مع كل قيول مئة ألف"(١٢).

قال مجاهد:" كان تحت يدي ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيول تحت يدي كل قيول مائه ألف مقاتل، وهم الذين قالوا :{نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد}"(١٣).

قال الزجاج:" يروى أنه كان معها ألف قيل، و«القيل»: الملك، ومع كل قيل ألف رجل، وقيل مائة ألف رجل، وأكثر الرواية مائة ألف رجل"(١٤).

عن العباس بن الوليد: أخبرني أبي قال:" بلغني في قول الله: {نحن أولوا قوة وأولوا باس شديد}، نحن اثنا عشر ألف أسوار، مع كل واحد من الأسوار اثنا عشر ألف مستلم، والمستلم صاحب السلاح، فمن يحصي جيش هؤلاء كم كانوا. قال العباس، فذهبت أحصي كم كانوا فإذا هم ألف ألف ومائتي ألف قال أبي: وقد كان، ثم أعجب من هذا بلغني أن ذا القرنين كان إذا خرج غازيا تبعه من كل صنف الفعال سبعون ألف، وخرج نحو هذا الجبل فنزل فعسكره عرض هذا الجبل، قال: ومن ورائه ملكه فبلغها مقيمة، فخرجت في عسكرها فأحاطت بالجبل وبعسكر ذي القرنين"(١٥).

---

(١) التفسير الميسر:٣٧٩.
(٢) تفسير الطبري:٤٥٣/١٩.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٤/٣.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣١٩):ص٢٨٧٥/٩.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣١٨):ص٢٨٧٥/٩.
(٦) التفسير الميسر:٣٧٩.
(٧) تفسير الطبري:٤٥٣/١٩-٤٥٤.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٤/٣.
(٩) تفسير ابن كثير:١٨٩/٦.
(١٠) اخرجه الطبري:٤٥٤/١٩.
(١١)القيل بفتح فسكون: الملك الصغير في اليمن، وجمعه: أقيال وقيول.
(١٢) اخرجه الطبري:٤٥٤/١٩.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٢٠):ص٢٨٧٥/٩.
(١٤) معاني القرآن:١١٨/٤.
(١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٢٢):ص٢٨٧٦/٩.

قوله تعالى:{وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ} [النمل: ٣٣]، أي:" والأمر موكول إليكِ، وأنتِ صاحبة الرأي"(١).

قال ابن زيد:" والأمر إليك بعد هذا"(٢).

قال الطبري:" والأمر أيتها الملكة إليك في القتال وفي تركه"(٣).

قال مقاتل:" يقول: قد أخبرناك بما عندنا وما نجاوز ما تقولين"(٤).

قال ابن كثير:" ثم فوضوا إليها بعد ذلك الأمر فقالوا : { وَالأمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ } أي : نحن ليس لنا عاقة ولا بنا بأس ، إن شئت أن تقصديه وتحاربيه ، فما لنا عاقة عنه. وبعد هذا فالأمر إليك"(٥).

قوله تعالى:{فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ} [النمل: ٣٣]، أي:" فتأملي ماذا تأمريننا به؟ فنحن سامعون لأمرك مطيعون لك"(٦).

قال مقاتل:" يعني: ماذا تشيرين علينا"(٧).

قال الطبري:" فانظري من الرأي ما ترين، فمرينا نأتمر لأمرك"(٨).

قال ابن كثير:أي:" مري فينا برأيك نمتثله ونطيعه "(٩).

قال أيوب: "سمعت الحسن يقول: -وسئل عن هذه الآية: {والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين}- قال: ولو أمرهم عِلْجة تضطرب ثدياها"(١٠).

القرآن

{قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥)} [النمل: ٣٤-٣٥]

التفسير:

قالت محذرةً لهم من مواجهة سليمان بالعداوة، ومبيِّنة لهم سوء مغبَّة القتال: إن الملوك إذا دخلوا بجيوشهم قريةً عنوةً وقهرًا خرَّبوها وصيَّروا أعزَّة أهلها أذلة، وقتلوا وأسروا، وهذه عادتهم المستمرة الثابتة لحمل الناس على أن يهابوهم. وإني مرسلة إلى سليمان وقومه بهديَّة مشتملة على نفائس الأموال أصانعه بها، ومنتظرة ما يرجع به الرسل.

قوله تعالى:{قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا} [النمل: ٣٤]، أي:" إن الملوك إذا دخلوا بجيوشهم قريةً عنوةً وقهرًا خرَّبوها"(١١).

قال الطبري:" قالت صاحبة سبأ للملأ من قومها، إذ عرضوا عليها أنفسهم لقتال سليمان، إن أمرتهم بذلك: {إن الملوك إذا دخلوا قرية} عنوة وغلبة {أفسدوها}، يقول: خربوها"(١٢).

قال مقاتل:{ أَفْسَدُوهَا}، " يعني: أهلكوها"(١٣).

قال ابن عباس:" إذا دخلوها عنوة خربوها"(١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٧٩.
(٢) اخرجه الطبري:٤٥٤/١٩.
(٣) تفسير الطبري:٤٥٤/١٩.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٤/٣.
(٥) تفسير ابن كثير:١٨٩/٦.
(٦) التفسير الميسر:٣٧٩.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٤/٣.
(٨) تفسير الطبري:٤٥٤/١٩.
(٩) تفسير ابن كثير:١٨٩/٦.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٢٣):ص٢٨٧٦/٩.
(١١) التفسير الميسر:٣٧٩.
(١٢) تفسير الطبري:٤٥٤/١٩.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٤/٣.

عن ابن عباس، قوله: "{أفسدوها}، قال: أخربوها"[2].

قال ابن كثير:" فلما قالوا لها ما قالوا ، كانت هي أحزم رأيًا منهم ، وأعلم بأمر سليمان ، وأنه لا قبل لها بجنوده وجيوشه ، وما سُخِّر له من الجن والإنس والطير ، وقد شاهَدَت من قضية الكتاب مع الهدهد أمرًا عجيبًا بديعًا ، فقالت لهم : إني أخشى أن نحاربه ونمتنع عليه ، فيقصدنا بجنوده ، ويهلكنا بمن معه ، ويخلص إليّ وإليكم الهلاك والدمار دون غيرنا ؛ ولهذا قالت : { إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا }"[3].

قوله تعالى:{وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً} [النمل: ٣٤]، أي:" وصيَّروا أعزَّة أهلها أذلة بالقتل والأسر"[4].

قال مقاتل:" يعني: أهانوا أشرافها وكبراءها لكي يستقيم لهم الأمر"[5].

قال الطبري:" وذلك باستعبادهم الأحرار، واسترقاقهم إياهم"[6].

قال ابن كثير:" أي : وقصدوا من فيها من الولاة والجنود ، فأهانوهم غاية الهوان ، إما بالقتل أو بالأسر"[7].

قال الصابوني:"أي: أهانوا أشرافها وأذلوهم بالقتل والأسر والتشريد"[8].

عن أبي كريب، عن أبي بكر، قوله:"{وجعلوا أعزة أهلها أذلة}، قال: هذا عنوة"[9].

عن زهير بن محمد، قوله:"{وجعلوا أعزة أهلها أذلة}، قال: بالسيف"[10].

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} [النمل: ٣٤]، أي:" وهذه عادتهم وطريقتهم في كل بلدٍ يدخلونها قهرا"[11].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وكما قالت صاحبة سبأ تفعل الملوك، إذا دخلوا قرية عنوة"[12].

قال مقاتل:" يقول الله- عز وجل-: {وكذلك يفعلون} كما قالت"[13].

قال الزجاج:" {وكذلك يفعلون}، هو من قول الله عز وجل - والله أعلم - لأنها هي قد ذكرت أنهم يفسدون فليس في تكرير هذا منها فائدة"[14].

قال ابن عباس: "يقول الله: {وكذلك يفعلون}"[15].

قوله تعالى:{وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ} [النمل: ٣٥]، أي:" وإني مرسلة إلى سليمان وقومه بهديَّة مشتملة على نفائس الأموال أصانعه بها"[16].

قال مقاتل:" ثم قالت المرأة لأهل مشورتها وإني مرسلة إليهم بهدية أصانعهم على ملكي إن كانوا أهل دنيا"[17].

---

(١) أخرجه الطبري:٤٥٥/١٩.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٢٦):ص٢٨٧٦/٩.
(٣) تفسير ابن كثير:١٨٩/٦.
(٤) التفسير الميسر:٣٧٩.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٤/٣.
(٦) تفسير الطبري:٤٥٤/١٩.
(٧) تفسير ابن كثير:١٩٠/٦.
(٨) صفوة التفسير:٣٧٥/٢.
(٩) أخرجه الطبري:٤٥٥/١٩.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٢٧):ص٢٨٧٦/٩.
(١١) صفوة التفسير:٣٧٥/٢.
(١٢) تفسير الطبري:٤٥٤/١٩.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٤/٣.
(١٤) معاني القرآن:١١٩/٤.
(١٥) أخرجه الطبري:٤٥٥/١٩.
(١٦) التفسير الميسر:٣٧٩.
(١٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٠٤/٣.

قال الطبري:" ذكر أنها قالت: إني مرسلة إلى سليمان، لتختبره بذلك وتعرفه به، أملك هو، أم نبي؟ وقالت: إن يكن نبيا لم يقبل الهدية، ولم يرضه منا، إلا أن نتبعه على دينه، وإن يكن ملكا قبل الهدية وانصرف"(١).

قال ابن كثير:" ثم عدلت إلى المهادنة والمصالحة والمسالمة والمخادعة والمصانعة ، فقالت : { وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ } أي : سأبعث إليه بهدية تليق به"(٢).

قال الزجاج:" جاء في التفسير أنها أهدت سليمان لبنة ذهب في حرير، وقيل لبن ذهب في حرير، فأمر سليمان بلبنة ذهب فطرحت تحت الدواب، حيث تبول عليها الدواب وتروث، فصغر في أعينهم ما جاءوا به إلى سليمان، وقد ذكر أن الهدية قد كانت غير هذا، إلا أن قول سليمان: {أتمدونن بمال}، مما يدل على أن الهدية كانت مال"(٣).

قال قتادة:" قالت إني باعثة إليهم بهدية فمصانعتهم بها، عن ملكي إن كانوا أهل دنيا، قال: فبعثت إليهم بلبنة من ذهب في حريرة وديباج"(٤). وروي عن سعيد بن جبير وأبي صالح نحو حديث ابن عباس(٥).

قال ثابت البناني: "أهدت له صفائح الذهب في أوعية الديباج، فلما بلغ ذلك سليمان أمر الجن فموهوا له الآجر بالذهب، ثم أمر به فألقي في الطرق، فلما جاءوا فرأوه ملقى ما يلتفت إليه، صغر في أعينهم ما جاءوا به"(٦).

قال ابو صالح:" أرسلت بلبنة من ذهب، وقالت: إن كان يريد الدنيا علمته، وإن كان يريد الآخرة علمته"(٧).

وعن مجاهد، قوله: "{وإني مرسلة إليهم بهدية}، قال: بجوار لباسهم لباس الغلمان، وغلمان لباسهم لباس الجواري"(٨).

وقال ابن عباس:" بعثت إليه بوصائف ووصفاء، وألبستهم لباسا واحدا حتى لا يعرف ذكر من أنثى، فقالت: إن زيل بينهم حتى يعرف الذكر من الأنثى، ثم رد الهدية فإنه نبي، وينبغي لنا أن نترك ملكنا، ونتبع دينه، ونلحق به"(٩).

عن ابن جريج، قال: "قولها: {وإني مرسلة إليهم بهدية}، قال: مائتي غلام ومائتي جارية، قالت: فإن خلص الجواري من الغلمان، ورد الهدية فإنه نبي، وينبغي لنا أن نتبعه، قال ابن جريج، قال مجاهد: فخلص سليمان بعضهم من بعض، ولم يقبل هديتها"(١٠).

قال الضحاك:" بعثت بوصائف ووصفاء، لباسهم لباس واحد، فقالت: إن زيل بينهم حتى يعرف الذكر من الأنثى، ثم رد الهدية فهو نبي، وينبغي لنا أن نتبعه، وندخل في دينه؛ فزيل سليمان بين الغلمان والجواري، ورد الهدية، فقال :{أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم}"(١١).

قال ابن زيد: "وقالت: إن هذا الرجل إن كان إنما همته الدنيا فسنرضيه، وإن كان إنما يريد الدين فلن يقبل غيره"(١٢).

---

(١) تفسير الطبري:٤٥٥/١٩.
(٢) تفسير ابن كثير:١٩٠/٦.
(٣) معاني القرآن:١١٩/٤.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٣٢٩):ص٢٨٧٧/٩.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٨٧٧/٩. بدون سند.
(٦) أخرجه الطبري:٤٥٦/١٩.
(٧) أخرجه الطبري:٤٥٧/١٩.
(٨) أخرجه الطبري:٤٥٥/١٩-٤٥٦.
(٩) أخرجه الطبري:٤٥٥/١٩.
(١٠) أخرجه الطبري:٤٥٦/١٩.
(١١) أخرجه الطبري:٤٥٧/١٩.
(١٢) أخرجه الطبري:٤٥٦/١٩.

قال ابن زيد:"كان في الهدايا التي بعثت بها وصائف ووصفاء يختلفون في ثيابهم، ليميز الغلمان من الجواري، قال: فدعا بماء، فجعل الجواري يتوضأن من المرفق إلى أسفل، وجعل الغلمان يتوضئون من المرفق إلى فوق. قال: وكان أبي يحدثنا هذا الحديث"(١).

قال السدي:" قالت: إن هو قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه دون ملككم، وإن لم يقبل الهرية فهو نبي لا طاقة لكم بقتاله فبعثت إليه بهدية غلمان في هيئة الجواري وحليتهم وجواري في هيئة الغلمان ولباسهم، وبعثت إليه بلبنات من ذهب وبخرزة مثقوبة مختلفة، وبعثت إليه بقدح، فلما جاء سليمان الهدية أمر الشياطين فموهوا لبن المدينة وحيطانها ذهبا وفضة، فلما رأى ذلك رسلها قالوا: أين نذهب اللبنات في أرض هؤلاء وحيطانهم ذهب وفضة، فحبسوا اللبنات وأدخلوا عليه ما سوى ذلك وقالوا: أخرج لنا الغلمان من الجواري فأمرهم فتوضؤوا، فأخرج من الجواري الغلمان، أما الجارية فأفرغت على يدها، وأما الغلام فاغترف وقالوا أدخل لنا في هذه الخرزة خيطا، فدعا بالدساس فربط فيه خيطا، فأدخله فيها، فجال فيها، واضطرب حتى خرج من جانبه الآخر وقالوا، املأ لنا هذا القدح ماء ليس من الأرض ولا من السماء فأمر بالخيل، فأجريت حتى أزبدت مسح عرقها، فجعلوه فيه حتى ملأه وخرجت حين بعثت الهدية تريد القتال"(٢).

وقال عكرمة:" الهدية وصفا ووصائف ولبنة من ذهب"(٣).

وقال سعيد بن جبير:" كانت الهدية جوهرا"(٤).

قال وهب بن منبه:" كانت بلقيس امرأة لبيبة أديبة في بيت ملك، لم تملك إلا لبقايا من مضى من أهلها، إنه قد سيست وساست حتى أحكمها ذلك، وكان دينها ودين قومها فيما ذكر الزنديقية؛ فلما قرأت الكتاب سمعت كتابا ليس من كتب الملوك التي كانت قبلها، فبعثت إلى المقاولة من أهل اليمن، فقالت لهم: {ياأيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم إنه من سليمان وإنه بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين} إلى قوله {بم يرجع المرسلون} ثم قالت: إنه قد جاءني كتاب لم يأتني مثله من ملك من الملوك قبله، فإن يكن الرجل نبيا مرسلا فلا طاقة لنا به ولا قوة، وإن يكن الرجل ملكا يكاثر، فليس بأعز منا، ولا أعد. فهيأت هدايا مما يهدى للملوك، مما يفتنون به، فقالت: إن يكن ملكا فسيقبل الهدية ويرغب في المال، وإن يكن نبيا فليس له في الدنيا حاجة، وليس إياها يريد، إنما يريد أن ندخل معه في دينه ونتبعه على أمره، أو كما قالت"(٥).

قوله تعالى:{فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ} [النمل: ٣٥]، أي:" ومنتظرة ما يرجع به الرسل"(٦).

قال الطبري:" تقول: فأنظر بأي شيء من خبره وفعله في هديتي التي أرسلها إليه ترجع رسلي، أبقبول وانصراف عنا، أم برد الهدية والثبات على مطالبتنا باتباعه على دينه؟"(٧).

قال ابن كثير:" وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك ، فلعله يقبل ذلك ويكف عنا ، أو يضرب علينا خَرَاجا نحمله إليه في كل عام ، ونلتزم له بذلك ويترك قتالنا ومحاربتنا"(٨).

قال قتادة:" رحمها الله إن كانت لعاقلة في إسلامها وشركها، قد علمت أن الهدية تقع موقعا من الناس"(٩).

---

(١) أخرجه الطبري:٤٥٧/١٩.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٣٤):ص٢٨٧٨/٩.
(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٣٣):ص٢٨٧٨/٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٣٥):ص٢٨٧٨/٩.
(٥) أخرجه الطبري:٤٥٦/١٩-٤٥٧.
(٦) التفسير الميسر:٣٧٩.
(٧) تفسير الطبري:٤٥٧/١٩.
(٨) تفسير ابن كثير:١٩٠/٦.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٣٨):ص٢٨٧٩/٩.

قال أبو صالح:" أهدي له آنية أو لبنة أو قال: آنية من ذهب تجربة، قالت: إن كان يريد علمت فقال سليمان: {أتمدونن بمال}"[1].

قال يزيد بن رومان:" قالت: إنه قد جاءني كتاب لم يأتني مثله من ملك من الملوك قبله فإن يكن الرجل نبيا مرسلا فلا طاقة لنا به ولا قوة لنا به، وإن يكن الرجل ملكا يكابر فليس بأعز منا، ولا أعد فهيأت له هدايا مما تهدي للملوك مما يضنون به، فقالت: إن يكن ملكا فسيقبل الهدية ويرغب في المال، وإن يكن نبيا فليس له في الدنيا حاجة وليس إياها يريد إنما يريد أن يدخل معه في دينه ويتبع على أمره"[2].

قال ابن عباس:" فصارت حتى إذا كانت قريبة قالت: أرسل إليه بهدية فإن قبلها فهو ملكا أقاتله، وإن ردها تابعته فهو نبي، فلما دنت رسلها من سليمان خربها، فأمر الشياطين فموهوا له ألف قصر من ذهب وفضة فلما رأت رسلها قصور ذهب وفضة، قالوا: ما يصنع هذا بهديتنا، وقصوره ذهب وفضة"[3].

فوائد الآيات:[٣٢-٣٥]:

١- تقرير مبدأ الشورى في الحكم.

٢- مشروعية إبداء الرأي بصدق ونزاهة ثم ترك الأمر لأهله.

٣- مشروعية إعداد العدة وتوفير السلاح وتدرب الرجال على حمله واستعماله.

٤- دخول العدو المحارب الغالب البلاد عنوة ذو خطورة فلذا يتلافى الأمر بالمصالحة.

٥- بيان حسن سياسة الملكة بلقيس وفطنتها وذكائها ولذا ورثت عرش أبيها.

القرآن

{فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦)} [النمل: ٣٦]

التفسير:

فلمَّا جاء رسول الملكة بالهديَّة إلى سليمان، قال مستنكرًا ذلك متحدثًا بأَنْعُمِ الله عليه: أتمدونني بمالٍ تَرْضيةً لي؟ فما أعطاني الله من النبوة والملك والأموال الكثيرة خير وأفضل مما أعطاكم، بل أنتم الذين تفرحون بالهدية التي تُهدى إليكم؛ لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها.

قوله تعالى:{فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ} [النمل: ٣٦]، أي:" فلمَّا جاء رسول الملكة بالهديَّة إلى سليمان"[4].

قال الفراء:" يريد: فلما جاء الرسول سليمان، وهي في قراءة عبد الله :«فلما جاءوا سليمان»"[5].

قوله تعالى:{قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ} [النمل: ٣٦]، أي:قال سليمان: "أتمدونني بمالٍ تَرْضيةً لي؟"[6].

قال الطبري:" يقول: قال سليمان لما جاء الرسول من قبل المرأة بهداياها: أتمدونن بمال"[7].

قال ابن كثير:" أي : أتصانعونني بمال لأتركك على شرككم وملككم ؟!"[8].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٤٠):ص٢٨٧٩/٩.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٤١):ص٢٨٧٩/٩-٢٨٨٠.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٣٩):ص٢٨٧٩/٩.

(٤) التفسير الميسر:٣٨٠.

(٥) معاني القرآن:٢٩٣/٢.

(٦) التفسير الميسر:٣٨٠.

(٧) تفسير الطبري:٤٥٨/١٩.

(٨) تفسير ابن كثير:١٩١/٦.

قوله تعالى:{فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ} [النمل: ٣٦]، أي:" فما أعطاني الله من النبوة والملك والأموال الكثيرة خير وأفضل مما أعطاكم"[١].

قال الطبري:" يقول: فما آتاني الله من المال والدنيا أكثر مما أعطاكم منها وأفضل"[٢].

قال ابن كثير:" أي : الذي أعطاني الله من الملك والمال والجنود خير مما أنتم فيه"[٣].

قوله تعالى:{بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ} [النمل: ٣٦]، أي:" بل أنتم الذين تفرحون بالهدية التي تُهدى إليكم لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها"[٤].

قال الطبري:" يقول: ما أفرح بهديتكم التي أهديتم إلي، بل أنتم تفرحون بالهدية التي تهدى إليكم، لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا، ومكاثرة بها، وليست الدنيا وأموالها من حاجتي، لأن الله تعالى ذكره قد مكنني منها وملكني فيها ما لم يملك أحدا"[٥].

قال ابن كثير:" أي : أنتم الذين تنقادون للهدايا والتحف ، وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف"[٦].

قال وهب بن منبه: "لما أتت الهدايا سليمان فيها الوصائف والوصفاء، والخيل العراب، وأصناف من أصناف الدنيا، قال للرسل الذين جاءوا به: {أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون} لأنه لا حاجة لي بهديتكم، وليس رأيي فيه كرأيكم، فارجعوا إليها بما جئتم به من عندها، {فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها}"[٧].

قال ابن عباس، "أمر سليمان الشياطين فموهوا له ألف قصر من ذهب وفضة. فلما رأت رسلها ذلك قالوا : ما يصنع هذا بهديتنا"[٨].

قال ابن كثير:"وفي هذا دلالة على جواز تهيؤ الملوك وإظهارهم الزينة للرسل والقصاد"[٩].

القرآن

{ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧)} [النمل: ٣٧]

التفسير:

وقال سليمان عليه السلام لرسول أهل «سبأ» : ارجع إليهم، فوالله لنأتينَّهم بجنود لا طاقة لهم بمقاومتها ومقابلتها، ولنخرجنَّهم مِن أرضهم أذلة وهم صاغرون مهانون، إن لم ينقادوا لدين الله وحده، ويتركوا عبادة من سواه.

قوله تعالى:{ارْجِعْ إِلَيْهِمْ} [النمل: ٣٧]، أي:" قال سليمان عليه السلام لرسول أهل «سبأ» : ارجع إليهم بهديتهم"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : بهديتهم"[١١].

قال الطبري:" وهذا قول سليمان لرسول المرأة"[١٢].

---

[١] التفسير الميسر:٣٨٠.
[٢] تفسير الطبري:٤٥٨/١٩.
[٣] تفسير ابن كثير:١٩١/٦.
[٤] التفسير الميسر:٣٨٠.
[٥] تفسير الطبري:٤٥٨/١٩-٤٥٩.
[٦] تفسير ابن كثير:١٩١/٦.
[٧] أخرجه الطبري:٤٥٩/١٩.
[٨] نقلا عن تفسير ابن كثير:١٩١/٦.
[٩] تفسير ابن كثير:١٩١/٦.
[١٠] انظر: التفسير الميسر:٣٨٠، وصفوة التفاسير:٣٧٥/٢.
[١١] تفسير ابن كثير:١٩١/٦.
[١٢] تفسير الطبري:٤٥٩/١٩.

قوله تعالى:{فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا} [النمل: ٣٧]، أي:" فوالله لنأتينَّهم بجنود لا طاقة لهم بمقاومتها ومقابلتها"[١].

قال الطبري:أي:" لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم على دفعهم عما أرادوا منهم"[٢].

قال ابن كثير:" أي : لا طاقة لهم بقتالهم"[٣].

عن أبي صالح، قوله: "{فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها}، قال: لا طاقة لهم بها"[٤].

وفي مصحف عبد الله :«لهم بهم»[٥].

قوله تعالى:{وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ} [النمل: ٣٧]، أي:" ولنخرجنَّهم مِن أرضهم أذلة وهم صاغرون مهانون، إن لم ينقادوا لدين الله وحده، ويتركوا عبادة من سواه"[٦].

قال الطبري:" يقول: ولنخرجن من أرسلكم من أرضهم أذلة وهم صاغرون إن لم يأتوني مسلمين"[٧].

قال ابن كثير:" {وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا } أي : من بلدهم ، { أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ } أي : مهانون مدحورون "[٨].

عن وهب بن منبه: "{ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون}، أو لتأتيني مسلمة هي وقومها[٩].

القرآن

{قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ(٣٨)} [النمل : ٣٨]

التفسير:

قال سليمان مخاطبًا من سَخَّرهم الله له من الجن والإنس: أيُّكم يأتيني بسرير ملكها العظيم قبل أن يأتوني منقادين طائعين؟

قوله تعالى:{قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ} [النمل : ٣٨]، أي:" قال سليمان لأشراف من حضره من جنده"[١٠].

قوله تعالى:{أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ} [النمل : ٣٨]، أي:" أيُّكم يأتيني بسرير ملكها العظيم قبل أن يأتوني منقادين طائعين؟"[١١].

قال ابن كثير:" فلما رجعت إليها رسلُها بهديتها ، وبما قال سليمان ، سمعت وأطاعت هي وقومها ، وأقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة ذليلة ، معظمة لسليمان ، ناوية متابعته في الإسلام. ولما تحقق سليمان ، عليه السلام ، قدومهم عليه ووفودهم إليه ، فرح بذلك وسَرّه، { قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ}"[١٢].

فإن قيل : فلم أَمَرَ أنَ أن يؤتى بعرشها قبل أن يأتوا إليه مسلمين ؟

قيل عنه في الجواب خمسة أوجه :

أحدها : أنه أراد أن يختبر صدق الهدهد ، قاله ابن عباس[١٣]، والضحاك[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٨٠.
(٢) تفسير الطبري:٤٥٩/١٩.
(٣) تفسير ابن كثير:١٩١/٦.
(٤) اخرجه الطبري:٤٥٩/١٩.
(٥) معاني القرآن:٢٩٣/٢.
(٦) التفسير الميسر:٣٨٠.
(٧) تفسير الطبري:٤٥٩/١٩.
(٨) تفسير ابن كثير:١٩١/٦.
(٩) معاني القرآن:٢٩٣/٢.
(١٠) صفوة التفاسير:٣٧٥/٢.
(١١) التفسير الميسر:٣٨٠.
(١٢) تفسير ابن كثير:١٩١/٦.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٤٦٠/١٩-٤٦١.

قال ابن عباس:" إن سليمان أوتي ملكا، وكان لا يعلم أن أحدا أوتي ملكا غيره؛ فلما فقد الهدهد سأله: من أين جئت؟ ووعده وعيدا شديدا بالقتل والعذاب، قال: {وجئتك من سبإ بنبإ يقين}، قال له سليمان: ما هذا النبأ؟ قال الهدهد: {إنى وجدت امرأة} بسبأ {تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم} فلما أخبر الهدهد سليمان أنه وجد سلطانا، أنكر أن يكون لأحد في الأرض سلطان غيره، فقال لمن عنده من الجن والإنس: {يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين}"[٢].

قال الضحاك:" وأنكر سليمان أن يكون لأحد على الأرض سلطان غيره، قال لمن حوله من الجن والإنس: {أيكم يأتيني بعرشها}... الآية"[٣].

الثاني : أنه أعجب بصفته حين وصفه الهدهد وخشي أن تسلم فيحرم عليه مالها فأراد أخذه قبل أن يحرم عليه بإسلامها ، قاله قتادة[٤].

قال قتادة:" أخبر سليمان الهدهد أنها قد خرجت لتأتيه، وأخبر بعرشها فأعجبه. كان من ذهب وقوائمه من جوهر مكلل باللؤلؤ، فعرف أنهم إن جاءوه مسلمين لم تحل لهم أموالهم، فقال للجن: {أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين}"[٥].

الثالث : أنه أحب أن يعاليها به وكانت الملوك يعالون بالملك والقدرة ، قاله ابن زيد[٦].

قال ابن زيد:" أعلم الله سليمان أنها ستأتيه، فقال: {أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين} حتى يعاتبها، وكانت الملوك يتعاتبون بالعلم"[٧].

الرابع : أنه أراد أن يختبر بذلك عقلها وفطنتها ، وهل تعرفه أو تنكره ، قاله ابن جبير[٨].

الخامس : أنه أراد أن يجعل ذلك دليلاً على صدق نبوته ، لأنها خلفته في دارها وأوثقته في حرزها ثم جاءت إلى سليمان فوجدته قد تقدمها ، قاله وهب[٩].

قال وهب:" لما رجعت إليها الرسل بما قال سليمان: قالت: والله عرفت ما هذا بملك، وما لنا به طاقة، وما نصنع بمكاثرته شيئا، وبعثت: إني قادمة عليك بملوك قومي، حتى أنظر ما أمرك، وما تدعو إليه من دينك؟ ثم أمرت بسرير ملكها، الذي كانت تجلس عليه، وكان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ، فجعل في سبعة أبيات بعضها في بعض، ثم أقفلت عليه الأبواب. وكانت إنما يخدمها النساء، معها ستمائة امرأة يخدمنها؛ ثم قالت لمن خلفت على سلطانها، احتفظ بما قبلك، وبسرير ملكي، فلا يخلص إليه أحد من عباد الله، ولا يرينه أحد حتى آتيك؛ ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قيل معها من ملوك اليمن، تحت يد كل قيل منهم ألوف كثيرة، فجعل سليمان يبعث الجن، فيأتونه بمسيرها ومنتهاها كل يوم وليلة، حتى إذا دنت جمع من عنده من الجن والإنس ممن تحت يده، فقال: {ياأيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين}"[١٠].

قال الطبري:" وأولى الأقوال بالصواب في السبب الذي من أجله خص سليمان بسؤاله الملأ من جنده بإحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا، ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته، ويعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه، أنها خلفته في بيت في جوف أبيات، بعضها في جوف بعض، مغلق مقفل عليها، فأخرجه الله من ذلك كله، بغير فتح أغلاق وأقفال، حتى أوصله

---

[١] انظر: تفسير الطبري:٤٦١/١٩.
[٢] أخرجه الطبري:٤٦٠/١٩-٤٦١.
[٣] اخرجه الطبري:٤٦١/١٩.
[٤] انظر: تفسير الطبري:٤٦٢/١٩-٤٦٣.
[٥] أخرجه الطبري:٤٦٢/١٩-٤٦٣.
[٦] انظر: تفسير الطبري:٤٦٣/١٩.
[٧] اخرجه الطبري:٤٦٣/١٩.
[٨] انظر: النكت والعيون:٢١٢/٤.
[٩] انظر: تفسير الطبري:٤٦١/١٩-٤٦٢.
[١٠] اخرجه الطبري:٤٦١/١٩-٤٦٢.

إلى ولية من خلقه، وسلمه إليه، فكان لها في ذلك أعظم حجة، على حقيقة ما دعاها إليه سليمان، وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوته"[١].

قال ابن كثير:" ومن هاهنا يظهر أن النبي سليمان أراد بإحضار هذا السرير إظهار عظمة ما وهبه الله له من الملك ، وسَخَّر له من الجنود ، الذي لم يعطه أحد قبله ، ولا يكون لأحد من بعده. وليتخذ ذلك حجة على نبوته عند بلقيس وقومها ؛ لأن هذا خارق عظيم أن يأتي بعرشها كما هو من بلادها قبل أن يَقْدموا عليه. هذا وقد حجبته بالأغلاق والأقفال والحفظة"[٢].

وفي قوله تعالى:{قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ} [النمل : ٣٨]، وجهان من التفسير:

أحدهما: قبل أن يأتوني مستسلمين طوعا. قاله ابن عباس[٣].

الثاني: قبل أن يأتوني مسلمين الإسلام الذي هو دين الله. قاله ابن جريج[٤].

قال ابن جريج:" يعني: الإسلام يمنعهم"[٥].

قال الطبري: والصواب قول ابن عباس، لأن المرأة لم تأت سليمان إذ أتته مسلمة، وإنما أسلمت بعد مقدمها عليه وبعد محاورة جرت بينهما ومساءلة"[٦].

القرآن

{قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩)} [النمل : ٣٩]

التفسير:

قال مارد قويٌّ شديد من الجن: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذي تجلس فيه للحكم بين الناس، وإني لقويٌّ على حَمْله، أمين على ما فيه، آتي به كما هو لا أُنقِص منه شيئًا ولا أبدله.

قوله تعالى:{قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ} [النمل : ٣٩]، أي:" قال مارد قويٌّ شديد من الجن: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذي تجلس فيه للحكم بين الناس"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال رئيس من الجن مارد قوي: أنا آتيك بعرشها قبل أن تقوم من مقعدك هذا.. وكان فيما ذكر قاعدا للقضاء بين الناس، فقال: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذي جلست فيه للحكم بين الناس. وذكر أنه كان يقعد إلى انتصاف النهار"[٨].

عن وهب بن منبه: "{أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك}، يعني: مجلسه"[٩].

قال ابن قتيبة:" أي: من مجلسك الذي قعدت فيه للحكم"[١٠].

قال الفراء:" يعني أن يقوم من مجلس القضاء. وكان يجلس إلى نصف النهار. فقال: أريد أعجل من ذلك"[١١].

قال ابن عباس:" قال سليمان: أريد أعجل من ذلك"[١٢].

عن مجاهد: "{قال عفريت من الجن}، قال: مارد من الجن"[١].

---

[١] تفسير الطبري:١٩/٤٦٣.
[٢] تفسير ابن كثير:٦/١٩١.
[٣] انظر: تفسير الطبري:١٩/٤٦٣.
[٤] انظر: تفسير الطبري:١٩/٤٦٣.
[٥] اخرجه الطبري:١٩/٤٦٣.
[٦] تفسير الطبري:١٩/٤٦٤.
[٧] التفسير الميسر:٣٨٠.
[٨] تفسير الطبري:١٩/٤٦٤.
[٩] أخرجه الطبري:١٩/٤٦٥.
[١٠] غريب القرآن:٣٢٤.
[١١] معاني القرآن:٢/٢٩٤.
[١٢] أخرجه الطبري:١٩/٤٦١.

عن معمر، عن بعض أصحابه: "{قال عفريت}، قال: داهية"[2].
قال شعيب الجبائي :"العفريت الذي ذكره الله: اسمه كوزن"[3].
قال الفراء:" العفريت: القوي النافذ"[4].
قال الماوردي: "العفريت: المارد القوي"[5].
قال أبو صالح :"كأنه جبل وفيه""[6].
وفي كلمة «عفريت»، وجهان :
أحدهما : أنه المبالغ في كل شيء، مأخوذ من قولهم: فلان عفرية نفرية، إذا كان مبالغاً في الأمور ، قاله الأخفش[7]، وأوب عبيدة[8]، والنحاس[9].
قال أبو عبيدة:" وهو من كل جن وإنس أو شيطان الفائق المبالغ الرئيس"[10].
قال النحاس:" العفريت: النافذ في الأمور المبالغ فيها الذي معه خبث ودهاء"[11].
الثاني : أصله: العفر، وهو الشديد الوثيق، زيدت فيه «التاء» فقيل: عفريت ، قاله ابن قتيبة[12].
قوله تعالى:{وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ} [النمل : ٣٩]، أي:" وإني لقويٌّ على حَمْله، أمين على ما فيه، آتي به كما هو لا أُنقِص منه شيئًا ولا أبدله"[13].
قال الطبري:أي:" على ما فيه من الجواهر، ولا أخون فيه. وقد قيل: أمين على فرج المرأة"[14].
قال ابن عباس:" يقول: قوي على حمله، أمين على فرج هذه"[15].
وقال ابن عباس:" أمين على جوهره"[16].
وعن ابن زيد:" { وإني عليه لقوي أمين}، لا آتيك بغيره، أقول غيره أمثله لك"[17].

القرآن
{قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠)} [النمل : ٤٠]
التفسير:
قال الذي عنده علم من الكتاب: أنا آتيك بهذا العرش قبل ارتداد أجفانك إذا تحرَّكَتْ للنظر في شيء. فأذن له سليمان فدعا الله، فأتى بالعرش. فلما رآه سليمان حاضرًا لديه ثابتًا عنده قال: هذا مِن فضل ربي الذي خلقني وخلق الكون كله؛ ليختبرني: أأشكر بذلك اعترافًا بنعمته تعالى عليَّ

---
(١) أخرجه الطبري:١٩/٤٦٤.
(٢) أخرجه الطبري:١٩/٤٦٤.
(٣) أخرجه الطبري:١٩/٤٦٤.
(٤) معاني القرآن:٢/٢٩٤.
(٥) النكت والعيون:٤/٢١٢.
(٦) النكت والعيون:٤/٢١٢.
(٧) انظر: النكت والعيون:٤/٢١٢.
(٨) انظر: مجاز القرىن:٢/٩٤.
(٩) انظر: إعراب القرآن:٣/١٤٥.
(١٠) مجاز القرىن:٢/٩٤.
(١١) إعراب القرآن:٣/١٤٥.
(١٢) انظر: غريب القرآن:٣٢٤.
(١٣) التفسير الميسر:٣٨٠.
(١٤) تفسير الطبري:١٩/٤٦٥.
(١٥) أخرجه الطبري:١٩/٤٦٥.
(١٦) أرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٧٥):ص٩/٢٨٨٥.
(١٧) أخرجه الطبري:١٩/٤٦٦.

أم أكفر بترك الشكر؟ ومن شكر لله على نعمه فإنَّ نَفْعَ ذلك يرجع إليه، ومن جحد النعمة وترك الشكر فإن ربي غني عن شكره، كريم يعم بخيره في الدنيا الشاكر والكافر، ثم يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة.

قوله تعالى:{قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} [النمل : ٤٠]، أي:" قال الذي عنده علم من الكتاب: أنا آتيك بهذا العرش قبل ارتداد أجفانك إذا تحرَّكَتْ للنظر في شيء"[١].

قال ابن كثير:" أي : ارفع بصرك وانظر مُدّ بصرك مما تقدر عليه ، فإنك لا يكل بصرك إلا وهو حاضر عندك"[٢].

قال الطبري:يقول": قال الذي عنده علم من كتاب الله- وكان رجلا فيما ذكر من بني آدم، فقال بعضهم: اسمه بليخا، وقيل: كان آصف-، أنا آتيك بهذا العرش قبل أن يرجع إليك طرفك من أقصى أثره"[٣].

قال ابن عباس:" وهو رجل من الإنس عنده علم من الكتاب فيه اسم الله الأكبر، الذي إذا دعي به أجاب: {أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك}، فدعا بالاسم وهو عنده قائم، فاحتمل العرش احتمالا حتى وضع بين يدي سليمان، والله صنع ذلك"[٤].

قال سعيد بن جبير:" لما تكلم الذي عنده علم من الكتاب دخل العرش تحت الأرض فنظر إليه سليمان مذ طلع بين يديه"[٥].

قال عبد الله بن شداد: "جئ بالعرش في نفق في الأرض يعني سرب في الأرض"[٦].

قال الضحاك:" فقال رجل من الإنس عنده علم من الكتاب، يعني اسم الله إذا دعي به أجاب"[٧].

قال زهير بن محمد:" فدعا باسم الله الأعظم فانخرقت الأرض من أرض سبأ، فخرج من تحت الأرض بين يدي سليمان عليه السلام"[٨].

قال ابن زيد:" دعا باسم من أسماء الله فإذا عرشها يحمل بين عينيه، ولا يدري ذلك الاسم قد خفي ذلك الاسم على سليمان وقد أعطي ما أعطي"[٩].

قال الزهري:" الزهري: "دعا الذي عنده علم من الكتاب: يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا، لا إله إلا أنت، ائتني بعرشها، قال: فمثل بين يديه"[١٠].

عن مجاهد، قوله:"{ الذي عنده علم من الكتاب}، قال: الاسم الذي إذا دعي به أجاب، وهو: يا ذا الجلال والإكرام"[١١].

عن مجاهد في قول الله عز وجل: "{الذي عنده علم من الكتاب}، أنا أنظر في كتاب ربي ثم أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك قال: فتكلم ذلك العالم بكلام دخل العرش في نفق تحت الأرض حتى خرج إليهم"[١٢].

قال وهب:" كانت باليمن، وسليمان بالشام"[١].

---

[١] التفسير الميسر:٣٨٠.
[٢] تفسير ابن كثير:١٩٢/٦.
[٣] تفسير الطبري:٤٦٦/١٩-٤٦٧.[بتصرف]
[٤] أخرجه الطبري:٤٦١/١٩.
[٥] اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٨٩):ص٢٨٨٧/٩.
[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٩١):ص٢٨٨٧/٩.
[٧] أخرجه الطبري:٤٦٦/١٩.
[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٩٢):ص٢٨٨٧/٩.
[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٠١):ص٢٨٨٨/٩.
[١٠] اخرجه الطبري:٤٦٥/١٩.
[١١] أخرجه الطبري:٤٦٦/١٩.
[١٢] أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٩٣):ص٢٨٨٧/٩.

وفي قوله تعالى:{قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ} [النمل : ٤٠]، وجوه من التفسير:
أحدها : أنه ملك أيد الله به سليمان ، والعلم الذي من الكتاب هو ما كتب الله لبني آدم ، وقد علم الملائكة منه كثيراً فأذن الله له أن يعلم سليمان بذلك ، وأن يأتيه بالعرش الذي طلبه ، حكاه ابن بحر[٢].
القول الثاني : أنه بعض جنود سليمان من الجن والإنس ، والعلم الذي عنده من الكتاب هو كتاب سليمان الذي كتبه إلى بلقيس وعلم أن الريح مسخرة لسليمان وأن الملائكة تعينه فتوثق بذلك قبل أن يأتيه بالعرش قبل أن يرتد إليه طرفه[٣].
والقول الثالث : أنه سليمان قال ذلك للعفريت[٤].
والقول الرابع : أنه قول غيره من الإنس ، وفيه خمسة أقوال:
أحدها : أنه بليخا، قاله قتادة[٥].
وقال قتادة:" فعلمت الجن يومئذ أن الإنس أعلم منها"[٦].
قال أبو صالح:" رجل من الإنس"[٧].
وعن معمر، عن قتادة، قال:"رجل من بني آدم، أحسبه قال: من بني إسرائيل، كان يعلم اسم الله الذي إذا دعي به أجاب"[٨].
الثاني : أنه أسطوم ، قاله مجاهد[٩].
الثالث : أنه آصف بن برخيا وكان صدّيقاً ، قاله قتادة[١٠]، ويزيد بن رومان[١١]، وابن إسحاق[١٢].
قال يزيد بن رومان:" يزيد بن رومان قال: زعموا أن سليمان قال: أبتغي أعجل من ذلك قال له آصف بن برخيا، وكان صديقا يعلم الاسم الأعظم"[١٣].
قال ابن إسحاق:" يقال له آصف وكان صديقا يعلم الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله عز وجل به أجاب وإذا سئل به أعطى، قال: يا نبي الله أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فمد عينيك فلا ينتهي طرفك إلى مداه حتى أمثله بين يديك، قال ذلك أريد، فذكروا أن آصف توضأ ثم ركع ركعتين ثم قال: انظر يا نبي الله- امدد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد سليمان عينيه نحو اليمن، ودعا آصف فانخرق بالعرش مكانه الذي هو فيه ثم نبع بين يدي سليمان"[١٤].
وعن ابن عباس:" {الذي عنده علم من الكتاب}، قال: آصف، كاتب سليمان عليه السلام"[١٥].
الرابع : رجل من الإنس يقال ذو النور، كان علمه الكتاب، قاله زهير بن محمد[١٦].

---

[١] أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٨٦):ص٢٨٨٦/٩.
[٢] انظر: النكت والعيون:٢١٣/٤.
[٣] انظر: النكت والعيون:٢١٣/٤.
[٤] انظر: النكت والعيون:٢١٣/٤.
[٥] انظر: تفسير الطبري:٤٦٥/١٩.
[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٤٠٠):ص٢٨٨٨/٩.
[٧] اخرجه الطبري:٤٦٥/١٩.
[٨] اخرجه الطبري:٤٦٥/١٩.
[٩] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٦٣٨٢):ص٢٨٨٦/٩.
[١٠] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٦٣٨٠):ص٢٨٨٦/٩.
[١١] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٦٣٨١):ص٢٨٨٦/٩.
[١٢] انظر: تفسير الطبري:٢٨٨٧/١٩.
[١٣] أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٨١):ص٢٨٨٦/٩.
[١٤] اخرجه الطبري:٢٨٨٧/١٩.
[١٥] أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٣٧٧):ص٢٨٨٥/٩.
[١٦] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٦٣٧٦):ص٢٨٨٥/٩.

الخامس : أنه الخضر ، قاله ابن لهيعة[١].
وفي قوله تعالى:{قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} [النمل : ٤٠]، وجوه من التفسير:
أحدها : قبل أن يأتيك أقصى من تنظر إليه، قاله ابن جبير[٢]، وقتادة[٣].
قال قتادة:" قبل أن يأتيك الشخص من مد البصر "[٤].
قال الفراء:" يقول: قبل أن يأتيك الشيء من مد بصرك"[٥].
الثالث: قبل أن يرتد طرفك حسيرا إذا أدمت النظر، قاله مجاهد[٦].
قال مجاهد:" إذا مد البصر حتى يحسر الطرف"[٧].
الرابع: قبل أن يعود طرفك إلى مجلسك ، قاله إدريس[٨].
الخامس: قبل الوقت الذي تنظر وروده فيه من قولهم : أنا ممد الطرف إليك أي منتظر لك ، قاله ابن بحر[٩].
السادس: قبل أن يرجع طرف رجائك خائباً لأن الرجاء يمد الطرف والإياس يقصر الطرف. حكاه الماوردي[١٠].
السابع : قبل أن ينقص طرفك بالموت ، أخبره أنه سيأتيه قبل موته. حكاه الماوردي[١١].
الثامن: بمقدار ما تفتح عينك ثم تطرف، قاله الزجاج[١٢].
قال سعيد بن جبير:" قيل له أرفع بصرك من حيث يجئ العرش، فلم يطرف حتى جئ به فوضع بين يديه"[١٣].
قال الطبري: المعنى:" قبل أن يرجع إليك طرفك من أقصى أثره، وذلك أن معنى قوله {يرتد إليك} يرجع إليك البصر، إذا فتحت العين غير راجع، بل إنما يمتد ماضيا إلى أن يتناهى ما امتد نوره. فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله إنما أخبرنا عن قائل ذلك {أنا آتيك به قبل أن يرتد} لم يكن لنا أن نقول: أنا آتيك به قبل أن يرتد راجعا {إليك طرفك} من عند منتهاه"[١٤].
قوله تعالى:{فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي} [النمل : ٤٠]، أي:" فلما نظر سليمان ورأى العرش - السرير - حاضراً لديه قال: هذا من فضل الله عليَّ، وإحسانه إليّ"[١٥].
قال الطبري:" يقول: فلما رأى سليمان عرش ملكة سبأ مستقرا عنده. وفي الكلام متروك استغنى بدلالة ما ظهر عما ترك، وهو: فدعا الله، فأتى به؛ فلما رآه سليمان مستقرا عنده. وذكر أن العالم دعا الله، فغار العرش في المكان الذي كان به، ثم نبع من تحت الأرض بين يدي سليمان، فقال سليمان: هذا البصر والتمكن والملك والسلطان الذي أنا فيه حتى حمل إلي

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٦٣٧٩):ص٢٨٨٥/٩.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٤٦٧/١٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٤٦٧/١٩.
(٤) اخرجه الطبري:٤٦٧/١٩.
(٥) معاني القرآن:٢٩٤/٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٤٦٧/١٩، وتفسير ابن ابي حاتم(١٦٣٩٤):ص٢٨٨٨/٩.
(٧) اخرجه الطبر]:٤٦٧/١٩.
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٦٣٩٩):ص٢٨٨٨/٩.
(٩) انظر: النكت والعيون:٢١٣/٤.
(١٠) انظر: النكت والعيون:٢١٤/٤.
(١١) انظر: النكت والعيون:٢١٤/٤.
(١٢) انظر: معاني القرآن:١٢١/٤.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٣٩٦):ص٢٨٨٨/٩.
(١٤) تفسير الطبري:٤٦٨/١٩.
(١٥) صفوة التفاسير:٣٧٦/٢.

عرش هذه في قدر ارتداد الطرف من مأرب إلى الشام، من فضل ربي الذي أفضله علي وعطائه الذي جاد به علي"[١].

قال ابن عباس:" نبع عرشها من تحت الأرض"[٢].

قال وهب:" ذكروا أن آصف بن برخيا توضأ، ثم ركع ركعتين، ثم قال: يا نبي الله، امدد عينك حتى ينتهي طرفك، فمد سليمان عينه ينظر إليه نحو اليمن، ودعا آصف فانخرق بالعرش مكانه الذي هو فيه، ثم نبع بين يدي سليمان {فلما رآه} سليمان {مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني} ... الآية"[٣].

قوله تعالى:{لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ} [النمل : ٤٠]، أي:" ليختبرني أأشكر إنعامه، أم أجحد فضله وإحسانه؟"[٤].

قال الطبري:يقول: " ليبلوني، يقول: ليختبرني ويمتحنني، أأشكر ذلك من فعله علي، أم أكفر نعمته علي بترك الشكر له، وقيل: إن معناه: أأشكر على عرش هذه المرأة إذ أتيت به، أم كفر إذ رأيت من هو دوني في الدنيا أعلم مني"[٥].

عن ابن عباس، قوله: "{فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر} على السرير إذ أتيت به {أم أكفر} إذ رأيت من هو دوني في الدنيا أعلم مني؟"[٦].

قوله تعالى:{وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ} [النمل : ٤٠]، أي:" ومن شكر فمنفعة الشكر لنفسه"[٧].

قال الطبري:" يقول: ومن شكر نعمة الله عليه، وفضله عليه، فإنما يشكر طلب نفع نفسه، لأنه ليس ينفع بذلك غير نفسه؛ لأنه لا حاجة لله إلى أحد من خلقه، وإنما دعاهم إلى شكره تعريضا منه لهم للنفع، لا لاجتلاب منه بشكرهم إياه نفعا إلى نفسه، ولا دفع ضر عنها"[٨].

قال الصابوني:" لأنه يستزيد من فضل الله، قال تعالى: {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: ٧]"[٩].

قوله تعالى:{وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} [النمل : ٤٠]، أي:" ومن لم يشكر وجحد فضل الله فإن الله مستغنٍ عنه وعن شكره، كريمٌ بالإِنعام على من كفر نعمته"[١٠].

قال الطبري:" يقول: ومن كفر نعمه وإحسانه إليه، وفضله عليه، لنفسه ظلم، وحظها بخس، والله غني عن شكره، لا حاجة به إليه، لا يضره كفر من كفر به من خلقه، كريم، ومن كرمه إفضاله على من يكفر نعمه، ويجعلها وصلة يتوصل بها إلى معاصيه"[١١].

قال ابن كثير:" أي : هو غني عن العباد وعبادتهم ، { كَرِيمٌ } أي : كريم في نفسه ، وإن لم يعبده أحد ، فإن عظمته ليست مفتقرة إلى أحد ، وهذا كما قال موسى : { إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ } [إبراهيم : ٨]"[١٢].

وفي الحديث : "يقول الله تعالى : يا عبادي لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا. يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أفجر قلب رجل منكم ، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا. يا عبادي ، إنما

---

[١] تفسير الطبري:٤٦٨/١٩.[بتصرف بسيط]
[٢] أخرجه الطبري:٤٦٨/١٩.
[٣] أخرجه الطبري:٤٦٨/١٩.
[٤] صفوة التفاسير:٣٧٦/٢.
[٥] تفسير الطبري:٤٦٨/١٩.
[٦] أخرجه الطبري:٤٦٨/١٩.
[٧] صفوة التفاسير:٣٧٦/٢.
[٨] تفسير الطبري:٤٦٨/١٩-٤٦٩.
[٩] صفوة التفاسير:٣٧٦/٢.
[١٠] صفوة التفاسير:٣٧٦/٢.
[١١] تفسير الطبري:٤٦٩/١٩.
[١٢] تفسير ابن كثير:١٩٣/٦.

هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه"[١].

فوائد الآيات:[٣٦-٤٠]:

١- أهل الآخرة لا يفرحون بالدنيا، وأهل الدنيا لا يفرحون بالآخرة.

٢- استعمال أسلوب الإرهاب والتخويف مع القدرة على إنفاذه مع العدو أليق.

٣- تقرير أن سليمان كان يستخدم الجن وأنهم يخدمونه في أصعب الأمور.

٤- استجابة الله تعالى لسليمان فأحضر له العرش من مسافة شهرين أي من اليمن إلى الشام قبل ارتداد طرف الناظر إذا فتح عينه ينظر.

٥- وجوب رد الفضل إلى أهله فسليمان قال {هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي}.

٦- وجوب الشكر، وعائدته تعود على الشاكر فقط، ولكرم الله تعالى قد لا يسلب النعمة فور عدم شكرها وذلك لحلمه تعالى وكرمه.

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى الجزء السادس والعشرون من التفسير، ويليه الجزء السابع والعشرون بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (٤١) من سورة «النمل».

---

[١] صحيح مسلم برقم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر الغفاري ، رضي الله عنه.